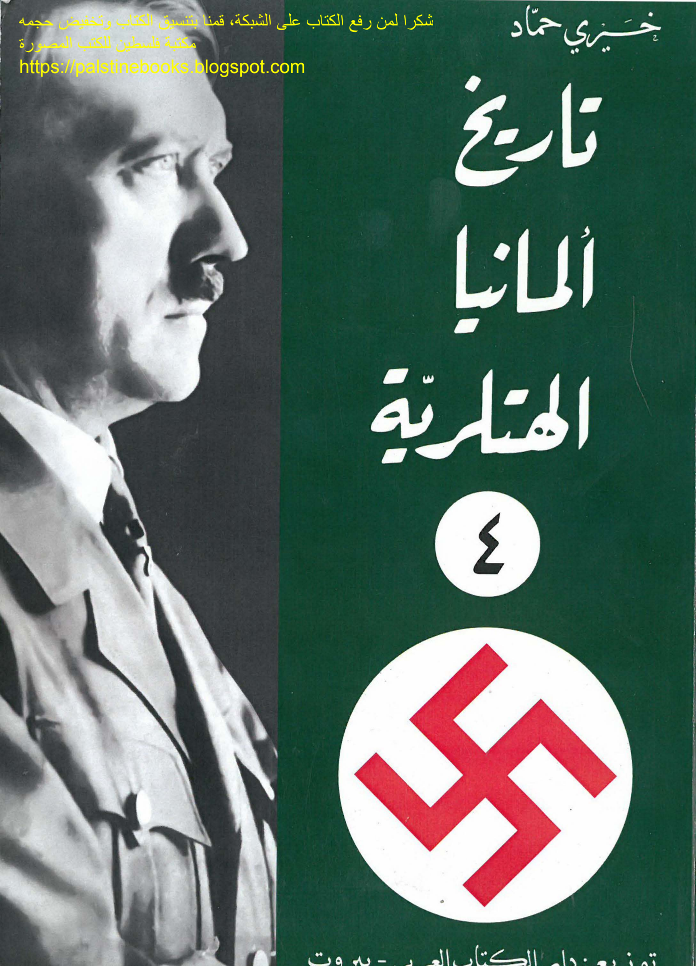
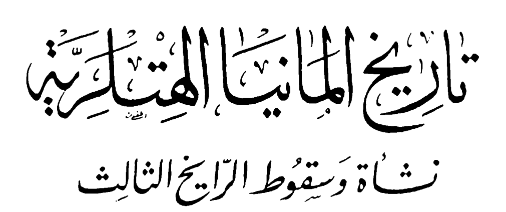


خيري حمّاد
تاريخ
ألمانيا
الهتلريّة
٤

وليام شيرر



تعريب
خيري حماد

دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

THE RISE AND FALL OF THE THIRD REICH

* * *

PART V & VI

A HISTORY OF NAZI GERMANY

BY

WILLIAM L. SHIRER.

الطبعة الثالثة ١٩٨٢

توطئة لا بُدّ منها ..

يتحدث المؤلف في الفصل الاول من هذا القسم ، عن الجرائم التي اقترفها النازيون في البلاد الأوروبية المحتلة ، ويركز تركيزاً كلّياً على اليهود وخسائرهم في الارواح وما لحق بهم من عذاب في ظل النازية .

ونحن اذ نشعر ، كما شعر بعض المؤرخين في الغرب ، وعددهم قليل ، من امثال المؤرخ العالمي توينبي ، بأن اليهود الصهيونيين الذين اغتصبوا فلسطين العربية تحت سمع العالم وبصره ، قد طبقوا مع أهلها العرب ، من اساليب الوحشية والطغيان ما يشبه الاساليب التي طبقها حكم هتلر عليهم في اوروبا إن لم يكونوا قد بزّوه فيها ، نرى ان المؤلف قد انساق وراء الدعاية الصهيونية التي هوّلت في سرد هذه المظالم وبالغت في تعداد ارقام ضحاياها ، مع ان الحقائق تقوم بيّنة على وجود المبالغات فيها اكتساباً للعطف العالمي لتأييد أمانيهم الاستعمارية الطاغية في فلسطين . اذ ان أية مقاومة بين عدد اليهود في العالم قبل الحرب وعددهم فيه بعدها ، يشير الى ما في الادعاء بموت اكثر من خمسة ملايين من اليهود في ظل هتلر من مبالغة واضحة ...

لكن هذا التوضيح لا يعني تجاهلنا للمشاعر الانسانية وان كنا نعتب على المؤلف ، انه لم يشر ولو مرة واحدة ، الى ما انزله الصهيونيون بأهل فلسطين من مظالم ووحشية وعذاب ...

ومع كل هذه التحفظات فقد آثرنا ان ننقل هذا الفصل الى العربية بكل دقة وامانة في النقل ، مع ايماننا القاطع بما فيه من مبالغات تفوق حدود التصور...

— المعرب —

القسم الرابع

الكتاب الخامس

بداية ونهاية

الكتاب السادس

سقوط الرايخ الثالث

الكتاب الخامس

بداية ونهاية

٢٧

النظام الجديد

لم يعد قط أي كتاب ألماني رسمي عن النظام الجديد يشرحه شرحاً وافياً ، ولكن يتضح ما قصده هتلر من هذا النظام وضوحاً جلياً من الوثائق الألمانية المصادرة ، ومن الاحداث التي وقعت بالفعل في اوروبا التي حكمها النازيون ، فهذا النظام الجديد قد عنى قارة اوروبية تتحكم فيها النازية ، وتستغل جميع مواردها لمصلحة المانيا ،فيغدو اهلها عبيداً أرقاءللقيصر الألماني السيد ، وتباد منها « العناصر غير المرغوب فيها » وفي طليعتها اليهود والكثيرون من سلافيي المشرق ، ولا سيما المثقفون منهم .

فاليهود والسلاف ، اقوام دون البشر . وليس من حقهم في رأي هتلر ان يعيشوا ، إلا اذا كانت هناك حاجة الى البعض منهم ، ولا سيما من السلاف ، لفلاحة الارض ، والعمل في المناجم كعبيد ارقاء للسادة الألمان . ولا تقتصر قسوة النظام على إزالة مدن الشرق العظيمة كوارشو وموسكو وليننغراد من الوجود[1]،وانما تتعداها الى طمس معالم كل ما للبولنديين والسلاف من حضارة،

---

١ - كان هتلر في الثامن عشر من ايلول عام ١٩٤١ ، قد أمر بصورة خاصة ، بازالة مدينة ليننغراد من الوجود . وقد نص امره ، على ان تطوق المدينة ، ثم تتم عملية محوها من الوجود بقذائف المدافع وقنابل الطائرات ، ويزول معها اهلها ، البالغ عددهم اكثر من ثلاثة ملايين انسان ...

وتحريم التعليم الرسمي عليهم تحريماً تاماً . ومن الواجب فك كل ما في هذه البلاد من مصانع مزدهرة وشحن آلاتها الى المانيا ، وحصر السكان في العمل الزراعي ، لانتاج المواد الغذائية التي يحتاج اليها الألمان ، مع السماح لهم بالاحتفاظ بما يسد رمقهم منها . لكن هناك شرطاً اساسياً في عرف القادة النازيين ، وهو ان تخلو اوروبا كلها من اليهود .

وفي ذات يوم ، في الرابع من تشرين الأول عام ١٩٤٣ ، وقف هنريخ هملر ، يلقي خطاباً في اجتماع سري خاص ، لقادة الحرس النازي في بوزن ... فقال : « لا يضيرني قيد انملة ، ما قد يصيب انساناً روسياً او تشيكياً . » وكان هملر الآن الرئيس الأعلى للحرس النازي ، ولجميع اجهزة الشرطة في الرايخ الثالث ، ويحتل منزلة تأتي في المرتبة الثانية بعد هتلر ، اذ يتحكم في مصائر ثمانين مليون من الألمان ، ونحو ضعف هذا العدد من اهل البلاد المحتلة ... ومضى يقول في خطابه :

« واذا كان في مكنة بعض الشعوب ان تقدم لنا دماً نقياً كدمنا ، فإننا نتقبله ، ولو اقتضانا الأمر خطف اطفال هذه الشعوب ، وتربيتهم مع اطفالنا . ولا يهمني من أمر هذه الشعوب ان عاشت برخاء ، او ماتت من التضور جوعاً كالانعام ، إلا بقدر ما نحتاج الى افرادها عبيداً ارقاء لحضارتنا . أما اذا لم نكن بحاجة اليها ، فلا اهمية لها عندي مطلقاً .

« ولا يهمني ان كانت عشرة آلاف انثى روسية قد قضين نحبهن اجهاداً وهن يحفرن خنادق لنا ضد الدبابات ، هذا اذا كن قد اتممن عملهن ، واستكملن حفر الخنادق المذكورة ... » (١)

وكان الزعماء النازيون قد وضعوا خططهم ومشاريعهم لاستعباد اهالي اوروبا الشرقية ، قبل إلقاء هذا الخطاب في عام ١٩٤٣ ، الذي سنعود اليه اكثر من

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٥٥٩ .

مرة نظراً لتناوله نواحي اخرى من النظام الجديد ، بعهد طويل .

وكان هتلر قد حزم أمره بالنسبة الى مستقبل التشيكيين قبل الخامس عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٠ ، اذ كان هؤلاء هم الشعب السلافي الأول الذي وقع تحت حكمه ، فقد قرر « ادماج » اكثر من نصفهم في الحياة الألمانيـة ، بنقلهم عبيداً ارقاء الى المانيا ، أما النصف الآخر ، ولا سيما المثقفون منهم ، فقـد نص التقرير السري عن الموضوع على وجوب « ابادتهم » [١]

وقبل اسبوعين من هذا التاريخ ، أي في الثاني من تشرين الأول ، كان الفوهرر قد اوضح افكاره بالنسبة الى البولنديين،وهم الشعب الثاني من الشعوب السلافية التي احتلها . وقد خلف امين سره الوفي مارتن بورمان مذكرة مطولة عن الخطط النازية التي كان هتلر قد رسمها لهانز فرانك الحاكم العـــام ، فيما تبقى من بولندة الممزقة ، ولمن يعمل في معيته من سائر الموظفين ... [٢] قـــال هتلر في تعليماته :

« خلق البولنديون خصيصاً للقيام بالأعمال التافهة ... وليس ثمة من مجال امامهم للارتقاء ومن الضروري الإبقاء على مستوى الحيـاة خفيضاً في بولندة ، وان لا يسمح لهذا المستوى بالارتفـــاع ... فالبولنديون قوم كسالى ، ومن الضروري إكراههم على العمل ... وعلينا ان نفيد من حاكمية بولندة العامة ، كمصدر يؤمن لنـا العمال العاديين غير الفنيين .. وفي وسعنا ان نجمع ما يحتاج اليه الرايخ من عمال في كل عام من هناك . »

وتحدث عن رجال الدين البولنديين فقال :

« عليهم ان يعظوا ما نريد منهم ان يعظوا به . واذا سار أي منهم خلافاً لما نريد فلن يتعبنا الخلاص منه . وواجب الـكاهن ان يبقى على البولنديين هادئين ، خاملين ، بليدين »

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٦١٨ – ٦١٩.
٢ – مذكرة بورمان في محاكمات كبار مجرمي الحرب (٧) ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

وهناك طبقتان أخريان من البولنديين ، تجب معالجتهما ، ولم يهمل الديكتاتور النازي ذكرهما :

« واري من نافلة القول .. التأكيد على وجوب ازالة النبلاء البولنديين من الوجود ، ومهما يكن في هذا القول من قسوة ، فمن الواجب إزالتهم من الوجود حيثما كانوا ...

« ولن يكون للبولنديين الا سيد واحد ، وهو الألمان . ولا يمكن ان يكون هناك سيدان يجلسان جنباً الى جنب ، ويجب ان لا يكون . ولهذا يجب ابادة جميع ابناء الطبقة البولندية المختارة . قد يكون في هذا القول بعض القسوة ، ولكنه قانون الحياة » .

وكانت هذه الفكرة التي تسلطت على الألمان من انهم هم العنصر السيد وان الشعوب السلافية يجب ان تكون عبيداً لهم ، أشد وبالاً بالنسبة الى الروس . وقد اعرب ايريك كوخ ، مفوض الرايخ الفظ في اوكرانيا ، عن هذه الفكرة في خطاب ألقاه في كييف في الخامس من آذار عام ١٩٤٣ اذ قال :

« نحن السادة ، وعلينا ان نحكم بقسوة ولكن مع العدل .. سأبتز من هذه البلاد آخر ما فيها .. فأنا لم آتِ الى هنا لأنشر البركات وأوزع الخيرات .. وعلى السكان ان يعملوا ، ويعملوا ، ويعملوا .. فنحن لم نجيء حتماً لنوزع المن والسلوى ، وانما جئنا هنا لنخلق اساساً لنصرنا » .

« اننا الشعب السيد ، وعلى كل فرد منا ان يذكر ان أحط عامل الماني أطيب عنصرياً وحياتياً وافضل ألف مرة من السكان هنا [1] » .

وكان مارتن بورمان الأمين العام لحزب هتلر ، ويده اليمنى قد بعث قبل نحوٍ من عام أي في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٤٢ ، عندما كانت جيوش المانيا

---

١ — المؤمرة النازية والعدوان (٣) ص ٧٠٨ - ٧٠٩ .

في روسيا قد اقتربت من نهر الفولغا وزيت القفقاس، برسالة مطولة الى روزنبرغ يؤكد فيها آراء الفوهرر في هذا الموضوع. وقد لخص موظف في وزارة روزنبرغ الرسالة على النحو التالي :

« على السلاف ان يعملوا من أجلنا . أما اذا لم نكن في حاجة اليهم ، فإن الموت هو مصيرهم . ولهذا فإن التطعيم الالزامي ، وخدمات دفن الموتى أمور لا لزوم لها . وعلينا ان لانشجع كثرة النسل عندهم . وعليهم ان يستخدموا اساليب منع الحمل، او الإجهاض عند الضرورة. والتعليم خطر . ويكفينا منهم ان يعرفوا الحساب حتى المائة . فكل شخص متعلم عدو مقبل . أما الدين فإننا نتركهم احراراً فيه ، كوسيلة إلهاء لهم . أما الغداء ، فلن يحصلوا منه الا على الضروري كل الضرورة . اننا السادة ومن حقنا الحصول على ما نحتاج اليه اولاً . » [1]

وعندما وصلت القوات الألمانية الى روسيا لأول مرة ، رحب بها الناس في أماكن عديدة ، كقوات محررة لهم ، من طغيان ستالين وارهابه وعسفه . وقد هرب الكثيرون في البداية ، حتى ولو جاء تحررهم على يد الألمان ، شعوب دويلات البلطيق الذين رزحوا تحت الاحتلال السوفياتي منذ عهد قريب ، وشعب اوكرانيا ، حيث كانت الحركة الاستقلالية الفطرية حية لم تخمد ابداً .

وكان ثمة قلة من الناس في برلين تؤمن ، بأن هتلر اذا احسن لعب اوراقه بذكاء ومكر في روسيا، كأن يحسن معاملة السكان وان يوليهم الاعتبار والاحترام، ويعدهم بالتحرر من الاجراءات البلشفية كمنحهم حرية التعبد ،والحرية الاقتصادية وتحويل مزارعهم الجماعية الى تعاونيات صحيحة ، والسماح لهم بشيء من الحكم الذاتي فإن في وسعه آنذاك ان يكسب شعب روسيا الى صفه . وفي مثل هذه

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٥٢ .

الحالة لن يقتصر تعاونهم مع الألمان على المناطق المحتلة ، بل يعمل الآخرون في المناطق التي لم تحتل بعد ، على الخلاص من حكم ستالين القـــاسي . وكان هؤلاء الناس يقولون ، ان هتلر لو فعل ذلك ، لانهار النظام البلشفي ، وتفسخ الجيش الأحمر ، تماماً كما انهارت جيوش القيصر في عام ١٩١٧ .

لكن ما ابداه الاحتلال النازي من وحشية ، ومـا اعلنه الالمان الغزاة من اهداف واضحة كثيراً ما جاهروا بها ، من نهب للارض واستعباد للناس ، وتمهيد لاستيطان الشرق من الألمان ، كل ذلـك ادى الى تحطيم أي احتمال لمثل هــذا التطور .

ولم يكن ثمة مَن أجاد تلخيص هذه السياسة المفجعة وشرحها ، مع كل مــا حطمته من فرص ، اكـثر من شخص المــاني ، هو الدكتور اوتو بروتيغام ، الدبلوماتي الألماني المحترف ، ونائب رئيس الدائرة السياسية في الوزارة الجديـدة التي خلقها روزنبرغ لادارة المقاطعات الشرقية المحتلة . وقد جرؤ بروتيغـام في تقرير سري لاذع ، قدمه الى رؤسائه في الخامس والعشرين من تشرين الأول ، على ابراز ما ارتكبه الالمان من اخطاء فقال :

« عندما جئنا الاتحاد السوفياتي وجدنا شعباً مـلّ البلشفية ، وكان يتلهف متشوقاً الى شعارات جديدة ، تبشر بمستقبل افضل . وكان من واجب المانيا ان تعثر على هذه الشعارات ولكنهـــا لم تجدها. وقد استقبلنا الناس ورحبوا بنا فرحين مستبشرين كمحررين لهم ، ووضعوا انفسهم تحت تصرفنا . »

وكان هناك شعار فعلاً ... وسرعان ما اكتشفه الشعب الروسي ، اذ مضى وتيغام في تقريره يقول :

« وسرعان ما اكتشفت شعوب أوروبا الشرقية البدائية ، بمـا لديها من غرائز فطرية . ان شعار « التحرر من البلشفة » الذي ترفع المانيا لواءه . ليس إلا ذريعة لاستعباد هــذه الشعوب على طرائقها الخاصة ... وسرعان ما ادرك العامـل والفلاح في هذه البلاد ، ان

ألمانيا لاتعتبرهما شريكين معها لهما ما لابنائهامن حقوق، وانما اعتبرتهما « الوسيلة » التي تحقق عن طريقها اهدافها السياسية والاقتصادية .. ونحن على اساس افتراضات لا نظير لها ، نتجاهل جميع معلوماتنا السياسية ، ونعامل شعوب المناطق المحتلة في شرق اوروبا كشعوب « بيضاء من الدرجة الثانية » ، اختارتها العناية الالهية لتعمل رقيقاً لألمانيا ... »

وأعلن بروتيغام ان هناك تطورين آخرين حملا الروس على الانقلاب على الألمان وأولهما المعاملة البربرية التي يلقاها اسرى الحرب الروس، واختطاف رجال روسيا ونسائها للعمل كرقيق للألمان . ثم قال :

« ولم يعد سراً لا على الاصدقاء ولا على الاعداء، ان مئات الالوف من أسرى الحرب الروس ، قد ماتوا جوعاً أو دنقاً من البرد في معسكراتنا ... ونحن نواجه الآن المفارقة الغريبة ، المتمثلة في البحث عن ملايين العمال من المناطق الشرقية المحتلة ، بعد ان مات الاسرى من الجوع ، مثل الذباب .

« وقد لجأنا في جمع العمال ، استهانة منا الى القدر الذي لاحدود له بالانسانية السلافية ، الى وسائل تذكرنا بتلك التي كان استعمالها شائعاً في اكثر عصور تجارة الرقيق ظلاماً وادهاماً . واقمنا هناك نظام « صيد » الرجال . وها نحن نحمل الى المانيا الناس دون ان نميز بين المرضى والأصحاء ، والشبان والشيوخ » [1] .

وأنهى هذا الموظف تقريره بقوله : « وقد ادت سياسة الألمان واجراءاتهم في روسيا الى هذه المقاومة الشديدة التي تبدو عن الشعوب الشرقية » ثم قال :

---

١ - لم يكن سراً على الكرملين ما يقوم به الألمان من ابادة جماعية لاسرى الحرب السوفيات أو استغلالهم للعمل الرقيق الروسي . ففي تشرين الثاني من عام ١٩٤١ ، قدم مولوتوف احتجاجاً دبلوماتياً رسمياً ضد « ابادة » اسرى الحرب الروس ، ثم عاد فقدم في شهر نيسان من العام التالي احتجاجاً دبلوماتياً آخر ضد برامج الألمان للعمل الرقيق .

« وقد ارغمت سياستنا البلاشفة والوطنيين الروس ، على الوقوف صفاً واحداً ضدنا . ويحارب الروسي اليوم بشجاعة فائقة وبشعور من التضحية بالذات ، وليس له ما يدعوه الى ذلك ، إلا حرصه على الاعتراف بكرامته الانسانية » .

وطلب الدكتور بروتيغام في ختام مذكرته التي وقعت في ثلاث عشرة صفحة ، اجراء تبدل جذري في السياسة الالمانية ، ثم قال : « وعلينا ان نعد افراد الشعب الروسي بأشياء محددة تتناول مستقبلهم » [1]

لكن هذا الصوت ، كان صوتاً وحيداً في القفر النازي ، لا يسمع له انسان. ولقد سبق لنا أن رأينا من قبل ، ان هتلر كان قد وضع قبل بدء الهجوم ، توجيهه عن السياسة التي يجب ان تتبع في روسيا . ولم يكن هتلر من الطراز الذي يستطيع أي الماني من الاحياء أن يبدل آراءه ، أو يحمله على ان يحيد عنها قيد شعرة .

واستدعى هتلر في السادس عشر من تموز عام ١٩٤١ ، أي بعد أقل من شهر من بدء الحملة الروسية ، وان كانت الانتصارات الالمانية الاولية قد اوضحت ان شطراً كبيراً من الاتحاد السوفياتي سيصبح بعد قليل في قبضة المانيا ، كلاً من غورنغ وكايتل وروزنبرغ وبورمان ولاميرز – والأخير رئيس دائرة مستشارية الرايخ – الى اجتماع في مقر قيادته في بروسيا الشرقية ليذكرهم بالاهداف التي حددها في هذه البلاد التي تم احتلالها حديثاً . فها هو الهدف الذي حدده بوضوح في كتابه « كفاحي » ، والذي خطط فيه « المجال الحيوي » الضخم لألمانيا في المناطق الروسية ، قد بات في حيز الامكان ، ويتضح كل الاتضاح من المذكرة السرية عن الاجتماع التي اعدها بورمان ؛ والتي ابرزت في محاكات نورمبرغ [2] ، أن هتلر اراد من كبار مساعديه ان يفهموا تمام الفهم حقيقة ماينتويه في هذا

١ – مذكرة الدكتور بروتيغام – المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٢٤٢ – ٢٥١ والاصل الالماني في محاكات كبار مجرمي الحرب (٢٥) ص ٣٣١ – ٣:٢ .

٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ١٠٨٦ – ١٠٩٣ .

المجال . لكنه نصحهم على أي حال ، بأن لا يذيعوا أو يعلنوا شيئاً عن هذه النوايا . ثم قال :

« لسنا في حاجة الى اعلان ما نود عمله ، والمهم هو ان نعرف ما نريد ... ولن يستطيع انسان ان يدرك ان هذه النوايا توحي بتسوية عامة . ولكن هذا لا يتطلب منا ان نمتنع عن اتخاذ جميع الاجراءات اللازمة من قتل واعادة اسكان وما شابه ذلك وسنتخذها .. »

ومضى هتلر يقول :

« أما من ناحية المبدأ فعلينا ان نواجه مهمتنا في قطع «الكعكة» على النحو الذي نحتاجه لنتمكن :

« اولاً من السيطرة عليها

« ثانياً من ادارتها

« وثالثاً من استغلالها » .

وقال انه لا يجد ضيراً في ان الروس قد امروا « الانصار » بشن حرب العصابات وراء الخطوط الألمانية ، إذ أن هذه الحرب « يمكن ان تستخدم كمبرر لإبادة كل من يجرؤ على الوقوف في سبيلنا » .

وأوضح ان المانيا ستسيطر بصورة عامة على جميع ارجاء الارض الروسية حتى جبال الأورال . وفي هذه المناطق الفسيحة لن يسمح إلا للألمان بحمل السلاح . وراح بعد ذلك ، يحدد بصورة واضحة ما ينوي فعله في مختلف قطع « الكعكة » الروسية فقال :

« ... ستضم كافة اراضي البلطيق الى المانيا ... أما القرم فيجب اخلاؤها من جميع الأجانب ليحل الألمان وحدهم فيها ، ولتصبح جزءاً من اراضي الرايخ .. ويجب ضم جميع شبه جزيرة كولا الى المانيا بالنظر الى مناجم النيكل الضخمة فيها .. ومن الواجب الاعداد بحذر لضم فنلندة كدولة داخلة في اتحاد مع المانيا ..

وسيزيل الفوهرر مدينة لينينغراد من الوجود ثم يضمها الى فنلندة ».

وأمر هتلر بأن تغدو حقول الزيت في باكو ، « امتيازاً المانياً » ، وان تضم المستعمرات التي تقيم فيها جاليات المانية على الفولغا فوراً الى ارض الرايخ. وعندما وصل النقاش الى إختيار الزعماء النازيين الذين سيتولون ادارة البلاد الجديدة ، نشب خلاف شديد ..

« ويقول روزنبرغ انه يعتزم ان يستخدم الرئيس فون بيتر زدورف ، بالنسبة الى ما له من كفايات خاصة ، فسَادَ هلعٌ شديد ، وثار الرفض من كل ناحية . ويؤكد الفوهرر ومشير الرايخ غورنغ ، ان ليس ثمة من شك في جنون بيتر زدورف » .

وكان ثمة نقاش عن أحسن السبل المؤدية الى حكم الشعب الروسي المحتل حكماً بوليسياً. وقد اقترح هتلر تجهيز الشرطة الألمانية بالسيارات المدرعة. وشك غورنغ في ضرورة مثل هذا الاجراء . واضاف ان في وسع « طائراته ان تقذف بقنابلها في حالة ظهور فتن » .. ومضى يقول :

« ومن الطبيعي ان من الواجب تهدئة هذه المنطقة الضخمة في أسرع وقت ممكن . ولعل خير حل هو اطلاق النار على أي انسان قد يتلفت يميناً وشمالاً » [١]

وعهـــد الى غورنغ بوصفه المشرف على مشروع السنوات الأربـع ، بتولي المسؤولية عن استغلال روسيا اقتصادياً [٢] . وقد عبّر غورنغ عن مهمته بكلمة

---

١ – يذكر القراء ان غورنغ كان قبل نحو من عام ، قد ابلغ شيانو بأن « هذا العام سيشهد موت ما يتراوح عدده بين عشرين وثلاثين مليوناً من الناس جوعاً في روسيا » وانه « قد يكون من الخير ان يتحقق هذا ». ومما قاله غورنغ ايضاً ان الاسرى الروس بدأوا يأكلون بعضهم بعضاً.

٢ – اصدر غورنغ في توجيه بتاريخ الثالث والعشرين من ايار عام ١٩٤١ ، بوصفه المسؤول عن مكتب الاقتصاد في الشرق ، تعليماته بتدمير المناطق الزراعية في روسية . ونصت التعليمات على وجوب ترك العمال وافراد عائلاتهم في هذه المناطق يتضورون جوعاً. ومضى التوجيه يقول : « وكل محاولة تجري لانقاذ الناس هنا من الموت جوعاً عن طريق استيراد الفائض من الغذاء من مناطق التربة السوداء في روسيا ممنوعة منعاً باتاً » .

أفضل وهي « السلب والنهب » كما اوضح في خطابه الذي ألقاه على المفوضين النازيين في المناطق المحتلة في السادس من شهر آب عام ١٩٤٢ ، اذ قال : «وكانوا يطلقون على هذا الشيء اسم النهب والسلب . أما اليوم فقد غدت الأمور اكثر انسانية . وعلى الرغم من هذا ، فأنا أنوي أن أنهب وأن أسلب وأن أفعل ذلك بكل جد » [١]. وليس ثمة من ريب في أنه قد وفى بكلمته لا في روسيا وحدها بل أوروبا المحتلة أيضاً . وما هذه العملية إلا جزءاً من النظام الجديد .

النازي ينهبون اوروبا

لن يستطيع انسان تقدير ما تم نهبه وسلبه ، فلقد ظهر أن مما يفوق طاقة البشر ، حساب مانهب حساباً دقيقاً ومع ذلك تتوافر بعض الارقام، التي قدمها الالمان انفسهم.وتظهر هذه الأرقام الدقة التي نفذ فيها اعوان غورنغ ومرؤوسوه تعاليم رئيسهم .. اذ قال :

« إذا لقيتم شيئاً قد يحتاجه الشعب الالماني فعليكم ان تجروا وراءه ككلاب الصيد . وعليكم ان تنتزعوا ذلك الشيء وتحملوه إلى ألمانيا » [٢]

وقد تم انتزاع الكثير لا من السلع والخدمات فحسب ، بل ومن النقود والذهب أيضاً . وكان عملاء هتلر الماليون وأعوانه ، يسارعون فور احتلال أي بلد من البلاد إلى اغتصاب ما في هذ البلاد من ذهب وما في مصرفها الوطني من أوراق وسندات مالية اجنبية . ولم يكن هذا الاجراء إلا مجرد استهلاك ، إذ سرعان ما تعقبه عمليات ابتزاز « نفقات الاحتلال » . وقدر الكونت شفيرين فون كروزيك ، وزير المالية النازية ما جمع من هذه المدفوعات بنحو من ثمانية واربعين بليوناً من الماركات أو ما يعادل اثني عشر بليوناً من الدولارات دفعت

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٩) ص ٦٣٣

٢ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٩) ص ٦٣٤

فرنسا التي حلبها الألمان اكثر من غيرها ، اكثر من نصفها . وبلغت مدفوعات ضرائب الاحتلال عند انتهاء الحرب نحو ستين بليوناً من الماركات او ما يعادل خمسة عشر بليوناً من الدولارات .

وقد ارغمت فرنسا على دفع (٣١،٥)بليوناً منهذه الكمية ،وأربتمدفوعاتها السنوية البالغة سبعة بلايين على اربعة أضعاف مـــا كانت تدفعه المانيا سنويـــاً كتعويضات بموجب مشروعي « داوس » و« يونغ »،بعد الحرب الكونية الأولى ، وهي الجزية التي كان هتلر قد اعتبرها جريمة فظيعة .واجبر بنك فرنسا بالاضافة إلى ذلك على دفع « اعتمادات » لألمانيا بلغت (٤،٥) من بلايين الماركات كما ارغمت فرنسا على دفع نصف مليون أخرى على شكل « غرامات » . وقدر في محاكمات نورمبرغ ما ابتزه الالمان من بلجيكا كنفقات احتلال وكاعتمادات ، بنسبة ثلثي دخل بلجيكا القومي ، كما قدر ما ابتزوه من هولنده بنفس النسبة ايضاً،وقدرت هيئة دراسات القصف الجوي الامريكي السوقي ، ما ابتزته ألمانيا كجزية من البلاد المحتلة بنحو (١٠٤) بلايين من الماركات أو ما يعادل ستة وعشرين بليونـــاً مـــن الدولارات [١] .

ولكن يستحيل تقدير السلع التي اغتصبت وشحنت إلى الرايخ حتى دون أي شكل من أشكال الدفع .وقد انهالت الأرقام في نورمبرغ إلى الحد الذي حار المرء امام وفرتها ، ولكنني لا أعرف أن خبيراً واحداً قد تمكن من تنفيذ هذه الأرقام وحساب مجموعاتها . وقد قدر ما جمعه الألمان من فرنسا ، مثلاً ، كجباية دون مقابل ، بتسعة ملايين طن من الحبوب ، ونحو خمسة وسبعين بالمائـــة من مجموع إنتاج الشوفان وثمانين في المائة من الزيت ، وأربعة وسبعين في المائـــة من الفولاذ ، وغير ذلك من المواد التي يبلغ مجموع قيمتها (١٨٤،٥) بليونـــاً مـــن الفرنـــكات .

---

١ – تصل هذه القيمة حتى بالسعر الرسمي (أي الدولار بماركين ونصف المارك) الى اربعين بليوناً من الدولارات . ولكنني بنيت تقديراتي على السعر غير الرسمي ، وهو اربعة مـــاركات للدولار الواحد . ولا ريب في ان هذا التخمين اكثر دقة على صعيد القوة الشرائية .

وكانت روسيا بما لحقها من دمار في الحرب ونتيجة وحشية الالمان ، اكثر استعصاء على « الحلب » وتحتشد الوثائق الألمانيـــة بتقارير كثيرة عما سلـّمه السوفيات . وسجَّل الألمان بين تسليمات عام ١٩٤٣ نحواً من تسعة ملايين طن من الحبوب ومليوني طن من العلف ، وثلاثة ملايين طن من البطاطا و (٦٦٢) الف طن من اللحوم . وقد اضافت لجنة التحقيق السوفياتية الى هذه الارقام بالنسبة الى مدة الاحتلال كلها ، تسعة ملايين رأس من الماشية واثني عشر مليون خنزير وثلاثة عشر مليون رأس من الأغنـــام ، بالاضافة الى عدة مواد أخرى. لكن تسليمات الروس كانت أقل من المتوقع على أي حال ، اذ لم تزد قيمتها وفقاً لأرقام الألمان على اربعة بلايين مارك أي نحو من بليون دولار [١] .

وابتز الألمان من بولندة كل شيء يصلح للابتزاز . ولقد اعلن الدكتور فرانك الحاكم النازي العام في بولندة قائلاً : « سأحاول ابتزاز كل ما يمكن ابتزازه من هذه المقاطعة » . وقد جاء قوله هذا في نهاية عام ١٩٤٢ . وقد تمكن في غضون السنوات الثلاث الأولى من الاحتلال من ابتزاز الكثير ، كما كان يتبجح دائمـاً ، ولا سيما من المواد الغذائية للألمان الجياع في الرايخ . وقد حذّر من « ان تنفيـذ برنامج الغذاء الجديد في عام ١٩٤٣ ، الى افتقار اكثر من نصف مليون انسان في وارشو وضواحيها الى الغذاء » [٢] .

وقد وضعت خطوط النظام الجديد في بولندة فور احتلال البلاد . ونقـــل فرانك الى الجيش الالماني في الثالث من تشرين الاول عام ١٩٣٩ نص أوامر هتلر التي تقول :

« لايمكن حكم بولندة إلا عن طريق الإفادة من البلاد بمختلف وسائل الاستغلال القاسية . ونقل ما فيها من مؤن ومواد أوليـــة

---

١ – يقول اسكندر دالين في دراسته المستفيضة عن الحكم الألماني في روسيا ، انه كان في وسع المانيـــا ان تحصل من روسيا على كميات اكثر لو انها اتبعت اساليب التجارة العـــادية (دالين – الحكم الالماني في روسيا) .

٢ – محاكمات كبار مجرمي الحرب (٨) ص ٩

وآلات وأجهزة مصانع وغير ذلك من الأمور ذات الأهمية بالنسبة الى اقتصاد المانيا الحربي ، والى توفير جميع العمال للعمل في المانيا ، والهبوط بالاقتصاد البولندي كله الى الحد الأدنى المطلق ، اللازم لوجود السكان ليس إلا ، والى اغلاق جميع المنظمات التربوية ولا سيما المدارس والكليات التقنيّة ، للحيلولة دون أي نمو في الطبقة البولندية المثقفة الجديدة . وستعامل بولندة كمستعمرة عادية . وسيكون البولنديون عبيداً أرقاء في الرايخ الألماني الأعظم » [١]

واضاف رودلف هس نائب الفوهرر ، ان هتلر قرر « عدم بناء وارشو من جديد ، وهو لا ينوي ، اعادة بناء أو تأسيس أية صناعة في الحاكمية البولندية العامة » [٢]

ونص أمر أصدره الدكتور فرانك ، ان من حق الحاكم العام في بولندة مصادرة جميع الاملاك في البلاد دون تعويض ، سواء أكان اصحابها من اليهود أو البولنديين . وتم اغتصاب مئات الألوف من المزارع البولندية وتسليمها الى المستوطنين الألمان . ووضعت السلطات الألمانية قبل الواحد والثلاثين من ايار عام ١٩٤٣ يدها على نحو من سبعمائة الف « ضيعة » تضم نحواً من خمسة عشر مليون فدان في المقاطعات البولندية الاربع التي ضمت الى الرايخ وهي بروسيا الغربية وبوزن وزيشناو وسيليزيا ، واغتصبت (٩٥٠٠) ضيعة اخرى مساحتها نحو من (٦,٥) ملايين من الافدنة . ولا تفرق دائرة الاراضي المركزية في المانيا بين معنى « وضع اليد » و « الاغتصاب »[٣] وليس ثمة من شك في ان البولنديين الذين انتزعت منهم ممتلكاتهم لم يكونوا يفرّقون بين هاتين الكلمتين .

ونهب الالمان كذلك الكنوز الفنية في البلاد المحتلة ، وقد تم ذلك كما كشفت الوثائق النازية فيما بعد بأمر شخصي من هتلر وغورنغ اللذين أنميا مجموعاتهما الفنية

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٤٢٠ - ٤٢١
٢ - المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٤٦٩
٣ - المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٦٦ - ٦٧

وضخامها. واعترف مشير الرايخ البدين فيما بعد، بأن مجموعة تحفه الفنية، اصبحت تساوي خمسين مليوناً من الماركات. وليس ثمة من شك في ان غورنغ كان القوة الفعّالة في هذا الطراز من المنهوبات، اذ لم تكد القوات الألمانية تحتل بولندة، حتى كان يصدر أوامره بمصادرة ما فيها من كنوز فنية، ولم تمض ستة اشهر حتى كان المفوض الخاص، الذي اختاره لأداء هذه المهمة قادراً على ان يبلغه « انه استولى على جميع ما في البلاد من كنوز » (١)

وكانت فرنسا هي البلاد التي تضم القسم الاعظم من كنوز اوروبا الفنية. ولم تكد القوات الألمانية تطأ ارضها بأقدامها، حتى كان هتلر وغورنغ يصدران الأمر بمصادرتها. واختار هتلر روزنبرغ لتنفيذ هذا الأمر، فأقام هذا منظمة اطلق عليها اسم « منظمة العمل الخاص » (Einsatzstad)، وقد اشترك معه في تنظيمها كل من غورنغ وكايتل. وقد أعلن أمر اصدره كايتل الى جيشه في فرنسا بأن روزنبرغ « مخوّل بأن ينقل الى المانيا الحاجيات الثقافية، التي تبدو ثمينة له، وان يحفظها هناك. وقد احتفظ الفوهرر لنفسه بحق القرار في استعمالها » (٢)

ويكشف امر سري اصدره غورنغ في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٤٠، طبيعة قرار هتلر باستعمال هذه الحاجيات، اذ حدد طريقة توزيع الكنوز الفنية التي نهبت من متحف اللوفر في باريس. وقرر ان يتصرف بها « على النحو التالي »:

« ١ – هناك تحف فنية احتفظ الفوهرر لنفسه بحق تقرير استعمالها.

« ٢ – هناك تحف تفيد في استكمال مجموعة مشير الرايخ (غورنغ) ...

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٨٥٠

٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ١٨٦

« ٤ – وهناك تحف تصلح للتوزيع على المتاحف الألمانية » [١]

واحتجت الحكومة الفرنسية على نهب كنوز البلاد الفنيّة ، واعلنت ان هذا العمل يعتبر خرقاً لميثاق لاهاي، وعندما جرؤ خبير في التحف الفنية يدعى هربونجيز ، ويعمل في مكتب روزنبرغ ، على لفت نظر غورنغ الى هذه الحقيقة، رد هذا قائلاً :

« دع هذا الموضوع لي يا عزيزي بونجيز . فأنا المشرّع الأكبر في الدولة ، وأوامري هي التي يجب ان تنفذ ، وعليك ان تمشي بموجبها » .

ودوّن بونجيز في تقرير كتبه ، ولعل هذه هي المرة الأولى والاخيرة ، التي يظهر فيها هذا الرجل في التاريخ يقول :

« ستحمل العاديّات والتحف التي جمعت من متحف « لعبة التنس » ، والتي ستمضي الى مجموعتي الفوهرر ومشير الرايخ في حافلتي قطار ، ستلحقان بقطار مشير الرايخ الخاص الذاهب الى برلين » [٢]

وسرعان ما تبعت ذلك قطارات وحافلات . ويقول : تقرير رسمي سري الماني ان نحواً من ١٣٨ حافلة شحن تحمل (٤١٧٤) صندوقاً من التحف ، تضم (٢١٩٠٣) من التحف بينها (١٠٨٩٠) صورة فنية ، انتقلت من الغرب الى المانيا قبل تموز عام ١٩٤٤ [٣] . وقد تضمنت هذه التحف صوراً لرامبراندت وروبينز وهالزو ميرفير وفيلاسكويز وموريلوّ وغويا وفشيو وواتو وفراغونارد ورينولدز وغينزبورو . وقدر روزنبرغ في كانون الثاني عام ١٩٤١ ما نهب من تحف فنية من فرنسا وحدها بنحو من بليون مارك [٤]

---

١ – المؤامرة النازيه والعدوان (٧) ص ١٨٨ – ١٨٩

٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٢٢٨ – ٢٦٢

٣ – المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٦٦٦ – ٦٧٠

٤ – المؤامرة النازية والعدوان (١) ص ١١٠٥

وكان في وسع الألمان ان يعزوا نهب المواد الأولية والسلع المنهوبة والاغذية، ان لم يبرروه الى إلحاف الحرب الشاملة ومطالبها ، على الرغم مما يؤدي اليه هذا النهب من افقار للشعوب المحتلة ومن إلحاق المجاعة بهم ، وعلى الرغم من خرقه لميثاق لاهاي عن طريقة سير الحروب . ولكن كيف يفسرون نهب الكنوز الفنية التي لا يحتاج هتلر اليها لإدارة آلته الحربية ؟ انها مجرد قضية من قضايا الشراهة والطمع ، والنهم الشخصي من هتلر وغورنغ .

وكان في وسع الشعوب المحتلة ، ان تحتمل هذا النهب والسلب . اذ ان الحروب والاحتلالات كانت تأتي دائماً بالشقاء والتعاسة الى الشعوب ، ولكن هذا النهب لم يكن إلا جزءاً ضئيلاً من النظام الجديد ، بل لعله اكثر اجزائه رقة ولطفاً . وسيذكر الناس مدى الاجيال ، ما جاء به هذا النظام الجديد ، الذي شاءت العناية الالهية ان ترأف بالناس فقصّرت أجله ، من نهب لارواح الناس لا للسلع المادية . وقد هبط النازيون في هذا المجال الى صعدان لم يعرفها الانسان مدى القرون والاجيال في اي مكان في العالم . فقد ارغم الملايين من الرجال والنساء الابرياء والكرماء على العمل الالزامي، وتعرضت الملايين الاخرى لمختلف ضروب العذاب في معسكرات الاعتقال ، وفقدت ملايين ثالثة ارواحها بالجملة عن سابق اصرار وتعمد عن طريق تضورها جوعاً ، ثم احرقت جثثها .

ولم يكن في وسع الانسان أن يصدق هذه القصص التي لا يستطيع العقل تصورها ، لولا انها مدوّنة تدويناً كاملاً في الوثائق التي خلّفها الجناة انفسهم ، والتي تقيم الدليل على صحتها . وليس ما اسرده هنا إلا مجرد تلخيص أجد نفسي مضطراً بسبب ضيق المجال ، الى حذف الوف التفاصيل الوافية عنه ، وقد استندت في هذا الملخص الى الادلة التي لا يمكن دحضها او نقضها ، معزّزة هنا وهنالك ، بروايات شهود العيان انفسهم الذين عاشوا وقائعها والذين شاءت لهم طوالعهم الحسنة ان يكوّنوا القلّة القليلة التي نجت من ويلاتها .

العمل الرقيق في النظام الجديد

كان نحو من سبعة ملايين ونصف المليون من الغرباء المدنيين يكدون ويعملون

في خدمة الرايخ الثالث قبل نهاية شهر ايلول عام ١٩٤٤ . وكان معظم هؤلاء ، قد جمعوا قسراً وإلزاماً ، ثم حملوا الى المانيا في سيارات مكشوفة . دون ان يزوّدوا بالغذاء أو الماء ، أو المعدات الصحية ، ثم ارغموا على العمل في المصانع والحقول والمناجم . ولم يكن شقاؤهم يقتصر على العمل الالزامي ، وانما كانوا يتعرضون للاهانات والمذلة والضرب والتجويع . وكثيراً ما تركوا يلقون حتوفهم بسبب الافتقار الى المأكل والملبس والمأوى .

واضيف الى هؤلاء نحو من مليونين من اسرى الحرب ، الذين ارغم نصف مليون منهم على الأقل على العمل في صناعة الاسلحة والعتاد ، تحدياً لمواثيق لاهاي وجنيف التي تشترط عدم استخدام اسرى الحرب في مثل هذه المهمّات [1] . ولا يضم هذا الرقم بالطبع مئات الالوف من الاسرى الذين كانوا يستخدمون قسراً في بناء الحصون ونقل العتاد الى جبهات القتال ، وتزويد بطاريات المدافع المضادة للطائرات ، تحدياً للمواثيق الدولية التي سبق لألمانيا ان وقعتها [2] .

وكان الرجال يفصلون عن زوجاتهم واطفالهم في عملية النقل الجماعية الى المانيا وكثيراً ما كان الآباء ينقلون الى مكان والامهات الى مكان ثانٍ والاطفال الى مكان ثالث . ولم يكن الألمان يوفرون الاحداث ، اذا كانوا قادرين على العمل . وتعاون حتى كبار فرقاء الجيش في خطف الاطفال ، الذين كانوا ينقلون الى الوطن الألماني للاشتراك في العمل الرقيق . وتحسر وثيقة عثر عليها في ملفات

---

١ - اعترف البرت سبير ، وزير التسلح والانتاج الحربي ، في محاكمات نورمبرغ ، ان اربعين في المائة من مجموع الاسرى قد استخدموا في عام ١٩٤٤ ، في انتاج الاسلحة والعتاد وغيرها من الصناعات الفرعية . (المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٤٥٦

٢ - تظهر وثيقة مصادرة ان المشير ميلش ، من رجال السلاح الجوي ، طلب في عام ١٩٤٣ نحواً من خمسين الفاً آخرين من الاسرى الروس لضمهم الى الثلاثين الفاً السابقين الذين يعملون في تزويد المدافع المضادة للطائرات بالرجال . وضحك ميلش قائلاً : « ولعل من الطريف ان نجد الروس يرغمون على تزويد مدافعنا بالرجال » . (المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ١٨٦) .

روزنبرغ ومؤرخة في الثاني عشر من حزيران عام ١٩٤٤ ، النقاب عن الاجراءات التي اتبعت في هذا الصدد في الاقسام المحتلة من روسيا ... قالت الوثيقة :

« يعتزم قائد مجموعة جيوش الوسط ، جمع ما يتراوح عدده بين الاربعين والخمسين الفاً من الغلمان الذين تتراوح اعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة لنقلهم الى الرايخ . وكان الجيش التاسع هو الذي اقترح هذا الاجراء بادىء ذي بدء ... والهدف هو توزيع هؤلاء الغلمان على المهن المختلفة في المانيا لتدريبهم عليها ... وترحب المهن الألمانيه ترحيباً حاراً بهذا العمل الذي يمثل اجراءً حاسماً لتطعيم المهن الالمانية بعناصر جديدة من المتدربين بعد افتقارها اليها .

« ولا يهدف هذا العمل الى منع العدو من تعزيز قوته تعزيزاً مباشراً ، وانما يهدف ايضاً الى خفض طاقاته الحياتية ايضاً » .

وقد اطلق على عملية الخطف اسم رمزي هو « عملية العشب الجاف » . واضافت المذكرة ايضاً ان مجموعة جيوش المشير موديل في شمال اوكرانيا قد اشتركت في هذه العملية [1] .

ولجأ الألمان الى المزيد من الارهاب وبث الفزع في النفوس لجمع الضحايا . وكانوا قد استخدموا في البداية اساليب اقل عنفاً نسبياً . فعندما يخرج الناس من الكنائس او من دور السينما ، كانت السلطات تقبض على بعضهم . وكانت جماعات من الحرس النازي في الغرب تغلق الطرقات في قطاع معين من احدى المدن وسرعان ما تضع يدها على جميع القادرين من رجال ونساء وكثيراً ما طوّقت القرى وفتّشت تفتيشاً دقيقاً لعين الأهداف . وعندما كانت احدى القرى في الشرق مثلاً تعترض على تنفيذ أمر العمل الرقيق ، وتعارضه ، كانت السلطات

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٣) ٧١ ٧٣ .

تتولى احراق هذه القرى واختطاف من فيها من سكان . وتحتشد ملفـــات روزنبرغ المصادرة بالتقارير الالمانية عن مثل هذه الحوادث. ولكن احدالموظفين الالمان في بولندة على الاقل ، بيّـن في تقرير بعث به الى فرانك الحاكم العـــام ان الامور بلغت حد التطرف هناك اذ قال :

« ان عملية صيد الرجال الوحشية والمفتقرة الى أية رأفة، وهي التي تطبق الآن في كل مكان من مدن وارياف وشوارع وميادين عامة ومحطات وكنائس . وحتى في البيوت في الليل ، قـــد قضت على أي شعور بالطمأنينة بين السكان . فكل انسان معرض لخطـــر الاعتقال في كل مكان وزمان ، على ايدي رجال الشرطة بصورة مفاجئة وغير متوقعة ، ليزج به في معسكرات الاعتقال . وقد لا يدري أي انسان من اقربائه بما حل به » [1]

ولكن جمع العمـــل الرقيق لم يكن إلا الخطوة الأولى [2] . فلقـد كانت الاوضاع التي ينقلون فيها الى المانيـا من السوء الى حدٍ بعيد ايضاً . وقد وصف شخص يدعى الدكتور غوتكيلش ، حادثة واحـــدة ، في تقرير بعث بـه الى وزارة روزنبرغ في الثلاثين من ايلول عام ١٩٤٢ ، اذ روى كيف اجتمع قطار

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٨٠

٢ – عهد ببرامج العمل الرقيق الى فريتز سوكل، الذي منح لقب المفوض العام لتوزيع العمال . وهذا الانسان من رجال الصف الثاني في القيادة النازية ، وكان هتلر قد اختاره زعيماً للحزب في ثورنجيا ومن ثم حاكماً لها . وهو رجل قصير القامة له عينان كعيني الخنزير ، ويتميز بالقسوة والخشونة ، وكان كما وصفه غوبلز في يومياته « أبلد البلداء » . وعندما رآه المؤلف في محكمة نورمبرغ ، ترك انطباعاً في نفسه بأنه انسان تافه ، وانه من نوع الألمان الذين لو كانت ظروفهم مغايرة ، لكانوا جزارين عاديين في سوق اللحوم في بلدة صغيرة . وتضمن اولى توجيهاته ان من الواجب « معاملة العمال الاجانب بطريقة تضمن استغلالهم الى أقصى حد ممكن مع أقل درجـــة ممكنة من الانفاق عليهم » . (المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٥٧) .واعترف في نورمبرغ بأن مائتي الف عامل من مجموع الملايين من العمال الاجانب ، كانوا متطوعين تلقائياً . لكنه نفى في المحاكمة على أية حال ، أية مسؤلية عن سوء معاملتهم . وقد ادانته المحكمة وقضت عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم في سجن نورمبرغ ليلة ١٥ – ١٦ تشرين الاول عام ١٩٤٦ .

مكتظ بالعمال الشرقيين العائدين بعد ان انهكهم العمل ، بقطار آخر في محطة قريبة من بريست ليتوفسك يحمل عمالاً تم حشدهم حديثاً من روسيا لينقلوا الى المانيا فقال :

« وكان من المحتمل ان تقع كارثة بسبب وجود عدد من جثث الموتى في قطار العمال العائدين ... وفي هذا القطار ، وضعت عدة نساء مواليد سرعان ما حملهم المسؤولون وقذفوا بهم من نوافذه وهو في طريق العودة . وكان الاشخاص المصابون بالسل والأمراض السارية الاخرى ، يستقلون نفس العربات مع الآخرين . وكان المحتضرون يقذفون في عربات الشحن دون أي فراش حتى ولو كان من القش تحتهم ، وقد قذف المسؤولون بأحدهم على رصيف القطار. ولا ريب في ان حوادث مماثلة قد وقعت في القطارات الأخرى العائدة » [1] .

ولم يكن هذا الاستهلاك مشرفاً بالنسبة الى الرايخ الثالث والى «عمال الشرق « Ostar beitez » ، ولكن هذا الاستهلاك قد جعلهم متأهبين للمحن الاخرى التي سرعان ما ستحل بهم . فهناك الجوع والضرب والمرض والتعرض للبرد ، في مساكن لا تعرف التدفئة وفي ملابس مهلهلة اشبه ما تكون بالخرق المزقة . وأمامهم ايضاً ساعات طويلة من العرق والعمل ، لا يحددها إلا عجزهم عن الوقوف على أقدامهم .

وكانت مصانع كروب العظيمة التي تزود المانيا بمدافعها ودباباتها وعتادها من الاماكن النموذجية التي يعمل فيها العمال . وقد استخدمت هذه المصانع عدداً ضخماً من عمال الرقيق وبينهم كثيرون من اسرى الحرب الروس . وفي احدى المرات اثناء الحرب نقلت ستمائة امرأة يهودية من معسكر اعتقال بوخنفالد الى مصانع كروب للعمل فيها ، وقد قدمت لهن المساكن في معسكر للعمل حطمته

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ١٤٤

قنابل الحلفاء ، مما ادى الى نقل ساكنيه السابقين من اسرى الحرب الايطاليين . وقد وصف الدكتور ويلهلم جيفر « كبير الاطباء » لمعالجة عبيد معامل كروب، الحالة التي وجدها عندما تسلم زمام وظيفته ، وذلك في الشهادة التي قدمها الى محاكات نورمبرغ فقال :

« عندما قمت بزيارة المعسكر اول مرة ، وجدت عـدداً من النسوة ، يعانين من جراح مفتوحة ومتقيّحة ، ومن امراض اخرى. وكنت الطبيب الأول الذي عادهن منذ نحو من اسبوعين ... ولم اجد في المعسكر أية مواد طبية...وكن حافيات عاريات الاقدام. وكان اللباس الوحيد الذي ترتديه الواحدة منهن كيساً من الخيش فيه ثقوب لرأسها وذراعيها . أمـا شعورهن فمجزوزة . وتحيط بالمعسكر اسلاك شائكة يقوم على حراستها جنود من الحرس النازي.

« وكان الغذاء في المعسكر من النوع الشحيح التافه ، وكان بالاضافة الى قلته من اصناف رديئة ... ولا يستطيع المرء دخول « الثكنات » في المعسكر دون ان يهاجمه الذباب من كل ناحية . وقد أصبت بقروح ضخمة في ذراعي وبقية انحاء جسدي من لسعات هذا الذباب المسموم ... »

ونقل الدكتور جيفر صورة عن هـذه الاوضاع السيئة الى مديري المصانع وحتى الى الطبيب الخـاص لغوستاف كروب فون بوهلين وهولباخ ،صاحب المصانع ، ولكن شكاواه ضاعت ادراج الرياح . ولم تـؤدِ تقاريره الاخرى عن معسكرات العمل الرقيق الباقية في المصانع الى أي تحسن في الوضع . وعـاد بذاكرته في شهادته المشفوعة باليمين الى عدد من هذه التقارير عن الاوضاع في ثمانية معسكرات يسكنها العمال الروس والبولنديون ، وهي تحتشد بالانباء عن ظهور الاوبئة والافتقار الى الغذاء الكافي للابقاء على حياة الانسان والافتقار الى الماء والى بيوت الخلاء .. ثم قال :

« وكانت الالبسة التي يرتديها العمال الشرقيون غير كافية مطلقاً.

وكانوا يعملون ويلبسون نفس الملابس التي جاءوا بها من الشرق . وكان معظمهم دون أية معاطف ويجدون انفسهم مرغمين على استعمال بطانيّاتهم معاطف تقيهم البرد والطقس الماطر . وكان الكثيرون من العمال يجدون انفسهم بالنظر الى النقص في الاحذية ، مضطرين الى الذهاب الى العمل بأقدامهم العارية حتى في فصل الشتاء ...

« وكانت الاحوال الصحية مفزعة للغاية . ففي معسكر كرامير بلاتز ، كانت هناك عشر مراحيض خاصة بالاطفال ، يستخدمها الف ومائتا شخص من سكان المعسكر ... وكان البراز يلوّث ارض هذه المراحيض كلها ... وقد عانى العمال من التتر والقرغيز اكثر من غيرهم ، وكانوا يتساقطون كالذباب من جراء المسكن السيء ، وسوء التغذية وقلتها ، والافتقار الى الراحة .

« وقد اصيب العمال ايضاً بحمّى التيفوس . وكان القمل الذي يحمل الامراض مع العدد الذي لا حصر له من الذباب والبق وغيره من الحشرات يقضّ على ساكني المعسكرات مضاجعهم . وكثيراً ما حرموا من المياه التي تقطع عنهم فترات تتراوح بين الثمانية ايام والاربعة عشر يوماً .

وكان العمال الذين يجمعون من المناطق الغربية أحسن حالاً من اولئك الذين يجمعون من الشرق ، بالنظر الى اعتبار الاخيرين من فئات الحثالات عند الألمان . ولكن البون كان نسبياً ليس إلا ، وهذا ما وجده الدكتور جيفر في احد معسكرات العمل التابعة لمصانع كروب والذي يقيم فيه اسرى الحرب الفرنسيون في نوغرّاتشتراسه في ايسّين اذ قال :

« وكان نزيلو هذا المعسكر يقيمون في اوجار الكلاب والمباول والمخابز القديمة . أما أوجار الكلاب فترتفع ثلاثة اقدام عن الأرض وتتسع لتسعة أقدام طولاً وستة أقدام عرضاً . وكان خمسة رجال ينامون في كل وجر منها . وكان يتحتم على الاسرى ان يزحفوا الى

هذه الاوجار على اقـدامهم وارجلهم ... ولم تكن المعسكرات تضم أي مصدر من مصادر المياه »[1]

وقد عهد الى نحو من مليون ونصف المليون من العمّال الارقـــاء ومعظمهم من السلافيين والايطاليين بالاعمال الزراعية في المانيا ، وعلى الرغم من ان حيواتهم كانت افضل من جرّاء ضغط الظروف من حيوات عمال المصانع في المدن ، الا انها كانت بعيدة عن ان تكون نموذجية او حتى انسانية . ويقدم الينا أحـــد التوجيهات المصادرة عن « معاملة عمال المزارع من اصل بولندي » ، بعض الضوء

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٢ ـ ٧ . اقامت مؤسسة كروب بالاضافة الى تشغيلها الالوف من العمال الارقاء من مدنيين واسرى حرب في مصانعها في المانيا ، مصنعا للصواريخ في معتقل الاباده في أوشويتز حيث كان اليهود يعملون حتى درجة الانهاك ثم يحالون الى الموت بالغازات .

وقد وجهت التهم الى البارون غوستاف كروب فون بوهلين وهولباخ ، وهو رئيس مجلس ادارة هذه الشركة ، في محاكمات نورمبرغ ، على انه من كبار مجرمي الحرب من امثال غورنغ وغيره ، ولكن نظرا لاوضاعه الصحية والعقلية ، اذ كان قد اصيب بنوبة اطاحت بـه الى الجنون ، لم تجر محاكمته . وقد مات في السادس عشر من كانون الثاني عام ١٩٥٠ . وبذل الاتهام جهودا لمحاكمة ولده الفريد عوضا عنه ، اذ كان قد اصبح المالك الوحيد للشركة في عام ١٩٤٣ ، ولكن المحكمة رفضت هذا الطلب .

وحوكم الفريد كروب فون بوهلين وهو لباخ أمام محكمة عسكرية امريكية في نورمبرغ مع تسعة من مديري الشركة في القضية التي رفعتها الولايات المتحدة على الفريد كروب وغيره » . وصدر الحكم عليه في الواحد والثلاثين من تموز عام ١٩٤٨ بالسجن اثني عشر عاما ، وبمصادرة جميع ممتلكاته . وقد افرج عنه من سجن لاندسبرغ حيث كان هتلر قد قضى فترة سجنه في عام ١٩٢٤ : وذلك في الرابع من شباط عام ١٩٥١ ، اثر عفو عام اصدره جون. جي. ماكلوي، المفوض السامي للولايات المتحدة في المانيا . ولم تكتف السلطات بالافراج عن املاكه المصادرة فحسب بل واعادت اليه ثروته الخاصة البالغة نحوا من عشرة ملايين دلاور ايضا . وكانت حكومات الحلفاء قد أمرت بتجزئة ، امبراطورية كروب الواسعة ، ولكن الفريد كروب ، الذي تولى الادارة الفعلية للشركة ، تمكن من التملص من الامر المذكور ، بعد اطلاق سراحه من السجن ، واعلن عندما كان مؤلف هذا الكتاب ، يضع محتوياته في عام ١٩٥٩ ، بموافقة من حكومة المانيا الاتحادية (حكومة بون) ، ان الشركة ستظل قائمة على حالها ولا تتجزأ . وأنها ستقيم باذن من الحكومة الالمانية مصانع جديدة .

عن المعاملة التي كانوا يلقونها . وعلى الرغم من تطبيقه على البولنديين لصدوره في السادس من آذار عام ١٩٤١ ، قبل ان يصبح هناك عدد من الروس خاضعين للالمان فقد استخدم فيما بعد كدليل موجه للاجراءات التي تتبع مع العمال من جنسيات اخرى . وهذا ما جاء فيه :

« لم يعد من حق عمال المزارع الذين يحملون الجنسية البولندية ان يشكوا من شيء ، ولهذا فلن تقبل اية وكالة رسمية أية شكاوي من هذا النوع ... ويحظر على العمال البولنديين زيارة الكنائس حظراً تاماً ... كما يحظر عليهم كذلك ارتياد المسارح ودور السينما ، أو غيرها من الأماكن الثقافية ...

« ويمنع البولنديون كذلك من الاختلاط الجنسي مع النساء والفتيات منعاً باتاً » .

ويقول مرسوم اصدره هملر في عام ١٩٤٣ ، ان أي اتصال جنسي من جانب عامل بولندي مع امرأة المانية يعرض مقترفه الى عقوبة الاعدام . [١]

وحظر على عمال المزارع الارقاء ، استخدام « السكك الحديدية والباصات وغيرها من وسائل النقل » . ويبدو ان هذا الأمر قد صدر لمنع العمال من الهروب من المزارع التي اسند اليهم العمل فيها . وقال التوجيه :

« يمنع على العمال تغيير اماكن عملهم منعاً باتاً . وعلى العمال ان يشتغلوا طالما يريد منهم صاحب العمل ذلك . وليس ثمة من وقت

---

١ — صدر توجيه هملر المؤرخ في العشرين من شباط عام ١٩٤٢ ، ليواجه بصورة خاصة ، العمال الزراعيين الارقاء من الروس . فقد أمر التوجيه « بمعاملة خاصة » ايضا لما يرتكب من خرق للانضباط والنظام كرفض العمل ، او التراخي فيه . وفي مثل هذه الحالات :

« يجب توجيه معاملة خاصة . ويعني الشنق شيئا من هذه المعاملة الخاصة ، على ان لا ينفذ في ضواحي المعسكرات . ومن الواجب ان يحضر عدد معين من العمال ، عملية الشنق الخاصة هذه » . (المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٧٤٤ — ٧٥٤) .

ويبدو ان عبارة « المعاملة الخاصة » كان تعبيرا شائعا في ملفات هملر ، وفي الاحاديث التي دارت بين النازيين ابان الحرب وتعني هذه العبارة تماما ما اوضحه هملر في توجيهه هذا .

محدد للعمل .

« ومن حق كل صاحب عمل ان يوقع العقاب البدني في عمال مصنعه ... ومن الواجب انتزاع العمال من مجتمعاتهم البيتية ، وان يقدم اليهم المأوى في الاسطبلات وما شابهها . ومن الواجب ان لا يكون ثمة أي قيود على مثل هذه الاعمال » [١]

وقد عوملت النساء السلافيات كذلك اللائي جمعن ونقلن الى المانيا للعمل كخادمات في البيوت ، معاملة اشبه ما تكون بمعاملة الرقيق. وكان هتلر قد عهد منذ عام ١٩٤٢ ، الى سوكل بجمع نصف مليون امرأة « للخدمة في البيوت الالمانية وتحرير ربات البيوت الألمانيات من المتاعب.» وقد وضع مفوّض العمل الرقيق شروط الخدمة في البيوت الالمانية على النحو التالي :

« لن تكون هناك اجازات او اوقات راحة . وليس في وسع العاملات الخادمات الشرقيات ان يتركن المنازل التي يعملن فيها ، الا لاداء بعض الخدمات البيتية ... ومن المحظور عليهن ان يدخلن المطاعم ودور السينما والمسارح وغيرها من المؤسسات المماثلة ... ويحظر عليهن كذلك ارتياد الكنائس » [٢]

ويتضح من هذا ان المرأة احتلت مركزاً لا يقل اهمية عن الرجل في البرامج النازية للعمل الرقيق . وكان اكثر من نصف الثلاثة ملايين من الروس ، الذين ارغمهم الالمان على الخدمة ، من النساء. وقد عهد الى الكثيرات منهن بالمهام الشاقة في الاعمال الزراعية وبالعمل في المصانع .

ولم يكن استعباد الملايين منرجال البلاد المحتلة ونسائها للعمل اليدوي الرخيص في الرايخ الثالث ، مجرد اجراء عادي من اجراءات الحرب . وتوضح بيانات هتلر وغورنغ وهملر وغيرهم من زعماء النازية ، وهي البيانات التي سردنا بعضها ، وليس هذا البعض الا نموذجاً صغيراً منها ، انه لو قدر لالمانيا النازية

---

١ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٢٦٠ ــ ٢٦٤
٢ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٧٦٥

ان تعيش ، لعنى النظام الجديد تحكم الشعب الالماني كعنصر سيد، في امبراطورية واسعة من العبيد ، تمتد من المحيط الاطلسي الى جبال اورال . وليس ثمة من شك ، في ان السلافيين في الشرق ، كانوا سيعانون اكثر من غيرهم .

وقد اكد هتلر في تموز عام ١٩٤١ ، أي بعد اقل من شهر من مهاجمة الاتحاد السوفياتي ، ان خططه لاحتلال هذه البلاد تؤلف «تسوية نهائية» . وراح ينصح معاونيه بعد عام أي في ذروة فتوحاته الروسية بما يلي :

« سنحاول ان نضع النخبة التي نختارها من هؤلاء السلافيين المضحكين الذين يعدون مائة مليون من الناس ، في الصورة التي تلائمنا ، وسنعزل الباقين في حظائر الخنازير التي يجب ان يعيشوا فيها ، وسيكون مصير كل من يتحدث عن التلطف الى الاهلين وعن تحضيرهم ، معسكرات الاعتقال فوراً » [1]

أسرى الحرب

على الرغم من ان استخدام اسرى الحرب في مصانع السلاح أو في أي شكل من اشكال العمل يتعلق بالحرب في الجبهة ، يعتبر خرقاً فاضحاً لمواثيق لاهاي وجنيف ، فإن هذا الاستخدام ، على الرغم من ضخامته لم يكن ليشكل ازعاجاً بالنسبة الى الملايين من الجنود الذين وقعوا في أسر الرايخ الثالث .

وكان جل اهتمامهم منحصراً في العيش حتى تنتهي الحرب . واذا كان هؤلاء الاسرى من الروس ، فإن حظهم في البقاء كان ضئيلاً للغاية . وكان ثمة عدد من الاسرى الروس يفوق مجموع عدد الاسرى من بقية الشعوب الاخرى، أي كان هناك نحو من خمسة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الاسرى الروس . وقد عثر على أقل من مليون واحد من هؤلاء على قيد الحياة عندما حررت قوات الحلفاء الاسرى من معسكرات اعتقالهم في عام ١٩٤٥ . وقد سمح لنحو من مليون

---

١ ـ محادثات هتلر السرية ص ٥٠١

آسير ، إما بالعمل في الوحدات المتعاونة التي أقامها الجيش الالماني أو بالتحرر من ربقة الاسر . ومات نحو من مليون أسير روسي اثناء الحرب في أسر الالمان من المجاعة أو العري أو المرض ولم يظهر المليون الباقي بعد انتهاء الحرب ، وظهر في محاكمات نورمبرغ ، ان القسم الاكبر من هؤلاء اما ان يكونوا قد ماتوا متأثرين بالاسباب نفسها ، أو أبيدوا على أيدي الفرقة الخاصة من رجال الحرس النازي . وتقول الاحصاءات الالمانية ان سبعة وستين الفاً قد اعدموا ، وليس هذا الرقم إلا جزئياً على وجه التأكيد .[1]

وقد أسر القسم الأكبر من الاسرى الروس الذين يعدون ثلاثة ملايين وثمانمائة الف في المرحلة لأولى من الحملة الروسية ، أي في معارك التطويق الضخمة التي جرت بين الواحد والعشرين من حزيران والسادس من كانون الأول ١٩٤١ . ويعترف المرء ان من الصعب على الجيش في خضم المعركة والزحف السريع ان يعنى عناية كافية بمثل هذه الاعداد الضخمة من الأسرى . ولكن الألمان لم يبذلوا أية جهود لمثل هذه العناية ، وانما تظهر الوثائق النازية ، كما رأينا من قبل ، ان الاسرى السوفيات ، كانوا يجوّعون ، عن عمد واصرار ، ويتركون في العراء دون مأوى ليموتوا في الشتاء الذي تهبط فيه الحرارة عن الصفر ، والذي تغطيه الثلوج وذلك في شتاء عام ١٩٤١ — ١٩٤٢ .

وكان موقف الكثيرين من الموظفين النازيين حسب ما قاله روزنبرغ نفسه يتلخص في عبارة واحدة ، وهو انه كلما ازداد عدد الذين يموتون من الأسرى ، كلما كان ذلك خيراً لنا .

ولم يكن الوزير الأرعن للمناطق الروسية المحتلة ، نازياً انسانياً ، ولا سيما بالنسبة الى الروس ، الذين كان قد نشأ بين ظهرانيهم ، ومع ذلك فقد رأيناه

---

١ ـ استندت في هذا على دراسات وافية للسجلات الالمانية قام به اسكندر دالين في كتابه « الحكم الالماني في روسيا » ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ . وقد استند على الارقام التي جمعها مكتب القوات المسلحة العامة في مجموعته عن « ذكريات الاحياء من الحرب السوفياتية الذين عاشوا بعد ١ ـ ٥ ـ ١٩٤٤ » .

متأثراً الى الحد الذي دفعه الى الاحتجاج الى الفريق كايتل رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة في رسالة مطولة بعث بها في الثامن والعشرين من شباط عام ١٩٤٢، على المعاملة التي يلقاها الأسرى الروس . وكان هذا الاحتجاج في نفس اللحظة التي بدأ فيها الهجوم السوفياتي المضاد يدفع الألمان الى الوراء من موسكو ومن روستوف ووصل فيه الى ابعد توغل في ذلك الشتاء ، وفي وقت كان فيه الألمان قد ادركوا اخيراً ان مقامرتهم بتدمير روسيا في حملة قصيرة واحدة ، أو في أي حملات مهما طالت ، قد فشلت ، وان الولايات المتحدة قد اضيفت الى قائمة الأعداء مع بريطانيا وروسيا وانهم قد لا يرحبون الحرب ، ولذا فقد يتعرضون لدفع الحساب عما اقترفوه من جرائم . وكتب روزنبرغ الى كايتل يقول :

« ولا ريب في ان مصير أسرى الحرب السوفيات في المانيا يؤلف كارثة في حد ذاته ، من الطراز الأول . ولم يعد من مجموع الثلاثة ملايين والستمائة ألف أسير منهم الا نحو من بضعة مئات ألوف قادرين على العمل ، قدرة كاملة . وقد مات منهم قسم كبير جوعاً أو ماتوا بسبب اخطار الطقس . »

ومضى روزنبرغ يقول .. وكان في الأمكان تجنّب هذا . ففي روسيا متسع من الغذاء للجميع .. ثم قال :

« وفي معظم الحالات كان قادة المعسكرات يمنعون الغذاء من الوصول الى ايدي الأسرى ، اذا كانوا يؤثرون ان يموتون جوعاً . وحتى في حالات نقل الأسرى الى المعسكرات لم يكن يسمح للمدنيين من الناس بتقديم الطعام اليهم . وفي حالات كثيرة كان الحراس يطلقون النار على الأسرى اذا عجزوا عن السير من جراء الجوع أو الاجهاد ويقتلونهم على مرأى من السكان المدنيين ، تاركين جثثهم على الأرض . ولم يكونوا في معسكرات كثيرة يقدمون المأوى للأسرى فهم يتركونهم في العراء سواء أكان الطقس ماطراً أو كانت الثلوج تتساقط .

« وأرى لزاماً علينا ان نذكر اخيراً موضوع اطلاق النار على الأسرى . ويتجاهل الذين يطلقون النار جميع المفاهيم السياسية . فمثلاً اطلقت النار في احد المعسكرات على جميع الآسيويين » .[1]

ولكن الآسيويين لم يكونوا الوحيدين في هذه المعاملة ، فبعد بدء الحملة الروسية تم الاتفاق بين القيادة العليا للقوات المسلحة وبين الفرقة الخاصة من رجال الحرس النازي لتتولى هذه الفرقة اعتقال الأسرى الروس. وقد عرضت الاهداف من هذا الاتفاق في الشهادة التي قدمها ارتو ارهلندورف من قتلة الفرقة الخاصة المعروفين ، ومن المثقفين الذين كانوا يحيطون بهملر ، اذ كان يحمل شهادة جامعية في القانون وعلم الاقتصاد ، وكان يشغل منصب استاذ في معهد العلوم الاقتصادية التطبيقية ، فقد قال هذا في شهادته :

« تقرر نقل جميع اليهود والعاملين في الاحزاب الشيوعية من معسكرات الاعتقال واعدامهم. وقد نفذ هذا العمل حسب معرفتي في جميع مراحل الحملة الروسية » [2]

لكن هذا التنفيذ لم يتم دون متاعب . فلقد كان الاسرى الروس في بعض الحالات قد انهكهم الجهد الى الحد الذي باتوا عاجزين فيه عن السير لاعدامهم . وأدى هذا الوضع الى احتجاج من هنريخ مويلر ، رئيس الغستابو ، وهو رجل يبدو في منتهى النشاط والذكاء مع ميل شديد الى القتل الذي لا رحمة فيه [3] .. قال الرجل :

« يشكو قادة معسكرات الاعتقال ، من ان نسبة تتراوح بين الخمسة والعشرة في المائة من الروس الذين تقرر اعدامهم ، ينقلون

---

١ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ١٢٦ ــ ١٣٠

٢ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٣٤٣

٣ ــ لم يعثر على مويلر بعد الحرب ابدا . وقد شوهد لآخر مرة في قبو هتلر في برلين في التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩٤٥ ، ويعتقد بعض الاحياء من زملائه انه يعمل الآن في خدمة الشرطة السرية السوفياتية التي كان من اشد المعجبين بها .

الى المعسكرات موتى أو انصاف موتى .. وقيل بصورة خاصة ، ان عدداً كبيراً من الأسرى كانوا في اثنـاء مسيرتهم من محطـات القطارات الى المعسكرات ، ينهارون من جراء الاجهاد ويقضون نحبهم أو يغدون انصاف موتى ، مما يحتم استخدام الشاحنـات التي تسير وراء قوافل الاسرى ، لحملهم فيها . ولا يمكننا ان نحول دون ملاحظة الشعب الالماني لهذه الاحداث ».

ولم يكن اهتمام الغستابو قائماً في سقوط الاسرى الروس موتى من جراء الجوع والاجهاد ، وانما كان متركزاً في حرمان جلاديهم من اعدام فرائسهم. ولم يكونوا راغبين في ان يرى الشعب الألماني هذه المناظر . ولهذا فقد اصدر مويلر رئيس الغستابو في التاسع من تشرين الثاني عام ١٩٤١ أمراً قال فيه :

« اعتباراً من اليوم ، يمنـــع نقل الاسرى الروس الذي يتقرر موتهم والذين لا يستطيعون حمل متاعب السير مهما كان قصيراً ، الى معسكرات الاعتقال لاعدامهم »[١]

ولم يكن في وسع الاسرى من الموتى او من الجيـــاع والمجهدين ان يؤدوا أي عمل ، وعندما اتضح في عام ١٩٤٢ للألمان ان الحرب ستمتد الى زمن أطول مما كانوا يتوقعون ، وان الجنود السوفيات الاسرى ، يؤلفون قوة عمل احتياطية يحتاجون اليها أشد الحاجة ، تخلوا عن سياستهم في ابادتهم ليتحولوا الى سياسة تشغيلهم وأوضح هملر هذا التبدل في الخطاب الذي ألقاه في قادة الحرس النازي في بوزن عام ١٩٤٣ اذ قال :

« وفي ذلك الوقت أي في عام ١٩٤١ ، لم نكن نقدم ضخامـة العنصر البشري كمادة أولية لازمة للعمل ، كما نقدرها اليوم . وهـا نحن نأسف اليوم لا على صعيد الاجيال، بل على صعيد ما منينا به من خسارة في اليد العاملة ، على الاسرى الذين كانوا يموتون في عشرات

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٨٢٣

الالوف بل في مئاتها من الاجهاد والمجاعة »[١]

وهكذا تقرر اطعامهم الآن الى الحد الذي يمكنهم من العمل . ولم يحل كانون الأول عام ١٩٤٤ ، حتى كان نحو من ثلاثة ارباع المليون منهم ، وبينهم عدد من الضباط ،يعملون في مصانع السلاح وفي المناجم التي ضمت نحواً من مائتي الف ، وكذلك في المزارع . وكانوا يعاملون بغلظة وشراسة ، ولكن سمح لهم على أي حال بالحياة . وعدل عن اجراء كي الاسرى الروس « بالوشم » وهو الاجراء الذي كان كايتل قد امر به .[٢]

وكان الألمان في معاملتهم لاسرى الحرب الغربيين ولا سيما من الامريكيين والبريطان ، اقل خشونة وفظاظة من معاملتهم للأسرى الروس . وقد وقعت حوادث عرضية من القتل والذبح بالجملة ،لكن هذه الحوادث لم تكن سياسة مقررة ، وانما نجمت عن الروح الصادية المتطرفة والميول الاجرامية الفظيعة عند بعض القادة ليس إلا . وقد وقع حادث من هذا النوع عندما ذبح نحو من واحد وسبعين اسيراً امريكياً في حقل على مقربة من مدينة ماليدي في بلجيكا في السابع عشر من كانون الأول عام ١٩٤٤ اثناء معركة « الانتفاخ » (Bulge Battle) .

وكانت هناك بعض الحالات الاخرى ، كالحالة التي أمر فيها هتلر نفسه بقتل بعض الأسرى الغربيين كما وقع عندما أمر باعدام نحو خمسين طياراً بريطانياً اعتقلوا في ربيع عام ١٩٤٤ بعد فرارهم من معسكر الاسرى في ساغان . وقد وصف غورنغ هذا الحادث في محاكمات نورمبرغ بأنه « من اخطر احداث الحرب كلها » كما اطلق عليه الفريق يودل اسم « القتل المجرد » .

ويبدو ان هذا القتل كان جزءاً من سياسة المانية متعمدة ، تقررت بعد ان

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٥٥٨

٢ – اصدر كايتل في العشرين من تموز عام ١٩٤٢ ، الامر التالي :

١ – يجب وسم الاسرى السوفيات بعلامات فارقة دائمة لا تمحي .

٢ – يتألف الوسم من زاوية حادة عدد درجاتها خمسا واربعين وطول الطرف الواحد منها سنتمترا ، وان يشير الطرف الى العجز الايسر على بعد نحو من عرض الكف من « المستقيم » – محاكمات كبار مجرمي الحرب (٣٩) ص ٤٨ – ٤٩) .

غدا قصف الحلفـــاء من الجو لألمانيا شديداً لا يطاق منذ عام ١٩٤٣ ، اذ بات المسؤولون الألمان ميالين الى قتل طياري الحلفاء الذين تهوي بهم طائراتهم فوق المانيا . وحثت السلطات المدنيين الألمان على قتل هؤلاء الطيارين حال هبوطهم الى الارض من مظلاتهم ، وقد قتل عدد من هؤلاء الألمان بعد الحرب لاقترافهم مثل هذه الجرائم . وقد نادى ريبنتروب في عام ١٩٤٤ ، عندما كانت غارات الحلفاء على المانيا قد بلغت قمتها بأن ينفذ الاعدام فوراً في الطيارين الذين تسقط طائراتهم فوق المانيا ، لكن هتلر اتخذ موقفاً اقل عنفاً . وفي الواحد والعشرين من ايار عام ١٩٤٤ اصدر أمره باتفاق مع غورنغ ، بأن يعدم فقط الطيارون الذين يضطرون الى الهبوط ، والذين تكون طائراتهم قـــد اصلت قطارات الركاب أو المدنيين أو الطائرات الألمانيـة التي تضطر الى الهبوط بعد معركة جوية ، دون محاكمة عسكرية .

وكان بعض الطيارين الذين يقعون في الاسر يسلمون الى فرقة الأمن الخاصة ، لمعاملتهم « معاملة خاصة » . وقد اعدم على هذا النحو سبعة واربعون طياراً من الامريكيين والبريطانيين والهولنديين ، وكلهم من الضباط ، إعداماً وحشياً في معتقل موتهاوزن في ايلول عام ١٩٤٤ ، وقد وصف اسير فرنسي، وهو موريس لامب ، كان اسيراً في المعتقل نفسه ، الى محكمة نورمبرغ حقيقة ما وقع فقال :

« قـــاد الحرس الطيارين السبعة والاربعين حفاة الاقدام الى المحجر ... وعندما هبطوا الى قعر المحجر ، حمّلهم الحراس حجارة على ظهورهم ، وطلبوا اليهم ان يرتقوا درج المحجر. وقد تمت الرحلة الأولى بحجارة يزن الواحد منهـــا ستين رطلاً . وكانت مشفوعة باللطمات واللكمات... وعادوا يكررون العملية بحجارة اكثر ثقلاً، وعندما كان احـــد الاسرى التعساء ينهار تحت ثقل حمله ، كان الحراس يركلونه بأقدامهم ويضربونه بالهراوات ... ولم يحل المساء حتى كانت هناك احدى وعشرون جثة ملقاة في عرض الشارع .

أما الستة والعشرون الباقون فقد ماتوا في اليوم التالي [١] » .

وكانت هذه الطريقة في الاعدام مألوفة في معتقل موتهاوزن، وقد استخدمت مع الكثيرين من الاسرى وفي مقدمتهم الروس بالطبع .

واصدر هتلر اعتباراً من عام ١٩٤٢ ، أي عندما بدأ مد الحرب يتحول الى جزر بالنسبة اليه ، أمراً بإبادة الاسرى من فدائيي الحلفاء، ولا سيما اولئك الذين يعتقلون في الغرب . أما الانصار السوفيات فكانوا يعدمون فور اعتقالهم كأمر بدهي . وقد عثر بين الوثائق الألمانية المصادرة على الوثيقة المتناهية في السرية والتي اطلق عليها اسم « امر الفدائيين » ، وقد اصدره هتلر في الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩٤٢ ... وقد جاء فيه :

« يجب ان يذبح اعتباراً من اليوم جميع رعايا الاعداء الذين يعثر عليهم اثناء قيامهم بما يسمى بعمليات الفدائيين في اوروبا أو افريقيا ، سواء اكانوا في ملابسهم العسكرية أو لا ، وسواء أكانوا مسلحين أو لا ،وسواء أكانوا يخوضون معركة أو ينشدون الفرار [٢] » .

واوضح هتلر في توجيه تكميلي اصدره في نفس اليوم الى قادته العسكريين الأسباب التي دفعته الى اصدار هذا الأمر . فقال ان نجاح فدائيي الحلفاء قد :

« ارغمني على اصدار اوامر صارمة للقضاء على جنود العدو الذين يقومون بأعمال التدمير ، وان اعلن ان كل من لا ينفذها تنفيذاً صحيحاً يتعرض الى اقسى العقوبات ... ويجب ان يعلم العدو اننا سنقضي بالابادة على جميع قوات التدمير عن بكرة ابيها ودون استثناء ...

« ويعني هذا ان فرصتهم في النجاة بأرواحهم مفقودة تماماً ... وليس في وسعهم بأي حال من الاحوال ، ان يتوقعوا معاملة طبقاً لقواعد ميثاق جنيف ... واذا كان لا بد لأسباب تتعلق بالتحقيق

---

١ ــ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٦) ص ١٨٥ ــ ١٨٦

٢ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٤١٦ ــ ٤١٧

والاستجواب من توفير واحـد أو اثنين في البداية ، فإن الواجب يقتضي اعدامه أو اعدامهما فوراً بعد الاستجواب [١] » .

ومن الواجب الحفاظ على هذه الجريمة الخاصة كسر من الاسرار التي لا يباح بها . واصدر الفريق يودل تعليمات اضافية الى توجيه هتلر المذكور ، مؤكداً فيها على العبارة التالية : « يقصد من هـذا الامر اطلاع القادة فقط ، ويجب ان لا يقع في ايدي الاعداء بأية حال من الاحوال » . وتضمنت التعليمات ايضاً امراً الى القادة باتلاف جميـع النسخ بعد اطلاعهم عليها .

ولا ريب في انها قد نقشت في رؤوسهم تماماً ، اذ انهم شرعوا في التنفيذ فوراً . وفي وسعنا ان نسرد هنا مثلاً أو مثلين من مجموع عدة حوادث .

في الثاني والعشرين من آذار عام ١٩٤٤ ، هبط ضابطان وثلاثة عشر جندياً من رجـال فوج الاستطلاع الخاص الامريكي رقم (٢٦٧) ، من زورق الى البر وراء الخطوط الالمانية في ايطاليـا ليتولوا هدم نفق للسكة الحديدية بين لاسبيزيا وجنوه . وكانوا جميعاً في ملابسهم العسكرية ولا يرتدون اية ملابس مدنية . واعتقلهم الالمان بعد يومين، وصدر الامر بإعدامهم بالرصاص في السادس والعشرين من آذار دون محاكمة ، وكان مصدره الفريق انطون دوستلر قائـد الفيلق الالماني الخامس والسبعين . وعندما حاكمته محكمة عسكرية امريكية . واضاف انه لو لم يطبقها، لحاكمه هتلر أمام محكمة عسكرية وحكم عليه بالاعدام [٢]

واعدم نحو من خمسة عشر عضواً في بعثة عسكرية انكليزية – امريكية بينهم مراسل صحفي حربي يعمل مع وكالة الصحافة المشتركة ، وجميعهم في ملابسهم العسكرية ، وذلك في معتقل موتهاوزن ، اذ كانوا قد انزلوا بالمظلات في سلوفاكيا في كانون الثاني عام ١٩٤٥ . وقد أصدر الامر بإعدامهم الدكتور ارنست كالتنبرونر الذي خلف هايدريش في قيـادة فرقة الامن الخاصة في

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٤٢٦ ـ ٤٣٠

٢ ـ اصدرت المحكمة العسكرية في رومه في الثاني عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٥ حكمها باعدام الفريق دوستلر .

الحرس النازي ، والذي قدمه الاتهام الى محاكمات نورمبرغ [1] . ولو لم يشهد على اعدامهم احد ضباط الصف في المعتقل ، وقد شهده بنفسه ، الى المحكمة ، لظل هذا العمل سراً من الاسرار اذ ان معظم الملفات المتعلقة بعمليات الاعدام بالجملة في هذا المعتقل قد احرقت واتلفت [2] .

الإرهاب النازي في البلاد المحتلة

نشرت الصحيفة الفرنسية « المشعل » في عددها الصادر في الثاني والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤١ الاعلان التالي :

« قتل المجرمون الجبنـاء الذين يعملون في خدمة انكلترا وموسكو في صباح العشرين من تشرين الأول القائد العسكري في مدينة نانت . ولم يعثر على القتلة حتى الآن .

« وكتكفير عن هذه الجريمة أمرت باعدام خمسين شخصاً من الرهائن ، كدفعة اولى ... وسآمر باعـدام خمسين آخرين اذا لم يعتقل الآثمون قبل منتصف ليلة الثالث والعشرين من تشرين الأول.

وغدا مثل هـذا النوع من الاعلانات مألوفاً في صفحات الصحف أو في الاعلانات الحمراء المخططة بالسواد التي كانت تعلق في فرنسا وبلجيكا وهولندة والنروج وبولندة وروسيا . وتبين من هذا ان النسبة التي اعلنها الألمان نسبة لا تتغير . وهي مائة من الرهائن يعدمون مقابل الماني واحد يقتل .

وعلى الرغم من ان الامساك بالرهائن إجراء قديم ، كان الرومان كثيراً مـا يلجأون اليه ، إلا انه لم يطبق بصورة عامة تطبيقاً عملياً في العصور الحديثة الا عند الألمان في الحرب الكونية الأولى وعند البريطانيين في الهند وجنوب افريقيا

---

١ ـ نفذ حكم الاعدام شنقا في كالتنبرونر في سجن اورمبرغ ليلة ١٥ ـ ١٦ تشرين الاول عـام ١٩٤٦ .

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٧٩٨ ـ ٧٩٩ .

أثناء حرب البوير . ولجأ الألمان اليه في ظل هتلر في الحرب الكونية الثانية على نطاق واسع ، وقد ظهرت في محاكات نورمبرغ عشرات الاوامر السرية التي اصدرها الفريق كايتل ، وغيره من صغار القادة ، والتي يوعزون فيهـا بأخذ الرهائن وقتلهم بالرصاص . وجـاء في أمر اصدره كايتل في الاول من تشرين الأول عام ١٩٤١ ان « من المهم ان يضم الرهائن الشخصيات البارزة المعروفة او بعض اقاربهم . وأكد الفريق فون ستولبناغل القـائد الالماني في فرنسا بعد نحو من عام انه كلما « أعدم عدد من الرهائن المعروفين ، كلما ترك هذا أثراً اكثر ردعاً عند الجناة » .

وقد اعدم الالمان في فرنسا طيلة الحرب نحواً من ٦٦٠ و ٢٩ من الرهائن ، ولا يضم هذا الرقم نحواً من اربعين الف فرنسي « ماتوا » في السجون الفرنسية . واعدم في بولندة نحو من ثمانية آلاف من الرهائن ، بينما أعدم في هولندة نحو من الفين . وقد استعيض في الدانيمارك بالنظـام الذي اطلق عليه اسم « القتل المطهّر » عن عملية اعدام الرهائن التي يعلن عنها بصورة رسمية . وقد أمر هتلر بصراحة بأن يقتل خمسة من الدانيماركيين مقابل كل الماني يقتل في بلادهم [١] . وهكذا قتل الالمان بلا رحمة ولا شفقة الشاعر الدانيماركي والروائي والـكاهن المشهور كاج مونك . الذي كان من احب الأدباء الى الشعوب الاسكندينافية . وعثر الناس على جثته ملقاة في الطريق وقد حملت لافتة كتب عليها : « ايها الخنزير ، لقد عملت لألمانيا ايضاً وعلى نفس الطريقة ».

واعترف الفريق كايتل امام محكمة نورمبرغ . ان افظع الجرائم التي اضطر الى ارتكابها اثنـاء الحرب تنفيذاً لأوامر هتلر ، قد تمت بموجب مرسوم « الليل والضباب — Nacht und Nebel Erlass » . وقد صدر هذا الأمر العجيب ، الذي خصص لسكان المناطق المحتلة التعساء في الغرب ، عن هتلر نفسه في السابع من كانون الاول عام ١٩٤١ . وكان الهدف من هذا الامر كما يشير عنوانه الغريب ،

---

١ ـ محاكمات مجرمي الحرب الالماني (٧) ص ٤٧ .

القبض على الاشخاص الذين « يشكل وجودهم خطراً على أمن المانيا » ، والذي لم يكن من المرغوب فيه اعدامهم فوراً ، ليختفوا دون أثر في غيـــاهب الظلام والضباب والمجهول في المانيـــا . ولم تكن أسر هؤلاء لتزود بأية معلومات عن مصيرهم ،حتى ولو كانت هذه المعلومات مقتصرة كما هو الواقع ،على تحديد الأماكن التي دفنوا فيها في الرايخ .

واصدر كايتل في الثاني عشر من كانون الاول عام ١٩٤١ ، توجيهاً يشرح فيه أوامر الفوهرر . وقال هذا التوجيه ان « العقوبة المبدئية للجرائم التي تقترف بحق الدولة الالمانية هي الاعدام » . ثم مضى يقول :

« امـــا اذا عوقب مقترفو هذه الجرائم بالسجن حتى ولو كان بالاشغال الشاقة المؤبدة ، فإن مثل هذه العقوبات ستعتبر دليلاً على ضعفنا . ويمكن تحقيق ما نتوخاه من رعب وارهاب ، عن طريق الاعدام أو باجراءات يجهل فيها الناس ، واقرباء المجرمين ، ما لحق بهؤلاء من مصير »[1] .

وعاد كايتل في شهر شباط الذي تـلا هذا التاريخ ، فوسّع في شروحه عن مرسوم « الليل والضباب » . وقـــال انه في الحالات التي لا تنفذ فيها عقوبة الاعدام في غضون ثمانية ايام من اعتقال أي شخص :

« ويجب ان ينقل المعتقلون الى المانيا سراً...وستترك مثل هذه الاجراءات اثاراً زاجرة ... لأنها :

« ١ — تعني اختفاء المسجونين دون ان يتركوا اثراً ...

« ٢ — يجب ان لا تعطى أية معلومات عن الاماكن التي ينقل اليها امثال هؤلاء أو المصائر التي حاقت بهم[2] » .

وقد عهد الى الفرقة الخاصة في الحرس النازي بتنفيذ هذه المهمة الضخمة ،

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٨٧٣ ـ ٨٧٤ .

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (١) ص ٨٧١ ـ ٨٧٢

وتحتشد اضباراتها المصادرة بمختلف الأوامر المتعلقة برسوم « الليل والضباب » هذا ، ولا سيما من ناحية اخفاء الاماكن التي دفنت فيها جثث هذه الضحايا . ولم يتبيّن في نورمبرغ عدد الأوروبيين الغربيين الذين اختفوا في غياهب « الليل والضباب » ولكن يبدو ان عدداً قليلاً منهم فقط قد عاد حياً من هذه الغياهب .

ولكننا تمكنا على أي حال من الحصول على بعض الارقام التي تلقي ضوءاً ، في وثائق الفرقة الخاصة للحرس النازي ، على عدد ضحايا عملية ارهابية اخرى طبقت في البلاد المحتلة ، ولا سيما في روسيا. وقد قامت بتنفيذ هذه العملية فئات عرفت في المانيا باسم « جماعات العمل الخاص Einsatzguppen » وان كان من الحق ان يطلق عليها بالنسبة الى ما نفذته من اعمال اسم « فصائل الابادة » وقد ظهر اول رقم تقريبي عما حققته من اعمال بصورة عرضية في محاكمات نورمبرغ .

ففي ذات يوم ، وقبل ان تبدأ المحاكمات ، كان ضابط بحري امريكي شاب يدعى المقدم ويتني ر . هاريس (Whitney. R. Harris) يعمل مع هيئة الادعاء الامريكية في المحاكمات ،يستجوب اتو أوهليندورف (Otto Ohlendorf) عن النشاط الذي قام به اثناء الحرب . وكان من المعروف ان هذا الألماني المثقف ، الذي يبدو صغيراً في سنه – إذ كان في الثامنة والثلاثين – كان يرأس الشعبة الثالثة في مكتب الامن المركزي الذي يرأسه هملر (R. S. H. A) ، ثم تحوّل فقضى الجزء الاكبر من وقته في السنوات الاخيرة من الحرب كخبير في التجارة الخارجية في وزارة الاقتصاد . وقال الألماني ، للمحقق، انه قضى مدة الحرب بطولها يعمل موظفاً في برلين باستثناء سنة واحدة. وعندما سئل عما كان يفعله في تلك السنة رد قائلاً : « كنت رئيساً للمجموعة (د) ومن جماعة العمل الخاص »

وكان هاريس ، وهو الحقوقي بثقافته ، قد غدا الآن حجة في الشؤون الألمانية ، ولذا فقد كان يفهم شيئاً عن هذه الجماعات ، وسرعان ما سأل الألماني: « وفي السنة التي توليت فيها قيادة المجموعة (د) ، كم عدد الرجال والنساء

والاطفال الذين قتلتهم مجموعتك ؟ »

ويذكر هاريس ان أوهليندورف هز كتفه آنذاك وقال دون كثير تردد أو تلعثم ...

« تسعون الفاً » [١]

وكان هملر وهايدريش قد شرعا في تنظيم هذه المجموعات في عـــام ١٩٣٩؛ لتسير في ركاب الجيش البولندي الزاحف على بولندة ، ولتتـولى جمـع اليهود ، ووضعهم في معازلهم « الغيتو » ولكن العمل الحقيقي لهذه المجموعات لم يبـدأ إلا بعد نحوٍ من عامين أي في مستهل الحملة الروسية ، بالاتفاق مـــع الجيش الألماني ، اذ طلب اليها السير في ركاب القوات المحاربة ، وتنفيذ مرحلة واحـدة من مراحل « الحل النهائي » ، وتم تأليف اربـــع مجموعات لهذه الغاية وهي مجموعات (ا) و (ب) و (ج) و (د) . وكان اوهليندورف قائداً للمجموعة الرابعة بين حزيران عام ١٩٤١ وحزيران عام ١٩٤٢ ، وقد عهد اليها بالقطاع الجنوبي في اوكرانيا وكانت ملحقة بالجيش الحادي عشر . وعندما سأله العقيد جون هورلان آمين (John Horlan Amen) عضو المحكمة ،عن التعليمات التي تلقاها اثناء توليه عمله هذا رد قائلاً :

« كانت التعليمات تقضي بتصفية اليهود والمفوضين السياسيـــين السوفيات » .

وعاد آمين يسأله : « وهل تعني وجوب القتل عندما تستعمل عبـــارة تصفية ؟ »

— اجل انا اعني القتل بالتصفية ... واضاف ان هذا الأمر قـد شمل النساء والاطفال ايضاً بالاضافة الى الرجال .

وراح القاضي الروسي الفريق نيكيتشينكو يسأله : « وما هو السبب في قتل الاطفال ؟

اوهليندورف — كان الأمر يقضي بازالة الشعب اليهودي من الوجود كليـاً .

---

١ ـ هاريس ـ محاكمة الطغيان ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠

القاضي الروسي ـ وحتى الاطفال ؟

اوهليندورف ـ أجل

القاضي ـ وهل ذبحتم جميع الاطفال ؟

اوهليندورف ـ أجل .

وردّ أوهليندورف على أسئلة اخرى من آمين ، وشرح في شهادته المشفوعة باليمين الطريقة المثالية التي كانت تتبع في القتل فقال :

« تدخل وحدة من جماعة العمل الخاص الى قرية او بلدة ،وتأمر وجهاء اليهود فيها بدعوة اخوانهم اليهود بقصد« اعادة اسكانهم[1] » . وكان يطلب اليهم ان يسلموا ملابسهم الخارجية . وكانوا ينقلون بعد ذلك الى مكان الاعدام الذي كثيراً ما يكون خندقاً لمقاومة الدبابات . ويتم نقلهم عادة في شاحنات بحيث تحمل الشاحنة الواحدة اكبر عدد ممكن ليجري تنفيذ حكم الاعدام فيه فوراً . وكانوا يحاولون بذلك ان يقللوا من المدة التي تقع بين معرفة الضحايا بما سيحل بهم حقاً وبين الموعد الفعلي لتنفيذ الاعدام .

« وآنذاك تطلق عليهم النيران إما وهم وقوف أو راكعون ، وتتولى اطلاقها ثلاث وحدات عسكرية تنفذ الأمر بصورة عسكرية ثم تحمل الجثث فيقذف بها الى حفرة . ولم يحدث قط ان سمحت للافراد باطلاق النار ، وانما كنت آمر بتوجيه طلقات عدة من عدد من الرجال في وقت واحدة تجنباً من المسؤولية الشخصية المباشرة . وكان بعض قادة الجماعات يطلبون من الضحايا الانبطاح على الارض ، لاطلاق النار عليهم من مؤخرة اعناقهم . أما أنا فلم أكن واثقاً على هذه الاساليب » .

وراح آمين يسأله : « ولماذا ؟ » .

---

١ ـ كان يقال لهم ، بانهم سيقيمون في أماكن اخرى .

فرد أوهليندورف قائلاً : اذ ان هذه المهمة كانت على الصعيد النفسي عبئاً شاقاً على الضحايا وعلى الذين يتولون تنفيذ أوامر الاعدام ايضاً » .

وروى اوهليندورف فيما بعد انه تلقى في ربيع عام ١٩٤٢ أمراً من هملر بتغيير الاساليب المتبعة في اعدام النساء والاطفال. واصبح لزاماً منذ تلك اللحظة ارسالهم في « عربات الغاز » التي تولت شركتان صناعيتان في برلين اعدادهـــا خصيصاً لهذه الغاية . وشرح ضابط الفرقة الخاصة للمحكمة الطريقة التي كانت فيها هذه العربات تنفذ مهمتها فقال :

« كان الغرض الحقيقي من هذه العربات عسيراً على التفهم بالنسبة الى أي شخص لا علاقة له في الموضوع .فهي تبدو كشاحنات عادية مغلقة ، وكانت السيارات قد صممت بشكل يضمن دخول الغـاز المحترق من السيارة بعد تشغيلها الى الداخل ، مما يؤدي الى موت من فيها اختناقاً في مدة تتراوح بين العشر دقائق والخمس عشرة دقيقة ».

وراح المقدم آمـين يسأله : « ولكن كيف كنتم تقنعون الضحايا بدخول هذه العربات ؟ »

فرد اوهليندورف : « كان يقال لهم بأنهم سينقلون الى ناحية اخرى » .

ومضى يتذمر قائلاً : « ان دفن الضحايا كان محنة قاسية بالنسبة الى اعضاء جمـــاعة « العمل الخاص » . وقد أيد قوله هذا شخص يدعى الدكتور بيكر (Becker) الذي تعرف عليـــه اوهليندورف قائلاً في وثيقة قدمها الى نورمبرغ بأنه كان الرجل المسؤول عن صناعة سيارات الغاز . وقد اعترض

---

١ ــ حاكمت محكمة عسكرية امريكية اوهليندورف في نورمبرغ مع واحد وعشرين شخصا اخرين في قضية جماعات « العمل الخاص » . وقد حكم على أربعة عشر منهم بالاعدام ، ولكن الحكم لم ينفذ الا في اربعة منهم كانوا قادة مجموعات وبينهم اوهليندورف طبعا ، وذلك في الثامن من حزيران عام ١٩٥١ في سجن لاندسبرغ بعد ثلاث سنوات ونصف السنة من صدور الحكم عليهم . وخففت احكام الاعدام بالنسبة الى الآخرين .

الدكتور بيكر في رسالة بعث بها الى القيادة العامة ، على قيام رجال الفرقة الخاصة باخلاء العربات من جثث المختنقين بالغاز من رجال ونساء واطفال ، اذ ان هذا العمل ...

« يؤدي الى إلحاق أذى نفسي ضخم بهم بالاضافة الى الضرر الصحي الذي قد يصيبهم من جراء ادائهم لعملهم هذا . وكانوا يشكون لي من الصداع الذي كانوا يصابون به بعد كل عملية من هذه العمليات » .

وبيّن الدكتور بيكر لرؤسائه ايضاً :

« ان تطبيق عملية الغاز لا يتم دائماً بطريقة صحيحة . فالسائق مثلاً ، رغبة منه في الخلاص من مهمته في أسرع وقت ممكن ، كان يضغط بشدة على « مسارع » السيارة (Accelerator) الى أقصى مدى . وهكذا يموت الاشخاص داخل العربة من جراء الاختناق لا من جراء الموت البطيء عن طريق التحذير ، كما كان مقرراً في بادىء الأمر » .

وكان الدكتور بيكر انسانياً في رأيه هو ، ولذا فقد أوصى بتبديل الأسلوب فقال :

« وقد أقامت أوامري الدليل ، على انه عن طريق اصلاح الروافع ، كان الموت يأتي بطريق أسرع للمسجونين ، اذ سرعان ما يروحون في سبات لذيذ ، يحملهم عن هذه الدنيا . ولم يعد في وسع الانسان ان يرى وجوهاً مغضنة وافرازات عضوية كما كان يرى في السابق » [١]

وشهد اوهليندورف ، ان شاحنات الغاز تستطيع ان ترسل الى العالم الآخر

---

١ ـ شهادة اوهليندورف في نورمبرغ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٤) ص ٣١١ ـ ٣٢٣ وكذلك في المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

ما يتراوح عدده بين خمسة عشر وخمسة وعشرين من الناس في وقت واحد ، ولم يكن هذا الرقم كافياً تماماً ، بالنسبة الى نطـــاق المذابح الذي أمر هتلر وهملر بتنفيذه . فلم تكن هذه النسبة مثلاً كافية لما وقع في كييف عاصمة اوكرانيـا ، عندما تم قتـل نحو من ٣٣,٧٧١ شخصاً ، معظمهم من اليهود ، حسب احصاء تقرير رسمي من جماعات العمل الخاص، وذلك في فترة يومين بين التاسع والعشرين والثلاثين من ايلول عام ١٩٤١ [١] .

وتلي في محكمة نورمبرغ تقرير وضعه شاهد عيان الماني عن الطريقة التي نفذت فيها عمليات الاعدام بالجملة على نطاق ضيق في اوكرانيا ، وأثارت تلاوته موجة من الهلع والفزع في غرفة المحكمة ، اذ كان ممثل الاتهام البريطاني السير هارلي شوكروس (Sir Harley Shawcros) يتلوه. وكان هذا التقرير شهادة مشفوعة باليمين قدمها هيرمـــان غريبي، (Hermann Graebe) ، مدير مكتب فرعي لشركة انشاءات المانية في اوكرانيا . وقد رأى هذا المهندس في الخامس مـن تشرين الأول عام ١٩٤٢ ، افراد جماعة « العمـــل الخاص » يساعدهم متطوعو اوكرانيا ،.يعملون في تنفيذ الاعدام في دوبنو في اوكرانيا . وقال ان الهدف كان تصفية سكان القرية البالغ عددهم خمسة آلاف شخص ثم قال :

« ومضيت مع مراقب العمل عندي الى حفائر الاعدام مباشرة وسمعت طلقات نارية تتوالى بسرعة ،وراء احدى التضاريس الارضية . وكان على الناس الذين أنزلوا من السيارات ، من رجـــال ونساء واطفال ، ان ينزعوا ملابسهم بأمر من ضابط الحرس النازي الذي كان يحمل في يده سوطاً من سياط الركوب. وكان عليهم ان يضعوا ملابسهم في اماكن معينة خصص كل منها لنوع من الملابس ، فهذا المكان للأحذية والآخر للملابس الخارجية والثالث للملابس الداخلية . ورأيت مـــا يربو على الثمانمائة أو الألف زوج من الأحذية كما رأيت

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ١٠٣

اكواماً هائلة من الملابس الداخلية ..

«وكان هؤلاء الناس ، بعد ان اصبحوا عراة من الملابس ،يقفون دون صراخ أو بكاء في جماعات عائلية ،يقبل احدهما الآخر ويودعه في انتظار اشارة اخرى من رجل ثان من رجـــال الحرس النازي يقف على مقربة من الحفائر ، وقد حمـل السوط في يده ايضاً ، ولم اسمع في غضون الدقائق الخمس عشرة التي وقفتها عن كثب أي تذمر او توسل او طلب للرحمة .

« ورأيت امرأة عجوزاً ، وخط الشيب شعرهـــا تضم بـين ذراعيها طفلاً في السنة الأولى من عمره ، وهي تهدهده بحنـــان ، وترتل له بعض الأغاني . وكان الطفل ، يناغيها بشيء من الفرح . ووقف الوالدان على مقربة ، وقد أغرورقت عيناهما بالدموع .وكان الوالد يمسك بيد صبي في العاشرة من عمره ، يحدثه بحنان ، بينما كانت الدموع تنهمر من عيني الغلام . واشار الأب الى السماء ،ورفع رأسه اليها ، وبدا وكأنه يوضح لولده شيئاً ..

« وهتف رجل الحرس النـــازي الواقف في تلك اللحظة عند الحفرة ، لزميله ، بكلمات لم أسمعها . وسرعان ما عد زميله خمسة وعشرين شخصاً وأمرهم بأن يتجهوا الى ما وراء التلة الصغيرة .. واني لأذكر فتاة رقيقة الجسم ذات شعر اسود فاحم ، مرت بي مع الجماعة ، واشارت الى نفسها وتمتمت قائلة : « عمري ثلاثة وعشرون عاماً » .

« ومشيت الى ما وراء التلة ، ووجدت نفسي اواجه قـــبراً هائلاً . ورأيت عدداً كبيراً متراصاً من الجثث بعضها فوق بعض بحيث لا يظهر من الجثة إلا رأسها . وكان الدم ينساب من الجميع تقريباً فوق اكتافهم هابطاً من رؤوسهم . ورأيت ان بعض هذه الجثث ما زال يتحرك . فبعضهم يرفع ذراعه ، وبعضهم يدير رأسه

ليظهر انه ما زال على قيد الحياة . وكانت الحفرة قد امتلأت الى ثلثيها تقريبـــاً . وقدرت عدد من فيها بنحو من الف شخص . وتطلعت الى الرجل الذي كان يطلق النار . انه احد رجال الحرس النازي وقد جلس الى حافة الحفرة الضيقة وكانت قدماه تتدليان فيها . وهو يحمل في يده مدفعاً رشاشاً من طراز «تومي» ،ويدخن لفافة من التبغ .

« ورأيت الوافدين حديثاً وهم عراة تماماً يهبطون بضع درجات في الحفرة ثم يتسلقون فوق رؤوس الجثث الملقاة هناك ليصلوا الى المكان الذي حدده لهم رجل الحرس النازي ورأيتهم ينبطحون على جثث القتلى او الجرحى ، فيقبل بعضهم من كان لا يزال على قيــد الحياة من سابقيهم ، ويتحدثون اليهم في صوت خفيض . وسرعان ما سمعت سلسلة من العيارات النارية المتوالية . ونظرت الى الحفرة، ورأيت الاجساد تتلوى ، او تهمد بلا حراك فوق الجثث التي تتكوم تحتها . وأبصرت الدماء تنزف من الرقاب .

« وكانت الدفعة الثانية تقترب . وسرعان ما هبط افرادها الى الحفرة ، واصطفوا فوق رفاقهم من الضحـــايا السابقين ، فأطلقت النار عليهم » .

وهكذا استمرت العملية ، دفعة إثر دفعة . وعاد المهندس الالماني في اليوم التالي الى المكان .. ومضى يقول :

«ورأيت نحواً من ثلاثين من العراة منبطحين قرب الحفرة .كان بعضهم لا يزال على قيد الحياة . وسرعان ما صدر الأمر الى الأحياء الباقين بإلقاء الجثث في الحفرة . وطلب اليهم بعد ذلك ان يستلقوا فيها ، وأطلقت النار على رقابهم . واني لأقسم بالله ، انني ما رويت غير الحقيقة [١] » .

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٦٦٦ ـ ٦٦٩

ترى كم عدد اليهود واعضاء الحزب الشيوعي الذين ذبحتهم جماعات « العمل الخاص » في روسيا قبل ان يتمكن الجيش الأحمر من طرد الغزاة الألمـان ؟ ولم يكن في الامكان تقدير هذا العدد في محاكمات نورمبرغ ، ولكن سجلات هملر ووثائقه ، على الرغم من افتقارها الى التناسق ، تعطينا صورة تقريبية .

لم يكن مجموعة (د) التي تولى اوهليندورف قيادتها ، على الرغم من تخلصها من تسعين ألفاً من الضحايا من المجموعات التي حققت نتائج كبيرة كالمجموعـات الاخرى . فلقد روت المجموعة (أ) العاملة في الشمال مثلاً في تقرير قدمتـه في الواحد والثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٤٢ ، انها اعدمت (٢٢٩,٠٥٢) شخصاً في روسيا البيضاء وامارات البلطيق . وروى قائدها فرانز ستاهليكر في تقريره لهملر ، انه يواجه صعوبة في روسيا البيضاء ، بالنظر الى البداية المتأخرة التي شرع ينفذ فيها عمليات الاعدام ، اذ كان الصقيع قد عمّ البلاد ، مما جعل من المتعذر تنفيذ عمليات الاعدام بالجملة . وأضاف قائلاً : « ومع ذلك فقد تمكنت من اعدام واحد واربعين الفاً حتى الآن » . وأرفق ستاهليكر ، الذي تخلص منه « الانصار » السوفيات فيما بعد ، بتقريره هذا ، خريطة جميلة تظهر عدد من تم الخلاص منهم في كل منطقة من المناطق الواقعة تحت قيادته ممثلاً القتلى ، « بالتوابيت » . واظهرت الخريطة انه قتل في ليتوانيا وحدها (١٣٦,٤٢١) من اليهود ، وان (٣٤) الفاً وفروا في الوقت الحاضر نظراً للحاجة اليهم كيد عاملة . امـــا استونيا فقـد اعلن التقرير « خلوها من اليهود » [1] .

وكانت جماعات « العمل الخاص » تعود الى نشاطها ، بعد فـــترة خمود في الشتاء القارص ، مع مطلع الصيف . ولم يحـل الأول من تموز عام ١٩٤٢ حتى كان نحو من خمسة وخمسين الفاً آخرين قد لقوا حتفهم في روسيا البيضاء ، وفي تشرين الأول من العام نفسه تم التخلص من (١٦,٢٠٠) من سكان « معزل » مذسك في يوم واحد . ولم يحل تشرين الثاني حتى كان في وسع هملر ان ينقل الى هتلر ان

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٩٤٤ ـ ٩٤٩

(٣٦٣,٢١١) من اليهود قد تم قتلهم في روسيا ، وان كان هذا الرقم مبالغاً فيه الى حد ما ، رغبة من هملر في بعث المسرّة في قلب الفوهرر [١] .

ويروي كارل ايخمان [٢] ، رئيس الدائرة اليهودية في الغستابو ، ان رجال جماعات العمل الخاص ، قد تخلصت في الشرق من نحو من مليوني شخص معظمهم من اليهود . ولكن هذا القول مبالغة واضحة ولا شك ، والغريب ان قادة الحرس النازي ، كانوا يفتخرون دائماً بما يحققونه من نتائج في عملية الإبادة ، حتى انهم كثيراً ما كانوا يقدمون ارقاماً متضخمة عن ضحاياهم ، لارضاء هملر وهتلر . ويروي احصائي هملر نفسه الدكتور كورهير (Dr. Richard korherr) في تقرير قدمه الى رئيسه في الثالث والعشرين من آذار ١٩٤٣ ، ان نحواً من (٦٣٣,٣٠٠) من يهود روسيا قد اعيد اسكانهم — استعمال مجازي للتعبير عن قتلهم على ايدي جماعات العمل الخاص — [٣] ومن المدهش الى حد بعيد ، ان هذا الرقم يتفق مع الاحصاءات التي توصلت اليها دراسات شاملة قام بها عدد من الخبراء [٤] . واذا اضفنا الى هذه الارقام مائة الف آخرين قتلوا في السنتين الاخيرتين من

---

١ — أمر هملر في الواحد والثلاثين من اب ، فصيلة من فصائل جماعة « العمل الخاص » باعدام مائة من المسجونين في سجن منسك ، ليرى بنفسه كيف تتم هذه العملية . ويقول باخ — زاليوسكي Bach-Zalewski وهو من كبار ضباط الحرس النازي . وقد شهد العملية ، ان هملر اشرف على الاغماء تقريبا عندما رأى تأثير الطلقة الاولى من الفصيل . وعندما رأى زعيم الحرس بعد بضع دقائق ان الطلقات قد فشلت في قتل امرأتين على الفور اصيب بشيء من الهستيريا . وعلى اثر ذلك أمر هملر بأن يتوقف اعدام النساء والاطفال بالرصاص ، وان ينفذ فيهم بعربات الغاز . (القضية التاسعة من محاكمات مجرمي الحرب — ص ٥١١ وكذلك ص ٢٦٥٣) .

٢ — كارل ايخمان الذي نفذت فيه اسرائيل حكم الاعدام بعد ان اختطفته من الارجنتين.

٣ — نقلها ريتليتغر في كتابه « الحل الاخير » ص ٤٩٩ — ٥٠٠ . وتعتبر دراساته في هذا الموضوع اوسع دراسة من نوعها .

٤ — ليس ثمة من شك في أن معظم هؤلاء الخبراء الذين يشير اليهم المؤلف هم من اليهود في الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٤٧ ، ونفذ فيه الحكم شنقا في سجن لاندمبرغ في الثامن من القضية الصهيونية وعلى مطامعهم في فلسطين . — المعرب —

الحرب ، تبين التقارب بين احصاءات موظف هملر وبين الاحصاءات التالية [١] .
ولكن هذا الرقم على الرغم من ضخامته لم يكن شيئاً يذكر بالنسبة الى من لقوا حتفهم في معسكرات إبادة هملر ، عندما شرع في تنفيذ الحل الأخير .

« الحل الأخير »

كان ثلاثة من هيئة الادعاء الامريكية في محاكمات نورمبرغ ، يستجوبون ذات يوم رائع من ايام حزيران عام ١٩٤٦ ، احد كبار قادة الحرس النازي ، ويدعى اوزوالد بوهل (Oswald Pohl) ، الذي كان مسؤولاً ، بالاضافة الى مسؤوليات اخرى ، عن مشاريع الاعمال ، التي يقوم بها نزلاء معسكرات الاعتقال النازية . وكان بوهل ضابطاً بحاراً ، قبل انضمامه الى الحرس النازي ، وقد اختفى بعد انهيار المانيا ، ولم يكن في الامكان العثور عليه إلا بعد نحو عام أي في ايار عام ١٩٤٦ ، عندما عثر عليه متنكراً كفلاح ، يعمل في احد المزارع [٢] .

وقد استخدم بوهل عبارة في الرد على سؤال وجه اليه ، كان ممثلوا الادعاء الذين غرقوا شهوراً طويلة في ملايين الكلمات والعبارات في الوثائق النازية المصادرة قد بدأوا بالتعرف اليها . فلقد ذكر بوهل ، ان زميلاً له يدعى هويس (Hoess) ، كان قد عمل بأمر من هملر « في الحل النهائي للمشكلة اليهودية » .
وسأله احد ممثلي النيابة — « وما هو هذا الحل ؟ »

---

١ — لا اعرف ان هناك تقديرات لعدد الشيوعيين السوفيات من رجال الحزب الذين اعدمتهم جماعات « العمل الخاص » . وكانت معظم تقارير رجال الفرقة الخاصة تخلط بينهم وبين اليهود . — المؤلف — ... وهكذا يمكن القول أن هذا هو السبب الذي مكن اليهود من المبالغات في ارقامهم . — المعرب — .

٢ — حكم على بوهل باعدام في قضية « معسكرات الاعتقال » من محكمة عسكرية امريكية في الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٤٧ ، ونفذ فيه الحكم شنقا في سجن لاندمبرغ في الثامن من حزيران عام ١٩٥١ مع اوهليندورف وآخرين .

فقال بوهل – « ازالة اليهود من الوجود » .

وقد بدأ هذا التعبير بالتسلل بصورة متزايدة الى الالفـــاظ التي يستخدمها كبار النازيين في اقوالهم وملفاتهم ، مع مضي الحرب في طريقها ، وكان مـــا فيه من براءة في التعبير ، يوفر على هؤلاء الرجال ، الألم من تذكير بعضهم بعضاً بحقيقة ما يعنيه ، كما يصلح ستاراً لجريمتهم في حالة وقوع الأوراق التي تدينهم في ايدي الاعداء . وكان معظم زعماء النازي في محاكمات نورمبرغ قـــد نفوا معرفتهم معناه . وادعى غورنغ انه لم يستعمل هذا التعبير قط ، ولكن ادعاءه هذا سرعان ما انهـــار . فلقد عرضت في القضية التي اتهم فيها مشير الرايـخ البدين ، وثيقة ، هي توجيه كان المشير قد بعث به الى هايدريش رئيس الفرقـة الخاصة في الواحد والثلاثين من تموز عـــام ١٩٤١ ، أي عندما كانت جماعات « العمل الخاص » قد شرعت في مهامها المتعلقة بالابادة في روسيا . وقد جاء في توجيه غورنغ لهايدريش ما يلي :

« انني اعهد اليك يا هايدريش ، بأن تقوم بكافة الاستعدادات اللازمة لتنفيذ حل شامل وكلي للقضية اليهودية في هـــذه الاجزاء من المانيا الواقعة تحت حكم الرايخ .

« واني لهذا اطلب اليك ان تقدم الي في اسرع وقت ممكن مسودة مشروع تبيّن فيه الاجراءات التي اتخذتها حتى الآن لتنفيذ هذا الحل الاخير المقصود للقضية اليهودية »[١] .

وقد عرف هايدريش بالطبع ما عناه غورنغ بهذه العبارة ، اذ انه هو نفسه

---

١ ـ هناك خطأ في ترجمة السطر الاخير اذ استعملت عبارة « الحل المرغوب » لتعني الكلمة الالمانية (Endloesung) بدلا من عبارة الحل الاخير في النسخة الانكليزية من الوثيقة . وقد أدى هذا الخطأ ، الى سماح القاضي جاكسون (Jackson) الذي لم يكن يعرف كلمة واحدة من الالمانية ، لغورنغ اثناء عملية المناقشة الاستجوابية بقبول زعمه بأنه لم يستخدم قط هذا التعبير الشرير . وقد هتف غورنغ في احدى المرات اثناء المحاكمة قائلا : « وكانت المرة الاولى التي عرفت فيها بعمليات الابادة الفظيعة هذه ، هنا في نورمبرغ » (المؤامـرة النازية والعدوان (٣) ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ .)

كان قد استعملها قبل نحو من عام في اجتماع سري عقد بعد سقوط بولندة ، وقد حدد فيه « الخطوة الأولى في الحل الاخير » ، التي تألفت من حشد جميع اليهود في معازل المدن الكبيرة ، حيث يصبح من السهل الاطاحة بهم الى مصيرهم النهائي .

وقد اتضح ان ادولف هتلر كان قد فكر بهذا « الحل الاخير » منذ أمد بعيد ، واعلنه جهاراً حتى قبل ان تنشب الحرب بزمن طويل . فلقد سبق له ان قال في خطابه الذي ألقاه في الرايشستاغ في الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٣٩ ما نصه :

« اذا قدر للماليين اليهود الدوليين مرة ثانية ان ينجحوا في ان يقودوا دول العالم الى حرب عالمية اخرى، فستكون النتيجة إبادة العنصر اليهودي في كافة انحاء اوروبا »

كانت هذه نبوءة ، على حد قوله ، وقد كررها خمس مرات ، شفوياً ، في تصريحات علنية متتالية . ولم يكن يهمه ، اذا كان هو الذي اقحم العالم في حرب كونية لا « الماليين اليهود الدوليين » ، وكل ما هم هتلر هو ان حرباً كونية قد نشبت وان هذه الحرب قد اتاحت له فرصة بعد ان احتل مساحات شاسعة في الشرق ، حيث يعيش معظم اليهود الاوروبيين فرصة لتنفيذ مشاريعه لإبادتهم . وعندما بدأ غزو روسيا ، كان قد اعطى الاوامر الضرورية لتنفيذ خطته .

ويبدو ان ما عرف لدى الدوائر النازية العليا باسم « امر الفوهرر لتحقيق الحل النهائي » ، لم يدوّن على الورق مطلقاً ، اذ لم يعثر في الوثائق النازية المصادرة على أي أمر من هذا النوع . وتظهر جميع الدلائل ، على ان هذا الامر قد نقل شفوياً الى غورنغ وهملر وهايدريش ، الذين نقلوه بدورهم الى مرؤوسيهم في صيف عام ١٩٤١ وخريفه . وقد شهد كثيرون في نورمبرغ بأنهم « سمعوا » بهذا الامر ، ولكن لم يعترف أي واحد منهم بأنه قد رآه . وعندما اشتد الضغط على هانز لاميرز رئيس دائرة مستشارية الرايخ الذي يحمل رأساً كرأس الثور ، اثناء شهادته في محاكمات نورمبرغ ليدلي بمعلوماته عن هذا الموضوع قال:

« عرفت ان غورنغ قد نقل الى هايدريش أمراً من الفوهرر . وقد اطلق على هذا الامر اسم « الحل النهائي للمشكلة اليهودية » [1].

ولكن لاميرز زعم في نورمبرغ ، كما زعم كثيرون غيره على منصة الشهادة هناك انه لم يعرف مطلقاً فحوى ذلك الامر الى ان كشف الادعاء من الحلفاء عن نصه في المحكمة [2] .

وقد حان الوقت كما قال هايدريش في مستهل عام ١٩٤٢ « لتصفية كافة القضايا الاساسية » المتعلقة « بالحل النهائي » ليصبح في الامكان اخيراً تنفيذه والوصول به الى نهاية ناجحة ، وقد دعا هايدريش تحقيقاً لهذه الغاية الى اجتماع ضم ممثلي كافة الوزارات المختلفة والوكالات المتفرعة عن الحزب النازي والفرقة الخاصة ، وعقده في وانسي ، ضاحية برلين الجميلة في العشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٢ . وقد لعبت الوقائع المدونة لهذا الاجتماع دوراً مهماً في بعض المحاكمات الاخيرة التي اقيمت في نورمبرغ [3] وعلى الرغم من النكسات الراهنة التي منيت بها القوات الألمانية المسلحة في روسيا . فقد اعتقد الموظفون النازيون ان بلادهم قد كسبت الحرب وان المانيا ستتحكم عما قريب في جميع انحاء اوروبا بما فيها انكلترة وايرلندة. ولهذا فقد ابلغ هايدريش هذا المؤتمر الذي ضم نحواً من

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب الالمان (١١) ص ١٤١ .

٢ ـ قضت محكمة عسكرية امريكية في نورمبرغ في شهر نيسان عام ١٩٤٩ ، على لاميرز بالسجن مدة عشرين عاما ، وذلك بالنسبة الى مسؤوليته في المراسيم المناوئة لليهود . ولكن هذا الحكم كالاحكام الاخرى التي صدرت على غيره من النازيين قد خفض بمرسوم صدر عن السلطات الامريكية في عام ١٩٥١ الى السجن عشر سنوات ، ثم ما لبث ان أطلق سراحه من سجن لاندسبرغ في نفس العام بعد ان قضى ست سنوات في السجن . وارى من الجدير بي أن أذكر هنا أن معظم الالمان ، كما ظهرت عواطفهم ممثلة في نوابهم في برلمان المانيا الغربية ، لم يكونوا راضين حتى عن هذه الاحكام الخفيفة نسبيا الصادرة على اعوان هتلر وشركائه . وقد سلمت سلطات الحلفاء ، بعض هؤلاء الاعوان الى السلطات الالمانية الغربية التي تجاهلت حتى تقديمهم الى المحاكمة ، على الرغم من اتهام بعضهم بالقتل ، ووجد كثيرون منهم وبسرعة فائقة فرصة للعمل في حكومة بون .

٣ ـ محاكمات مجرمي الحرب الالمان امام محاكمات نورمبرغ العسكرية (١٣) ص ١١٠ـ١٢٩

خمسة عشر من كبار الموظفين « ان نحواً من احــد عشر مليوناً من اليهود سيشملهم الحل النهائي للمشكلة اليهودية في اوروبا » . وراح بعــد ذلك يسرد الارقام بالنسبة الى كل بلاد. فهناك نحو من (١٣١و٨٠٠) يهودي مازالوا يقيمون في اراضي الرايخ الاصلية ، ولكن هناك نحو من خمسة ملايين في الاتحــاد السوفياتي وثلاثة ملايين في اوكرانيا ومليونان وربع المليون في حاكمية بولندة العامة وثلاثة ارباع المليون في فرنسا وثلث المليون في انكلترة . وكان المغزى الواضح من حديثه ان هؤلاء الاحد عشر مليوناً يجب ان يبادوا . وراح يشرح بعد ذلك طريقة التنفيذ فقال :

« يجب ان ينقل اليهود في فترة تنفيذ الحل الاخير الى الشرق لاستخدامهم كعمال . ففي الزمر العمالية الضخمة ، حيث لا وجود للجنس ، ينقل اليهود الى المناطق التي يستطيعون ان يعملوا فيهــا في شق الطرق ، ولا ريب في ان عــدداً منهم سينتهي أمره نتيجة الانحلال الطبيعي .

« واذا تمكنت البقية من الصمود لكل هــذه الاهوال ممــا يشير دون شك الى قوة المناعة عندها . يجب معالجة هذه البقية على هذا الاعتبار ، اذ ان هذه البقية تمثل ثمرة الاختيار الطبيعي ويمكن ان تغدو نواة صالحة لنمو جيل يهودي جديد » .

والمفهوم من حديثه ان من الواجب اولاً نقل يهود اوروبا الى المناطق المحتلة في الشرق ، حيث يجب ان يعملوا بجهد الى درجة الموت ، أمــا الأشداء الذين يصمدون لكل هذه المتاعب والاهوال ، فيمكن ان يقتلوا . وماذا يحل بملايين اليهود الموجودين حالياً في الشرق ، والجاهزين حالياً للتنفيذ ؟ لقد اعد الدكتور جوزيف بوهلر (Dr. Josef Buehler) وزير الدولة وممثل الحاكمية العامة حلاً لهم . فهناك مليونان ونصف المليون مــن اليهود في بولندة ، وهو يرى انهم « يؤلفون خطراً عظيماً » . فهم يحملون في رأيه « الامراض ، وهم يديرون اعمال السوق السوداء ، وهم فوق ذلك غير صالحين للعمل » ولا يؤلفون مشكلة

في النقل . فهم موجودون : ثم انتهى الى القول :

« وليس لي إلا مطلب واحد وهو ان تحل المشكلة اليهودية في المنطقة التي احكمها في اسرع وقت ممكن » .

وهكذا حسر وزير الدولة عن لهفة كان يشترك فيها معه افراد الحلقات النازية كلها حتى هتلر نفسه . ولم يكن فيهم من يدرك في هذا الوقت حقاً ، وحتى نهاية عام ١٩٤٢ تقريباً – عندما فات الاوان – اهمية الدور الذي يلعبه ملايين اليهود بالنسبة الى الرايخ كعمل رقيق . وكانوا لا يفهمون في هذا الوقت الا ان تشغيل الملايين من اليهود حتى الموت في طرقات روسيا سيستغرق وقتاً ما . وعلى ضوء هذا التلهف ، لم يكد يبدأ الألمان في تنفيذ هذا البرنامج حتى راح هتلر وهملر ، يقرران ابعادهم من الحياة بأساليب اسرع .

وكان ثمة اسلوبان رئيسيان . اولهما كما رأينا اسلوب بدأ بعد فترة قصيرة من الشروع في غزو روسيا في صيف عام ١٩٤١ ، وهو يقضي بالقتل الجماعي ليهود بولندة وروسيا على ايدي فصائل الاعدام من جماعات العمل الخاص [1] .

ولا ريب في ان هذه الطريقة للوصول الى « الحل الأخير » هي التي كانت تحتل تفكير هملر عندما وجه خطابه الى « فرقاء » الحرس النازي في بوزن في الرابع من تشرين الأول عام ١٩٤٣ اذ قال :

« واود ايضاً ان احدثكم بصراحة في موضوع خطير للغاية . وفي وسعنا ان نتحدث فيه نحن بصراحة فيما بيننا ، شريطة ان لا نتحدث فيه علناً أبداً ...

« وانا اعني هنا ابادة العنصر اليهودي ... ولا ريب في ان

---

١ – بالغ اليهود كما ذكرنا في تعداد الفظائع التي ارتكبها النازيون مع اليهود ، ووجدوا من الكتاب والمؤلفين – كمؤلف هذا الكتاب – من يروج لهم مبالغاتهم اندفاعا وراء المشاعر الانسانية . ونحن مع اعترافنا بهذه المشاعر الانسانية وتقديرها ، نود أن نؤكد مرة اخرى ، ان ما ارتكبه الصهيونيون من فظائع وآثام في فلسطين العربية ، لا يقل هولا ان لم يزد ، عما ارتكبه النازيون معهم ، مع الفارق النسبي طبعا ، بالنسبة الى المساحات والاعداد ، ومع ذلك لم تجد هذه الفظائع كاتبا كمؤلف هذا الكتاب يعرضها على العالم . – المعرب –

الكثيرين منكم يجب ان يعرفوا ما يعنيه وضع مائة جثة أو خمسمائة أو الف الى جانب بعضها البعض . ولا ريب في ان السبب في قوتنا هو اننـــا استطعنا احتمال المناظر رغم الضعف الانساني ، وظللنا اناساً شرفاء . انها صفحة مجيدة في تاريخنا لم تكتب ولن يقدر لها ان تكتب [١] » .

ولا شك في ان زعيم الحرس النازي الذي اشرف على الاغماء تقريباً عندما رأى نحواً من مائة من اليهود الشرقيين يعدمون ، قد رأى في نشاط رجـــاله وضباطه في تشغيل غرف الغـــاز في معسكرات الابادة صفحة اكثر مجداً في التاريخ الألمـــاني . ففي هذه المعسكرات حقق مخطط « الحل الأخير » اكبر نجاح له .

معسكرات الابادة

كانت معسكرات الاعتقال النازية الثلاثون ، بمـا فيها من ارهاب ، اماكن للموت . وقد لقي فيها الملايين من النزلاء المعذبين والمتضورين جوعاً حتفهم [٢] وعلى الرغم من السجلات التي احتفظت بها السلطات ، إلا ان كل معسكر اعد سجلاً رسمياً للموتى فيه (Totenbuch) . ولم تكن هذه السجلات كاملة تماماً ، كما اتلف بعضها عندما اقتربت قوات الحلفاء الظافرة من هذه المعسكرات. وقد بيّن جزء من السجل الرسمي الذي ظل موجوداً في معسكر موتهاوزن أن (٣٥,٣١٨) شخصاً ماتوا في المعسكر بين كانون الثاني عام ١٩٣٩ ونيسان عام

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٥٦٣ .

٢ ـ يقدر كوغون (Kogon) الرقم ب (٧،١٢٥،٠٠٠) من مجموع (٧،٨٢٠،٠٠٠) من نزلاء المعسكرات ، ولكن ليس ثمة من شك في أن هذا الرقم فيه كل المبالغة . (كوغون ـ نظرية الجحيم وتطبيقها ـ ص ٢٢٧) .

١٩٤٥ [١] . وعندما غدت الحاجة ماسة في نهاية عام ١٩٤٢ الى العمل الرقيق ، أمر هملر بخفض عدد الموتى في معسكرات الاعتقال . وقد غضب هملر ، بسبب ازمة « اليـد العاملة » لتسلمه تقريراً يقول ان (٧٠,٦١٠) اشخاص من مجموع (١٣٦,٧٠٠) اعتقلوا بين حزيران وتشرين الثاني عام ١٩٤٢ قد ماتوا بالاضافة الى ٩,٢٦٧ شخصاً نفذ فيهم حكم الاعدام و (٢٧,٨٤٦) « نقلوا [٢] ». وليس للنقل من معنى إلا المضي الى عربات الغاز . وقد نجم غضب هملر ، عن عـدم الاحتفاظ بعدد كبير للقيام بالاعمال اللازمة .

ولكن معسكرات الابادة هذه (Vernichtungslager) هي الاماكن التي تحقق فيهـا بعض النجاح في طريق تنفيذ « الحل الاخير » . وكان معسكر اوشويتز (Auschwitz) ، اضخم هذه المعسكرات واكثرهـا شهرة ، فقد مكنته غرف الغاز الاربع والكبيرة الموجودة فيه ، ومـا يجاوره من اماكن لحرق الموتى من الحصول على طاقة للموت والدفن تفوق طـاقة المعسكرات الاخرى الموجودة في بولندة وهي تريبلينـكا ، وبيلزيك وسيبيبور وشيلمنو ، وكانت هناك معسكرات إبادة اخرى اقل شأناً على مقربة من ريغا وفيلنـا ومنسك وكوناس ولواد ، لكن هذه المعسكرات تتميز عن سابقاتها ، من ان عملية القتل تتم فيها بطريق الرصاص لا بالغاز .

ودارت منافسة في وقت ما بين قادة الحرس النازي حول اصلح الغارات واكثرها سرعة في تحقيق النتائج . فالسرعة عامل اساسي ، ولا سيما في اوشويتز حيث ضرب الرقم القياسي في نتائجه ،اذ بات قادراً على قتل ستة آلاف بالغازات في اليوم الواحد . وقد تولى رودلف هويس (Rudolf Hoess) قيادة هـذا المعسكر فترة من الزمن وهو سجين سابق ثبتت عليه تهمة القتل ذات يوم . وقد

---

١ ـ قدر قائد المعسكر فرانز زيريس(Franz Ziereis) الرقم الاجمالي بخمسة وستين الفا . (المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٧٩١) .

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٨١٢ و ص ٨٣٢ ـ ٨٣٥)

راح في محاكمات نورمبرغ يتحدث عن افضلية الغاز الذي استعمله [1] .

قال الرجل في المحكمة :

« كانت عبارة «الحل الاخير» للمشكلة اليهودية تعني ابادة جميع اليهود في اوروبا ، وقد صدرت الي الأوامر في حزيران عام ١٩٤١ لإقامة « تجهيزات الابادة » في اوشويتز . وكانت هنـــاك ثلاث معسكرات اخرى للابادة في حاكمية بولندة العامة في ذلك الوقت وهي بيلزيك وتريبلينــكا وولزيك ...

« وقمت بزيارة تريبلينــكا لأرى بنفسي كيف ينفذ برنامج الابادة في معسكرها . وابلغني قائد المعسكر انه اباد ثمانين الف شخص في غضون نصف سنة . وكانت مهمته الأولى الخـلاص من يهود معزل وارشو [2] .

« كان يستخدم غاز الاوكسيد الأحادي (Monoxide Gass) ولم أر أن هذه الوسيلة التى يستخدمها مجدية ونافعة . ولهذا عندما اقمت بناء « الابادة » في اوشويتز استخدمت مادة « زيكلون ب

---

١ ـ ولد هويس عام ١٩٠٠ ، من أب كان يعمل نجارا في بادنبادن . وقد الحفعليه والده الكاثوليكي المتدين لكي يصبح كاهنا . ولكنه انضم الى الحزب النازي بدلا من انضمامه الـى الكنيسـة وذلك في عام ١٩٢٢ . وقد اتهم في العام التالي بقتل استاذ مدرسة قيل انه هو الذي وشى بشخص من المخربين في الروهر اسمه ليوشليغيتر Leo Schlageter فاعدمه الفرنسيون وبات من شهداء النازية . وقد تلقى هويس حكما بالسجن مدى الحياة .

واطلق سراحه في عفو عام صدر عام ١٩٢٨ وانضم الى الحرس النازي بعد عامين وبات في عام ١٩٣٤ عضوا في عصبة (رؤوس الموت) المتفرعة عن الحرس النازي والتي كانت مهمتهـا الاولى حماية معسـكرات الاعتقال . وقد اشغل اول منصب في هذه الوحدة في معتقل داخاو . وهكذا قضى سني شبابه في السجن اما كسجين او كسجان . وقد اعترف بصراحة في نورمبرغ بعدد حوادث القتل التي ارتكبها . وسلم اخيرا الى البولنديين الذين قضوا باعدامه فشنق في آذار عام ١٩٤٧ في معسكرات اوشويتز وهو المكان الذي شهد جرائمه الكبيرة .

٢ ـ لم يكن في الامكان اكمال هذه المهمة قبل عام ١٩٤٣ وذلك بسبب ضخامة العدد وقيام مقاومة مسلحة .

(Zyklon B) ، وهو مادة حامض البروسيك المتبلور ، وكنا نلقي بها الى غرفة الموت من فتحة صغيرة . وكانت المدة التي تتطلبها هذه المادة لقتل من في الغرفة تتراوح بين الثلاث دقائق والخمس عشرة دقيقة ، معتمدة على الاوضاع المناخية .

« وكنا نعرف ان المهمة قد انتهت عندما يتوقف الصراخ وكنا ننتظر عادة زهاء نصف ساعة قبل ان نفتح الابواب لاخراج الجثث . وعندما ترفع الجثث كان « الفدائيون من رجالنا يتولون انتزاع ما بأيدي الموتى من خواتم وساعات ذهبية وما في افواههم من اسنان ذهبية » .

« وقد تفوقنا على معسكر تريبلينكا في ان غرف الموت التي اعددناها كانت تتسع لالفي شخص في آن واحد بينما لا تتسع غرف تريبلينكا العشر لأكثر من مائتي شخص » .

وراح هويس يشرح بعد ذلك طريقة « انتقاء » الضحايا لغرف الغاز ، اذ لم يكن القصد قتل جميع السجناء فوراً ، نظراً للحاجة الى تشغيل بعضهم في مصانع فاربين الكيمائية وفي معامل كروب ، الى ان يبلغ الاجهاد بهم حداً يقعدهم عن العمل . وقال :

« وكان لدينا في المعسكر طبيبان ، لفحص كافة السجناء الوافدين حديثاً وكان هؤلاء يقفون فيصفوف فيمر بهم احد الطبيبين متخذاً قراراته بسرعة وعلى الفور . وكل من يختارهم كرجال صالحين للعمل كانوا يرسلون الى المعسكر ، أما الباقون فينقلون فوراً الى غرف الابادة . أما الأطفال الصغار فكانوا يبادون فوراً نظراً لأن صغر سنهم كان يمنعهم عن العمل » .

وظل الهر هويس يحدث تحسينات في وسائله للقتل الجماعي ، فقد مضى في اعترافاته يقول :

« وقد ادخلنا تحسيناً آخر على اساليب معسكر تريبلينكا، ففي ذلك المعسكر كان الضحايا يعرفون تماماً بأنهم سيموتون ، بينما كنا

في أوشويتز نحاول خداعهم بأنهم سيجتازون عملية وهمية. وبالطبع كانوا كثيراً ما يعرفون حقيقة نوايانا ، وكثيراً ما واجهنا فتناً ومتاعب . وكانت النساء احياناً يخفين اطفالهن تحت ملابسهن ، ولكننا عندما نعثر عليهم نوفدهم الى غرف الغاز .

« وكان المطلوب منا ان نقوم بعملياتنا سراً ، ولكن كانت روائح العفونة الكريهة التي تنتشر من الاستمرار في حرق الجثث ، تطغى على المنطقة كلها ، وكان جميع الناس الذين يعيشون في المناطق المحيطة بمعسكرنا يعرفون ان عمليات الابادة تجري على قدم وساق في أوشويتز » .

وأوضح هويس ان بعض « المسجونين المميزين » ، وهم على الغالب من أسرى الحرب الروس ، كانوا يقتلون بإبر من « البنزين » . وكانت الأوامر لدى طبيبينا بأن « يصدروا شهادات وفاة عادية وان يضعوا فيها أي سبب من أسباب الوفاة يختارونه [1] » .

وفي وسعنا ان نضيف الى وصف هويس ، صورة قصيرة ومكثفة عن الموت والتخلص من الجثث في معتقل اوشويتز كما ورد على ألسنة بعض الأحياء من سجناء المعتقل وسجّانيه . وكانت عملية « الانتقاء » التي تقرر من سيتم اعدامه بالغاز من المعتقلين ومن سينقل للعمل ، تقع في محطات القطر الحديدية حالما يتم تفريغ عربات الشحن من المسجونين الذين كانت تغلق عليهم ابواب العربات دون غذاء أو ماء مدة قد لا تقل احياناً عن الاسبوع ، اذ ان البعض منهم كان ينقل

---

١ ــ كان السبب المألوف في هذه الشهادات « مرض القلب » . ويقدم لنا كوغون الذي قضى نفسه ثماني سنوات في معتقل بوخنفيلد نماذج فيقول : « مات المريض بعد مرض عضال استغرق وقتا طويلا في يوم ...... في الساعة ...... وسبب الوفاة هبوط في القلب تعقد من جراء ذات الرئة » . (كوغون نظرية الجحيم وتطبيقها ص ٢١٨) وقد توقفت هذه الاجراءات في معتقل اوشويتز بعد بدء عمليات الابادة الجماعية بالغاز . وكثيرا ما أهمل المسؤولون حتى تعداد الموتى . (شهادة هويس ــ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٧٨٧ ــ ٧٩٠) .

من اماكن نائية كفرنسا وهولندة واليونان . وعلى الرغم من حدوث منـــاظر مؤلمة كالتفريق بين الرجل وزوجته واطفاله ، الا ان أياً من المسجونين ، كما شهد هويس ، ووافقه بعض الناجين من الاحياء ، كان يدرك ما تخبؤه الاقدار له وكان يعطى للبعض منهم بطاقات بريدية تحمل بعض المناظر الجميلة ليوقعوهـا فترسل الى اقربائهم وذويهم في المكان الذي جاءوا منه ، وقد كتبت عليها عبارة تقول:

« اننا في أحسن حال هنا . فنحن نعمل ، ونلقى معاملة طيبة . ونحن في انتظار وصولـكم » .

ولم يكن منظر غرف «الغاز» أو « المحارق » المجاورة تبدو لرائيها من مسافة قريبة ، مؤذية أو شريرة على الاطلاق وكان من المتعذر على من يراها ان يعرف حقيقتها ، وعلى سطوحها ، أزاهير نامية ، ورفعت على ابوابها لوحات كتب عليها بأحرف كبيرة « حمّامات » وكان المسجونون السليمو النية يظنون انهم سينقلون الى الحمّامات ، تمهيداً لعملية التطهير من الهوام ، التي كانت مألوفة في جميـع المعسكرات . وكثيراً ما كانت انغام الموسيقى الناعمة ترافقهم في دخولهم اليها .

حقاً لقد كانت هناك موسيقى ناعمة . ويروي احد الاحياء ان المسؤولين عن المعسكر ألفوا جوقة « من فتيات شابات جميلات » يرتدين « البلوزات » البيضاء و « التنانير » الزرقاء زرقة البحر « جمعن من المعتقلات » . وبينما كانت عمليات « الانتقاء » تدور على قدم وساق ، لاختيار من سيزج بهم في غرف الغاز ، كانت هـــذه الفرق الموسيقية تعزف الألحان الطروبة المرحة من شريط « الأرملة الطروب » او اوبرا « قصص من هوفمان » . ولم تكن المعزوفات لتضم أية ألحان محزنة أو جدّية . وكانت ألحـــان الموت في أوشويتز من المعزوفات الطروبة من اوبرات باريس أو فيينا .

وهكذا يدخل الرجال والنساء والأطفال ، وهذه الألحان المرحة تشنّف آذانهم فتذكرهم بأوقات أسعد وأكثر مرحاً ، الى «الحمامات» حيث يطلب اليهم خلع ملابسهم استعداداً للاستحمام . وكثيراً مـا كانوا يعطون مناشف ايضاً . وعندما يدخلون الى غرفة الاستحمام ، قد تتفتح اذهانهم هنا لأول مرة ، فيخيّل

اليهم إن هناك شيئاً مفقوداً ، اذ ان نحواً من الفين منهم قد حشروا في غرفة كما يحشر « السردين » ، مما لا يمكنهم من القيام بأي استحمام . وسرعان مـا يغلق الباب الضخم عليهم ، ويقفل بالمراليج . وعلى السطح الذي بات كالمرج من العشب والأزاهير النامية فوقه التي تخفي الكوان التي تمتد منها الأنابيب الى غرفة الموت ، يقف الجنود على استعداد ليقذفوا بالغرفة ببلورات سياتيد الهيدروجين الزرقاء اللون كحجر الجمشت الكريم ، أو مادة الزيكلون (ب) ، التي كانت تصنع في البداية كمادة تجارية لمنع العدوى من الانتقال ، والتي عثر لها الهر هويس كما رأيناه يتفاخر قبل قليل ، على مجال جديد للاستعمال .

ويذكر الناجون من المعتقلين الذين كانوا يرقبون العملية من مكان قريب ان اشارة الأمر الى الجنود بصب البلّورات من هـــذه الفوهات كانت تصدر عن العريف مول ، الذي كان يقول : « حسناً اعطهم شيئاً يمضغونه » ، وسرعان ما يضحك مقهقهاً ، وتنهال البلورات من الفتحات التي يعود الجنود فيغلقونها .

وكان في وسع الجلادين ان يرقبوا ما يدور داخل الغرفة من كوّان مغطاة بالزجاج السميك . وهم يرون المساجين العراة تحتهم وهم يتطلعون الى «المرشّات» التي لا ينطلق منها الماء ، أو الى الأرض التي لا يرون فيها أية مجار أو ميازيب . وكان سريان الغاز يتطلب بعض الوقت ليبدأ تأثيره . ولكن سرعان ما ادرك السجناء ، ان هـــذا الغاز ينطلق من الثقوب الموجودة في الفتحات . وآنذاك يدب الذعر في نفوسهم عادة ويندفعون بعيدين عن الانابيب ويتدفقون على الباب المعدني الثقيل ، حيث يتكومون كما يقول ريتلينغر ، في اهرام ازرق اللون متلاصق ، تجمعت فيه الدماء على شكل بقع ، يهرشون بعضهم ، وتنشب اظافرهم في ظهور بعضهم البعض حتى في لحظات الموت » .

وبعد نحو من عشرين دقيقة او ثلاثين ، عندمـا توقفت الاكوام الهائلة من الاجساد البشرية عن الحركة والتنفس ، بـــدأت المضخات في امتصاص الهواء المسموم ، وفتح الباب الضخم وتولى القيادة رجـــال من المعتقلين الذين وعدهم

الألمان بالحياة والغذاء الطيب مقابل اداء افظع المهام [١] . وكان هؤلاء يمضون الى داخل الغرف تحميهم القناعات الواقية من الغاز والاحذية المطاطية والخراطيم للشروع في العمل فيها . وقد شرح ريتلينغر اعمالهم على النحو التالي :

«وكان اول عمل يقومون به، وهو مسح الدم والعيوب الاخرى قبل نزع الجثث المتشابكة وتفريقها عن بعضها بالحبال «والكلاليب» وذلك كمقدمة لعملية البحث المخيفة عن الذهب وانتزاع الاسنان والشعر وهي مواد كان الألمان يقدرون لها اهمية سوقية (استراتيجية) وتأتي بعد ذلك الرحلة عن طريق المصعد أو العربة الحديدية الى الافران والمطحنة التي تطحن العظام وتحيلها الى مسحوق ورماد ومن ثم الشاحنة التي تفرق الرماد وتذروه في الجدول القريب [٢] .

وتظهر الوثائق شيئاً من التنافس المحموم بين رجال الاعمال الألمان للحصول على عروض لبناء الوسائل اللازمة للموت وللتخلص من البقايا ، ولتزويد غرف الغاز بالبلورات الزرقاء وقد فازت شركة توبف واولاده في ايرفورت (I.A.Topf & Sons) ، وهي شركة لصناعة معدات التدفئة ، بالمناقصة لانشاء المحرقة في اوشويتز . وتشير مجموعة ضخمة من الوسائل المتبادلة ، التي عثر عليها في سجلات المعسكر ، الى قصة عمل هذه الشركة . وتروي رسالة صادرة عن الشركة في الثاني عشر من شباط عام ١٩٤٣ ، القصة التالية :

---

١ ـ وكانوا في النهاية يرسلون حتما وبانتظام الى غرف الغاز ويستعاض عنهم بفرق جديدة تواجه في النهاية نفس المصير . فلقد كان الحرس النازي يرفض وجود شهود احياء .

٢ ـ قدمت شهادات في محاكمات نورمبرغ تذكر ان الرماد الناجم عن احراق الجثث كان يباع احيانا كسماد . وقدمت النيابة العامة الروسية في المحكمة وثيقة تقول ان مؤسسة صناعية في دانزيغ ، اقامت فرنا بالكهرباء لتحويل الشحم البشري الى صابون . وكانت الوصفة التي اعتمدتها المؤسسة تقضي بمزج اثني عشر رطلا من الشحم البشري مع عشرة ليترات من الماء وثمانية آونسات للرطل الواحد من الصودا الكاوية . وتغلى جميعها مدة ساعتين او ثلاث ساعات ثم تترك لتبرد بصورة طبيعية . (وثائق نورمبرغ ـ الوثائق السوفياتية (٨) ص ١٩٧) .

« الى مكتب الانشاءات المركزي للحرس النازي والشرطة في اوشويتز :

الموضوع : محرقتان رقم ٢ و ٣ للمعسكر .

« نتشرف بابلاغكم تسلمنا طلبكم انشاء خمسة افران مثلثة ومعها مصعدان كهربائيان لرفع الجثث وآخر كمصعد للطوارىء. وكذلك اوصينا لأمركم بصنع جهاز لاشعال الفحم وآخر لنقل الرماد [١] ».

ولكن شركة توبف واولاده لم تكن الوحيدة التي اشتركت في هذا العمل القذر . فهناك اسما شركتين اخريين عثر على مراسلاتها ، وقد ظهرت في محاكمات نورمبرغ . واجتذب التصرف بالجثث في عدد من المعسكرات الاخرى المنافسة التجارية ايضاً . وهكذا اشتركت مؤسسة ديديه للانشاءات في برلين (Didier Works) في المناقصة لبناء فرن في معسكر نازي في بلغراد ، مدعية ان في وسعها ان تقدم نتاجاً افضل ...

« لادخال الجثث الى الغرف نقترح مجرد استخدام شوكة معدنية تتحرك على دواليب .

« ويكون لكل فرن موقد اتساعه ٢٤×١٨ انشاً ، اذ لا يوصى باستعمال التوابيت . ولنقل الجثث من نقاط الخزن الى الافران نوصي باستخدام عربات خفيفة على عجلات . ونرفق طياً رسوماً معدة لهذه الغاية على هذا المقياس [٢] » .

وحاولت شركة اخرى هي شركة كوري (C.H.Kori) الحصول على هذه المناقصة لمعسكر بلغراد مؤكدة خبرتها الطويلة في هذا الميدان اذ سبق لها ان اقامت اربعة افران في داخاو وخمسة في لوبلن ، وان هذه الافران قد نجحت نجاحاً كبيراً في التطبيق العملي . وكتب مديرها يقول :

« بالاشارة الى حديثنا الشفوي حول تسليم المعدات اللازمة

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٧) ص ٥٨٤ .

٢ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب الالمان (٧) ص ٥٨٥ .

لجهاز بسيط لاحراق الجثث ، نقدم اليكم مواصفات وتصاميم لافراننا المتقنة التي تعمل بالفحم والتي نجحت حتى الآن في اداء المترتب عليها من واجبات .

« ونحن نقترح فرنين للاحراق للبناء المزمع اقامته ، وان كنا ننصح بأن تقوموا ببعض التحقيقات الاخرى للتثبت من قدرة فرنين على الوفاء باحتياجاتكم .

« ونحن نضمن فعّالية الافران وكذلك طاقتها على البقاء ، واستخدام افضل المواد اللازمة ، كما نضمن مهارتنا في الانتاج .

« وفي انتظار كلمة اخرى منكم ، ما زلنا دائماً في خدمتكم

هايل هتلر

« س هـ . كوري . ج . م . ب . ا هـ . [1] »

وثبت اخيراً ان الجهود الهائلة التي تبذلها الشركات الألمانية الحرة ، والتي تستخدم احسن المواد وتضمن الاتقان في الصناعة والعمل غير كافية لاحراق هذه الجثث . فالمحروقات القوية البناء باتت غير قادرة على اداء الواجب في عدة معسكرات ولا سيما في اوشويتز في عام ١٩٤٤ حيث كانت هناك ستة آلاف جثة تحرق في اليوم الواحد ، ففي هذا المعسكر وحده مثلاً تم التخلص في صيف عام ١٩٤٤ ، مما يتراوح بين ربع مليون وثلاثمائة الف من يهود المجر . وقد قصرت غرف الغاز كذلك عن القيام بواجباتها ، واضطرت السلطات الى العودة الى نظام القتل الجماعي باطلاق النار من وحدات « جماعة العمل الخاص » . وبات يكتفى بالقاء الجثث في خنادق واحراقها ثم تمر المحاريث فوقها لازالة بقاياها . وقد شكا قادة المعسكر من ان المحرقات بالاضافة عن عجزها باتت غير اقتصادية .

* * *

وكانت شركتان المانيتان حصلتا على مادة الزيكلون (ب) من مؤسسة

---

١ ــ محاكمات كبار مجرمي الحرب الالمان (٧) ص ٥٨٥ .

فاربين تتوليان تزويد المعسكرات بهذه المادة اللازمة لقتل الضحايا . وهاتان الشركتان هما شركة تيش وستابيناو (Tesch And Stabenow) في همبورغ وشركة ديغيش (Degesch) في ديسّاو . وتزود الأولى معسكر اوشويتز بطنين من بلورات السيانيد في الشهر وتزوده الثانية بثلاثة ارباع الطن . وقد عرضت فواتير التسليم في محكمة نورمبرغ .

وأدعى مديرو الشركتين في محكمة نورمبرغ انهم كانوا يبيعون انتاجهم ، لأغراض التدخين البريئة ، وانهم لم يكونوا يعرفون بأن المادة تستعمل فياغراض القتل ، لكن هذا الادعاء ما لبث ان انهار امام البراهين . فقد عثر على رسائل من شركة تيش وستابيناو ، تعرض لا تقديم بلورات الغاز فحسب بل ومعدات التهوية والتدفئة اللازمة لغرف الابادة . يضاف الى هذا ان هويس الذي لا نظير له ، والذي اذا ما شرع في الاعتراف كان يتجاوز الحدود ، قد شهد في المحكمة انه لا يعقل بأن مديري شركة تيش لم يكن في مكنتهم ان يجهلوا الغرض من الانتاج الذي يقدمونه طالما ان هذا الانتاج قد استخدم في ابادة نحو مليونين من الناس . وقد اقتنعت محكمة عسكرية بريطانية بقوله هذا ، وحاكمت الشريكين برونو تيش وكارل واينباخر فقضت عليهما بالاعدام في عام ١٩٤٦ ، ونفذ فيهما الحكم شنقاً . أمـا مدير الشركة الثانية الدكتور غيرهارد بيترز من ديساو ، فقد حصل على حكم أقل ، اذ قضت عليه محكمة المانية بالسجن خمس سنوات فقط [١] .

وكان الاعتقاد الشائع قبل المحاكمات التي جرت أثر انتهاء الحرب، ان عمليات القتل الجماعي ، كانت ثمرة اعمال بعض غلاة المتعصبين من قادة الحرس النازي . لكن سجلات المحاكم لا تترك شكاً في ان عدداً كبيراً من رجال الاعمال الألمان ، من الوسطاء ، بالاضافة الى مؤسستي كروب وفاربين قد اشتركوا في هـذه لأعمال ، مع ان هؤلاء الرجـال ، كانوا يبدون في ظاهرهم من اكثر الناس

---

١ ــ التقارير القانونية عن محاكمات مجرمي الحرب (١) ص ٢٨ . طباعة لندن عام ١٩٤٦ . هذا الكتاب هو ملخص لمجلدات « محاكمات مجرمي الحرب » .

نزاهة وشرفاً ، بل ومن اعمدة المجتمع في بلادهم ، شأنهم في ذلك شأن نظائرهم في البلاد الأخرى .

ترى كم عدد الابرياء الذين لا حول لهم ولا طول ، ومعظمهم من الأسرى ، الذين ذبحوا في معسكر أوشويتز ؟ لن يعرف انسان قط حقيقة الرقم ، وان كان هويس في شهادته في التحقيق قد قدر هـــذا الرقم بمليونين ونصف المليون من الضحايا الذين اعدموا وابيدوا إما بطريق الغاز أو المرض كما ذكر ان هناك نصف مليون آخر ماتوا من جراء المجاعة والمرض ، فبلغ بذلك الرقم الكلي ثلاثة ملايين. وعاد الرجل نفسه فخفض الرقم اثناء محاكمته في وارشو الى مليون ومائة وخمسة وثلاثين الفاً . أما الحكومة السوفياتية التي أجرت تحقيقاً في المعسكر بعد ان اجتاحه الجيش الأحمر في كانون الثاني عام ١٩٤٥ ، فقد أوصلت الرقم الى اربعة ملايين . وذكر ريتلينغر استناداً الى الدراسات المستفيضة التي قام بها انه يشك في ان الذين ماتوا بالغاز في أوشويتز قد بلغوا « حتى ثلاثة ارباع المليون » . وقدر ريتلينغر عدد الذين ماتوا في غرف الغاز بستمائة الف ، واضاف اليهم نحواً من ثلاثمائة الف ذكر انهم « مفقودون » وقد يكونوا قتلوا أو ماتوا من جراء المجاعة والمرض . ومهما كان التقدير فإن الارقام كبيرة [١] .

وكانوا يحرقون الجثث ولكن الاسنان الذهبية كانت تظل بين الرماد هذا اذا لم تكن جماعات خاصة قد انتزعتها ، وهي تفتش في أكوام الجثث [٢] . وكانوا

---

١ ـ استندت في هذا الجزء عن معتقل اوشويتز بالاضافة الى المصادر التي ذكرتها على شهادة السيدة الفرنسية فيلانت ـ كوتورير التي كانت حبيسة في المعتقل (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٦) ص ٢٠٣ ـ ٢٤٠) ، وعلى القضية الرابعة المسماة « قضية معسكر الاعتقال المرفوعة من الولايات المتحدة ضد بوهل وآخرين ، في محاكمات مجرمي الحرب وعلى كتاب محاكمة بيلزين » الصادر في لندن عام ١٩٤٩ وكتاب « يوميات نورمبرغ ل : ج.م. جيلبرت » وكتاب « هكذا كانت اوشويتز » لفيليب فريدمان وكتاب ريتلينغر « الحل الاخير » وكتابه « الحرس النازي » .

٢ ـ وكثيرا ما انتزعت الاسنان حتى قبل موت الضحايا . ويقول تقرير سري اعده المسؤول عن سجن منسك انه استعان بخدمات طبيب يهودي لانتزاع كل ما في اسنان الاسرى من ذهب. وكانت مثل هذه العملية تجري قبل « انعمل الخاص » بساعتين . واضاف هذا المسؤول ان =

يصهرون الذهب ويبعثون به مع الجوهرات الاخرى التي يعثر عليها مع الضحايا الى مصرف الرايخ حيث توضع طبقاً لاتفاق سري بين هملر وبين رئيس المصرف الدكتور وولتر فونك في حساب خاص للحرس النازي مسجل تحت اسم مستعار هو « ماكس هيليغر Max Heiliger » . وكانت هذه الاسلاب تحتوي بالاضافة الى الاسنان الذهبية على الساعات الذهبية والاقراط والسوارات ، والخواتم والقلادات ، واطارات النظارات . وكان هناك عدد كبير من الجوهرات ولا سيما من الماس والفضة . كما تضمنت المنهوبات ايضاً أكواماً من الأوراق النقدية .

وقد امتلأت خزائن مصرف الرايخ ، في الحقيقة بودائع « ماكس هيليغر ». ولما امتلأت أقبية المصرف في عام ١٩٤٢ ، فكر مديروه الذين لا يفكرون إلا بالارباح في تحويل الودائع الى نقد عن طريق التصرف بهـا بواسطة مكاتب الرهون البلدية . وتتحدث رسالة موجهة من المصرف الى مكتب الرهون التابع لبلدية برلين وقد أرخت في الخامس عشر من ايلول عن «شحنة ثانية» وقد استهلت بالعبارة التالية : « نقدم اليكم المواد الثمينة المرفقة ، طالبين اليكم التصرف فيها بأحسن السبل » . وتضمنت القائمة سلسلة طويلة من المواد بينها (١٥٤) ساعة ذهبية و (١٦٠١) من الاقراط الذهبية و (١٣٢) من الخواتم الماسية و (٧٨٤) من ساعات الجيب الفضية و (١٦٠) حشوة اسنان ذهبية . وقد اكتظ الحانوت التابع لمكتب بلدية برلين في مطلع عام ١٩٤٤ ، بهذه المواد المسروقة ، وابلغ مصرف الرايخ عجزه عن تسلم كميات اخرى وعندما اجتاح الحلفاء المانيا عثروا في الملاحات المهجورة التي كان النازيون قد أخفوا فيهـا جزءاً من سجلاتهم ومنهوباتهم ، على كميات ضخمة من ودائع «ماكس هيليغر » تكفي لاستيعاب ثلاثة أقبية ضخمة في فرع مصرف الرايخ في فرانكفورت [١] .

ترى هل كان رجال البنك يعرفون مصادر هذه «الودائع» التي لا مثيل لها ؟

= الذهب انتزع من اسنان (٣٣٦) شخصا من مجموع ٥١٦ من الاسرى الذين اعدموا في فترة ستة اسابيع في عام ١٩٤٣ . (المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٢٠٨) .

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (أ) ص ٦٧٥ ـ ٦٨٢ .

ذكر مدير قسم المعادن الثمينة في مصرف الرايخ في نورمبرغ ، انه هو ورفاقه بدأوا يلاحظون ان قسماً كبيراً من هـــذه الشحنات كان يرد من لوبلين وأوشويتز .. ثم قال :

«وكنا نعرف جميعاً ان هذه الاماكن كانت مراكز معسكرات الاعتقال . وبدأ ذهب الاسنان يظهر في الشحنة العاشرة في تشرين الثاني عام ١٩٤٣ . وغدت كميات ذهب الاسنان ضخمة الى حد غير معهود [١] » .

وقد أكد أوزوالد بوهـــل (Oswald Po l) الرئيس الشرير للدائرة الاقتصادية في الحرس النازي والذي كان يتولى العمليـــات المالية لمنظمته ، في نورمبرغ ، ان الدكتور فونك ، ومديري مصرف الرايخ وموظفيه كانوا يعرفون معرفة طيبة مصدر هذه الحاجيات التي كانوا يحاولون ايداعها. وأسهب في شرح « الصفقة التجارية بين فونك والحرس النازي حول تسليم هذه الاشياء الثمينة الى مصرف الرايخ » ويذكر محادثة دارت بينه وبين نائب رئيس المصرف الدكتور أميل بوهل (Dr. Emil Pohl) يقول :

« ولم يبق لدي مجـــال للشك بعد هذه المحادثة ، بأن هذه الحاجيـــات كانت ترد من المعتقلين الذين يقتلون في معسكرات الاعتقـــال ، وكانت هذه الحاجيات تشمل الخواتم والساعات والنظارات والجسور الذهبية وخواتم الزواج ، والشبكات الذهبية والماسية والدبابيس والحشوات الذهبية وغيرها » .

وروى بوهـــل ، انه في ذات مرة وبعد جولة تفتيشية على اقبية مصرف الرايخ حيث كانت الاشياء الثمينة ، أقام له الدكتور فونك ولرفاقه عشاء فخماً، دالت فيه الاحاديث عن مصادر هذه المنهوبات الغريبة [٢] .

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان الملحق (١) ص ٦٨٢ .

٢ ـ حكم على الدكتور فونك في نورمبرغ بالسجن مدى الحياة . (المؤامـرة النازيـة والعدوان ـ الملحق ١ ـ ص ٨٠٥ ـ ٨٠٧) .

لم يعد لمعزل وارشو وجود

تحدث اكثر من شاهد عيان عن روح الاستسلام التي لاقى فيها كثير من اليهود حتفهم اما في غرف الغاز النازية أو على ايدي جماعات العمل الخاص . ولكن بعض اليهود ثاروا على عمليات إبادتهم . فلقد ثار نحو من ستين الف يهودي كانوا محصورين في معزل وارشو في ربيع عام ١٩٤٣ على معذبيهم النازيين وحاربوهم .

ولا اعتقد ان هناك وصفاً اكثر بشاعة وصدقاً في الوقت نفسه لثورة معزل وارشو من الوصف الذي كتبه ضابط الحرس النازي المتعجرف الذي قام باخماده [١] . وهذا الضابط هو جيرغين شتروب من قادة الحرس النازي ومن كبار ضباط الشرطة (Juergen Stroop) . ولقد ظل تقريره الرسمي البليغ المجلد تجليداً انيقاً والمطبوع طباعة جميلة على خمس وسبعين صفحة من الورق الصقيل قائماً حتى الآن [٢] . وقد وضع لهذا التقرير عنواناً هو « لم يعد لمعزل وارشو وجود [٣] » .

اذ لم تحل نهاية خريف عام ١٩٤٠ ، أي بعد عام من الاحتلال النازي لبولندة ، حتى كان الحرس النازي قد جمعوا نحواً من اربعمائة الف يهودي وعزلوهم داخل اسوار عن بقية مدينة وارشو في منطقة تبلغ ميلين ونصف الميل طولاً وميلاً عرضاً ، تحيط بالمعزل القديم الذي يعود في تاريخه الى القرون الوسطى. وكانت المنطقة تتسع عادة لنحو من مائة وستين الف شخص ، ولذا فقد اكتظت

---

١ ــ استند جون هيرسي John Hersey في روايته ــ الجدار ــ على السجلات اليهودية ، وهذه القضية اسطورية عن الثورة .

٢ ــ ولكن شتروب لم يدم . فقد اعتقل بعد الحرب وحكمت عليه محكمة امريكية في داخاو بالاعدام في الثاني والعشرين من آذار عام ١٩٤٧ ، لقتله الرهائن في اليونان ، ثم سلمته السلطات الامريكية الى بولندة ، حيث حوكم لقتله اليهود في معزل وارشو وحكم عليه ثانية بالاعدام وشنق في المكان الذي كان مسرحا لجرائمه في الثامن من ايلول عام ١٩٥١ .

٣ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٧١٩ ــ ٧٧٥ .

الآن بآهليها ، وكان هذا اقل المتاعب . وقد رفض الحاكم العام فرانك ان يخصص للمعزل كميات من المواد الغذائية تكفي حتى لاطعام نصف ساكنيها . وأمر كذلك بمنعهم من مغادرة المعزل مهدداً كل من يجرؤ على ذلك بالقتل فوراً ، ولم يكن لليهود فيه ما يعملونه داخل المعزل سوى العمل في بعض مصانع السلاح الموجودة داخل الاسوار والتي تديرها القوات المسلحة أو رجال الأعمال الألمان الذين اتقنوا الآن استغلال العمل الرقيق وجني اوفر الارباح منه . وحاول اليهود ان يعيشوا على كأس من الحساء في كل يوم ولكنه كان نضالاً يائساً في سبيل الحياة .

ولكن اهل المعزل لم يموتوا بسرعة كافية من الجوع والمرض بحيث تتفق ابادتهم مع رغبات هملر الذي أمر في عام ١٩٤٢ بانتزاع يهود وارشو من معزلهم لأسباب تتعلق بالأمن . وشرع في الثاني والعشرين من تموز في عملية « اعادة الاسكان » . وقد تمت اعادة اسكان نحو من (٣١٠،٣٢٢) شخصاً في الفترة الواقعة بين ذلك التاريخ والثالث من تشرين الأول طبقاً لما قاله شتروب ، وبكلمة اخرى تم نقلهم الى معسكرات الابادة ولا سيما الى تريبلينكا حيث اعدموا بالغاز

ولم يكتف هملر حتى بهذه النتيجة . وعندما قام بزيارة لوارشو في كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، ورأى ان نحواً من ستين الفاً ما زالوا احياء في « المعزل » أمر « باعادة اسكانهم » قبل الخامس عشر من شباط . لكن تنفيذ هذا الامر واجه بعض المصاعب . فلقد كانت قسوة الشتاء ومطالب الجيش الذي حلت به كارثة ستالينغراد وما لحق بها من انسحابات في جنوب روسيا ، حتمت اعطاء الأولوية في تسهيلات النقل للقوات المسلحة . وبات من الصعب على الحرس النازي الحصول على القطارات اللازمة لتنفيذ عملية « اعادة الاسكان » النهائية . وروى شتروب ان اليهود كانوا ايضاً يقاومون تصفيتهم النهائية بمختلف السبل والوسائل . ولم يكن في الامكان تنفيذ أمر هملر حتى حلول الربيع . وتقرر اخلاء المعزل بعملية خاصة تستغرق ثلاثة ايام لكنها استغرقت اربعة اسابيع .

وكانت مساحة المعزل « قد ضاقت نتيجة الخفض الذي طرأ على عدد

سكانه ، ووجه قـائد الحرس النازي شتروب دباباته ومدافعه وقاذفات لهبه ، وفصائل تدميره في صبـــاح التاسع عشر من نيسان عام ١٩٤٣ الى المنطقة التي كانت مساحتها الآن لا تعدو الف ياردة طولاً وثلاثمائة عرضاً . وكانت مقسمة الى خلايا تضم الاقبية والسراديب والانفاق التي احالها اليهود الى مراكز محصنة وكانوا يملكون بعض الاسلحة من مسدسات وبنادق وعدد من المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية المصنوعة محليـــاً . وقد استعد اليهود الآن لاستعمال كل هذه الأسلحة وصمموا على استعمالها ، وكانت المرة الاولى والاخيرة في تاريخ الرايـخ الثالث التي قاوم فيها اليهود بالسلاح ، النازيين مقاومة عنيفة .

وتضمنت قوة شتروب نحواً من (٢٠٩٠) رجلاً من الجنود ورجال الحرس النازي والشرطة والمتطوعـــين الليتوانيين والشرطة البولندية . وقد واجهت القوة مقاومة غير منتظرة في اليوم الاول . وروى شتروب في تقريره اليومي الاول :

« لم تكد تبـدأ العملية ، حتى واجهتنا نار قوية مركزة من عصابات اليهود . وردت الدبابـــة والسيارتان المدرعتان بقنابل مولوتوف . واضطررنا من جراء هذا الهجوم المضـاد المعادي الى الانسحاب » .

وتجدد الهجوم الالماني ولكن المقاومة ظلت قائمة ...

« وواجهنا بعد الساعة الخامسة والنصف مساء مقاومه عنيفة للغاية من احدى الابنية وبينها نار شديدةمن احد المدافع الرشاشة. وتغلبت قوتنـــا المهاجمة على العدو ولكنها لم تتمكن من اعتقال المقاومين . وكان اليهود والمجرمون يقاومون من نقطة الى اخرى ثم فروا في اللحظة الاخيرة وخسرنا في الهجوم الاول اثني عشررجلا ».

وهكذا مضت الايام القليلة الاولى ، متمثلة في تقهقر المدافعين امام هجمات الدبابات وقاذفات اللهب والمدافع ، مـــع استمرارها في الدفاع . ولم يستطع الفريق شتروب ان يفهم لماذا لم تسلم هذه « الحثالات » من الناس ، كما أشار الى

اليهود المحاصرين ، ولمـاذا لم تذعن لقرار « التصفية » ، وبعث في تقرير يقول :

« واتضح في غضون بضعة ايام ان اليهود يرفضون « اعـــادة اسكانهم » بصورة طوعية اختيارية ، وانهم مصممون على مقاومة ابعادهم من امـــاكنهم ... وبينما كان من السهل في الايام الاولى الامساك بعدد لا بأس به من اليهود الجبناء بطبيعتهم ، إلا انه غدا من الاصعب شيئاً فشيئاً إبان النصف الثاني من العملية القبض على اللصوص واليهود . وكانت تظهر فئات على التوالي تضم الواحدةمنها بين عشرين وثلاثين يهودياً يرافقهم عددمماثل من النساء لابداء مقاومة جديدة » .

واضاف شتروب ان هاته النسوة تنتمي الى عصابات « الخالوتسيم » ، وقد ألفن اطلاق النار من المسدسات باليدين في وقت واحد ، كما ألفن القاء القنابل اليدوية التي يخفينها في ملابسهن .

واصدر هملر الغاضب امره في اليوم الخامس من المعركة الى شتروب ، بحرق المعزل « بمنتهى القسوة والصرامـــة المتناهية » ... ولذا فقد روى شتروب في تقريره الاخير ... واصفاً ما حدث اخيراً :

« ولهـذا قررت ان ادمر المنطقة اليهودية كلها ، باحراق كل جزء منها ... وقد ظل اليهود في الابنية المحترقة ، الى ان دفعهم الخوف من الاحتراق وهم احيـــاء الى القفز من الطوابق العليا ... وحاول بعضهم رغم تهشيم عظامهم الحبو الى الابنية التي لم تشتعل فيها النار بعد ... وعلى الرغم من خطر الموت حرقاً كان بعضهم يؤثر البقاء في ألسنة اللهيب على ان نضع ايدينا عليهم » .

ولم يكن في وسع شخص من طراز شتروب ان يفهم كيف يؤثر الناس ان يموتوا حرقاً في ألسنة اللهيب على الموت بدعة وامان في غرف الغاز. فلقدكان يبعث بالذين يلقى القبض عليهم الى تريبلينكا . وبعث في الخامس والعشرين من نيسان برسالة على جهـــاز « الطابع البعيد » – التليبرينتر – الى مقر قيادة الحرس

النازي يقول فيها انه قبض حتى الآن على (٢٧,٤٦٤) شخصاً وانـه يحاول الحصول على قطار لحملهم الى تريبلينـكا ، وإلا فإنه سيستمر في عمليـة التصفية غداً .

وقد تمت تصفية بعضهم فوراً فقد ابلغ شتروب رؤساءه في اليوم التالي انه قتل (١٣٣٠) شخصاً ، بينما قتل (٣٦٢) في المعركة . ولم يستطع ان يوفد في ذلك اليوم الى المعسكر إلا ثلاثين سجيناً .

ولجـأ المدافعون في الايام الاخيرة من الثورة الى مجاري المياه . وحاول شتروب ارغامهم على الخروج منها ، بغمرها بالمياه ولكن اليهود تمكنوا من وقفها . وألقى الالمان ذات يوم بقنابل الدخان في المجاري عن طريق الفتحات التي يبلغ تعدادها (١٨٣) ولكن عملهم لم يؤد الى نتائج يريدها .

ولم يكن ثمة من شك في النتيجة النهائية . فلقد ظل اليهود وافراد العصابات المحصورون يقاتلون نحواً من شهر بأساليب «وصفها شتروب بالحيلة والخداع» . وروى شتروب في السادس والعشرين من نيسان ان كثيرين من المدافعين قد جنوا من الحرارة والدخان والمتفجرات » . ثم قال :

« واحرقنا عدداً آخر من الأبنية في ذلك اليوم ، ولا شك في ان الاحراق هو السبيل الوحيد لارغام هذه الحثالات على الخروج الى الارض » .

وكان السادس عشر من ايار هو اليوم الاخير ، وبعث شتروب في ذلك اليوم بتقريره الاخير عن المعركة ... فقال :

« قضينا على مائة وثمانين من اليهود واللصوص والحثالات . ولم يعد للحي اليهودي السابق في وارشو وجود . وانتهت العمليـة الاخيرة في الساعة الثامنة والربع بنسف كنيس وارشو ...

« وبلغ عدد اليهود الذين انتهينا من امرهم (٥٦,٠٦٥) ،قبضنا على عدد منهم سيكون في الامكان تصفيتهم » .

وطلب اليه في الاسبوع التالي ان يشرح ذلك الرقم فرد قائلاً :

« تم القضاء على نحو سبعة آلاف منهم في عمليات واسعة النطاق. وبعثنا بنحو من ٦,٩٢٩ الى تريبلينكا، وبذلك يبلغ عدد من تخلصنا منهم (١٣,٩٢٩) بالاضافة الى عدد يتراوح بين خمسة آلاف تم التخلص منهم اما عن طريق الحرق او تفجير القنابل » .

ويبدو من هذه الرسالة ان الفريق شتروب كان مخطئاً في حساباته . إذ ان هذه الارقام تترك نحواً من ستة وثلاثين الفاً لم يعرف ما حل بهم . ومن المحتمل ان يكون الخلاص منهم قد تم بطريق « غرف الغاز » .

وذكر شتروب ان خسائر الألمان بلغت ستة عشر قتيلاً وتسعين جريحاً . ومن المحتمل ان تكون الارقام الحقيقية اكثر من ذلك ، هذا اذا اخذنا بعين الاعتبار القتال الوحشي الذي دار من غرفة الى اخرى. ومن بيت الى آخر، وهو القتال الذي وصفه شتروب نفسه بصورة مسهبة . ولكنه آثر كما يبدو الابقاء على ارقام الخسائر الالمانية ضئيلة مخافة ازعاج هملر . وانهى شتروب تقريره قائلاً : وقد أدى الجنود وافراد الشرطة واجباتهم دون تعب او اجهاد في زمالة أمينة صادقة ، ورسموا صورة رائعة للجنود الالمان .

ومضت عملية « الحل الاخير » حتى نهاية الحرب . ترى كم عدد اليهود الذين قتلوا في هذه العملية ؟ لقد كانت الارقام موضع نقاش وجدال . ذكر شاهدان من رجال الحرس النازي في نورمبرغ ان الرقم الاجمالي يتراوح بين خمسة ملايين وستة ملايين ، وانهما سمعا ذلك من الخبير النازي في الموضوع كارل ايخمان رئيس الدائرة اليهودية الذي تولى تنفيذ « الحل الاخير » تحت امرة هايدريش . وكان الرقم الذي قدم في لوائح الادعاء في نورمبرغ (٥,٧٠٠,٠٠٠) وهو يتفق مع ارقام المؤتمر اليهودي العالمي . أما ريتلينغر فيؤكد في دراسته الوافية ان هذا الرقم اقل من ذلك ويتراوح بين (٤,١٩٤,٢٠٠) و (٤,٥٨١,٢٠٠) [١] .

كان هناك نحو من عشرة ملايين يهودي يعيشون في عام ١٩٣٩ في المناطق

---

١ - ريتلينغر - الحل الاخير . ص ٤٨٩ - ٥٠١ .

التي احتلتها قوات هتلر ، ومن المعتقد ان نحو نصف هذا الرقم قد صفي وكانت هذه النتائج ثمرة انحراف الديكتاتور النازي منذ ايامه المتشردة في فيينا ، وهو الانحراف الذي اشترك فيه معه عدد من الاتباع الالمان .

التجارب الطبية

كانت هناك بعض الاجراءات التي طبقها الالمان في عهد نظامهم الجديد ، وقد نجمت عن « الصادية » المجردة اكثر من نشوئها عن مجرد الشهرة الى القتل الجماعي . ويرى بعض الاطباء النفسيين ان هناك فرقاً بين النزوتين وان كانتا تؤديان في النهـــاية الى ان الاولى منهما لا تتميز عن الثانيـــة إلا في موضوع نوع الموت

وتؤلف التجارب النازية الطبية مثلاً على هذه الصادية ، اذ ان استخدام نزلاء معسكرات الاعتقال وأسرى الحرب ، كالخنازير الهندية في حقل التجارب ، لم يؤد الى تحقيق نتائج نافعة جداً للعلم . ولا ريب في ان هذه القصة مرعبة ، ولا يمكن للمهنة الطبية الالمانية ان تفاخر بها . وعلى الرغم من ان نحواً من مائتي طبيب من القتلة يحتل بعضهم أرفع مكانة في العالم الطبي ، قد اشترك في هذه «التجارب» وعلى الرغم من ان الألوف من كبار اطباء الرايخ قد عرفوا بأعمالهم الاجرامية ، إلا اننا لم نسمع ، كما تشير الوثائق ، بأن أياً منهم قد احتج على هذه الاعمال احتجاجاً ولو كان طفيفاً [1]

---

١ ـ لم يصدر أي احتجاج حتى من اشهر الجراحين الالمان الدكتور فرديناند ساور بروخ DrFerdinand SauerBiruch على الرغم من انه غدا في النهاية من خصوم النازية واشترك في المؤامرات المناهضة لها . وقد حضر ساور بروخ محاضرة في المعهد الطبي العسكري في برلين في ايار عام ١٩٤٣ ، اشترك في القائها طبيبان من اشهر الاطباء القتلة وهمـا كارل غيبهاردت (Karl Gebhardt) وفريتز فيشر (Fritz Fischer) وتناولت موضوع تجارب « غنغرينا الغازات » على السجناء وكانت حجة ساوربروخ الوحيدة في المحاضرة ان العلاج بالجراحة خير منه بالسلفانيلاميد ، وقد حكم على الاستاذ غيبهاردت بالموت في « قضية الاطباء » وشنق في الثاني من حزيران عام ١٩٤٨ ، بينما حكم على الدكتور فيشر بالسجن مدى الحياة .

وكان الضحايا في هذه العمليات من مختلف الاجنــاس . وان كان معظمهم من اليهود وأسرى الحرب الروس ونزلاء المعتقلات في بولندة ، وحتى من الالمان . وكانت التجارب «متنوعة» ايضاً . فبعض السجناء يوضعون في غرف مضغوطة ، ويتعرضون لتجارب تتعلق بارتفاع الضغط الى الحد الذي يتوقفون فيه عن التنفس وكان بعضهم يطعّم بلقحات التيفوس واليرقان ، بينما يتعرض البعض الثالث لتجارب « التجمّد » في مياه مثلجة ، او يوضعون عراة في الثلج في الخارج الى ان يموتوا من التجمّد . وجرّبت معهم العيارات المسمومة وغاز الخردل ايضاً . وأجريت تجارب « غنغرينـــا الغاز » على مئات النساء من سجينات معتقل رافنز بروك (Ravens Brueck) في بولندة ، وكن يلقــبن « بالأرانب » كما تعرض عدد آخر لتجارب في « تطعيم » العظـــام . ووقع الاختيار في معتقلي داخاو وبوخنفيلد على الفجريات لاختيار المدى الذي يستطعن العيش فيه على المياه المالحة . واجريت تجارب في التعقيم على نطاق واسع في عدة معسكرات في مختلف السبل والوسائل على النساء والرجـــال ، ولقـــد كتب طبيب في الحرس النازي يدعى الدكتور أدولف بوكورني (Dr. Adolf Pokorny) ، الى هملر ذات مرة يقول : « ان احتلال العدو لا يكفي وانما يجب ان يباد » . وأضاف انه اذا لم يكن في الامكان قتل الأعداء بالنسبة الى « حاجتنا » الى اليد العاملة ، فإن في امكاننا منعهم من التوالد. ويقول الدكتور بوكورني في رسالته الى هملر ، انه عـــثر على الوسيلة الصالحة وهي نبتة « الكالاديوم سيغوينوم » (Caladium Seguinum) الاستوائية التي تخلق « عقراً » دائماً ... ثم قال :

« ولا ريب في ان التفكير في امكاننا الافادة من عمل الثلاثة ملايين بلشفي الموجودين في أسر الالمان الآن ، مع « عقرهم » بحيث لا يتملكون من التوالد ، تخلق آفاقاً واسعة) [1]

وكان هناك طبيب الماني آخر ، حمل «توقـعات واسعة» هو الاستاذ أوغست

---

١ ــ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص ٥٤٨ .

هيرت (Prof. August Hirt) ، رئيس دائرة التشريح في جامعة ستراسبورغ وكان ميدانه العلمي مختلفاً الى حدٍ ما عن ميادين الآخرين، وقد شرحه في رسالة بعث بها في عيد ميلاد عـام ١٩٤١ الى مساعد هملر ، اللواء رودلف براندت (Lieut. General. Rudolf Brandt) من قادة الحرس النازي اذ قال :

« تحت تصرفنا مجموعات ضخمة من الجماجم لجميع الاجنـاس والشعوب لكن ما لدينا من نماذج عن الجماجم اليهودية قليل جداً... وتمكننا الحرب في الشرق الآن من الحصول على فرصة رائعة في هذا المجال للتغلب على كل صعوبة . واذا ما حصلنا على جماجم المفوضين اليهود البلاشفة ، الذين يمثلون طرازاً لوحده من اشباه البشر ذوي الطبيعة النموذجية في تقزز النفوس منها ، اتيحت لنـا الفرصة للحصول على مادة علمية قيمة » .

ولكن الاستاذ هيرت لا يريد جماجم موتى ولكنه يريد جماجم احياء . واقترح أولاً ان يجري قياس هذه الجماجم وأصحابها احيـاء . ومن ثم على أثر موت الرجل الذي يجب ان لا تمس جمجمته بأي ضرر ، سيقوم طبيب بفصل الرأس عن الجسد على ان يقدمه في صفيحة مختومة ومحفوظة . ووعد بأن يمضي بعد ذلك الى العمل فوراً، للقيام بقياسات علمية اخرى[١]. وقد طرب هملر لهذه الأقوال وأمر بأن يقدم الى الاستاذ هيرت كل « ما يطلبه ويحتاجه للقيـام ببحوثه العلمية » .

وقد زود فعلاً بكل ما يحتاجه على أحسن وجه . وكان الذي تولى تزويده فعلاً شخص نازي طريف يدعى وولفرام سيفرز (Wolfram Sievers) قضى وقتاً طويلاً على منصة الشهادة في محاكمة نورمبرغ الرئيسية وفي قضية الأطباء التي كان احد المتهمين فيها[٢]. وكان سيفرز هذا بائعاً للكتب في الماضي ثم ارتقى

١ ــ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص ٥١٩ .

٢ ــ حكم عليه بالاعدام ونفذ شنقا .

الى ان اصبح عقيداً في الحرس النـــازي والآمين التنفيـذي لمؤسسة اهنينيرب (Ahnenerbe) وهو معهد « للبحوث في الوراثة » ، من المعاهد « الثقافيـة » المضحكة التي اقامها هملر انسياقاً منه وراء (هوساته) الكثر . وذكر سيفرز ان هذه المنظمة كانت تضم خمسين فرعاً للبحث العلمي ، كان الإسم الذي اطلق على احدها « معهد البحث العلمي العسكري » الذي تولى سيفرز نفسه رئاسته . ويتميز هذا الرجل بسرعة تحرك عينيه في محجريها وبالنظرة الشيطانية ، وله ذقن كثة شديدة السواد ، وقد اطلق عليه في نورمبرغ اسم « ذو اللحية الزرقاء النازي » تشبيهاً له بالمجرم الفرنسي المشهور المعروف بصاحب اللحية الزرقــاء . وقد دوّن شأنه في ذلك شأن غيره من ابطال هذا التاريخ الذين يعنون بالتوافه ، يوميات مسهبة ، وقد اسهمت هذه اليوميات والرسائل الاخرى التي دوّنها في الوصول به الى حبل المشنقة .

حشد سيفرز في حزيران عام ١٩٤٣ في معتقل اوشويتز الرجال والنساء ، الذين سيموّنون الدكتور هيرت بالجماجم التي يحتاج اليها في « قياساته العلمية » . وقد بلغ عددهم (١١٥) شخصاً منهم ٧٩ يهودياً و ٣٠ يهودية واربعة من الآسيويين واثنان من البولنديين . وطلب سيفرز في تقرير بعث به الى المكتب الرئيسي للحزب النازي في برلين تأمين وسائل النقل اللازمة لتسفير هؤلاء من اوشويتز الى معتقل ناتزويلر (Natzweiler) القريب مـــن ستراسبورغ حيث ستجري « العمليات» لهم. ووجه اليه المستجوب البريطاني في نورمبرغ السؤال عن المعنى الذي يقصده « بالعملية » ... فرد قائلاً : « انها قياسات تتعلق بعلم الاجناس البشرية » .

وقال المحقق : اتعني انهم كانوا يتعرضون لقياسات علم الاجناس البشرية قبل نقلهم ... ؟ هذا هو ما تعنيه أليس كذلك ؟

فرد سيفرز قائلاً : اجل وكانوا يصنّفون .

وقد روى رئيس في الحرس النازي جوزيف كرامر (Josef Kramer) ما كان يحدث بعد ذلك ، وهو مـــن الذين اشتركوا في اعمال الابادة في معتقلات

اوشويتز وموتهاوزن وداخاو وغيرها ، وقد اكتسب شهرة ذائعة باسم « وحش بيلزن » ثم ادانته محكمة عسكرية بريطانية في لوينبرغ (Lueneburg) وقضت عليه بالاعدام . قال الرجل :

« حدثني الاستاذ هيرت من معهد علم التشريح في ستراسبورغ عن قافلة المسجونين القادمة من اوشويتز . وقال انـــه تقرر قتل هؤلاء الاشخاص بالغاز السام في غرفة الغاز في معتقل ناتزويلر ، ثم يجري نقل جثثهم الى معهد التشريح ليتصرف بها . وقد قدّم الي زجاجة تحتوي على قليل من الأملاح ، واظنها املاح السيانيد ، وحدد لي الجرعة التقريبية التي يجب ان استخدمها لتسميم المسجونين الوافدين من اوشويتز .

(وقد استقبلت في مستهل آب عام ١٩٤٣ ثمانين مسجوناً تقرر قتلهم بالغاز الذي سلمنيه الاستاذ هيرت . ومضيت ذات ليـلة الى غرفة الغاز بالسيارة ومعي خمس عشرة امرأة كدفعة اولى. وطلبت الى النساء ان يمضين الى الغرفة لتطهيرهن من الهوام . وبالطبع لم ابلغن انه سيجري قتلهن بالغاز ... »

ومضى كرامر يقول ان النازيين في ذلك الوقت كانوا قد اتقنوا اسلوب القتل تمام الاتقان ... ثم قال :

« وتمكنت بمساعدة فريق من رجال الحرس النازي ، من تعرية النساء تعرية كاملة ، ثم ادخلتهن الى غرفة الغاز . وعندما اغلق الباب شرعن في الصراخ. وادخلت الى الغرفة كمية محددة من الغاز عن طريق انبوبة ، ورحت ارقب من فجوة صغيرة ما يحدث في داخلها . تنفست النساء نحواً من نصف دقيقة قبـــل ان يسقطن صريعات على الارض . وبعد ان قمت بعملية تهوية ، فتحت الباب وجدت النساء بلا حراك على الأرض ، وقد انتشر الغائط فوقهن».

وشهد الرئيس كرامر انه كرر العملية حتى انتهى من أمر الثمانين سجيناً ثم

سلم جثثهم الى الاستاذ هيرت تنفيذاً لطلبه . وسأله المحقق عن شعوره في ذلك الوقت ، عندما نفذ هذه العملية ، فرد بجواب « لاينسى » وهو يلقي ضوءاً على « ظاهرة طبيعية » تميز بها الرايخ الثالث وبدت صعبة على الادراك البشري ، اذ قال :

« لم اشعر بأي شيء وانا انفذ هذه العملية اذ كنت قد تلقيت الامر بقتل هؤلاء المسجونين الثمانين بالطريقة التي شرحتها لكم ...
« فلقد كان هذا هو الوضع الذي درّبت عليه » [1] .

وشهد شاهد آخر ، على ما كان يقع بعد ذلك . وهذا الشاهد هــــو هنري هريبيير (Henry Herypiéere) ، وهو فرنسي كان يعمل في معهد التشريح في ستراسبورغ كمساعد للاستاذ هيرت الى ان وصلت قوات الحلفاء الى المدينة وقد قال :

« تضمنت الشحنة الأولى التي تسلّمناها جثث ثلاثين امرأة . وكانت الجثث لا تزال دافئة عند وصولها . وكانت عيونهن مفتوحة ولا تزال برّاقة . انها حمراء . متفجرة من محاجرها . وهناك بعض خيوط من الدماء عند انوفهن وعلى شفاههن . ولم يتضح أي تصلب في العضلات » .

وشك هريبيير بأنهن قد قتلن ، ولذا سارع الى انتزاع ارقام السجن التي كانت موسومة على اذرعهن اليسرى . واضاف ان الشحنة الثانية سرعان ما وصلت وكانت تضم ستة وخمسين رجلاً في نفس الحالة تقريباً . وسرعان مـــا خمرت الجثث في الكحول تحت اشراف الدكتور هيرت . ولكن الاستاذ كان في حالة عصبية اثناء العملية كلها ، وقال ... « اسمع يا بيتر ، اذا لم تغلق فمك ، فستكون واحداً منهم » .

ومع ذلك فقد مضى الدكتور في عمله . وتقول رسائل سيفرز ان الاستاذ

---

١ ــ استجواب جوزيف كرامر . القضية الاولى من قضايا مجرمي الحرب (قضية الاطباء) وقد أطلق عليها اسم « قضية الولايات المتحدة على براندت وآخرين » .

قام بفصم الرؤوس عن اجسادها ثم « رتب بمجموعة الجماجم التي لم يكن لها وجود من قبل » . ومع ذلك كانت هناك بعض المتاعب ، التي رواها الاستاذ لمساعده الذي لم تكن له أية خبرة تشريحية او طبية ، والتي نقلها في تقريره بعث به الى هملر في الخامس من ايلول عام ١٩٤٤ قال فيه :

وبالنظر الى ما تنطوي عليه العملية من بحوث علمية مستفيضة ، لم تستكمل مهمة ترتيب الجثث ، اذ ان ترتيبها يتطلب بعض الوقت نظراً لكثرة عددها » .

وكان الوقت يمضي بسرعة . فالقوات الامريكية والفرنسية الزاحفة تقترب من ستراسبورغ . وراح هيرت يطلب عن طريق سيفرز الذي بعث بتقرير الى الرئاسة ، التوجيهات اللازمة بصدد ما يجب عليه ان يفعله بالمجموعة فقال :

« في وسعنا انتزاع اللحم عن الجثث فتعذر معرفة هويات اصحابها . وهذا يعني بالطبع ان جزءاً من العمل الذي تم ، قد مضى دون فائدة ، وان العلم سيفقد هذه المجموعة الفريدة من نوعها، طالما ان من المتعذر صنع نماذج مطاطية منها فيما بعد .

« وهكذا لا تظل مجموعة الجماجم ظاهرة للعيان . وفي وسعنا ان ندعي اننا عثرنا على اجزاء اللحم منها وقد خلفها الفرنسيون عندما تسلمنا معهد التشريح [1] . واننا سنسلمها لاحراقها . أرجو ابلاغي بالطريقة التي تختارونها من الطرق المقترحة الثلاث التالية : حفظ المجموعة بكاملها [2] . تجزئة بعض اقسام المجموعة . تذويب المجموعة بكاملها .

---

١ ـ كانت المانيا قد ضمت الالزاس بعد سقوط فرنسا في عام ١٩٤٠ ووضعت يديها على جامعة ستراسبورغ بعد ذلك .

٢ ـ شهادة سيفرز ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص ٥٢١ ـ ٥٢٥ .

وراح ممثل الاتهام البريطاني ، يوجه السؤال التالي وقد ساد محكمة نورمبرغ صمت رهيب : « لماذا أردت ان تنتزع اللحم عن الاجساد ايها الشاهد ؟ ولماذا اقترحت تحميل الفرنسيين المسؤولية ؟

ورد ذو اللحية الزرقاء النازي قائــلا : « لم يكن لي كانسان عادي أي رأي في هذه القضية . كل ما فعلته هو ان أنقل سؤال الاستاذ هيرت . ولم تكن لي أية علاقة بمقتل هؤلاء الاشخاص . وكانت كل مهمتي انني واسطة ليس إلا ؟ ؟ »

فقال الممثل البريطاني : « اذن فقد كنت دائرة بريد ؟ أي دائرة من هذه الدوائر النازية المألوفة ؟ »

وراح ممثل الادعاء النازي يكمل قوله بأن المحكمةقد خبرت في هذه المحاكات هذا الطراز من محاولة التملص من الاتهامات .

وتكشف ملفات الحرس النــازي المصادرة النقاب عن ان سيفرز بعث في السادس والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤٤ بتقرير قال فيه أنه تم « تحليل مجموعة ستراسبورغ تحليلاً كاملاً طبقاً للتوجيه . ولا ريب في ان هذا الترتيب هو خير ما كان في الإمكان عمله بالنسبة الى الوضع كله [١] » .

وشرح هيريبيير فيما بعد المحاولة التي جرت لاخفاء كل اثر يدل على الجريمة ، وهي المحاولة التي لم تكلل بالنجاح كلية فقال :

«وتقدم الحلفاء في ايلول عام ١٩٤٤ نحو بيلفورت وأمر الأستاذ هيرت كلاً من بونــغ والهر ماير (Bong and Herr Maier) ، بتقطيـع الجثث واحراقها في المحرقة ... وسألت الهر ماير في اليوم التالي اذا كان قد قطع جميــع الجثث الى اوصال فأجاب ... « لم نستطع تقطيـع جميـع الجثث . كان عملاً مرهقاً ، وقد تركنا بعضها في المخزن » .

وقد عثر على هذه الجثث ، عندما دخلت وحدات الجيش الامريكي السابع

---

١ ــ شهادة هنري هريبيير في « قضية الاطباء » .

تتقدمها الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية مدينة ستراسبورغ بعد نحو من شهر [١] .

ولم يكتف سادة النظام الجديد بجمع الجماجم بل كانوا يجمعون ايضاً الجلود البشرية وان لم يكن في وسعهم الادعاء بأن البحث العلمي هو السبب في تجميعها . وكانت لجلود المسجونين في معسكرات الاعتقال ، الذين كانوا يعدمون لهذه الغـــاية الرهيبة ، قيمة زخرفية . فلقد كانت هذه الجلود تصلح « طرابيش » جميلة للمصابيح الكهربائية ، تتفق مع ذوق السيدة ألزي كوخ زوجة آمر معتقل بوخنفيلد والتي اطلق عليها المعتقلون اسم « عاهرة بوخنفيلد [٢] » . ويبدو ان الجلود المرسومة كانت مطلوبة اكثر من غيرها . وقد تحدث معتقل الماني يدعى اندريا بقافينبيرغر (Andeas Pfaffenberger) عن ذلك في محكمة نورمبرغ اذ قال :

« ... صدر الأمر بمثول جميع المعتقلين الذين يحملون وشماً الى مستوصف المعتقل .. وبعض فحص المتقدمين منهم ، كان القتل مصير الذين يحملون نماذج فنية للغاية من الوشم عن طريق الإبر . وكانت الجثث تنقل بعد ذلك الى دائرة علم الامراض حيث تنتزع النماذج المرغوب فيها من الجثث ، وتتعرض بعد ذلك للعلاج . وكانت المنتجات الجاهزة تسلم بعد ذلك الى زوجة كوخ ، التي تحولهـــا الى « طرابيش » للمصابيح الكهربائية وغيرها من وسائل الزخرفـــة

---

١ ـ اختفى الاستاذ الدكتور هيرت بعد الحرب وقد سمع وهو يغادر ستراسبورغ متبجحا ان ليس في استطاعة انسان ان يقبض عليه حيا . ويبدو انه لم يعثر عليه حيا او ميتا .

٢ ـ حكم على السيدة كوخ ، التي كانت مشيئتها كافية لتقرير حياة او موت اي معتقل في بوخنفيلد ، والتي كانت نزواتها كافية لايقاع اشد العقوبات بأي سجين بالسجن مدى الحياة في « قضية بوخنفيلد » ، ولكن الحكم عليها ما لبث ان خفف الى اربع سنوات ثم اطلق سراحها . وعادت محكمة المانية في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٩٥١ فقضت عليها بالسجن مدى الحياة بتهمة القتل . وكانت محكمة عسكرية للحرس النازي قد قضت على زوجها بالاعدام اثناء الحرب لتطرفه « في الاعمال التي قام بها ، ولكن ما لبث ان اعطي حق الخيار للخدمة في الجبهة الشرقية . ولكن الامير ولديك ، قائد الحرس النازي في المنطقة أمر باعدامه قبل ان يختار . وكانت الاميرة مافالدا ابنة ملك ايطاليا وزوجة الامير فيليب هيسي (Prince Philip Hesse) بين الذين لقوا حتفهم في بوخنفيلد .

البيتية . » [1]

وهناك قطعة قد أسرت خيال السيدة كوخ وقد كتب عليها «هينسل وغريتل Haensel and Gretel ».

وكانت الطلبات على مثل هذه الجلود في معتقل آخر ، هو داخـــاو أشد من العرض . وشهد طبيب تشيكي كان سجيناً هو الدكتور فرانك بلاهـــا (Dr. frank Blaha) في محكمة نورمبرغ بقوله :

كنا احياناً نفتقر الى العـــدد الكافي من الجلود الطيبة وكان الدكتور راشر (Dr. Rascher) يقول : « حسناً ستكون الجثث تحت تصرفكم . وسرعان ما نتلقى في اليوم التالي عشرين جثة أو ثلاثين من جثث الشبان . وكان قتلهم يتم بعيار ناري في العنق أو بضربة في الرأس بحيث يظل الجلد سليماً » . فلقد كان من اللازم ان يكون الجلد لأسرى أصحاء خالياً من العيوب » [2]

ويبدو ان هذا الطبيب الدكتور سيغموند راشر ، كان المسؤول عن هـــذه الأعمال العادية في التجارب الطبية في الدرجة الأولى . وقـد أثار هذا الدجّال المخيف اهتمام هملر ، الذي كان قد وقع تحت سيطرة فكرة طاغية وهي تنشئة جيل نوردي ، اكثر تفوقاً ، مع ان هناك انباء كانت رائجة في أوساط الحرس النازي تقول ان السيدة راشر قد ولدت ثلاثة اطفال بعد تجاوزها الثامنة والأربعين من عمرها ، وان كانت الحقيقة ان هؤلاء الأطفال قد خطفوا في أوقات متفاوتة من أحد المياتم .

وقد أصيب الدكتور راشر في ربيع عام ١٩٤١ ، وكان يشهد دورة طبية خاصة في ميونيخ ، في ربيع عام ١٩٤١ ، أعدتها قيادة السلاح الجوي ، بنوبة عقلية فلقد بعث في الخامس عشر من ايار برسالة الى هملر قال فيها انه أصيب بالرعب من جراء توقف البحث العلمي عن تأثير المسافات المرتفعة في الأجواء

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٩٥٢ .

على الطيارين، وذلك « بسبب تعذر اجراء التجارب على البشر ، نظراً لخطورتها وعدم تطوع الناس للقيام بها » ثم قال :

« فهل في وسعكم ان توفروا لنا اثنين أو ثلاثة من محترفي الاجرام لهذه التجارب..وستجري هذه التجارب التي قد يتعرض القائمون بها للموت طبعاً تحت اشرافي [1] » .

وقد رد زعيم الحرس النازي في غضون اسبوع فقال ان « السجناء سيكونون جاهزين بالطبع للقيام بالطيران الى ذلك الارتفاع » .

وبالفعل اعدوا في الموعد المعين ، ومضى الدكتور راشر الى العمل . ويمكن العثور على النتائج في تقاريره وتقارير الآخرين ، التي ظهرت في نورمبرغ وفي المحاكم التي تلت ، للنظر في قضايا الأطباء النازيين .

وتعتبر هذه النتائج التي توصل اليها الدكتور راشر نموذجاً للهذر العلمي وقد قام بنقل غرفة اعادة الضغط في ميونيخ الى معسكر اعتقال داخاو حيث أعدت النماذج من الخنازير البشرية لاجراء التجارب . وقد قام بضخ الهواء من جهاز خاص ، بحيث كان في امكانه ان يخلق وضعاً يشبه وضع الضغط الهوائي في الارتفاعات العالية . وقد دوّن اثر ذلك ملاحظاته التي يعتبر ما يلي منها نموذجاً :

« وقد تمت التجربة الثالثة بدون اوكسجين على ارتفاع يعادل (٢٩,٤٠٠) قدم ، وتم تنفيذها على يهودي في السابعة والثلاثين من عمره في وضع صحي طيب بصورة عامة . وظل تنفسه يتردد نحواً من ثلاثين دقيقة . وبعد أربع دقائق بدأ العرق يسيل من الرجل الذي أخذ يدير رأسه .

« وشرعت التشنّجات في الظهور بعد خمس دقائق ، وتزايد العرق بين الدقيقتين السادسة والعاشرة . وفقد الرجل وعيه تماماً .

---

١ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ١٣٢ .

وأخذ العرق يخف شيئاً فشيئاً بين الدقيقتين الحادية عشرة والثلاثين الى ثلاثة افرازات في الدقيقة ، ولم يتوقف نهائياً إلا بعد انتهاء تلك المدة ... وبعد نصف ساعة من توقف التنفس تقريباً بدأنا بالتشريح للكشف عن سبب الوفاة [١] » .

وشرح سجين نمسوي يدعى انطون بايشوليغ ، كان يعمل في مكتب الدكتور راشر التجارب بصورة أقلّ علمية فقال :

« كنت أراقب شخصياً من نافذة غرفة الضغط ، كيف يستطيع السجين مقاومة الخلاء في الداخل الى ان تتفجّر رئتاه ... وكنت أرى السجين يصاب بالجنون فيأخذ في شدّ شعره بيديه محاولاً تخفيف الضغط . وكثيراً ما رأيته يمزق رأسه ووجهه بأصابعه وأظافره ، في محاولة لتشويه نفسه وكانت مثل هذه الحالات تنتهي عادة بموت الرجل المعني [٢] » .

وقد تعرض نحو من مائتي سجين لهذه التجربة قبل ان ينتهي منها الدكتور راشر ، وتؤكد الشهادات التي ظهرت في « محاكمات الأطباء » ان نحواً من ثمانين رجلاً قد ماتوا فوراً وان الباقين قد أعدموا فيما بعد لكي لا يكون هناك شهود يروون ما حدث .

وقد انتهى هذا البحث العلمي الخاص في ايار عام ١٩٤٢ ، وقدم المشير ايرهارد ميلش (Fie'd Marshal Erhardt Milch) شكر غورنغ الى هملر على تجارب الدكتور راشر الريادية . وقدم اللواء الدكتور هيبكي مفتش الامور الطبية في السلاح الجوي (Dr. Hippke) بعد وقت قصير أي في العاشر من تشرين الاول عام ١٩٤٢ الى هملر « باسم طبابة الطيران الألماني والبحث العلمي » اعمق

---

١ ــ تقرير الدكتور راشر الى هملر في قضية الاطباء ــ القضية الاولى التي رفعتها الولايات المتحدة ضد براندت ورفاقه . وكان براندت طبيب هتلر الخاص ومفوض الرايخ في الشؤون الصحية . وقد ادانته محكمة نورمبرغ نقضت عليه بالاعدام ونفذ فيه شنقا .

٢ ــ المؤامرة النازية والعدوان ــ الملحق ا ــ ص ٤١٦ ــ ٤١٧ .

الاعتراف بالجميل ، على تجارب داخاو . لكن هذه التجارب لم تأخذ في حسابها ، شدة البرد الذي يواجهه التيار في الارتفاعات العليا . وقد أبلغ هملر ان السلاح الجوي الالماني رغبة منه في اصلاح هذا الخطأ ، كان يقيم غرفة للضغط « مجهزة بوسائل التبريد الكافية ، لتقدم جواً يشبه الجو الذي يتوافر على ارتفاع مائة الف قدم » .. واضاف « ان تجارب التجمد مـا زالت تسير على خطوط مماثلة في داخاو » [١]

وبالفعل كانت هـذه التجارب تسير على قـدم وساق وكان الدكتور راشر من جديد في طليعة القائمين بها . لكن بعض زملائه الاطبـاء كانوا يتعرضون لنوبات من تبكية الضمير . فهل من المسيحية في شيء القيام بهـذه التجارب التي يقوم بها الدكتور راشر ؟ ويبدو ان الشكوك بدأت تساور نفوس اطبـاء السلاح الجوي الالماني . وعندما سمع هملر بهذه الهواجس ثار غاضباً وكتب الى المشير ميلش محتجـاً على الصعوبات التي تخلقها « الدوائر الطبية المسيحية » في السلاح الجوي . وقد رجا من رئيس هيئة اركان حرب القوة الجوية ، ان يسمح بنقل الدكتور راشر من القوة الجوية الى الحرس النازي . واقـترح العثور على « طبيب لا مسيحي ، يكون شريفاً كعالم ، ليسير في بحوث الدكتور راشر القيمة . » واكد هملر في غضون ذلك ان :

« يتولى هو شخصياً مسؤولية تزويد الاشخاص اللااجتماعيـين والمجرمين الذين يستحقون الموت فقط في معسكرات الاعتقـال ، لاجراء هذه التجارب عليهم »

وكانت « تجارب التجمد » التي يقوم بها الدكتور راشر ذات شقـين ، اولهما رؤية مدى البرودة التي يستطيـع الانسان احتمالها قبـل الموت ، وثانيهما ، العثور على خير السبل لتدفئة انسان ما زال حياً بعد تعرضه للبرد الشديد . وقـد اختيرت طريقتان ، لتجميد الانسان ، أولاهما اغراقه في مستودع من الماء المثلج

---

١ ـ رسالة الدكتور هيبكي الى هملر . في القضية الاولى .

وثانيتهما ، تركه في الثلج عارياً كل العراء ، طيلة الليل في الشتاء . وهناك تقارير كثيرة بعث بها راشر الى هملر عن تجارب « التجميد » و « التدفئة » ، واعتقد ان تجربة او تجربتين ستكونان كافيتين لاعطاء صورة واضحة . وقد قدم اول هذه التقارير في العاشر من ايلول عام ١٩٤٢ وهذا بعض ما جاء فيه :

« اغرق الاشخاص الذين تقرر اجراء التجارب عليهم في ملابس الطيران الكاملة في الماء . وكانت معاطف النجاة ، تحول دون غرقهم . وقد جرت التجارب في درجات حرارة في الماء تتراوح بين (٣٦,٥) و (٥٣,٥) درجة فهرنهايت ، وفي سلسلة اخرى من التجارب كانت اعناقهم ورؤوسهم تغطس في الماء ايضاً . وسجلت درجات حرارة تنخفض الى ٧٩,٥ في المعدة و ٧٩,٧ في الشرج بطريقة كهربائية . ولم تقع حوادث الموت الا عندما تجمد «المخيخ» والنخاع الشوكي .

« وفي حالات التشريح بعد الوفاة في مثل هذه الحوادث ، كان يعثر على كميات كبيرة من الدماء السائلة تبلغ احياناً سعة كأس ، في داخل « التجويف الحقفي » في الجمجمة . وكان القلب يظهر دائماً حالات من التمدد الكثير . وكان الاشخاص الذين تجري عليهم التجارب في مثل هذه الحالات يموتون عادة عندما تهبط درجة الحرارة في الجسم الى (٨٢,٥) فهرنهايت على الرغم من جميع محاولات الانقاذ . ويظهر التشريح الطبي بعد الوفاة اهمية تدفئة الرأس ووقاية العنق في حالات الزبد التي تسير في طريق التطور اثناء التجارب . » (١)

ويظهر جدول ارفق به الدكتور راشر تقريره ست « حالات مميتة » كما يظهر درجات حرارة الماء والجسم عند رفع الجسم من الماء ، ودرجة الحرارة

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

عند الوفاة ، ومدى المكوث في الماء ، والمدة التي استغرقها موت الرجل . وكان اصلب الرجال يحتمل البقاء في الماء مائة دقيقة بينما لا يحتمل اضعفهم البقاء اكثر من ثلاث وخمسين دقيقة .

وقدم وولتر نيف ، وهو ممرض عمل مع الدكتور راشر الى المحكمة التي نظرت في قضية الاطباء ، وصف الرجل العادي لتجربة التجمد فقال :

« كانت اسوأ التجارب التي رأيتها في حياتي.جيء لنا بضابطين روسيين من ثكنات احد السجون . وقد أمر راشر بتعريتهما ، وبإدخالهما في الحوض . وتوالت الساعات ، وبينما كانت حالات الغياب عن الوعي من جراء البرد تقع عادة بعد ستين دقيقة ، على اكثر تقدير ، لم يبدأ الرجلان في الاستجابة استجابة كاملة إلا بعد ساعتين ونصف الساعة . وفشلت جميع المحاولات التي بذلها راشر لحملها على النوم عن طريق « الابر » وقال احدهما للآخر بعد مضي الساعة الثالثة : « ارجوك ايها الرفيق ان تطلب الى الضابط ان يطلق النار علينا » ورد الضابط الآخر بأنه لا ينتظر رحمة أو اشفاقاً من هذا الكلب الفاشي . وتلاقت يد الرجلين متصافحتين يودع الواحدمنهما رفيقه.وقد تولى شاب بولندي ترجمةهذه العبارات الى راشر ، وان جاءت ترجمته غير مطابقة تماماً للحقيقة . ومضى راشر الى مكتبه . وحاول البولندي الشاب ان يخدر الضحيتين ، ولكن سرعان ما عاد راشر يهددنا بمسدسه ... وقد استغرقت التجربة خمس ساعات قبل ان تتم الوفاة . »[1]

وكان المشرف الاسمي على التجارب المياه الباردة الأولية شخص يدعى « الدكتور هولز لوهنر » ، احد اساتذة كلية الطب في جامعة كييل ويساعده طبيب يدعى الدكتور فينكي ، وبعد ان اشتغل هذان

---

١ ــ شهادة وولتر نيف في القضية الاولى .

الطبيبان مع راشر مدة شهرين ، اعتقـدا انهما قـد استنفدا كل ما لديهما من طاقات اختبارية . وقد اعد الاطباء الثلاثة تقريراً متناهياً في السرية يقـع في اثنتين وثلاثين صفحة قدموه الى القوة الجوية وعنوانه « تجارب التجمّد على المخلوقات البشرية » وهو يقترح عقد اجتماع للعلماء الألمان في نورمبرغ في السادس والعشرين والسابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤٢ ، للاستماع الى مـا توصل اليه واضعو التقرير من نتائج . وقد حدد للمؤتمر موضوع البحث « القضايا الطبية المتعلقة بطوارىء الشتاء والطوارىء البحرية » وتؤكد الشهادات التي قدمت في « محاكات الاطباء » ان خمسة وتسعين عالماً المانياً بينهم عدد من ابرز العاملين في هذا الميدان قد اشتركوا في المؤتمر . وعلى الرغم من ان الاطباء الثلاثة لم يدعوا مجالاً للشك لدى المؤتمرين في ان عدداً كبيراً من المخلوقات البشرية قد مات في هذه التجارب الا ان أي سؤال لم يوجه في هذا الصدد ، ولم يعترض أي من الحاضرين على الموضوع .

واعتزل الاستاذ هولز لوهنر والدكتور فينكي[1] هذه التجارب منـذ هذا الوقت ، بينما واصل الدكتور راشر العمل فيها من تشرين الأول عام ١٩٤٢ حتى ايار من العام الماضي . فقد اراد ان يواصل التجارب فيما اسماه « بالتجمّد الجاف» وبعث الى هملر يقول :

« لا ريب في ان اوشويتز اكثر صلاحاً لمثل هذه التجارب مـن داخاو ، لأن الطقس فيها اكثر برودة ، كما ان اتساع المنطقـة فيها يجعل احتمال الاستفزاز والاثارة فيها اقل منه في داخاو . (يصرخ الاشخاص الذين تجري عليهم التجارب عندما يتجمدون) .

ولم يكن في الامكان تغيير مكان التجارب ولذا فقد مضى الدكتور راشر قدماً في تجاربه في داخاو ، آملاً في وقـوع طقس شتوي ... وقد كتب الى

---

١ ــ يبدو ان الاستاذ هولز لوهنر عانى تبكيت ضميره . فقد عثر عليه البريطانيون ثم انتحر بعد استجوابه لاول مرة .

هملر في مطلع ربيع عام ١٩٤٣ يقول :

« شكراً لله ، فقد اتاح لنا مرة ثانية مجـــال الطقس الحسن في داخاو . وقد ظل بعض الناس في العراء مدة اربع عشرة ساعــة ، وفي درجة حرارة لاتعدو الواحدة والعشرين ، مع حرارة داخلية متولدة عن عضة البرد المحيطة بالجسم ،لا تعدو السابعة والسبعين[١] ،

وعاد الشاهد نيــف فروى في « قضية الاطباء » في نورمـــبرغ وصفاً لرجل عادي عن تجارب « التجمد الجاف » الذي قام به رئيسه فقال :

« كنا نضع السجن عارياً على محفّة خارج الثكنات في الليــل . وكنا نغطيه بملاية خفيفة ثم نصبّ عليه الماء البارد . ويظل السجين الذي تجري عليه التجارب على هذا النحو حتى الصباح ، عندهــا تؤخذ درجة حرارته .

«وقال الدكتور راشر فيما بعد : ان من الخطأ تغطية الرجــل « بالملايات » وان يغرّق بالماء . ولن يغطى الاشخاص في المستقبل . اما التجربة التاليــــة فستجري على اشخاص يظلون عراة طيلة مدتها » .

وعندما يشرع السجين في التجمد بصورة بطيئة متدرّجة ، يتولى الدكتور راشر أو مساعده تسجيل درجات الحرارة ونبضات القلب ، وانسياب العرق وما شابه ذلك . وكثيراً ما كان الزعيق يمتد طيلة الليل .. ومضى نيف يشرح للمحكمة :

« وحظّر الدكتور راشر مبدئياً اجراء التجارب في حــــالة التخدر وفقدان الوعي ، ولكن الرجل موضوع التجربة كان يشــير من الضجة دائماً ما يجعل من المحال على راشر المضي في تجاربه دون تخديره »[٢]

---

١ ـ رسالة الدكتور راشر الى هملر . في ٤ نيسان ١٩٤٣ . القضية الاولى .
٢ ـ شهادة وولتر نيف ـ وثائق القضية الاولى .

وكان الاشخاص الذين تجرى عليهم التجارب ، يتركون ليموتوا ، لأنهم يستحقون الموت كما قال هملر ، في أحواض الماء المثلج ، أو عراة على الأرض في العراء في داخاو خارج الثكنات ليالي الشتاء الباردة . وكانوا يعدمونهم فوراً في حالة تمكنهم من البقاء . فالطيارون والبحارة الألمان البواسل ، الذين كانت هذه التجارب تجري لمصلحتهم في الظاهر ، كانوا يقيمون خنادقهم في المياه المتجمدة أو يتركون منبوذين في الفيافي المتجلدة في الدائرة القطبية في النروج وفنلندة وشمال روسيا ، وكان من الواجب انقاذهم ان امكنهم . ولهذا فقد شرع الدكتور راشر الذي لا مثيل له ، يجري على «خنازيره» البشرية في داخاو ما اطلق عليه اسم « تجارب التدفئة » . فلقد اراد ان يعرف خير السبيل لتدفئة رجل متجمّد وانقاذ حياته ما أمكن .

واقترح هنريخ هملر، الذي لم يكن يتقاعس قط عن تقديم الحلول العملية لفريق علمائه المنهمكين في تجاربهم ، على راشر ، محاولة «التدفئة» بالحرارة « الحيوانية » ، ولكن الطبيب لم يقتنع بالفكرة في البداية . فلقد كتب الى زعيم الحرس النازي يقول ان التدفئة بالحرارة الحيوانية لاجسام الحيوانات والنساء ، بطيئة جداً » ولكن هملر ظل يلحف عليه .. وكتب الى راشر يقول :

« انني مهتم أشد الاهتمام بتجارب الحرارة الحيوانية . واني لاعتقد شخصياً ان هذه التجارب قد تأتي بأفضل النتائج واكثرها بقاءً » .

وكان الدكتور على الرغم من ميله الى التشكك ، رجلاً من طراز الناس الذين لا يتجاهلون اقتراحاً يقدمه اليه زعيم الحرس النازي . ولذا فقد شرع فوراً في سلسلة من اضخم التجارب ، مسجلاً وقائعها للأجيال القادمة بكل ما فيها من دقائق وتفصيل . ولقد جيء له في داخاو بأربع نزيلات من معتقل النساء في رافنزبروك . ولكنه قد اطلع على ما كتب عنهن بأنهن من الداعرات لم يعجبنه ، فكتب الى رؤسائه يقول :

« أظهرت احدى النساء ، خصائص « نوردية » لا يشك فيها

مطلقاً ... وقد سألت الفتاة عن السبب الذي دعاها للتطوع لمهنة الدعارة فردّت قائلة :

« لأخرج من معسكر الاعتقال » . وعندما اعترضت على قولها ذاكراً ان من العار ان تتطوع كداعرة،ردت قائلة بأن قضاء نصف سنة في مواخير الدعارة خير من قضاء المدة نفسها في المعتقل ... »

« وقد ثار ضميري العنصري ، على فكرة تعريض فتاة من عنصر نوردي نقي الى عناصر ادنى منها عرقياً في المعتقلات .. ولهذا فأنا ارفض استخدام هذه الفتاة في تجاربي .. » [1]

ولكنه استخدم غيرها من الفتيات اللاتي لا يتميزن بالشعر الأشقر والعيون الزرق . وقد بعث بالنتائج التي توصل اليها الى هملر في تقرير « سري » مؤرخ في الثامن عشر من شباط عام ١٩٤٢ : [2]

« عرضنا الفتيات اللاتي سيكنّ موضع التجربة الى الزمهرير بالطريقة المألوفة وهن عرايا أو غير عرايا ، وفي الماء البارد وفي مختلف درجات الحرارة . وتولينا رفعهن من الماء في درجة حرارة شرجية تبلغ (٨٦) درجة .

« وكنا نضع في ثماني حالات الفتاة التي تجري التجربة عليها بين امرأتين عاريتين على سرير واسع . وكنا نصدر التعليمات اليهما بأن تلتصقا بالمرأة المتجمدة ، الى أقرب حد ممكن . ثم نغطي الفتيات الثلاث بالبطانيات .

« وعندما تصحو المرأة المتجمدة من غيبوبتها ، كانت فوراً تشد في اتصالها بالفتاتين العاريتين المستلقيتين الى جوارها . وسرعان ما كانت حرارة جسمها ترتفع تقريباً بنفس السرعة التي ترتفع فيها

---

١ ـ رسالة هملر واحتجاج راشر ... القضية الاولى .

٢ ـ وثائق القضية الاولى ص ١٦١٦ . اما الترجمة الانكليزية في « المؤامرة النازية والعدوان » فمختصرة جدا ولا تصلح .

حرارة الجسم عندما يفرك « بالبطانيات » الصوفية وقد شذت عن هذه القاعدة اربع فتيات وصلن الى درجة « الجماع » الجنسي بين (٨٦) و (٥ و ٨٩) فهرنهايت . وعلى اثر انتهـــاء (الجماع) ارتفعت درجة الحرارة عند هاته الفتيات بسرعة تضاهي ارتفاعها إثر حمام ساخن » .

ووجد الدكتور راشر وهو مندهش بعض الاندهاش ، ان المرأة الواحدة ، تثير الدفء في رجل متجمد بسرعة اكثر من امرأتين في جواره .. وقال :

« واني لأعزو ذلك الى الحقيقة الواقعة وهي انه لاتقع هناك مع المرأة الواحدة أية روادع شخصية ، بالاضافة الى ان المرأة تشد من التصاقها الى الرجل المتجمد . وهناك كانت عودة الرجل الى الوعي الكامل سريعة للغاية . وفي حالة رجل واحد ليس الا ، لم يعـــد الوعي ، وسجلت درجة منخفضة من الدفء ،وقد مات هذا الرجل وقد ظهرت عليه علائم النزيف التي أثبتها التشريح الطبي اللاحق » .

ولخص ذلك الابتذال الاجرامي فقال ان تدفئة رجل «متجلـّد» عن طريق النساء يسير ببطء وان الحمامات الساخنة اكثر تأثيراً ، فقال منهياً كلامه :

« كانت اجسام الاشخاص الذين تصلح احوالهم الصحية فقط للجماع الجنسي هي التي ينبعث فيها الدفء بسرعة مدهشة ، وكانت تبدي كذلك عودة سريعة الى الطبيعة الصحية العادية » .

وتؤكد الشهادات التي قدمت في « قضيـــة الاطباء » ان نحواً من اربعمائة تجربة في التجمّد قد أجريت على نحو من ثلاثمائة شخص مات منهم مباشرة مـا تتراوح نسبته بين الثمانين والتسعين في المائة ، بينما قتل الباقون منهم بالرصاص في النهـــاية ، لا سيما وقد أصيب بعضهم بالجنون . ولم يكن الدكتور راشر نفسه شاهداً في القضية . فلقد واصل تجاربه الاجرامية في عدة نواحٍ واتجاهـــات لا يمكن حصرها حتى ايار عام ١٩٤٤ ، عندما اعتقله الحرس النازي مع زوجته ، لا بسبب « تجاربه » القاتلة كما يبدو بل بتهمة التضليل في رواية الطريقة التي جاء

فيها اطفالها الى الحياة. ولم يكن في وسع هملر، وهو الذي يعبد الأمومة الألمانية، ان يتساهل في مثل هذه التهمة، وكان قد صدق بأن السيدة راشر قد بدأت بانجاب الاطفال وهي في الثامنة والاربعين من عمرها، ولذا فقد اشتدت ثورته عندما عرف بأنها قد خطفت هؤلاء الاطفال. وهكذا أودع الدكتور راشر في القسم السياسي من معسكر داخاو الذي شهد نشاطه، وأودعت زوجته في معتقل رافنزبروك الذي كان زوجها يجمع منه عاهراته لتجارب «التدفئة». ومات الزوجان قبل انتهاء الحرب، ويعتقد بأن هملر نفسه هو الذي أمر بإعدامهما في آخر عمل من اعماله الرسمية. ولو عاشا، لقدما حتماً شهادات غريبة.

وقد عاش عدد من هؤلاء الشهود العجيبين، ليقدموا ما لديهم من معلومات الى المحكمة، وليقفوا متهمين امامها. وقد ادين سبعة منهم وحكم عليهم بالموت ثم شنقوا على الرغم من ادعائهم بأنهم قاموا بتجاربهم القتالة كأعمال وطنية، تفيد وطنهم. وحكم على الدكتورة هيرتا اوبرهيوز، وهي المتهمة الوحيدة في «قضية الاطباء» بالسجن عشرين عاماً. فقد اعترفت بأنها ضربت «ابرأ قتالة لخمس أو ست من النساء البولنديات اللاتي عانين مع مئات غيرهن من العذاب في عدد من التجارب اللعينة في معتقل رافنز بروك. وبرئت ساحة عدد من الاطباء وبينهم الدكتور الشرير بوكورني الذي اراد ان يمنع الملايين من الاعداء من التوالد. واظهر عدد قليل منهم التوبة. وطلب الدكتور ادوين كاتزينيليبوغن وهو استاذ سابق في كلية الطب في جامعة هارفرد، في محاكمة ثانية جرت للاطباء الثانويين، من هيئة المحكمة، انزال عقوبة الاعدام به، اذ هتف صارخاً «لقد وسمتموني بسمة قابيل على هامتي، وكل طبيب ارتكب الجرائم التي تتهمونني بها يستحق الموت». ولكن المحكمة لم تنفذ له رغبته وانما قضت عليه بالسجن مدى الحياة ليس إلا. [1]

---

١ ـ كتاب «اطباء العار للدكتور اليكساندر ميتشرليش وفريد ميلكي ص ١٤٦ ـ ١٧٠. وفي هذا الكتاب تلخيص ممتاز «لمحاكمة الاطباء». وكان ميتشرليش رئيسا للجنة الاطباء الالمان في المحاكمة.

موت هايدريش ونهاية قرية ليديس

نزلت بسادة النظام الجديد من قطاع الطرق اثناء الحرب ، حادثة اعتبرت نوعاً من القصاص ، على ما قاموا به من مذابح عند الشعوب المحتلة . فقد واجه رينهارد هايدريش ، رئيس الشرطة الخاص والمكتب الخاص ، ونائب رئيس الفستابو ، والشرطي المجرم ذو الانف الطويل ، والعينين الجامدتين البالغ الثامنة والثلاثين من عمره ، وصاحب النزعات الجهنمية وخالق فكرة «الحل الاخير» ، نهاية عنيفة للغاية .

كان هذا الرجل تواقاً للمزيد من السلطان ، وكان يتآمر سرياً على رئيسه هتلر ولذا فقد رتب امره ، ليختار بالاضافة الى مناصبه الاخرى ، حامياً بالنيابة لبوهيميا ومورافيا . فلقد اصدر هتلر امره.في ايلول عام ١٩٤١ بمنح نوراث العجوز المسكين،وحامي القاطعتين اجازة مرضية طويلة وغير محدودة، ليحل محله هايدريش في المركز القديم للملوك البوهيميين في قصر هرادشين في براغ . ولكن مدة اقامته في هذا القصر لم يقدر لها ان تطول .

فبينما كان هايدريش يستقل في صباح التاسع والعشرين من ايار عام ١٩٤٢ ، سيارته «المرسيدس» الرياضية المكشوفة من دارته الريفية الى القصر في براغ ، ألقيت عليه قنبلة بريطانية الصنع ، نسفت السيارة ومزقتها كما حطمت عموده الفقري . وقد قذف بها تشيكوسلوفاكيان هما جان كوبيس وجوزيف غابيك ، وهما من رجال الجيش التشيكوسلوفاكي الحرّ في انكلترا ، وقد انزلتهما بالمظلات طائرة من طائرات السلاح الجوي البريطاني ، وكانا مجهّزين بكافة المعدات اللازمة للقيام بمهمتهما ، ولذا تمكنا من الاختفاء تحت

ستار من الدخان وعـــثرا على الملجأ عنـــد رهبان دير كارل بروميوس في براغ .

ومات هايدريش متأثراً بجراحه في الرابع من حزيران . وسرعان ما تلت موته بجزرة مريعة ، اذ شرع الألمان يثأرون على طريقة الطقوس التيوتونيـة القديمة لبطلهم . ويقول احد تقارير الغستابو ان (١,٣٣١) تشيكياً بينهم (٢٠١) من النساء اعدموا فوراً [١]. وحوصر القاتلان الفعليان مع (١٢٠) آخرين من رجال المقاومة التشيكية والمختفين في الدير ، اذ طوقته قوات الحرس النازي ، وقتلتهم جميعاً عن بكرة ابيهم . [٢] ولحقت العقوبة على هذا التحدي بالجميع وبينهم اليهود بالطبع . فقد نقل ثلاثة آلاف منهم من معزل « ثيريسينستادت » الممتاز ونقلوا الى الشرق لإبادتهم هناك . واعتقل غوبلز يوم انفجار القنبلة خمسمائة ممن تبقى من اليهود في برلين واعدم يوم موت هايدريش (١٥٢) منهم كعمل ثأري .

لكن العالم المتحضر ، سيظل يذكر اول ما يـــذكر ، كنتيجة لاغتيال هايدريش ، المصير الذي حل بقرية ليديس الصغيرة القريبـــة من كلادنو مدينة المناجم ، والتي لا تبعد كثـــيراً عن براغ ، فلقد وقع في هـــذه القرية الريفية الصغيرة الوادعة ، من الوحشية الرهيبة ما لا مثيل له . لا لسبب آخر سوى تقديم الدليل الى شعب محتل عما يقع له اذا جرؤ فاعتدى على حياة أحد مستعبديه.

ففي ساعات الصباح البـــاكر من التاسع من حزيران ١٩٤٢ ، وصلت

---

١ ـ نشرة مكتبة وينر ـ ١٩٥١ . (٥) ص ١ ـ ٢ ونقل الرواية ريتلينغر في كتابه «الحرس النازي » ص ٢١٦ .

٢ ـ يقول شيلينبرغ الذي كان هناك ، ان الغستابو لم تعرف قط ان القاتلين الحقيقيين كانا بين الذين قتلوا في الدير . (شيلينبرغ ـ مسالك الجن ـ ص ٢٩٢) .

عشر شاحنات من قوات الأمن الألمانيـــة يقودها الرئيس ماكس روستوك [1] الى قرية ليديس وطوقتها . ولم يسمح لانسان بمغادرة القرية على الرغم من السماح لكل من كان يعيش فيها ، وصادف وجوده عند التطويق خارجهـا ، بالعودة اليها وحاول صبي في الثامنة عشرة من عمره ، من جراء ما اصابه من هلع، الفرار من القرية ، ولكنه قتل فوراً باطلاق النار عليه . وحاولت امرأة فلاحة الفرار الى الحقول الفسيحة ، فاطلقت النار على ظهرها وقتلت . واحتجز جميع أهـل القرية من الذكور في صوامع الغلال والاسطبلات وفي مخزن فلاح يدعى هوراك كان مختاراً للقرية .

وعندما اطل فجر اليوم التالي ، كانوا ينقلون الى الحديقة القائمة وراء المخزن في جماعات تضم الواحدة منها عشرة اشخاص ، حيث تتولى فصائل من شرطـة الأمن اعدامهم بالرصاص ، وظل العمل مستمراً حتى الرابعـــة مساء ، حيث اعدم (١٧٢) شخصاً كلهم من الرجال والفتيان الذين يتجاوزون السادسة عشرة من اعمارهم . واعتقل تسعة عشر رجلاً آخرين من اهل القرية كانوا يعملون في منجم كلادنو اثناء المجزرة ، فيما بعد واعدموا في براغ .

ونقلت سبع نساء من اهل ليديس الى براغ ، حيث تم اعدامهن هناك . اما بقية نساء القرية ويبلغ عددهن(١٩٥) فقد نقلن الى معتقل رافنزبروك في المانيا، حيث اعدمت سبع منهن بالغاز ، واختفت ثلاث ، وماتت اثنتان واربعون من سوء المعاملة ، ونقلت اربعـــة من نساء ليديس كن على وشك الوضع الى مستشفى للولادة في براغ ، حيث قتل اطفالهن ثم نقلن بعد ذلك الى رافنزبروك.

ولم يبق أمام الألمان الا التخلص من اطفال القرية الذين اصبح آباؤهم في عداد الموتى وغدت امهاتهم نزيلات المعتقل وأرى لزاماً علي ان أقول ان الألمانـ لم يقتلوهم بالرصـــاص حتى الذكور منهم . فقــد نقلوا الى معتقل في غنيزناو وكان عـــددهم تسعين طفلاً ، فاختار خـــبراء هملر في الشؤونـ العنصرية سبعة منهم لم يكملوا سنة واحدة من العمر بعد ، وارسلوا الى المانيـــا لينشأوا

---

١ ـ نفذ فيه حكم الاعدام شنقا في براغ في آب عام ١٩٥١ .

فيها نشأة المانية وبأسماء المانية . وسرعان ما تم التخلص من الباقين على هـذا النحو ايضاً .

وذكرت الحكومة التشيكوسلوفاكية في تقريرها الرسمي الذي قدمته الى محكمة نورمبرغ ان كل اثر لهؤلاء قد فقد .

ولقد عثر على بعض هؤلاء لحسن الحظ فيما بعد . واني لأذكر انني في خريف عام ١٩٤٥ ، قرأت نداءات مؤثرة في الصحف الألمانية التي يسيطر عليها الحلفاء وجهتها بعض الامهات العائشات من أهل ليديس يتوسلن فيها الى الشعب الألماني مساعدتهن في العثور على اطفالهن وارسالهم اليهن . [١]

وتم بالفعل محو قرية ليديس من الوجود ، فبعد ان تم قتل الذكور من أهلها ، ونقل النساء والاطفال منها ، قامت شرطة الأمن بإحراقها ، ونسفت مبانيها ثم أزالت آثارها .

وعلى الرغم من ان ليديس غدت ذات شهرة كنموذج على الوحشية الألمانية ، إلا انها لم تكن القرية الوحيدة في البلاد التي تحتلها المانيا والتي عانت مثل هذه النهاية الوحشية . فهناك قرية اخرى في تشيكوسلوفاكيا عانت نفس المصير هي قرية ليزهاكي كما ان هناك قرية اخرى كثيرة في بولندة وروسيا واليونان ويوغوسلافيا . وكرر الألمان حتى في الغرب ، حيث كان النظام الجديد أقل شراسة ووحشية نسبياً ما فعلوه في ليديس ، اذ كانوا ، كما وقع في قرية تيليفاغ النروجية مثلاً ، يبعثون بأهل القرى من رجال ونساء واطفال الى المعتقلات المختلفة ، بعد ان يزيلوا هذه القرى من الوجود ويحيلوها الى تراب .

ولكن مجزرة بشرية اخرى وقعت في العاشر من حزيران عام ١٩٤٤ أي بعد نحو من عامين من مجزرة ليديس في قرية اورادور (على نهر غلين) الفرنسية القريبة من ليموج

---

١ ـ قدمت وكالة اللاجئين الدولية التابعة للامم المتحدة في الثامن من نيسان عام ١٩٤٧ تقريرا يقول انه عثر على سبعة عشر منهم في بافاريا وقد ارسلوا الى امهاتهم في تشيكوسلوفاكيا.

فلقد طوق فصيل من فرقة الحرس النازي المسماة «هذا الرايخ» والتي نالت شهرة واسعة في روسيا بفظائعها ان لم يكن ببسالتها، القرية الفرنسية، وطلب الى اهلها التجمع في ساحة القرية العامة ، وهناك تولى القائد ابلاغ الاهلين ، الى معلومات وصلت الى السلطات عن اخفاء بعض المتفجرات في القرية ، وان السلطات ستقوم بالتثبت من الهويات والبحث في القرية عن بعض الامور . وعلى الاثر احتجز اهل القرية وعددهم (٦٥٢) شخصاً ونقل رجالها الى صوامع الغلال ومخازنها ، بينما نقلت النساء والاطفال الى الكنيسة . وسرعان ما اشعلت النار في القرية كلها . وانتقل الجنود الألمان بعد ذلك الى العمل مع الاهلين . فالرجال الذين لم تأكلهم النيران في الصوامع والمخازن قتلوا بنيران المدافع الرشاشة. واطلقت النيران ايضاً على النساء والاطفال في الكنيسة، واكلت النار من بقي منهم حياً ، عندما اشعل الجنود النار في الكنيسة . وعثر مطران ليموج بعد ثلاثة ايام على جثة خمسة عشر طفلاً وقد تفحمت في كومة واحدة وراء المذبح الذي اكلته النيران .

وقد اثبتت محكمة عسكرية فرنسية بعد تسع سنوات في عام ١٩٥٣ ، ان (٦٤٢) شخصاً من اهل اورادور قد ابيدوا في المجزرة بينهم (٢٤٥) امرأة و(٢٩٧) من الاطفال و(١٩٠) رجلاً. ولم يبق من اهلها على قيد الحياة الا عشرة اشخاص . فلقد تحدى هؤلاء الموت على الرغم من اصابتهم بحروق بالغة . وظلوا على قيد الحياة . [1]

ولم تعد اورادور شأنها في ذلك شأن ليديس الى الوجود. وظلت ركام القريتين تمثالاً حياً على نظام هتلر الجديد في اوروبا . وتقف الكنيسة المهدمة في ذلك الجو

---

١ - قضت المحكمة على عشرين رجلا من فوج الحرس النازي بالاعدام ، ونفذ الحكم في اثنين منهم أما الباقون فقد خفض الحكم عليهم الى السجن مددا تتراوح بين خمس سنوات واثنتي عشرة سنة . وحكم على قائد فرقة « هذا الرايخ » اللواء هانز لاميردينغ بالاعدام غيابيا. ولم يعثر على الرجل كما اعرف . أما القائد الفعلي للفرقة الرائد اوتو ديكمان ، فقد قتل في الحرب في معركة نورماندیا بعد بضعة ايام .

الريفي المحيط بها ، تذكرة دائمة لذلك اليوم الجميل من ايام حزيران ، قبل الحصاد ، عندما توقفت القرية وأهلها عن الوجود . وهناك لوحة تقف في المكان الذي كانت فيه احدى النوافذ وقد كتب عليها : فرّت السيدة روفانس ، من هذه النافذة . وكانت السيدة الوحيدة التي ظلت على قيد الحياة » . وامام هذه اللوحة تمثال صغير للسيد المسيح وقد ثبت الى صليب حديدي علاه الصدأ .

هكذا كانت طلائع نظام هتلر الجديد . وهكذا تجلت امبراطورية قطاع الطرق التي اقامها النازيون في اوروبا ومن حسن حظ البشرية ان هذه الامبراطورية قد تحطمت في طفولتها ، لا عن طريق ثورة قام بها الشعب الألماني ضد هذه العودة الى البربرية بل عن طريق هزيمة السلاح الألماني وما تلاها من انهيار الرايخ الثالث . وهي الهزيمة التي سنتولى سرد قصتها في الفصول الباقية من هذا الكتاب

٢٨

سقوط موسوليني

كان الألمان طيلة السنوات الثلاث الأولى المتعاقبة من الحرب ، هم الذين يشرعون كلما حل الصيف ، في الهجوم الضخم ، على القارة الأوروبية . أما الآن وعندما حل عام ١٩٤٣ ، فقد انقلبت الآية .

وكان من الواضح ،عندما اتمت جيوش الفريق ايزنهاور الانكلو - امريكية ، أسر ما تبقى من قوات المحور في تونس في مستهل ايار من ذلك العام ، قاضية على ما كان في يوم ما جيشاً ضخماً في افريقيا الشمالية ، ان هذه الجيوش الظافرة ، ستتجه الآن الى ايطاليا نفسها . وكان هذا التوقع هو الكابوس الضخم الذي تسلط على موسوليني وعذّبه في ايلول عام ١٩٣٩ ، والذي حمله على تأجيل دخول ايطاليا الحرب ، الى ان كان الألمان قد اتموا احتلال جارتها فرنسا ، والى ان كانت الحملة البريطانية قد دحرت الى ما وراء القناة الانكليزية . وقد عاد الكابوس الآن الى الظهور ولكنه اخذ يتحول الآن الى واقع .

وكان موسوليني نفسه مريضاً ، فقد طاشت احلامه ، وأحس بالهلع والخوف وقد انتشرت الروح الانهزامية لدى شعبه وفي القوات المسلحة ايضاً . ووقعت حركات اضراب عامة في ميلان وبورين ، حيث تظاهر العمال الجياع يطلبون « الخبز والسلام والحرية » . وبدأ النظام الفاشي الفاسد والحقير في الانهيار

بسرعة ، وعندما اقيل الكونت شيانو في مستهل العام من منصبه كوزير للخارجية ، وأوفد الى الفاتيكان كسفير فيها ، شك الألمان في انه قد أوفد الى هناك للتفاوض لعقد صلح منفرد مع الحلفاء ، وهو ما كان يدعو اليه ايضاً انطونسكو الديكتاتور الروماني .

وكان موسوليني يمطر هتلر منذ اشهر بالنداءات المتوالية ، يطلب اليه فيها ان يعقد الصلح مع ستالين ، ليتمكن من سحب جيوشه الى الغرب لإقامة دفاع مشترك مع الايطاليين ضد التهديد المتزايد للقوات الانكليزية – الامريكية في البحر المتوسط ، وتلك القوات التي اعتقد انها تحتشد الآن في انكلترا للقيام بغزو عبر القناة . وادرك هتلر ان الوقت قد حان لعقد اجتماع مع موسوليني لتقوية عزائم شريكه المترنح ، والشد من أزره. وتم اعداد العدة لعقد الاجتماع في السابع من نيسان عام ١٩٤٣ في سالزبرغ ، وعلى الرغم من ان الدوتشي وصل الى مكان الاجتماع هذه المرة وقد عقد عزيمته على ان يفعل اخيراً ما يريد أو يقول ما يشاء على الأقل ، إلا انه أذعن ثانية لإرادة الفوهرر واستسلم للسيل المنهمر من كلماته . وقد وصف هتلر فيما بعد نجاحه هذا الى غوبلز الذي دوّنه في يومياته على النحو التالي :

« نجح هتلر عن طريق بذل كل نقطة من الجهد في اعادة موسوليني الى الطريق ... وقد مر الدوتشي بتبدل كامل في هذه الفترة . وعندما خرج من قطاره عند وصوله ، ظن الفوهرر انه يبدو كرجل عجوز محطم ، ولكنه عندما غادر سالزبرغ بعد اربعة ايام كان في حالة معنوية رائعة وعلى استعداد للقيام بأي عمل » [1]

ولكن موسوليني لم يكن في الحقيقة على استعداد للاحداث التي توالت عليه الآن بسرعة متلاحقة . فما كاد الحلفاء يكملون احتلال تونس في شهر ايار حتى قاموا بحركة نزول ناجحة في صقلية في العاشر من تموز . ولم يكن الايطاليون

---

١ – يوميات غوبلز ص ٣٥٢

راغبين في القتال في وطنهم . وسرعان ما وصلت الانباء الى هتلر بأن الجيش الايطالي في « حالة انهيار » وهو الوصف الذي نقله الى مستشاريه في القيادة العامة للقوات المسلحة ، عندما عقد معهم مؤتمراً عسكرياً في السابع عشر من تموز ... إذ قال :

« ليس ثمة من أمل في انقاذ البلاد إلا بإتباع اجراءات وحشية كالتي طبقها ستالين في عام ١٩٤١ أو الفرنسيون في عام ١٩١٧ . ومن الواجب اقامة محكمة عسكرية في ايطاليا للخلاص من العناصر غير المرغوب فيها »[١]

وعاد فاستدعى موسوليني مرة ثانية للبحث في الموضوع وعقد الاجتماع في فيلتري في شمال ايطاليا في التاسع عشر من تموز . وكان هذا المؤتمر الثالث عشر الذي يعقده الديكتاتوران ، وكان على غرار المؤتمرات الأخيرة السابقة . وتولى هتلر زمام الحديث معظم الوقت ، وظل موسوليني يصغي اليه ثلاث ساعات قبل الغداء وساعتين بعده . وحاول الزعيم الألماني المتعصب دون كبير نجاح ، ايقاد الروح المعنوية في صديقه وحليفه الكثير التوجع . وقال له ان الواجب يحتم عليهما المضي في الحرب في جميع الجبهات . وأضاف انهما لا يستطيعان ان يتركا مهمتهما « للجيل القادم » فما زال « صوت التاريخ » يدعوهما . واكد ان في الامكان الحفاظ على صقلية وايطاليا ، اذا قاتل الايطاليون قتالاً صادقاً . وستكون هناك نجدات المانية اخرى لمساعدتهم . وذكر لحليفه ان ثمة غواصة جديدة ستنزل الى البحر عما قريب ، وستوجه الى البريطانيين ضربة كضربة « ستالينغراد » .

ووجد الدكتور شميدت ان الجو الذي أحاط بالاجتماع ظل على الرغم من وعود هتلر وتبجحاته ، باعثاً على القنوط . وكان موسوليني قد بلغ حداً من الاجهاد جعله عاجزاً عن متابعة خطب صديقه النارية ، وطلب اخيراً من شميدت

---

١ ــ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٣) ص ٦١ .

تزويده بملاحظاته . واشتد يأس الدوتشي عندما وصلته اثناء الاجتماع اولى انباء الغارات الجوية النهارية على مدينة رومة [1] .

وهكذا وصل بنيتو موسوليني المتعب والذي اجهدته الشيخوخة على الرغم من انه لم يتجاوز الستين ، والذي ظل يتبختر على المسرح الأوروبي اكثر من حقبتين ، الى نهاية مطافه . وعندما عاد الى رومة وجد ان الحالة أسوأ مما توقعه نتيجة الغارة العنيفة الأولى . فقد واجه ثورة من اقرب اخدانه في قيادة الحزب الفاشي حتى من صهره شيانو . وكانت هناك مؤامرة وراء هـذه الثورة ضمّت حلقة اوسع مدى ووصلت الى الملك نفسه للاطاحة به وبعهده .

وكان الزعماء الفاشيون الثائرون يقودهم دينوغراندي (Dino Grandi) وغيوسيب بوتّاي (Giuseppe Bottai) وشيانو يطالبون بعقد المجلس الفاشي الاعلى الذي لم يكن قد اجتمع منذ كانون الأول عام ١٩٣٩ والذي كان دائماً « يبصم » تمام البصم ما يريده الدوتشي منه. واجتمع المجلس ليلة الرابع والعشرين الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٤٣ ، ووجد موسوليني نفسه لأول مرة منذ تولى الديكتاتورية هدف نقد عنيف بالنسبة الى الكارثة التي قاد البلاد اليهـا واتخذ المجلس قراراً بأغلبية (١٩) مقابل (٨) يطلب إعادة الملكية الدستورية على ان يقوم الى جانبها برلمان ديموقراطي . وطالب القرار ايضاً بإعادة القيادة العامة للقوات المسلحة الى الملك نفسه .

ويبدو ان الثائرين الفاشيين ، اذا ما استثنينا غراندي علـى الغالب ، لم يكونوا يفكرون مطلقاً في المضي الى ابعد من هذا . ولكن كانت هناك مؤامرة أخرى اكثر اتساعاً يشترك فيها عدد من القادة العسكريين والملك ، وقد قفزت الآن الى عالم الوجود . ويبدو ان موسوليني نفسه قد تصور بأنه تمكن من التغلب

---

١ ـ توجد الوقائع الايطالية عن اجتماع فيلتري في كتاب « هتلر وموسوليني » ص ١٦٥ ـ ١٩٠ وكذلك في نشرة وزارة الخارجية الامريكية الصادرة في السادس من تشرين الاول عام ١٩٤٦ ص ٦٠٧ ـ ٦١٤ . و ص ٦٣٩ . ويروي الدكتور شميدت وصفه للاجتماع في كتابه « ترجمان هتلر » ص ٢٦٢ .

على العاصفة ، اذ ان القرارات في ايطاليا لم تكن تتخذ على أي حال بأغلبية الاصوات في المجلس الأعلى ، بل من الدوتشي نفسه ، وقد بوغت اشد مباغتة ، عندما استدعي مساء الخامس والعشرين من تموز الى القصر الملكي لمقابلة الملك ، الذي اقاله فجأة وبحزم من منصبه ثم امر باعتقاله في عربة اسعاف تولت نقله الى مركز للشرطة [١] .

وهكذا هوى القيصر الروماني الحديث ، وسقط سقوطاً معيباً ، أجل لقد سقط رجل القرن العشرين المتميّز بروحه المشاكسة ، والذي عرف كيف يستغل ما في هذا القرن من اضطرابات ومن يأس ،والذي اخفى وراء هذا المظهر الزاهي كياناً لا يعدو نشارة الخشب . ولم يكن موسوليني كإنسان مفتقراً الى الذكاء . فلقد كان واسع الاطلاع على التاريخ ، وكان يظن انه قد وعى عبره ودروسه . ولكنه كديكتاتور طاغية ارتكب خطيئة قاتلة بأن حاول ان يجعل من بلاده وهي مفتقرة الى جميع الموارد الصناعية ، دولة عسكرية واستعمارية كبرى ، لا سيما وان شعبها على النقيض من الشعب الألماني كان مغرقاً الى حد الغلو في حياة الحضارة الوادعة وفي ادعاء الفلسفة والعلم ، وكان غارقاً الى درجة هائلة في الاستكانة بحيث لا تجتذبه المطامح الطائشة . ولم يكن الشعب الايطالي على النقيض من الشعب الألماني قد اعتنق الفاشية اعتناقاً قوياً من جماع عواطفه . بل كان يحتملها على مضض على اعتبار انها مرحلة عابرة . ويبدو ان موسوليني قد

---

١ ـ كتب موسوليني فيما بعد يصف حالته العقلية عندما مضى الى القصر ... يقول : « كنت دائما خالي التفكير من اية شكوك . » ولكن الملك فكتور عمانوئيل ، سرعان ما حمله على الهبوط من اجواء الاوهام التي كان فيها ... ويروي موسوليني ان الملك قال له في بداية الامر ... « عزيزي الدوتشي .. لقد انتهى كل شيء . وها هي ايطاليا تمضي مزقاً الآن ... فالجنود لا يريدون ان يقاتلوا ابدا ... وقد غدوت الآن اكثر شخص تكرهه ايطاليا .. »

ويقول موسوليني انه رد قائلا .. « انك تتخذ قرارا من اخطر القرارات . » ولكنه لم يحاول ، كما روى هو نفسه ان يحمل الملك على تغيير رأيه ، وانهى كلامه متمنيا «حظا سعيدا» لخلفه (مذكرات موسوليني ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ . ص ٨٠ ـ ٨١) .

أدرك في النهاية هذه الحقيقة، ولكنه شأنه في ذلك شأن الديكتاتوريين الآخرين، قد استهواه السلطان وخدعه، وأدى في النهاية الى افساده، متلفاً فكره ومسمماً سداد رأيه. وقد طوّح به ذلك الى ارتكاب خطيئته الثانية القتالة، وهي تجربة حظه، وربطه مع حظوظ بلاده الى عجلة الرايخ الثالث. وعندما بدأ الجرس يقرع معلناً نهاية المانية هتلر، شرع في الوقت نفسه يعلن نهاية ايطالية موسوليني، ولم يحل صيف عام ١٩٤٣ حتى كان الزعيم الايطالي قد اصغى الى صوتـــه. ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً ليتجنب مصيره. فلقد بات الآن أسير هتلر.

ولم تطلق رصاصة واحدة حتى من المتطوعة الفاشية لإنقاذه. ولم يرتفع صوت واحد دفاعاً عنه. وبدا أن أي انسان لم يكترث بمصيره المهين، وطبيعة الشكل الذي مضى فيه اذ انتقل من حضرة الملك الى السجن في عربة اسعاف. بل على النقيض كان ثمة شعور غامر بالفرح لسقوطه. وانهارت الفاشية ايضـــاً بنفس السهولة التي انهار فيها مؤسسها. والف المشير بيتروبادوليو (Pietro Badoglio) حكومة لاحزبية من القادة العسكريين وكبار الموظفين. وقام الرئيس الجديد بحل الحزب الفاشي وأقيل كبار الفاشيين من مراكزهم الحساسة، واطلق سراح جميع مناهضي الفاشية.

وفي وسع المرء ان يتصور ما ساد مقر قيادة هتلر من رد فعل بالنسبة الى انباء سقوط موسوليني. ولكننا لسنا في حاجة الى التصور، اذ ان التقارير السرية حاشدة تماماً بالحديث عن رد الفعل هذا[1]. لقد اصاب النبأ الجميع بما يشبه الصاعقة، وسرعان ما اتضح ان ثمة احداثاً مماثلة قد تقع، واضطرب الدكتور غوبلز خشية من ان يكون هذا الحادث الذي وقع في رومة، سابقة قد تحتذى في اكثر من مكان، ولذا فقد استدعي على جناح السرعة الى مقر قيادة الفوهرر

---

١ ـ المصدر الرئيسي هو السجلات المختزلة لمؤتمرات هتلر في مقر قيادته في الجبهة الشرقية في ٢٥ و ٢٦ تموز، المجموعة في كتاب « هتلر يوجه حربه » لفليكس جيلبرت Felix Gilbert ص ٢٩ ـ ٧١ وكذلك يوميات غوبلز ص ٤٠٣ ـ ٤٢١ ومؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية من اعداد امير البحر دونيتز القائد الجديد للاسطول الالماني.

في راستنبرغ في السادس والعشرين من تموز. وقد اتجه تفكير وزير الدعاية، أول ما اتجه ، كما نعرف اليوم من يومياته ،الى الطريقة التي يوضح فيها سقوط موسوليني الى الشعب الألماني ، وراح يسأل نفسه : « ترى مـــاذا سنقول للشعب على أي حال ؟ » . وقرر ان يكتفي بالقول للشعب الألماني في هذه الفترة بأن الدوتشي قد استقال « لاسباب صحية » . ودوّن في يومياته يقول :

« وقد تؤدي معرفة هذه الاحداث الى تشجيع بعض العناصر الهدامة في المانيا على الظن بأن في وسعها ان تقوم هنا بشيء مما قام به بادوليو واخوانه في رومة . وقد أصدر الفوهرر أوامره الى هملر ، باتخـاذ أشد الاجراءات البوليسية ، لضمان عدم وقوع شيء من هذا النوع هنا ، وعدم ظهور مثل هذا الخطر » .

وأضاف غوبلز ان هتلر، على أي حال، لم ير ان الخطر ماثل في المانيا بشكل قريب . وعاد وزير الدعاية فهدأ من قلقه ، مؤكداً لنفسه بأن الشعب الالماني لن « يرى في ازمة رومة سابقة تحتذى » .

ولقد بوغت هتلر بهذه الأنباء مباغتة تامـــة عندما بدأت تتوارد على الآلة الطابعة البعيدة المدى ، على مقر قيادته بعد ظهر الخامس والعشرين من تموز على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي انه كان قد لاحظ دلائل انهيـــار موسوليني في اجتماعها الأخير قبل اسبوعين . وكان أول نبأ وصله، هو ان المجلس الفاشي الأعلى قد اجتمع ، دون ان يدري سبباً لاجتماعه هذا . وراح يسأل رفاقه : « ترى ما الفائدة من مثل هذا المجلس ؟ ومـــاذا يصنع اعضاؤه سوى ان يثرثروا ويهذوا ؟ »

وتأكدت أسوأ مخاوفه في ذلك المساء . وراح يعلن لمستشاريه العسكريين الذاهلين الذين دعاهم الى اجتماع عسكري بدأ في التاسعة والنصف مساء بقوله : « لقد استقال الدوتشي ، وقد تولى الحكم بادوليو ، عدونا اللدود » .

وهكذا كان رد فعل هتلر في هذه المرة الوحيدة من أوقات الحرب المتأخرة،

شبيهاً في اناته وسلامة حكمه ، بردود فعله السابقة في الأزمات الأولى التي واجهها في ايامه السابقة والناجحة . وعندما اقترح الفريق يودل انتظار المزيد من التقارير الكاملة من رومة ، أسكته هتلر بقوله :

« قد يكون الانتظار مفيداً ، ولكن علينا ان نبادر الى العمل فوراً . وليس لدي من شك انهم في خيانتهم سيحاولون خداعنا بتأكيد ولائهم لنا ، لكن مثل هذا التأكيد لا يعدو مجرد الخداع.. وعلى الرغم من ان بادليو هذا (ووردت على لسانه هنا بعض كلمات السباب) قد أعلن فور تسلمه الحكم ، انه سيواصل الحرب ، إلا ان اعلانه هذا لا يبدل من واقع الأمر شيئاً . فقد يقولون هذا ، لكن قولهم لا يعدو الخيانة . وسنلعب عين لعبتهم بينما نعد عدتنا لاقتناصهم بضربة واحدة ، والامساك بكل تلك الحثالات » .

كانت هذه هي فكرة هتلر في الوهلة الأولى ، وهي الامساك بكافة الذين أطاحوا بموسوليني واعادة الدوتشي الى الحكم ، ثم مضى يقول :

« وسأبعث برسول خاص الى هناك في الغد يحمل أوامري الى قائد فرقة الرماة الآلية المدرعة الثالثة ، بالزحف فوراً على رومة ، مع كل التفصيلات اللازمة ، لاعتقال جميع اعضاء الحكومة والملك وأفراد الزمرة جميعاً . وعليه قبل كل شيء ان يعتقل ولي العهد ، وان يضع يده على افراد العصابة جميعاً ولا سيما بادوليو واعوانه . وعلينا ان نراقبهم بعد ذلك وهم يذعنون ويخضعون ، ونعد بعد يومين أو ثلاثة ايام انقلاباً ثانياً » .

وعاد هتلر يتطلع الى رئيس دائرة العمليات الحربية في القيادة العليا للقوات المسلحة ويقول :

« اسمع يا يودل .. أعد الأوامر اللازمة .. بأن يزحفوا على رومة بكل ما لديهم من مدافع للهجوم ، وان يعتقلوا الحكومة والملك ،

وجميع اتباعها . انني اريد ولي العهد قبل الجميع .

كايتل – انه اكثر خطورة من الرجل العجوز .

بودينشاتز (فريق في السلاح الجوي) – من الواجب ترتيب أمر الاعتقال بحيث يمكن جمعهم في طائرة تحملهم الى هنا فوراً .

هتلر – أجل .. يجب حملهم في طائرة فوراً ..

بودينشاتز – وعلينا ان لانسمح لبامبينو بأن يضيع في المطار .

وأثير في مؤتمر آخر عقد بعيد منتصف الليل ، موضوع الفاتيكان وما يجب عمله تجاهه . ورد هتلر قائلاً :

« سأدخل الى الفاتيكان فوراً. فهل تعتقدون بأن أمر الفاتيكان يصعب علي ويحيرني؟سنعالج موضوعه فوراً.. فجميع افراد السلك الدبلوماتي موجودون فيه .. يا لهم من حثالات .. سنخرج تلك المجموعة من الخنازير منه .. وقد يكون في وسعنا فيما بعد تقديم الاعتذارات » .

وأصدر هتلر أوامره تلك الليلة ايضاً بحماية الممرات الألبية بين ايطاليا والمانيا وبين فرنسا . وتم فوراً حشد ثماني فرق المانية من فرنسا وجنوب المانيا،وتهيئتها لهذه الغاية ، في مجموعة اطلق عليها اسم مجموعة الجيوش (ب) ، وعهد بقيادتها الى رومل الكثير الحيوية . ودوّن غوبلز في يومياته ، ان تمكن الايطاليين من نسف ما في جبال الألب من انفاق وجسور ، سيؤدي الى قطع مواصلات القوات الألمانية في ايطاليا ، التي يشتبك بعضها في تلك الآونة في معارك عنيفة في صقلية مع جيوش ايزنهاور،وسيمنع عنهاوصول المؤن ، فيستحيل عليها بعد ذلك ان تصمد طويلاً .

ولكن لم يكن في وسع الايطاليين ان يولوا ظهر المجن للألمان بمثل هذه السرعة .

فقد تحتم على بادوليو أولاً الاتصال بالحلفاء للتأكد من قدرته على الحصول على هدفه وعلى مساعدة الحلفاء ضد الفرق الألمانية في ايطاليا . وكان هتلر مصيباً في افتراضه بأن بادوليو سيقوم بمثل هذه الخطوات ، ولكنه لم يدر مطلقاً ان هذه الخطوات ستستغرق كل هذا الوقت الطويل . وقد سيطر هذا الافتراض بالفعل على جميع مناقشات المؤتمر الحربي الذي عقد في مقر قيادة الفوهرر في السابع والعشرين من تموز والذي شهده معظم « الكبار » من اعضاء الحكومة النازية والقوات المسلحة وبينهم غورنغ وغوبلز وهملر وروميل والقائد العام الجديد للبحرية أمير البحر كارل دونيتز ، الذي خلف أمير البحر الأكبر ريدر في شهر كانون الثاني بعد ان هوى هذا من عليائه ، وفقد ثقة الفوهرر [١] . وحث معظم القادة العسكريين بزعامة روميل ، على الأناة والحيطة ، وأكدوا ضرورة التأهب تأهباً كاملاً لكل عمل يزمعون القيام به في ايطاليا ، والتفكير به طويلاً . وأراد هتلر ان يتحرك فوراً حتى ولو عنت حركته سحب بعض الفرق المدرعة المهمة في الجبهة الشرقية ، حيث كان الروس قد شنوا قبل قليل أي في الخامس عشر من تموز أول هجوم لهم في الصيف ، أيام الحرب . ويبدو ان القادة العسكريين قد نجحوا في فرض رأيهم هذه المرة ، وان هتلر قد اقتنع بالامتناع عن العمل. وتقرر في غضون ذلك ، الاسراع بكل ما يتوافر من قوات عبر الألب الى ايطاليا . وراح غوبلز يدوّن في يومياته بعد

---

١ ـ كان هتلر قد جن غضبا على ريدر الذي تولى قيادة الاسطول الالماني منذ عام ١٩٢٨، وذلك بسبب فشل الاسطول في تدمير قوافل الحلفاء المتجهة الى روسيا عبر المنطقة القطبية وبسبب ما منيت به البحرية الالمانية من خسائر هناك . وكان سيد الحرب في انفجار هستيري في مقر قيادته في الاول من كانون الثاني قد أمر بتسريح اسطول البحار البعيدة ، وتحطيم قطعه والافادة من حديده . ووقع شجار عنيف في السادس من كانون الثاني بين هتلر وريدر في مقر قيادته في عش النسر . واتهم هتلر الاسطول بالافتقار الى العمل ، والى الارادة للحرب واحتمال الاخطار . وطلب ريدر على الاثر اعفاءه من قيادته ، فقبلت استقالته رسميا في الثلاثين من كانون الثاني . اما دونيتز القائد الجديد ، فكان قائدا للغواصات ، ولم يكن يعرف الكثير من مشاكل الحرب البحرية على سطح البحار ولذا ركز اهتمامه على حرب الغواصات .

انتهاء هذا الاجتماع العسكري، معرباً عن تشاؤمه من تردد القادة العسكريين .. فقـــال :

« انهم لا يحسبون حساب ما سيفعله العدو . وليس ثمة من شك في ان الانكليز ، لن يصبروا اسبوعاً ، بينما نحن ندرس ونتأهب للعمل » .

ولكن لم يكن ثمة داع لقلقه او قلق هتلر ، فقد انتظر الحلفاء بدل الاسبوع الواحد ستة اسابيع . وكان هتلر في غضون ذلك قد اعـــد خططه ، وحشد القوات اللازمة لتنفيذها .

وكان هتلر بعقله المحموم قد أعد بصورة سريعة هذه الخطط . قبل ان يلتئم عقد المؤتمر الحربي في السابع والعشرين من تموز . وكانت هذه الخطط اربعـــاً أولاها عملية البلوط (Oak) التي تقضي بانقاذ موسوليني على يد البحرية ان كان اسيراً في جزيرة أو على يـــد السلاح الجوي اذا كان سجيناً على اليابسة ، وثانيتها عملية الطالب (Student) وتقضي باحتلال رومة بغتة واعادة حكومة موسوليني،وثالثتها العملية السوداء وتقضي باحتلال ايطاليا كلها عسكرياًورابعتها عملية المحور ، وتقضي بالاستيلاء على الاسطول الايطالي او تدميره . وقد ضمنت الخطتان الاخيرتان في خطة واحدة فيما بعد واطلق عليها اسم « المحور » .

ووقع حادثان في مطلع ايلول عام ١٩٤٣ ، دفعا الفوهرر الى وضع خططه موضع التنفيذ . ففي الثالث من ايلول هبطت قوات الحلفاء في حذاء ايطاليا في الجنوب وصدر في الثامن من ايلول بيان رسمي اعلن توقيع اتفاق الهدنة الذي وقع بصورة سرّية في الثالث من ايلول بين ايطاليا والدول الغربية .

وكان هتلر قد طار في ذلك اليوم الى زبروجة في اوكرانيا محـــاولاً تثبيت الجبهة الألمانية المترنحة هناك ، ولكنه كما روى غوبلز ، كان يحس بشعور غريب من القلق ، وعندما عاد الى مقر قيادته في راستنبرغ في بروسيا الشرقية كانت هناك انباء تنتظره بأن حليفه الاساسي قد خانه وتخلى عنه . ولقد بوغت هتلر

من توقيت هذه الخطوة على الرغم من توقعه لها ومن الاحتياطات التي كان قد اتخذها لمواجهتها ، ولهذا ساد اضطراب شديد مقر القيادة العامة . وسمع الالمان أول ما سمعوا بالهدنة الايطالية من دار الاذاعة البريطانية من لندن ، وعندما تحدث يودل هاتفيــاً من راستنبرغ الى المشير كيسلرنــغ في فراسكاتي القريبة من رومة ، ليسأل قائد الجيوش الألمانية في جنوب ايطاليا عن حقيقة النبأ ، رد هذا بأنه لم يسمع به ابداً وعلى الرغم من ان كيسلرنغ الذي دُمِّرَ مقر قيادته بقنابل الحلفاء في ذلك الصباح ، كان غارقاً الى اذنيه في محاولة جمع القوات اللازمة لمواجهة نزول الحلفاء الجديد في مكان ما في الساحل الغربي ، إلا انه تمكن من التقاط كلمة « المحور » التي عنت وجوب الشروع فوراً في الخطط اللازمة لنزع سلاح الجيش الايطالي واحتلال البلاد .

وظل مركز القوات الألمانية في ايطاليا ووسطها حرجاً يوماً أو يومين كل الحراجة . فهناك خمس فرق ايطالية تواجه فرقتين المانيتين في ضواحي رومة . ولو تحرك اسطول الغزو القوي الذي أمرت قيادة الحلفاء العامـــة بظهوره في نابولي في الثامن من ايلول نحو الشمال ، وانزل قوات غازية على مقربة من العاصمة ، لتعززها قوات المظليين بسرعة ، ولتحتل المطارات القريبة ، كما توقع كيسلرنغ واركان حربه في بداية الامر ، لتغيَّر سير الحرب في ايطاليا ، ولاتجه وجهة مخالفة لما حدث فعلاً ، ولحلت الكارثة النهائية بالرايخ الثالث قبل سنة على الاقل من تاريخ وقوعها . وقد اكد كيسلرنغ فيما بعد ان هتلر والقيادة العليا للقوات المسلحة قد اعتبروا قوته كلها المؤلفة من ثماني فرق ضائعة تماماً [١]. وراح هتلر يبلغ غوبلز بعد يومين ان المانيا اضاعت جنوب ايطاليا وان عليها ان تقيم خطاً جديداً الى الشمال من رومة عبر جبال الابنين .

ولكن قيادة الحلفاء لم تحسن استغلال سيطرتها المطلقة على البحر وهي

---

١ ـ مذكرات المشير كيسلرنغ (لندن ١٩٥٣) ص ١٧٧ و ١٨٤ . وقد طبعت المذكرات في امريكا تحت عنوان « سجل جندي » .

السيطرة التي كانت تسمح لها بإنزال قواتها انـّى شاءت على ساحلي ايطاليا الشرقي والغربي ، كما لم تحسن استغلال تفوقها الجوي الطاغي كما كان الالمان يخشون أشد الخشية . ولم تبذل قيادة ايزنهاور بالاضافة الى ذلك أية محاولات ، لتنسيق العمل مع القوات الايطالية والإفادة منها ، ولا سيما من الفرق الايطالية الخمس الموجودة في ضواحي رومة . ولو فعل ايزنهاور هذا ، كما اكد كيسلرنغ ورئيس اركان حربه الفريق سيغفريد ويستفال فيما بعد ، لبات وضع الالمان يائساً كل اليأس . فلقد كان فوق طاقتهم وامكانهم ، كما اعلنوا ، ان يقاتلوا جيش مونتغومري الزاحف الى الشمال من ناحية « القدم » وان يصدوا قوات غزو الفريق كلارك حينما هبطت من البحر ، وان يعالجوا امر التشكيلات الايطالية المسلحة الضخمة الموجودة بين ظهرانيهم وخلف خطوطهم [1] .

وقد تنفس كل من القائدين الصعداء عندما نزل الجيش الامريكي الخامس الى

---

١ ـ كتاب كيسلرنغ وكتاب سيغفريد ويستفال : (الجيش الالماني في الغرب) ص ١٤٩ ـ ١٥٢ . ويقول الرئيس هاري. س. بوتشر مساعد ايزنهاور البحري ان كلا من رئيسي هيئتي اركان الحرب الامريكية والبريطانية الفريق جورج س. مارشال والمشير السير جون ج. ديل كانا يتذمران من ان ايزنهاور لم يكن يظهر ميلا كافيا الى المبادرة في الزحف الى الامام في ايطاليا. ويشير بوتشر ، مدافعا عن رئيسه ان الافتقار الى وسائل الانزال هو الذي حد من خطط ايزنهاور ، وان القيام بغزو محمول في البحر في الشمال على مقربة من رومة ، كان يجعل العملية بعيدة عن مدى طائرات الحلفاء المقاتلة العاملة من قواعدها في صقلية . ويقول ايزنهاور نفسه . ان الامر قد صدر اليه بعد ان تم احتلال صقلية باعادة سبع فرق اربع امريكية وثلاث بريطانية الى انكلترا استعدادا للغزو عبر القناة الانكليزية مما تركه مفتقرا افتقارا مخيفا الى القوات . ويذكر بوتشر ايضا ان ايزنهاور كان قد وضع خططه في بداية الامر ، لانزال قوات من الجو في مطارات رومة ، لمساعدة الايطاليين في الدفاع عن عاصمتهم ضد الالمان ، ولكن بادوليو ، توسل اليه في اللحظة الاخيرة تأجيل هذه العملية مؤقتا . وقدم الفريق ماكسويل د. تيلور الذي كان قد غامر بنفسه ومضى الى رومة سرا للتشاور مع بادوليو ، تقريرا قال فيه ان انزال فرقة امريكية من الجو في رومة ، عملية انتحارية بسبب قوة الالمان العسكرية وانهزامية الايطاليين (راجع ايزنهاور ـ حملة صليبية في اوروبا ص ١٨٩ وكتاب بوتشر ـ سنواتي الثلاث مع ايزنهاور ص ٤٠٧ ـ ٤٢٥) .

البر لا على مقربة من رومة بل الى الجنوب من نابولي في سـالرنو ، وكذلك عندمـا تقاعس مظليّو الحلفاء عن الظهور فوق مطارات رومة . وتزايد هذا الانفراج عندما استسلمت الفرق الايطالية دون ان تطلق عياراً نارياً واحداً، وتم نزع السلاح منها . وعنت كل هذه التطورات انه بات في وسع الألمان ان يحتفظوا برومة بسهولة ، وان يحتفظوا كذلك بنابولي . واتاح لهم ذلك ان يظلوا مسيطرين على ثلثي ايطاليا ، ولا سيما على المنطقة الصناعية في الشمال التي كان في وسع مصانعها ان تستمر في العمل وانتاج الاسلحة لالمانيا . وهكذا تمكن هتلر بأعجوبة من تلقي جرعة جديدة تعينه على الحياة [١] .

وشعر هتلر بالمرارة من انسحاب ايطاليا من الحرب . وقد وصف هذا العمل لغوبلز الذي استدعي على عجل الى مقر القيادة العليا في راستنبرغ ، بأنه « مثل ضخم من أمثلة أعمال الخنازير » ، لكن سقوط موسوليني حمله على تفهم موقفه تمام التفهم . ودوّن غوبلز في يومياته بتاريخ الحـادي عشر من ايلول يقول : « اتخذ الفوهرر اجراءات نهائية ، لإحباط أي تطور ممـاثل عندنا ، مرة والى الأبد » .

وتمكن غوبلز بعد لأي وطويل امتناع من اقناع هتلر بإذاعة رسالة الى الشعب الالماني عشية العاشر من ايلول ، فقد قال له « ان من حق الشعب ان يستمع الى عبارة تشجيع وعزاء من الزعيم في مثل هذه الاوقات الحرجة ». وعندما تحدث الفوهرر في العاشر من ايلول الى الشعب قال .. بشيء من التحدي :

« ان الأمل في العثور على خونة عندنا يتركز على الجهل التام بطبيعة الدولة الاشتراكية الوطنية . وليس الاعتقاد بإمكان تحقيق يوم في المانيا كالخامس والعشرين من تموز إلا مرتكزاً على وهم مخادع

---

١ ـ تمكن الملك وبادوليو واعضاء الحكومة من الفرار من رومة مما اثار غضب هتلر وسرعان ما وطدوا اقدامهم في الاقسام الجنوبية من ايطاليا التي حررها الحلفاء . وتمكن القسم الاكبر من الاسطول الايطالي ايضا من النجاة والوصول الى مالطة على الرغم من الخطط المعقدة التي رسمها امير البحر دونيتز للقبض عليه او تدميره .

جوهرياً ، وجهل بحقيقة موقفي الشخصي وحقيقة موقف معـاوني السياسيين وقادتي العسكريين من مشيرين وأمراء بحر وفرقاء ».

ولكن سنرى فيما بعد ، انه كان ثمة عدد من القادة العسكريين الألمان وحفنة من الأعوان السياسيين السابقين ، شرعوا الآن من جديد ، مع تزايد النكسات العسكرية ، في التمسك بأفكار خيانية ما لبثت ان ترجمت عندما حل تموز المقبل ، الى عمل اكثر عنفاً ، وان كان أقل نجاحاً من العمل الذي أطاح بموسوليني .

وكان من بين الاجراءات التي لجأ اليها هتلر لإخماد أية خيانة « ناشئة » ، الأمر الذي اصدره بطرد جميع الأمراء الالمان من القوات المسلحة . واعتقل الأمير فيليب هيسي ، الذي عمل في الماضي « ساعي بريد » بين الفوهرر والدوتشي ، والذي ظل يتسكع دائماً على مقربة من مقر قيادة هتلر ، وسلم الى الغستابو لتتصرف بأمره بما عرف عنها من رحمة ولين . وصدر الامر كذلك باعتقال زوجتـه الإميرة مفالدا ، ابنة ملك ايطاليـا ، واودعت مع زوجها معسكرات الاعتقال . ولقـد نجا ملك ايطاليا كزميليه ملكي النروج واليونان من مخالب هتلر الذي سلط نيران حقده وانتقامـه ، على كريمته الاميرة [1] .

* * *

وكرس هتلر الكثير من وقته في المؤتمرات العسكرية اليومية التي كان يعقدها ، طيلة اسابيع عـدة ، على المشكلة التي اقضّت عليه مضجعه ، وهي انقاذ موسوليني . ويذكر القارىء ، الاسم الرمزي « عملية البلوط » الذي كان

---

١ ـ لم يهتم هتلر قط شخصيا بهذه الاميرة . فلقد قال ذات يوم من ايام شهر ايار من ذلك العام لقادته العسكريين في مؤتمر عقده معهم .. « كان علي ان اجلس الى جوار مفالدا .. ولكني ارى ما يهمني من امر مفالدا هذه ؟. ان مداركها ليست من الطراز الذي يأسرك ، بالاضافة الى بشاعة شكلها .» (من السجلات السرية لمؤتمرات هتلر العسكرية اليومية .. كتاب فيلكس جيلبرت ـ هتلر يوجه حربه ـ ص ٣٧) .

قد اطلق على هذه الخطة ، وكان يشار الى موسوليني دائماً في سجلات هـذه المؤتمرات التي عقدها في مقر قيادته بعبارة « الشيء الثمين ». وقد شك الكثيرون من القادة العسكريين ، وحتى غوبلز نفسه ،فيما اذا كان الدوتشي السابق لا يزال يعتبر « شيئاً ثميناً » ولكن هتلر كان لا يزال يحمل هذا الرأي ، وقد أصرّ على وجوب انقاذه.

ولم تكن رغبته منحصرة في اداء جميل لصديقه القديم الذي كان لا يزال يحمل له في قرارة نفسه الكثير من الحب الشخصي ، وانما كان يفكر ايضاً في ان يضع موسوليني على رأس حكومة فاشية جديدة في ايطاليا الشمالية ، تحرر الألمان من متاعب ادارة البلاد وتساعد على حمـاية مواصلاتهم الطويلة التي تنقل العتاد والمؤن من شعب لم يعد صديقاً ، اذ أخذ « الأنصار » المزعجون يظهرون من صفوفه لمحاربة الالمان في مؤخرتهم .

ونقل أمير البحر دونيتز الى هتلر في الاول من آب ، بأن البحرية الالمانية تعتقد بأنهـا تمكنت من العثور على موسوليني في جزيرة فينتوتين . وعندما حلّ منتصف شهر آب كان كلاب صيد هملر ، واثقين من ان الدوتشي موجود في جزيرة اخرى تدعى مادالينا ، تقـع على مقربة من الطرف الشمالي من سردينيا . وأعدت خطط واسعة النطاق للنزول الى الجزيرة من المدمرات وبالمظليين ، ولكن قبل ان يصبح في الامكان وضع هـذه الخطط موضع التنفيذ ، كان موسوليني قد نقل ثانية من الجزيرة . وكان هناك نص سري في اتفاق الهدنة يقضي بتسليمه الى الحلفاء ، ولكن بادوليو لسبب مازلنا نجهله تأخر في تحقيق ذلك ، ونقل « الشيء الثمين » في مطلع شهر ايلول الى فندق على ظهر جبل يدعى غران ساسّو وهو أعلى قمة في جبـال الابنين البروزيـة ، ولا يمكن الوصول اليه إلا عن طريق سكة حديدية معلقة .

وسرعان ما عرف الألمان بمكان وجوده ، فقاموا بعملية استطلاع جوية على ظهر الجبل ، وقرروا ان في الامكان نزول القوات من الطائرات الـتي لا محركات لها وان تتغلب على الحرس من رجال الكاربتيري ، وان تمضي بالدوتشي

في طائرة صغيرة من طراز (فيزلر ستورش) . وقد تم تنفيذ هذه الخطة الجريئة في الثالث عشر من ايلول ، بقيادة شخص آخر من اوغاد هملر المثقفين والاذكياء ، وهو نمسوي يدعى اوتو سكورزيني الذي ، سيمثل قبـل انتهاء هذا الكتاب دور البطولة في مغامرة جريئة جرأة الشياطين [١] . وقام سكورزيني أخيراً بخطف قائد ايطالي من رتبة فريق . فوضعه في طائرته التي لا محرك لها ، ثم هبط بقوته المحمولة في الجو على بعد مائة ياردة من الفندق القائم على قمة الجبل ، حيث رأى الدوتشي يطل من نافذة في الطبقة الثانية من الفندق وعلى وجهه علائم التفاؤل والارتياح . وفر معظم الايطاليين من رجال الكارنبيري عندما رأوا الجنود الألمان على التلال ، أما الباقون منهم فقد اقنعهم سكورزيني وموسوليني ، بعدم استعمال اسلحتهم ، وصرخ بهم قائد الحرس النازي بأن لا يطلقوا النار على « فريق » ايطالي ، دافعاً أمامه « بالفريق » الأسير الى الصفوف الأولى ، بينما هتف الدوتشي من نافذته كما روى احد شهود العيان قائلاً : (لا تطلقوا النار ، على أي انسان.ولا تسفكوا الدماء !) وبالفعل لم يسفك أي دم .

ولم تمض بضع دقائق حتى كان الزعيم الفاشي الذي غمره الفرح، والذي كان قد اقسم ، كما كتب هو فيما بعد ، على ان يقتل نفسه ولا يسمح لها بالوقوع في أيدي الحلفاء ليعرضه الامريكيون في ميدان حدائق ماديسون في نيويورك [٢]، يدخل الطائرة الصغيرة من طراز فيزلر – ستورش ، فوق مرج صغير تنتشر فيه الصخور يقوم وراء الفندق ليحمل الى رومة ، ومن هناك في نفس الليـلة ،

---

١ ـ استدعي سكورزيني الى مقر قيادة الفوهرر ، لاول مرة في حياته في اليوم الذي تلا سقوط موسوليني ، وعهد اليه هتلر شخصيا بتولي عملية الانقاذ .

٢ ـ روى الرئيس هاري بوتشر انه تلقى قبيل تحرير موسوليني رسالة برقية في مقر قيادة ايزنهاور من مجموعة من المسارح في مدينة رأس الرجاء الصالح في جنوبي افريقيا تقترح فيها التبرع بعشرة الاف جنيه للمشاريع الخيرية « اذا رتبت ظهور موسوليني على مسارح مدينة الرأس لمدة ثلاثة اسابيع » (بوتشر ـ سنواتي الثلاث مع ايزنهاور ص ٤٢٣) .

الى فيينا في طائرات نقل من طائرات السلاح الجوي الألماني [1]

وعلى الرغم مما أحس به موسوليني من اعتراف بالجميل لانقاذه ، وعلى الرغم من انه قد احتضن هتلر بحرارة عند لقائه به بعد يومين في راستنبرغ ، إلا انه غدا الآن رجلاً محطماً ، اذ تحولت النيران الساعرة في نفسه الى رماد ، ولم يبد كبير رغبة في احياء العهد الفاشي في المناطق الايطالية التي تحتلهـا المانيا ، مما بعث في نفس هتلر خيبة الأمل . ولم يحاول هتلر اخفاء ما أحس به من خيبــة أمل من صديقه الايطالي القديم ، وذلك في حديثه الى غوبلز في نهاية شهر ايلول اذ أسر غوبلز ليوميته بعد ذلك الحديث ما نصه :

«لم يكن الدوتشي قد استخلص من كارثة ايطاليا النتائج المعنوية التي كان الفوهرر يتوقعها منه .. وقد توقع الفوهرر ان يكون أول عمل يقوم به الدوتشي ، هو انزال الانتقام الكامل بالذين خانوه . ولكنه لم يظهر مثل هذه الدلائل وأظهر بذلك حقيقة مؤهلاته .فهو ليس من الثوريين الحقيقيين كالفوهرر أو ستالين . وهو شديــد الارتباط بالشعب الأيطالي ، الى حد انه يفتقر الى المزايا الواسعة التي توجد في ثوري أو انقلابي عالمي » .

وقد غضب هتلر وغوبلز ايضاً غضباً شديداً لأن موسوليني قد تصالح مـع شيانو وبدا واقعاً تحت تأثير ابنته ايدّا ، زوجة شيانو ، التي جاءت مـع زوجها الى ميونيخ يطلبان الملجأ الأمين . [2] وكانا يظنان بأن موسوليني سيقوم بإعدام

---

١ ـ وردت روايات انقاذ موسوليني في كتاب سكورزيني (مهمات سكورزيني السرية) وفي مذكرات الدوتشي نفسه ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ، وفي مقال كتبه مدير ومديرة فندق كامبو امبراتوري في النسخة البريطانية من المذكرات .

٢ ـ كان الالمان بالفعل قد خدعوا شيانو واغروه بالمجيء الى المانيا في شهر آب طبقا لروايته هو في الرسالة التي بعث بها الى الملك فكتور عمانوئيل ، اذ ابلغوه ان اطفاله في خطر، وان مما يسعد الحكومة الالمانية ان تتولى نقله هو وعائلته الى اسبانيا عـن طريق المانيـا (يوميات شيانو ص ٥) .

شيانو فوراً ، ويأمر بجلد ايدا على حد تعبير غوبلز بالسياط . [1] وعارضا في ان يقوم موسوليني بوضع شيانو ذلك « الفطر المسموم » كما اسماه غوبلز في مقدمة صورة الحزب الجمهوري الفاشي الجديد .

وكان هتلر قد أصر على ان يقوم موسوليني فوراً بخلق هذا الحزب الجديد ، وراح موسوليني يعلن في الخامس عشر من ايلول ، وتلبية لحث الفوهرر ، قيام الجمهورية الايطالية الاشتراكية .

ولكن جمهورية موسوليني، لم تحقق أي أثر ،فلقد فقد الرجل حماسه وتفاؤله. ومن المحتمل ان يكون قد حافظ على شيء من ادراك الواقع ليرى انه لم يعد اكثر من ألعوبة في يد هتلر ، وانه و « حكومة الجمهورية الاشتراكية » لا يملكان من السلطان إلا ما يمنحها اياه الفوهرر رغبة منه في خدمة مصالح المانيا ، وان الشعب الايطالي لن يقبل به أو بالفاشية من جديد .

ولم يعد موسوليني قط الى رومه. فلقد أقام لنفسه مقراً في بقعة نائية معزولة من اقصى الشمال في روكاديل كاميناتي القريبة من غرغنانو الواقعة على سواحل بحيرة غاردا ،حيث كان يقوم على حراسته فصيل خاص من فرقة الحرس النازي. وقد جاء الى هذا الموقع الجميل على البحيرة سيب ديتريش ، قائد الحرس النازي المخضرم ، والذي عزل عن فيلق الحرس النازي المدرع الأول في روسيا لهذه الغاية ، جرياً على مألوف العهد النازي ،وليكون رفيقاً لخليله موسوليني المشهورة ، كلارا بيتاشي . وبدا وكأن الديكتاتور الذي هوى ، لم يعد يهتم بأي شيء في الحياة ، طالما انه يضم بين ذراعيه المرأة الوحيدة التي أحبها حقاً . وبدا غوبلز الذي لم يتخذ عشيقة واحدة في حياته بل أحب الكثيرات فزعاً من هذه الحالة فدوّن في يومياته بتاريخ التاسع من تشرين الثاني يقول :

---

١ ـ كتب غوبلز في يومياته يقول : « تتصرف ايدا موسوليني تهرف قطة برية في دارتها الريفية . وهي تقوم بتحطيم الاواني الصينية والاثاث لدى اقل استفزاز » (يوميات غوبلز ص ٤٧٦) .

« يثير سلوك الدوتشي الشخصي مع فتاته التي جاء بها اليـــه سيب ديتريش ، الكثير من القلق والشكوك » .

وكان غوبلز قد دوّن في يومياته قبل بضعة ايام ان هتلر قد شرع في « اهمال الدوتشي سياسياً » . ولكن هذا الاهمال ، لم يقع إلا بعد ان ارغمه الفوهرر على التنازل عن تريستا واستريا وجنوب التيرول الى المانيا مع افهامه بأن البندقية يجب ان تضاف الى القائمة ايضاً. وهكذا تعرض هذا الطاغية الذي كان متعجرفاً في يوم ما الى مهانة لم يسبق له ان خبر نظيرها من قبل . وقد ارغمـــه هتلر على اعتقال صهره شيانو في شهر تشرين الثاني ، وعلى اعدامه في السجن في فـيرونا في الحادي عشر من كانون الثاني ، عام ١٩٤٤ . [١]

وكان في وسع أدولف هتلر ان يزعم في مطلع خريف عام ١٩٤٣ ، انه قـد سيطر على الوضع وقضى على التهديدات الخطيرة التي تعرض لها الرايخ الثالث . وكان في وسع انهيار موسوليني واستسلام حكومة بادوليو بلا قيـد او شرط في ايطاليا ، ان يؤديا بسهولة ، كما خشي هتلر وقادتـــه العسكريون مدة اسابيـع حرجة طويلة ، الى تعريض حدود المانيا الجنوبية لهجوم الحلفاء المباشر ، وفتح الطريق امام جيوشهم من شمال ايطاليا ، الى منـاطق البلقان الواهيـة الحماية ،

---

١ ــ دون شيانو آخر يومية له بتاريخ الثالث والعشرين من كانون الاول عام ١٩٤٣ في الزنزانة رقم ٢٧ في سجن فيرونا ، فجاءت قطعة نثرية مؤثرة . ولا ادري كيف تمكن شيانو من تهريب هذه الملاحظة الاخيرة ، والرسالة المؤرخة بنفس التاريخ والموجهة الى ملك ايطاليا ، من الزنزانة التي قضى عليه ان يمضي فيها ايامه الاخيرة . ولكنه بين فيها انه تمكن من اخفاء مـا تبقى من يومياته قبل ان يقبض عليه الالمان . وتولت ايدا شيانو تهريب هذه الاوراق من الجزء الذي بسيطر عليه الالمان في ايطاليا بعد ان تنكرت في زي فلاحة ايطالية واخفت الاوراق في ثيابها الفضفاضة ، وقد افلحت في عبور الحدود الى سويسرا .

وقد حوكم جميع القادة الفاشيين الذين اقترعوا ضد الدوتشي في المجلس الاعلى والذين تمكن من اعتقالهن ، بتهمة الخيانة امام محكمة خاصة ، وحكم عليهم جميعا باستثناء واحد منهم بالاعدام ونفذ فيهم الحكم مع شيانو . وكان بين هؤلاء رجل كان في يوم ما من اخلص اتبـاع الدوتشي واكثرهم ولاء وهو المشير اميليودي بونو ، وهو احد الرجال الاربعة الذين تولوا قيادة الزحف على رومة واوصلوا موسولينـي الى الحكم .

لتهديد مؤخرة الجيوش الألمانية التي تقاتل قتالاً يائساً في جنوب روسيا . وكان تخلي موسوليني الوادع عن سدة الحكم في رومه، بمثابة ضربة قاسية اصابت سمعة الفوهرر في المانيا وخارجها بالنظر الى ما أدت اليه من انهيار التحالف المحوري . ولكن لم يمض اكثر من شهرين حتى كان هتلر قد تمكن من اعـادة موسوليني الى الحـكم بضربة جريئة من ضرباته ، وان كان هذا الحـكم ظاهرياً في عيون العالم . وتمكن هتلر من ضمان الحفاظ على المناطق التي يحتلها الايطاليون في البلقان ولا سيا في اليونان ويوغوسلافيا والبانيا ضد أي هجوم يقوم به الحلفاء ، وكانت القيادة العليا للقوات الألمانية تتوقع حدوثه في كل يوم في أواخر ذلك الصيف . وقد استسلمت القوات الايطالية هناك وتعد عدة فرق ، بهـــدوء واستسلام ، واصبح رجالها من اسرى الحرب . وسرعان ما تخلى الفوهرر عن رأيه في ضياع قوات كيسلرنغ ، كما خيل اليه في البداية ، ووجوب التراجع الى شمال ايطاليا ، فقرر الان ، ان تقوم قوات المشير بحفر خنادقها الى الجنوب من رومة ، حيث تمكنت بسهولة من وقف زحف القوات الانكليزية – الأمريكية – الفرنسية في شبه الجزيرة باتجاه الشمال . ولم يكن ثمة شك في خطوط هتلر في الجنوب قـــد اعيدت الى وضعها الثابت بما توافر لديه من جرأة ومن سعة خيال ، وبما تميّزت به قواته من عزم وقوة .

ولكن طوالعه ظلت في الأنهيار في جبهات اخرى .

فقد شن في الخامس من تموز عام ١٩٤٣ ، ما قدر له ان يكون آخر هجوم كبير في الحرب ضد الروس . وتدفقت زهرة الجيش الألماني التي تضم نحواً من نصف مليون جندي، مع مالا يقل عن سبع عشرة فرقة مدرعة جهزت بدبابات « النمر » الضخمة الجديدة ، لتهاجم نتوءاً روسياً كبـــيراً يقع الى الغرب من كورسك . وقد اطلق على هذا الهجوم اسم « عملية القلعة » ، واعتقد هتلر انه سيؤدي الى ايقاع خيرة الجيوش الروسية في الفخ ، وهي تضم نحواً من مليون رجل تمكنت من دحر الألمان من ستالينغراد والدون في الشتاء المـــاضي . كما اعتقد ان هذه الخطوة ستمكنه من العودة الى الدون وحتى الى نهر الفولغـا ثم

الاندفاع من الجنوب الغربي للاستيلاء على موسكو .

لكن هذا الهجوم اسفر عن هزيمة حاسمة ، اذ كان الروس على استعداد لاستقباله ولم يحل الثاني والعشرون من تموز حتى كانت الفرق المدرعة قد خسرت نصف دباباتها ، وحتى كان الألمان يضطرون الى التوقف ليشرعوا بعد ذلك في التراجع والانسحاب . وكان الروس على ثقة من قوتهم ، الى الحد الذي مكنهم في منتصف شهر تموز من شن هجوم بدورهم ، دون انتظار نتيجة الهجوم الألماني ، هادفين من ورائه الى تحطيم النتوء الألماني في أوريل الى الشمال من كورسك . وقد تمكن الروس من اختراق الجبهة بسرعة هائلة . وكان هذا هو الهجوم الصيفي الأول الذي يشنه الروس في الحرب ، ولم تتخل الجيوش الحمراء منذ هذه اللحظة عن زمام المبادرة ابداً . وتمكنوا في الرابع من آب من اخراج الألمان من أوريل التي كانت تؤلف الطرف الجنوبي من الزحف الألماني للاستيلاء على موسكو في كانون الأول عام ١٩٤١ .

وسرعان ما امتد الهجوم السوفياتي ليشمل الجبهة كلها. وسقطت خاركوف في الثالث والعشرين من آب . وطرد الألمان بعد شهر أي في الخامس والعشرين من ايلول من سمولنسك التي تقع على بعد ثلاثمائة ميل الى الشمال الغربي ، والتي كانت النقطة التي انطلقت منها الجيوش الألمانية كما انطلق جيش نابليون العظيم ، في زحفها الموثوق في الأشهر الأولى من الحملة الروسية باتجاه موسكو . ولم تحل نهاية ايلول ، حتى كانت جيوش هتلر المجهدة في الجنوب تتراجع الى خط نهر الدنيبر ، الذين اقاموا حصونه الدفاعية من زبروجه عند منعطف النهر حتى بحر آزوف في الجنوب . واضاع الألمان حوض الدنتس الصناعي ، وبات جيشهم السابع عشر في القرم مهدداً بالانقطاع والتطويق .

وكان هتلر على ثقة من ان جيوشه تستطيع الصمود على نهر الدنيبر ، وفي المواقع المحصنة الى الجنوب من زبروجه ، التي تؤلف ما يسمّى « بخط الشتاء » . ولكن الروس لم يتوقفوا حتى لإعادة تجميع قواتهم ، وراحوا في الاسبوع الأول من تشرين الأول يعبرون النهر الى الشمال والجنوب الشرقي من مدينة كييف التي

سقطت في ايديهم في السادس من تشرين الثاني. ولم تحل نهاية عام ١٩٤٣ القدري ، حتى كانت الجيوش السوفياتية في الجنوب تقترب من حدوب بولندة ورومانيا ، مجتازة ميادين القتال التي حقق فيها جنود هتلر انتصاراتهم الأولى في صيف عام ١٩٤١ ، متدفقين على الارض الروسية .

ولم يكن هذا هو كل ما حل بهتلر ، فلقد شهدت نهاية العالم نكستين خربين لحظوظ هتلر وطوالعه ، مسجلاً تحولاً خطيراً في التيار ، اولاهما ، خسارة هتلر لمعركته في المحيط الاطلسي وثانيتهما توسع الحرب الجوية المدمرة ليلاً ونهاراً على المانيا نفسها .

وكنا قد رأينا ان الغواصات الألمانية اغرقت في عام ١٩٤٢ ، ستة ملايين وربع المليون من اطنان ملاحة الحلفاء ، من البواخر المتجهة الى بريطانيا والبحر المتوسط ، وهو رقم يتجاوز الى حد بعيد ، ما لأحواض سفن الغرب من طاقة على بناء السفن الجديدة . ولكن لم يطل عام ١٩٤٣ حتى كان الحلفاء قد احرزوا الغلبة على الغواصات بفضل ابتكار جديد ، مكنهم من استخدام الطائرات البعيدة المدى ، وحاملات الطائرات ، ومن تجهيز سفنهم بشاشات الرادار التي تحدد اماكن غواصات العدو قبل ان تتمكن هذه من رؤية فرائسها . وقد شك أمير البحر دونيتز القائد العام الجديد للأسطول لألماني ، وكبير رجال الغواصات عند الألمان ، في مطلع الأمر بوجود « خيانة » في قيادته ، اذ كانت غواصاته تغرق على التوالي قبل ان تتمكن من الوصول الى قوافل الحلفاء . ولكن سرعان ما تبيّن له ان « الرادار » لا « الخيانة » هو السبب في هذه الخسائر المفجعة التي يمنى بها . فقد غرقت خمسون غواصة في شباط وآذار ونيسان من ذلك العام ، كما خسر الألمان سبعاً وثلاثين غواصة اخرى في شهر ايار وحده . وكانت هذه الارقام اكبر من ان يستطيع الاسطول الألماني تحملها طويلاً ، وراح دونيتز ، على مسؤوليته الخاصة ، يسحب قبل نهاية شهر أيار جميع غواصاته من شمال الاطلسي .

وعادت الغواصات الى المحيط في شهر ايلول ، ولكنها لم تتمكن في غضون

الاشهر الاربعة الاخيرة من السنة من اغراق اكثر من سبع وستين باخرة للحلفاء ، مقابل اغراق اربع وستين غواصة المانية اخرى ، وهي نسبة حتمت مصير حرب الغواصات ، وقررت بصورة حتمية نتيجة معركة الاطلسي .

وكانت الغواصات الألمانية في حرب عام ١٩١٧ ، قد مكنت المانيا ، على الرغم من « تجمّد » جيوشها في الجبهة الغربية من الوصول الى مرحلة كادت تؤدي الى استسلام بريطانيا . وكانت الغواصات على وشك تحقيق هذه النتيجة ايضاً في عام ١٩٤٢ ، عندما كانت جيوش هتلر في روسيا وافريقيا الشمالية ، قد اوقفت ايضاً ، وعندما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى تبذلان كل جهد ، لا لوقف زحف اليابانيين في جنوب شرق آسيا فحسب ، بل ولتجمع الرجال والمعدات والمؤن ، لإعداد العدة لغزو امبراطورية هتلر الاوروبية في الغرب .

وكان فشل الغواصات في قطع ملاحة الحلفاء في شمال الاطلسي ، وعزلتها بصورة جدية في عام ١٩٤٣ ، يؤلف كارثة اشد خطورة مما تصور هتلر واركان قيادته ، على الرغم مما بعثه في نفوسهم من خيبة امل . [١] ففي غضون الاثني عشر شهراً من تلك السنة الخطيرة ، نقلت الشحنات الهائلة من الاسلحة والمعدات ، دون أي اذى عبر الاطلسي الى اوروبا ، مما جعل الهجوم على القلعة الأوروبية أمراً ممكناً في السنة التالية .

وفي هذه الفترة نفسها ، انتقلت أهوال الحرب الى الشعب الألماني ، وعلى

---

١ ـ قال هتلر لامير بحره دونيتز ، وهو يغلي كالمرجل من الغضب في الواحد والثلاثين من ايار عندما ابلغه هذا ان الغواصات قد سحبت من شمال الاطلسي : « انه لا يسمح بأي توقف في حرب الغواصات » وأضاف قائلا : « وعليك ان تعتبر المحيط الاطلسي اول خط دفاعي لي في الغرب » .

ولكن القول أهون من العمل . ودون دونيتز في الثاني عشر من تشرين الثاني بعبارات تقطر يأسا يقول : « يملك العدو كل ورقة رابحة ، فهو يغطي المساحات الشاسعة بدورياته الجوية البعيدة المدى ، ويستخدم وسائل لتحديد مواقع غواصاتنا لا نعرف طريقة احباطها .. فالعدو يعرف جميع اسرارنا ونحن لا نعلم من اسراره شيئا » (مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ـ ص ٤٦) وقد نقل ويلموت في الصفحة ١٥٢ من كتابه « معركة اوروبا » عبارة دونيتز هذه ،

عتبات وطنه ولم يكن الرأي العام الألماني يعرف الا القليل عمّا يقع في حرب الغواصات . وعلى الرغم من تزايــد الانباء السيئة من روسيا والبحر الابيض المتوسط وايطاليا . الا انها كانت تتعلق بحوادث تقع على بعد مئات الأميال من الوطن اما الآن فقد شرعت القنابل التي تلقيها الطائرات البريطانية ليــلاً والطائرات الامريكية نهاراً ، تحطم الوطن الالماني ، وتدمر للرجل الألماني بيته ومكتبه والمعمل الذي يشتغل فيه .

ورفض هتلر نفسه القيام بزيارة اية مدينة تتعرض للغارات الجوية ، اذ كان هذا الواجب اثقل مما يستطيع تحمله واشد ألماً . وأحس غوبلز بالوجيعة مــن ذلك ، وتذمّر من ان الرسائل تنهال عليه ، يسأله اصحابها عن الاسباب « التي تحول بين الفوهرر وبين زيارة المناطق المنكوبة بالغارات الجوية ، وعن الدوافع التي تمنع غورنغ من الظهور فيها ايضاً . » وتصف يوميات وزير الدعاية وصفـاً صادقاً الأضرار المتزايدة التي احاقت بالمدن الألمانية والصناعات من الجو :

« ١٦ ايار عام ١٩٤٣ . تخلق الغارات النهائيــة التي تقوم بها القاذفات الامريكية متاعب خارقة للغاية..حلّت اضرار خطيرة، بالمنشئات العسكرية والتقنية التابعة للاسطول في كييل .. يتحتم علينا اذا استمر هذا الوضع ان نواجه نتائج خطــيرة ، قــد تغدو شيئاً لا يطاق على المدى البعيد ...

« ٢٥ أيار .. كانت الغارة الليلية التي قامت بهــا الطائرات الانكليزية على دورتموند عنيفة للغاية بل ولعلها أقسى ما عانته اية مدينة المانية حتى الآن .. وتثير الانباء الواردة من دورتمونــد الرعب والفزع .. وقد اصيبت مراكز الذخيرة والمناطق الصناعية بأضرار بالغة .. وبات نحو من ثمانين الفاً او مائة الفمنالسكان بلا مأوى . شرع النــاس في الغرب يفقــدون شجاعتهم بصورة تدريجية . فهم اعجز من ان يحملوا مثل هذا الشكل من الجحيم

الذي لا يطاق .. وتلقيت في المساء تقريراً آخر من دورتموند . ان الدمار الذي حل بالمدينة شامل كل الشمول . وليس ثمة من بيت في المدينة يصلح للاقامة .

« ٢٦ تموز .. وقعت غارة شديدة في الليل على همبورغ ... محدثة افدح الخسائر وابلغ النتائج للسكان المدنيين ولانتاج الاسلحة .. انها كارثة حقيقية .

« ٢٩ تموز .. تعرضت همبورغ في الليل الى اعنف غارة شهدتها حتى اليوم ، اذ اشترك فيها عدد يتراوح بين الثمانمائة والالف من الطائرات المغيرة .. قدم إلي كوفمان القائد النازي المحلي تقريراً اولياً .. انه يتحدث عن كارثة لا يمكن للخيال تصور مداها . فلقد دمّرت مدينة تضم مليوناً من السكان بشكل لا مثيل له في التاريخ . تواجهنا مشاكل باتت مستعصية على الحل . علينا ان نجد الغذاء لهؤلاء المليون من السكان . وعلينا ان نؤمن لهم المأوى . علينا ان نجلي السكان الى ابعد مسافة ممكنة . وان نعثر لهم على ما يحتاجون من كساء . ونحن نواجه بالاختصار هناك مشاكل كنا لا نستطيع فهمها حتى قبل بضعة اسابيع . وقد تحدث كوفمان عن ثمانمائة الف من الناس ، باتوا بلا مأوى ، يجوبون الشوارع جيئة وذهاباً دون ان يعرفوا ما هو واقع .. »

وعلى الرغم من ان اضراراً فادحة قد لحقت ببعض المنشئات الحربية الألمانية ولا سيما تلك التي تنتج الطائرات المحاربة ، والمحاور والمكرّاة (ذات الكرات) ، والسفن الحربية والفولاذ ، والوقود للطائرات النفاثة الجديدة وكذلك بمحطات تجارب الصواريخ في بينيموند التي يعلق عليها هتلر آمالاً ضخمة [1] ، وعلى

---

١ ـ تمكنت طائرة استطلاع بريطانية في ايار عام ١٩٤٣ من تصوير منشئات بينيموند ، اثر الانباء التي تلقتها لندن من الحركة البولندية السرية ، القائلة بوجود مشاريع تجري =

الرغم من التعطيل المستمر الذي بات يلحق بالمواصلات الحديدية والنهرية ، إلا ان الانتاج الالماني الشامل لم يتأثر تأثراً كبيراً ، بالقصف الانكليزي-الامريكي في عام ١٩٤٣ . ولعل السبب في عدم تأثر الانتاج ، نجم عن تزايد ما تخرجه في المناطق المحتلة ولا سيا في تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وبلجيكا وشمال ايطاليا ، وهي المناطق التي نجت حتى الآن من القصف الجوي .

ولقد اوضح غوبلز في يومياته ، ان افضح ضرر ألحقته القوتان الجويتان البريطانية والامريكية بألمانيا ، كان في مساكن شعبها وروحه المعنوية . واني لأذكر ان الشعب الالماني قد « عامَ » في السنوات الأولى من الحرب على الانباء البراقة التي كانت تنقل اليه عما انزله السلاح الجوي الألماني بالاعداء ولا سيا من البريطانيين من اضرار وخسائر . وكانوا واثقين من ان هذه الغارات ستؤدي الى نتيجة سريعة وظافرة للحرب . أما الآن وفي عام ١٩٤٣ ، فقد شرعوا هم يتحملون وطأة الحرب الجوية ، التي باتت اكثر تدميراً مما انزله السلاح الجوي الالماني بالعدو ، وحتى بمدينة لندن في عام ١٩٤٠ - ١٩٤١ وتحمل الشعب الألماني وطأة هذه الحرب بشجاعة وبفلسفة « رواقية » قدرية بصورة لا تدنو كثيراً عن الطريقة التي احتمل بها الشعب البريطاني وطأتها . ولكن الحرب قد طالت وها هي سنوات اربع منذ نشوبها ، بكل ما فيها من اجهاد متلف للقوى ، ولم يعد من المستغرب عندما اشرف عام ١٩٤٣ على نهايته ، وعندما كانت الآمال تتهاوى وتتحطم في روسيا وافريقيا الشمالية وايطالية ، وعندما باتت المدن

---

* هناك لانتاج طائرات نفاثة تسير بلا طيارين (اصبحت تسمى فيما بعد بالقنبلة الطائرة او ف ١) وصواريخ (ف ٢) . وهاجمت الطائرات البريطانية بينيموند في شهر آب ، مدمرة المنشئات ، مما ادى الى تعطيل اعمال البحث والتجارب عدة اشهر . وتمكنت الطائرات البريطانية والامريكية في شهر تشرين الثاني من تحديد مواقع ثلاثة وستين مركزا للقنابل الطائرة على ساحل القناة ، وقامت بين شهري كانون الاول وشباط بتدمير ثلاثة وسبعين مركزا آخر ، من مجموع ستة وتسعين . وقد انبثقت عبارة « ف ١ » و « ف ٢ » من الكلمة الالمانية [illegible] وهي تعني الاسلحة الانتقامية التي هللت دعاية الدكتور غوبلز كثيرا لها في سنة ١٩٤٤ المظلمة .

الألمانية في طول البلاد وعرضها ، تدك دكاً عنيفاً من الجو ، ان يبدأ اليأس في التسرب الى نفوس الألمان ، وان يشعروا في ادراك الحقيقة المرة ، وهي ان بداية النهاية قد حلت ، وان الهزيمة باتت شيئاً ثابتاً مؤكداً .

ودوّن الفريق المتقاعد هولدر فيما بعد في يومياته يقول .. « وعندما اقترب عام ١٩٤٣ من نهايته ، بات من الواضح بشكل ثابت اننـــا خسرنا الحرب عسكرياً . »[1]

ولكن الفريق يودل ، لم يمض في محاضرته اللارسميـــة الكئيبـــة التي ألقاها في السابع من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ على القادة النازيين الاقليميـين الذين احتشدوا في ميونيخ الاحتفال بالذكرى السنوية لانقلاب حانة الجعة ، الى هذا الحد البعيد في التشاؤم . ولكن الصورة التي رسمها للوضع في مطلع السنة الخامسة من الحرب ، كانت قاتمة الى حد كبير اذ قال :

« ليس ثمة من شك في ان غارات العدو الارهابية من الجو على بيوتنا وعلى نسائنا واطفالنا ، تلقي كلكلاً ثقيلاً من الكئابة اليوم على جبهتنا الداخلية وتحدث بالتالي رد فعل على خطوطنا الأمامية وقد اتخذت الحرب في هذا الصدد شكلاً ، تقع مسؤوليته على انكلترا وحدها ، لم يألفه العالم منذ ايام الحروب الدينية والعنصرية ، ولم يكن يصدق احتمال تجدده .

« ومن الواجب انقاذ الشعب من تأثير هذه الغارات الارهابية في النواحي النفسية والمعنوية والمادية ، ان لم يكن في الامكان وقفها بصورة كاملة » .

وقد شرح هذا المصدر الموثوق الذي كان ينطق بأسم الفوهرر ويخطب نيابة عنه ، حالة الروح المعنوية الألمانية نتيجة هذه الهزائم والقصف الجوي الذي وقع في عام ١٩٤٣ شرحاً واضحاً ومستفيضاً اذ قال :

---

١ ـ هولدر : هتلر كقائد ميدان ص ٥٧ .

« بات شيطان التخريب والهدم يذرع البلاد طولاً وعرضاً .
وشرع الجبناء يبحثون عن مخلص أو وسيلة للنجاة أو ما يدعونه بالحل السياسي ، وهم يقولون ان علينا ان نفاوض ونحن ما زلنا نملك بعض الشيء .

ولكن هذا التفكير لم يقتصر على الجبناء ، بل تعداهم الى الدكتور غوبلز نفسه ، وهو اكثر اتباع هتلر اخلاصاً له وولاء وتعصباً . فقد اظهرت يومياته التي دوّنها ، انه كان قبل وصول عام ١٩٤٣ الى نهايته يبحث عن مخرج ويقدح زناد تفكيره لا في موضوع حاجة المانيا الى التفاوض للصلح ، بل في موضوع الخيار بين أي من الطرفين يجب ان تنشد الصلح معه ، وهل تكون روسيا او الغرب . ولم يكن يخفي عن هتلر شعوره بضرورة الوصول الى صلح ، كما كان يفعل غيره حتماً . وانما توافرت له الشجاعة والصراحة ،ليتدفق بالتعبير عن افكاره مباشرة الى الزعيم . ولقد طرق غوبلز في يومياته لأول مرة في العاشر من ايلول عام ١٩٤٣ ، عندما كان في مقر قيادة الفوهرر في راستنبرغ ، إثر استدعائه اليه بعد وصول الانباء عن استسلام ايطاليا ، موضوع اجراء مفاوضات محتملة للصلح فقال :

---

١ ـ اختار بودل لمحاضرته العنوان التالي : « الوضع السوقي في مستهل السنة الخامسة من الحرب » . ولا ريب في ان هذه المحاضرة تؤلف اكثر وصف شمولا للوضع الالماني في نهاية عام ١٩٤٣ ، كما كان يراه هتلر وقادته العسكريون . وهذه المحاضرة ، اكثر من مجرد خطاب عادي يلقى على الزعماء النازيين السياسيين . فهي مطعمة بعشرات المذكرات السرية والوثائق التي تحمل عنوان « مقر قيادة الفوهرر » ، والتي استشهد يودل بها في محاضرته ، وهي وثائق لو اخذت في مجموعها لالقت ضوءا كاشفا على الحرب كما كانت تبدو للفوهرر ، الذي يبدو وكأنه قد تولى الاشراف على اعداد المحاضرة . وكان يودل بالاضافة الى الكتابة التي ابداها تجاه الحاضر ، فاقد الامل في المستقبل ، متكهنا تكهنا صادقا بأن الغزو الانكليزي ـ الامريكي المقبل للغرب ، « سيقرر مصير الحرب » ، وان « القوات الموجودة تحت تصرفنا لن تكون كافية لدرئه وصده » . (يوجد نص المحاضرة في كتابي « نهاية يوميات برلين » ص ٢٧٠ ـ ٢٨٦ ويوجد النص في المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٩٢٠ ـ ٩٧٥) .

«هناك مشكلة شرعت تعرض نفسها علينا وهي اختيار الجانب الذي يتوجب علينا ان نتجه اليه اولاً ، وهل يكون الروس أو الانكليز والأمريكان . وعلينا ان ندرك بوضوح والى حدٍ ما ، ان من الصعب علينا ان نخوض الحرب بنجاح ضد الفريقين في آن واحد » .

وقد وجد هتلر « مضطرباً بعض الشيء » من احتمال قيام الحلفاء بغزو في الغرب ومن الوضع « الحرج » في الجبهة الروسية فقال :

« ان ما يثير القنوط هو اننا لا ندرك قيد شعرة ، ما خلفه ستالين من قوات احتياطية . وإني لأشك كل الشك في مثل هذا الوضع في قدرتنا على نقل فرق من الشرق الى مسارح الحرب الأخرى في أوروبا » .

وبعد ان دوّن بعض الآراء التي كان ولا ريب يعتبرها انهزامية خائنة قبل بضعة شهور ، في يومياته السرية ، انتقل الى الحديث عن هتلر فقال :

«سألت الفوهرر عما اذا كان في وسعنا ان نفعل شيئاً مع ستالين ان عاجلاً وان آجلاً . فرد بأن ليس في الامكان عمل شيء في الوقت الحاضر .. ويعتقد الفوهرر على أي حال ، بأن من السهل عقد صفقة مع الانكليز ، عنها مع السوفيات . وهو يعتقد ان الانكليز سيثوبون في ذات يوم الى رشدهم وصوابهم..ولكنني أميل الى الرأي القائل بأن ستالين أقرب الى التفاهم لأنه سياسي اكثر واقعية من تشرشل ، الذي اعتبره مغامراً خيالياً ، لايستطيع المرء التحدث اليه بالعقل والمنطق . »

وفي هذه المرحلة القائمة من حياة المانيا ، لاحت لهتلر واعوانه « قشة » من الأمل خيل اليهم ان في امكانهم التمسك بها ، وهي ان عرى التحالف ستهوي ، وان بريطانيا وامريكا ستفزعان من مجرد تصور الجيوش الحمراء وهي تجتاح اوروبا ، وانهما ستنضمان في النهاية الى المانيا لحماية القارة العريقة من خطر التبلشف.

وقد عالج هتلر هذا الموضوع بتفصيل واسهاب في حديث له مع دونيتز في شهر آب ، وعاد يبحث في هذا الاحتمال في شهر ايلول مع غوبلز الذي دوّن في يومياته قائلاً :

« لا يريد الانكليز اوروبا مبلشفة بأي حال من الأحوال .. وعندما يدركون هذه الحقيقة .. يصبح مجال الخيار لديهم محصوراً بين البلشفية وبين التسامح قليلاً مع الاشتراكية الوطنية ، وليس ثمة من ريب في انهم سيظهرون ميلاً الى التفاهم معنا .. وتشرشل نفسه من خصوم البلشيفية القدامى ، وليس تعاونه مع موسكو اليوم إلا قضية مصلحة مؤقتة ليس إلا .. »

ويبدو ان هتلر وغوبلز قد نسيا من الذي تعاون مع موسكو اولاً ، ومن الذي ارغم روسيا على دخول الحرب ، وخلص غوبلز بعد ان لخّص ما دار من نقاش بينه وبين هتلر بصدد الصلح المحتمل الى النتيجة التالية :

« علينا ان نواجه إن آجلاً وإن عاجلاً موضوع الاتجاه الى هذا الجانب المعادي او ذاك . ولم يحدث لألمانيا ان صادفت حظاً حسناً في أية حرب على جبهتين . فليس في امكانها ان تصمد لهذه الحرب أمداً طويلاً » .

ولكن ألم يكن قد فات الأوان على مثل هذا التفكير ؟ عاد غوبلز الى مقر القيادة العليا في الثالث والعشرين من ايلول ، ثم راح يخطو مع زعيمه في الصباح ، في العراء ، فوجده هذه المرة اكثر تشاؤماً منه في المرة السابقة في موضوع التفاوض لعقد الصلح مع أي من الجانبين لينعم بخيرات الحرب في جبهة واحدة . ودوّن غوبلز في يومياته يقول :

« لا يعتقد الفوهرر بإمكان تحقيق أي شيء عن طريق التفاوض في الوقت الراهن . فانكلترا لم تترنح بعد من الضربات التي نزلت بها . أما في الشرق ، فالوضع الراهن غير موات حتماً .. وما زالت الورقة الرابحة في يد ستالين » .

وتناول غوبلز العشاء تلك الليلة وحيداً مع الفوهرر في مقر قيادته وعاد يدوّن في يومياته :

« سألت الفوهرر ، عما اذا كان على استعداد للتفاوض مع تشرشل .. انه لا يعتقد بأن المفاوضات مع تشرشل ستؤدي الى أية نتيجة ، اذ انه – أي تشرشل – ما زال غارقاً في لجة افكاره العدائية يضاف الى هذا ان الكراهية ، لا العقل أو المنطق ، هي التي توجهه . ويؤثر الفوهرر التفاوض مع ستالين ، ولكنه لا يؤمن باحتمال نجاحه .

« وقلت للفوهرر انه مهما كانت الاوضاع ، فإن علينا ان نصل الى نوع من الترتيب مع هذا الجانب أو ذاك . ولم يحدث قط للرايخ ان كسب حرباً في جبهتين . ولهذا بات لزاماً علينا ان نجد السبيل بشكل أو بآخر للخلاص من الحرب في جبهتين .

ولكن هذه المهمة كانت اكثر صعوبة مما تصور الرجلان ، وهما اللذان اغرقا المانيا باستخفاف وتهاون في حرب ذات جبهتين . ولكن سيد الحرب النازي ، تخلص من تشاؤمه و لولحظات في تلك الليلة من ليالي ايلول عام ١٩٤٣ ، وراح يحلم في عذوبة السلام وروعته . ويقول غوبلز انه سمع زعيمه «يتلهف» للسلام.. ثم اضاف في يومياته يقول :

«قال الفوهرر ان مما يسعده لو تمكن من اعادة اتصاله بالأوساط الفنية ولو استطاع الذهاب في الامسيات الى المسارح وزيارة نادي الفنانين » [١]

ولم يكن هتلر وغوبلز الوحيدين في المانيا ، اللذين اخذا يحلمان عندما دخلت الحرب عامها الخامس ، بالصلح ويركزان آمالها على فرصه ووسائله . فلقد شرع

---

١ – اقتبست جميع هذه الفقرات من يوميات غوبلز .. ص ٤٢٨ – ٤٤٢ و ص ٤٦٨ و ص ٤٧٧ – ٤٧٨ . اما حديث هتلر مع دونيتز فقد دونه امير البحر في مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية (١٩٤٣) ص ٨٥ – ٨٦ .

المتآمرون المناهضون للنازية ، الثرثارون والخائبو الرجاء، يولون مشكلة الصلح ، بعض تفكيرهم لا سيما وقد تضخم عـددهم الآن وان كان لايزال قليلاً يـدعو الى الرثاء ، وقد ادركوا انهم قد خسروا الحرب وان كانت جيوش هتلر لا تزال تحارب على اراض اجنبية . وقد توصل معظمهم وان لم يكونوا جميعاً ، برمين متذمرين ، وبعد ان تغلبوا على نوبات تبكيت ضميرهم الى النتيجة القائلة بأن الحصول على صلح لألمانيا ، يضمن للوطن بعض الأمل في بقاء كريم ، يتطلب منهم الخلاص من هتلر بقتله ، وإزلة كل اثر للاشتراكية الوطنية في الوقت نفسه .

وهكذا تحفز المتآمرون في غمرة يأسهم عندما اطلت عليهم سنة ١٩٤٤ تحمل تباشير الغزو المؤكد الذي ستقوم به الجيوش الانكليزية ـ الامريكية عبر القناة في وقت قريب ، ونذر وصول الجيوش الحمراء الى حدود الرايخ نفسه ، وعلائم تحول مدن المانيا العظيمة والعريقة الى ركام وانقاض من جراء غارات الحلفاء[١]، للقيام بمحاولة اخيرة يائسة لاغتيال الدكتاتور النازي والاطاحة بعهده قبل ان يقذف هذا العهد بالمانيا الى الهاوية والى الكارثة الكاملة .

وكانوا يدركون تمام الادراك ان الزمن يسابقهم .

---

١ ـ كتب غوبردلر الى المشير فون كلوغه في تموز ١٩٤٣ ، بعد زيارة عدد من المناطق التي اغارت عليها الطائرات في المغرب ، يقول : « لقد بات ما حققته الوف السنين من اعمال حطاما وركاما » . وقد رجا غوبردلر في رسالته من المشير المتردد المذبذب ، الانضمام الى المتآمرين ، في وضع حد لهتلر وما اصابه من « جنون » .

٢٩

الحلفاء يغزون أوروبا الغربية ومحاولة قتل هتلر

قام المتآمرون في عام ١٩٤٣ بمحاولات عدة، لا يقل عددها عن ست محاولات لاغتيال هتلر ، وقد رافق سوء الحظ احداها ، اذ ان القنبلة الموقوتة التي وضعها المتآمرون في طائرة الفوهرر التي كان يتنقل بها وراء الجبهة الروسية ، لم تنفجر في موعدها المحدد .

ووقع تبدل جوهري هام في ذلك العام في حركة المقاومة . فقد يئس المتآمرون في النهاية من موقف « المشيرين » ، اذ كان هؤلاء أكثر جبناً ، أو أشد بلادة من ان يستطيعوا استخدام مراكزهم وسلطانهم العسكري في قلب سيد حربهم الأعلى . وكان غويردلر في اجتماع سري عقد بينه وبين المشير فون كلوغه ، قائد مجموعة جيوش الوسط في الشرق ، في تشرين الثاني عام ١٩٤٢ في غابة سمولنسك ، وهو الشرارة المحركة بين السياسيين للمؤامرة ، قد توسل الى القائد العسكري ، القيام بدور فعال في الخلاص من هتلر . قد وافق القائد المتذبذب ، الذي كان قد تلقى قبل فترة قصيرة هدية رقيقة من الفوهرر [١] ، على العمل

---

١ ـ تلقى كلوغه بمناسبة بلوغه الستين من عمره في الثلاثين من تشرين الاول عام ١٩٤٢ =

ولكنه ما لبث ان جبن بعد بضعة ايام ، وبعث برسالة الى الفريق بيك في برلين يطلب اليه عدم اعتباره احد المتآمرين .

ولجأ المتآمرون بعد بضعة اسابيع الى الفريق باولوس يحاولون اقناعه ، بعد ان طوّق جيشه السادس في ستالينغراد ، لا سيما وقد افترضوا بأنه يحس بأشد المرارة تجاه الزعيم الذي ساعد على وقوع هذا التطويق ، ورجوا منه ان يوجه نداءً الى الجيش يطلب فيه منه الاطاحة بالطاغية ، الذي حكم على ربع مليون جندي الماني بمثل هذه النهاية المخيفة . وقام ضابط في السلاح الجوي بنقل رسالة شخصية من الفريق بيك الى الفريق باولوس ، تحمل مثل هذا الطلب مجازفاً بالوصول الى الجيش المحاصر . وقد رد باولوس على هذا النداء، كما رأينا ،بترجيه طوفان من الرسائل الاذاعية معبرة عن الولاء للفوهرر، دون ان يثوب الىرشده إلا بعد وصوله الى موسكو اسيراً في ايدي الروس .

وركّز المتآمرون آمالهم ، بعد فشلهم مع باولوس ، في كل من كلوغه ومانشتاين ، اللذين طارا بعد كارثة ستالينغراد الى راستنبرغ ، كما فهم ، ليطلبا الى الفوهرر تسليم قيادة الجبهة الروسية اليهما . ولو قدر لهذه الخطوة ان تنجح فستكون بمثابة اشارة لقيام حركة انقلابية في برلين . ولكن المتآمرين كانوا من جديد ضحايا تمنياتهم الوهمية . ولقد طار المشيران بالفعل الى قيادة هتلر ولكن لتأكيد ولائهما للقائد الأعلى . . .

وانطلق بيك يهتف بمرارة قائلا : « لقد خانانا ».

= شيكا من الفوهرر بربع مليون مارك أي مائة الف دولار حسب السعر الرسمي ، مع اذن خاص بانفاق نصف هذا المبلغ على تحسين اقطاعيته . ولم يكترث المشير بما في هذه الهدية من امتهان لامانته وشرفه كضابط الماني ، فقبل الهدية (شلابريندورف — في كتابه « كادوا يقتلون هتلر » ص ٤٠) وعندما انقلب كلوغه فيما بعد على هتلر ، قال الفوهرر امام حشد من ضباطه في مقر قيادته : « لقد رفعت رتبته مرتين ، ومنحته أعلى الاوسمة ، ووهبته اقطاعية كبيرة . ودفعت اليه علاوة ضخمة علىراتبه كمشير في الجيش » (جيلبرت — هتلر يوجه حربه . ص ١٠١ — ١٠٢ ، وصف مختزل لمؤتمر هتلر في مقر قيادته بتاريخ ٣١ آب ١٩٤٤) .

واتضح له ولأصدقائه ان ليس في استطاعتهم توقع أي عون عملي من كبار القادة العسكريين في الجبهات . واتجهوا في يأسهم وقنوطهم الى المصدر الوحيد الباقي من مصادر السلطان العسكري وهو الجيش الداخلي أي جيش الاحتياط (Ersatzheer)، الذي لم يكن قط جيشاً بمعنى الكلمة، وانما مجرد مجموعة من المجندين الذين يعملون في التدريب وفي مختلف الحاميات، من الرجال الذين طعنوا في السن ، وعهد اليهم أمر اداء واجبات الخفارة في الوطن . ولكن رجال هذا الجيش كانوا مسلحين على الأقل ، ولما كان الجنود العاديون ورجال الحرس الناري بعيدين في الجبهة ، فقد كان هذا الجيش كافياً لتمكين المتآمرين من احتلال برلين وبعض المدن المهمة الاخرى ، في نفس اللحظة التي يتم فيها اغتيال هتلر .

لكن المعارضة لم تكن قد اتفقت بعد على ضرورة ذلك العمل الفاشل أو حتى على الرغبة فيه اتفاقاً كلياً .

فلقد كانت حلقة كريساو مثلا ، معارضة كل المعارضة لأي عمل عنيف من هذا النوع . وكانت هذه الحلقة تضم مجموعة بارزة ومختلفة الاشكال من الشبان المثاليين المثقفين الذين التفوا حول رجلين يمتان الى اسرتين من أكثر الأسر الألمانية شهرة وارستقراطية وهما الكونت هيلموث جيمس فون مولتكيه، حفيد المشير المشهور الذي قاد الجيش البروسي الى النصر على فرنسا في عام ١٨٧٠ ، والكونت بيتر يورك فون وارتنبرغ ، الحفيد المباشر للقائد المشهور في ايام نابوليون، الذي وقع بالاشتراك مع كلوزويتز ميثاق توروغين مع القيصر الاسكندر الأول ، الذي قضى بتحول الجيش البروسي الى الجانب المناوىء لنابوليون وعمل على اسقاط بونابرت .

وقد حملت الحلقة اسمها من اقطاعية أسرة مولتكيه في كريساو في سيليزيا، ولم تكن هيئة متآمرة ، وانما مجموعة مناقشة [1] ، يمثل اعضاؤها ، جميع فئات

١ ـ كتب مولتكيه الى زوجته قبيل تنفيذ الاعدام : « لقد تقرر ان نشنق ، لاننا نفكر تفكيرا مشتركا » .

المجتمع الألماني ، كما كان في يوم من الايام التي سبقت العهد النـــازي ، وكما كانوا يأملون في ايجاده بعد انتهاء الـكابوس الهتلري . وضمت الحلقة راهبين يسوعيين، وقسّيسين لوثريين ، وبعض المحافظين والأحرار والاشتراكيين وكبار الملاكين الأثرياء ؛ والزعـــماء النقابيين السابقين واساتذة الجامعات والدبلوماتيين وعلى الرغم من الخلاف في جذور هؤلاء الاعضاء وأسسهم وأفكارهم ، فقد تمكنوا من ايجاد قاعدة عامة مشتركة مكنتهم من خلق العقائد الفكرية والروحية والاخلاقية والفلسفية وكذلك السياسية الى حدٍ ما ، للفئات المناوئة لهتلر. واذا ما حكمنا على ضوء الوثائق التي خلفوها تبيّـن لنا انهم جميعاً ، قد شنقوا قبل نهاية الحرب ، وان هذه الوثائق تضمنت الخطط التي وضعوها للحكم المقبل، وللأسس الاقتصادية والاجتماعية والروحية للمجتمع الجديد ، وان ما هدفوا اليه جميعاً هو اقامـــة اشتراكية مسيحية ، يعيش فيها الناس جميعاً كالأخوة ، وتعالج جميع الشرور الفظيعة التي تعاني منها العصور الحديثة ، والتي تحطم الروح البشرية . وهكذا كانت مبادؤهم نبيلة تحلق في اجواء السحب ، وقد اضفوا عليها شيئاً من الصوفية الألمانيـــة .

ولكن هؤلاء الشبان السامين في افكارهم كانوا من المتأنين أشد الأناة الى حد لا يصدق. كانوا يكرهون هتلر ، وكل ما ألحقه من حطةٍ بألمانيا وأوروبا. ولكن همهم لم يكن منصرفاً الى الاطاحة به . فلقد رأوا ان هزيمة المانيا القادمة حتما هي التي ستحقق هذه النتيجة . وراحوا يركزون اهتمامهم على مـــا سيقع بعد ذلك . وكتب مولتكيه في ذلك الوقت يقول : « تمثـل أوروبة بعد الحرب في نظرنا قضية الصورة التي ستكون للانسان في أفئدة اخواننا المواطنين » .

وناشدت دوروثي تومبسون الصحفية الأمريكية المشهورة والتي عاشت سنوات طويلة في المانيا وعرفتها خير معرفة ، مولتكيه بوصفهـا صديقة حميمة وقديمة من اصدقائه ان يهبط من برجه العاجي . وراحت تتوسل في سلسلة من اذاعات الموجة القصيرة الموجهة من نيويورك في صيف عام ١٩٤٢ الى « هانز » ،

ان يقوم هو واصدقاؤه بعمل ما للخلاص من الديكتاتور الشيطان . وحاولت تذكيره بقولها : « اننا لا نعيش في عالم من القديسين وانما نعيش في عالم من البشر ثم قالت :

« وعندما لقيتك يا هانز ، آخر مرة ، وتناولنا الشاي معاً على تلك الشرفة الجميلة القائمة على البحيرة . . قلت لك ، بأن الواجب يحتم عليك ان تعرض في يوم ما بالعمل ، العمل الجذري ، المكان الذي تقف فيه . . وإني لأذكر انني سألتك اذا كنت انت واصدقاؤك تجدون في انفسكم الشجاعة الكافية لهذا العمل . . » [1]

وكان هذا السؤال في الصميم ، اما الرد عليه ، فقد تبين في ان مولتكيه واصدقاءه ، كانوا يتحلون بالشجاعة الكافية للحديث ، وهي ما اوصلتهم الى حبل المشنقة ، ولكنهم لم يكونوا يتحلون بالشجاعة اللازمة للعمل .

وكان هذا الضعف في تفكيرهم لا في قلوبهم – اذ انهم جميعاً ، قابلوا حتفهم بشجاعة فائقة ، هو السبب الرئيسي في الخلافات التي قامت بين حلقة كريساو وبين جماعة بيك – غويردلر – هاسيل ، من المتآمرين ، وان كانوا قد اختلفوا ايضاً حول طبيعة الحكومة المقبلة التي ستخلف العهد النازي وطريقة تشكيلها .

وعقدت سلسلة من الاجتماعات بينهم بعد المؤتمر العام الذي عقدوه في منزل بيتر يورك في الثاني والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٣ برئاسة الفريق بيك الذي وصفه هاسيل في يومياته « بالضعف والتحفظ » [2] ودارت مناقشات حادة بين « الشبان » و « الشيوخ » على حد تعبير هاسيل في موضوع السياسة الاقتصادية والاشتراكية المقبلة ، ووقع صدام بين مولتكيه وغويردلر . وخيل الى هاسيل ان رئيس بلدية لا يبزيغ السابق كان « رجعياً » ولاحظ ما يتميز به مولتكيه من « ميول الى السلام والى الانكلو – سكسونيين) ويبدو ان الغستابو قد تتبعت

---

١ – دوروثي تومبسون – اسمع يا هانز . ص ١٧ – ١٣٨ و ص ٢٨٣ .
٢ – هاسيل – مذكرات ص ٢٨٣ .

ايضاً كل ما دار في هذا الاجتماع ، اذ انها قدمت في المحاكمات اللاحقة التي جرت للمشتركين فيه ، سرداً مدهشاً للغاية لكل ما دار فيه من مناقشات .

وكان هملر متتبعاً لآثار جميع المتآمرين بشكل اقوى من كل مـــا توقعوه . ولعل من سخريات هذا السرد التاريخي ، ان هملر ، رئيس الحرس النازي المهذب الشكل والمتعطش للدماء ، وكبير شرطة الرايخ الثالث ، كان قد بدأ في هـــذه اللحظة من حياة الرايخ ، أي في عام ١٩٤٣ ، عندمـــا ظهرت تباشير الهزيمة وضياع النصر ، يهتم اهتماماً شخصياً لا يخلو من العطف ، بحركة المقاومة التي تضم عدداً من معارفه واصدقائه . ولعل ما يوضح عقلية المتآمرين ، ان عدداً منهم ، وفي مقدمته بوبيتز بالطبع كان يرى في هملر ، البديل المحتمل لهتـلر . لكن رئيس الحرس النازي الذي تظاهر حتى النهاية بالولاء المتعصّب للفوهرر ، شرع يرى هذ الاحتمال ايضاً ، وظل يمثل دوراً مزدوجاً حتى النهاية ، فأطاح بدوره هذا برؤوس عدد كبير من المتآمرين البواسل .

* * *

وبدأت المقاومة تعمل في ثلاثة ميادين. فلقد واصلت حلقة كريساو مناقشاتها التي لا تنتهي لإعداد برنامج « الألف سنة » لألمانيا أما جماعة بيك ، وافرادها ابعد عن الابراج العاجية من السابقين ، فكانوا يعملون بطريق أو بآخر على قتل هتلر ، وتسلم زمام الحـكم . وكانت هذه الجماعة تقيم اتصالات مـع الغرب ، لافهام الحلفاء الديمقراطيين حقيقة ما هو واقع ، وللاستفهام منهم عـن طراز الصلح الذي سيتفاوضون من اجله مع الحكومة الجديدة المناهضة للنـــازية.[1]

---

١ ـ ورد في بعض المذكرات التي كتبها عدد من الالمان ، ان النازيين اجروا في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ اتصالات مع الروس لاجراء مفاوضات صلح معهم ، وان ستالين نفسه قد عرض البدء بالمحادثات لعقد صلح منفرد . وروى ريبنتروب في محاكمات نورمبرغ الجهود الكثيرة التي قام بها ، والتي تبجح بها للاتصال بالروس ، واضاف انه اجرى بالفعل اتصالات مع عملاء =

وكانت هذه الاتصالات تجري عن طريق ستوكهولم وسويسرا .

وكان غويردلر ، يجتمع دائماً في ستوكهولم الى الماليتين ماركوس وجيكوب واللنبرغ ، اللذين عرفهما منذ امد بعيد ، وصاحبي العلاقات التجارية والشخصية الواسعة والوثيقة في لندن وقد حث غويردلر في احد هذه الاجتماعات الذي عقد في نيسان عام ١٩٤٢ ، جيكوب واللنبرغ ، على الاتصال بتشرشل . اذ اراد المتآمرون تأكيداً مسبقاً من رئيس الوزراء ،بأن الحلفاء على استعداد لعقد الصلح مع المانيا ، اذا قاموا باعتقال هتلر والاطاحة بالعهد النازي . ورد واللنبرغ ، بأنه يعرف على ضوء معلوماته ، ان الحكومة البريطانية لا تستطيع إصدار مثل هذا التأكيد .

وقام اثنان من رجال الدين اللوثريين باتصال مباشر بعد نحو من شهر مع البريطانيين في ستوكهولم . وكان هذان الرجلان اللذان ارتحلا الى ستوكهولم بهويتين مزورتين، اعدهما لهما العقيد اوستر من رجال المخابرات الالمانية ،عندما سمعا بوصول الدكتور جورج بيل اسقف مدينة شيشيستر الانجيلي ، اليها ، هما الدكتور هانز شوينفيلد عضو مكتب العلاقات الخارجية للكنيسة الألمانية الانجيلية ، والقس ديتريش بونهويفر ، الواعظ المشهور والمتآمر النشيط .

ونقل الرجلان الى الاسقف البريطاني الخطط التي اعدها المتآمرون، واستعلما منه عما اذا كان الحلفاء الغربيون على استعداد لعقد صلح كريم مع حكومة لا نازية بعد الاطاحة بهتلر ، وطلبا اليه ان يرسل رداً اما في رسالة خاصة أو على شكل بيان رسمي يصدر عن الحكومة . واراد بونهويفر ، التأثير على الأسقف واقناعه بأن المؤامرة ضد هتلر جدية كل الجد ، فقدم اليه قائمة بأسماء زعماء

= السوفيات في ستوكهولم . وروى بيتر كلايست الذي كان ممثلا لريبنتروب في ستوكهولم في كتابه شيئا عن هذه الاتصالات « بين هتلر وستالين » وشهادة ريبنتروب في محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٢٩٩) . واني لاعتقد ان في الامكان كتابة فصل رائع عن هذه القصة عندما تبرز جميع الوثائق الالمانية السرية .

المؤامرة ، فكان عمله هذا افتقاراً للحيطة ، سرعان ما كلفه حياته ، ومهد السبيل لإعدام آخرين .

وكانت هذه المعلومات اكثر ما وصل الى الحلفاء صدقاً ودقة عن المعارضة الألمانية ومشروعاتها ، وقد قام الاسقف بيل بنقلها فوراً الى انطوني ايدن ، وزير الخارجية ، فور عودته الى لندن في شهر حزيران ، لكن ايدن ، الذي كان قد استقال من المنصب الذي يحتله الآن في عام ١٩٣٨ ، احتجاجاً على سياسة ترضية هتلر التي اتبعها رئيسه تشمبرلين ، تشكك الآن في صحة هذه المعلومات ، لا سيما وكانت الحكومة البريطانية قد تلقت نظائرها من متآمرين مزعومين المان ، في مرات عدة منذ ايام ميونيخ . ولم تكن هذه المعلومات قد اسفرت عن عمل واقع ولهذا قرر ايدن عدم الرد على القسيّن الألمانيين .[1]

وجرت اتصالات الألمان السرية مع الحلفاء في سويسرا ، عن طريق آلين دالاس ، الذي كان يرئس المكتب الامريكي للخدمات الاستراتيجية هناك (المخابرات) منذ تشرين الثاني عام ١٩٤٢ ، حتى نهاية الحرب . وكان هانز غزيفيوس ، هو اكثر زائريه اذ كان يرتحل دوماً من برلين الى برن ، عاملاً بجد ونشاط في ميدان المؤامرة كما سبق لنا القول وكان غزيفيوس يعمل مع المخابرات الألمانية ، وقد عهد اليه بمنصب نائب قنصل في القنصلية الألمانية العامة في زوريخ . وكان عمله الرئيسي نقل الرسائل من بيك وغويردلر الى دالاس ، واطلاعه اولا بأول على تقدم المؤامرات ضد هتلر . وتضمنت قائمة زائري دالاس ايضاً الدكتور شوينفيلد وتروت زو سولز ، وهو عضو في حلقة كريساو ، وفي المؤامرة ، وقد ارتحل مرة واحدة الى سويسرا « لإنذار » دالاس ، كما انذره آخرون ، بأن المتآمرين سيجدون انفسهم مرغمين في حالة رفض الحلفاء الغربيين التفكير في صلح كريم مع العهد الألماني الجديد المناوىء للنازية ، الى الاتجاه نحو روسيا

---

١ – جورج بيل « الكنيسة والانسانية » ص ١٦٥ – ١٧٤ . وكتاب ويلربنيت « نقمة السلطان » ص ٥٥٣ – ٥٥٧ .

السوفياتية . ولكن دالاس لم يستطع ، على الرغم من عطفه الشخصي على المتآمرين ، تقديم اية ضمانات أو تأكيدات لهم . [1]

ويدهش المرء حقاً من هؤلاء الألمان من قادة المقاومة ، الذين كانوا يصرّون كل الأصرار على الحصول على صلح مناسب من الغرب بينما كانوا يترددون في الخلاص من هتلر ، قبل الحصول على هذا الصلح . ومن حق المرء ان يعتقد بأنهم لو كانوا حقاً جد مخلصين في اعتبار النازية « شراً مخيفاً » كما كانوا يدّعون دائماً ، فإنهم ما كانوا ليتوانوا ابداً عن التركيز على محاولة الاطاحة بها ، دون تفكير في الطريقة التي سيتبعها الغرب في معاملة عهدهم الجديد ، ويقع الانسان تحت تأثير الانطباعات بأن عدداً كبيراً من هؤلاء « الألمان الطيبين » قد وقعوا بسهولة في شرك الانحاء باللامة على العالم الخارجي لما منوا به من فشل ، وهو عين الشرك الذي وقعوا فيه في الماضي والذي ادى الى الكوارث التي حلت بألمانيا بعد خسارتها الحرب الكونية الأولى ، كما ادى الى ظهور هتلر نفسه .

عملية الوميض

قال : غويردلر لجيكوب واللنبرغ في ستوكهولم انهم قد « وضعوا خططهم للقيام بانقلاب في شهر آذار »

وبالفعل وضعوا هذه الخطط . فقد اتموا استعداداتهم في شهري كانون الثاني وشباط ، للقيام « بعملية الوميض » واشرف على اعدادها الفريق فريدريك اولبرخت ، رئيس المكتب العام للجيش ، والفريق فون تريسكو رئيس هيئة اركان حرب مجموعة جيوش الوسط في روسيا التي يتولى قيادتها فون كلوغه . وكان اولبرخت هذا رجلاً شديد التدين ، وقد انضم مؤخراً الى المتآمرين ،

1 ــ آلين دلاس ــ الحركة السرية في المانيا ــ ص ١٢٥ ــ ١٤٦ . يورد دالاس نص المذكرة التي كتبها له جيكوب واللنبرغ عن اجتماعه بغويردلر .

ولكنه سرعان ما غدا بحكم مركزه ، يحتل مكانة بارزة بينهم وكان في وسعه بوصفه نائباً للفريق فريدريك فروم ، قائد جيش الاحتياط ، ان يحشد حامية برلين وغيرها من المدن الكبرى في الرايخ وراء المتآمرين . وكان فروم هذا ، ككلوغه نفسه ، قد طاشت آماله في الفوهرر ، ولكنه لم يكن موثوقاً الى الحد الذي يسمح بإشراكه في المؤامرة .

وراح اولبرخت يقول لفابيان فون شلابريندورف الشاب ، وهو ضابط صغير في اركان حرب تريسكو في نهاية شهر شباط : « نحن على استعداد ، وقد حان الوقت لعملية الوميض . » وعقد المتآمرون في مطلع شهر آذار مؤتمراً اخيراً في سمولنسك ، وفي مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط . وعلى الرغم من ان امير البحر كاناريس رئيس المخابرات العسكرية العام لم يكن مشتركا في العملية ، إلا انه كان عارفاً بها ، واشرف على ترتيبات الاجتماع ونقل معه بالطائرة هانز فون دوهنانيي والفريق ايروين لاهوزين وكلاهما من اركان حربه ، الى سمولنسك ، لحضور مؤتمر لضباط مخابرات الجيش . اما لاهوزين وهو ضابط مخابرات سابق في الجيش النمسوي ، والمتآمر الوحيد من رجال المخابرات الألمانية الذي عاش حتى نهاية الحرب ، فقدحمل معه ،عدداً منالقنابل.

وكان شلابريندورف وتريسكو قد وجدا بعد عدة تجارب ان القنابل الألمانية لا تصلح لتنفيذ الغاية. فهي تعمل ، كما شرح الضابط الشاب فيما بعد عن طريق فتيل يحدث ازيزاً منخفضاً قد يؤدي الى الكشف عن وجودها وتعطيلها قبل انفجارها . [1] ووجد الضابطان ان القنابل البريطانية اصلح لتنفيذ الغاية . ويقول شلابريندورف : « ان هذه القنابل لا تحدث أي صوت قبل انفجارها » . وكان السلاح الجوي البريطاني قد قذفبعدد منهذهالقنابل الى عملاء الحلفاء في المناطق الاوروبية المحتلة ، للقيام بأعمال التخريب ، وكانت إحداها هي التي استخدمت في قتل هايدريش ، كما كانت المخابرات الألمانية قد

---

١ ـ تستند هذه القصة على تقرير شلابريندورف « كادوا يقتلون هتلر » ص ٥١ ـ ٦١ .

جمعت عدداً منها وسلمتها الى المتآمرين .

وقرر المجتمعون في سمولنسك اغراء هتلر بالمجيء الى مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط ، للتخلص منه فيه . وكان قتله نقطة الإشارة للانطلاق بتنفيذ الانقلاب في برلين .

ولكن مهمة اغراء سيد الحرب الذي – بات الآن كثير الشكوك في معظم قادته العسكريين . للوقوع في الفخ لم تكن بالأمر السهل. ولكن تريسكو تمكن من التأثير على احد اصدقائه القدامى وهو الفريق شموندت ، الذي بات مساعداً عسكرياً لهتلر ، لاغراء الزعيم بزيارة مقر القيادة في سمولنسك ، وقد تمكن هذا من اقناعه بعد لأي وتردد ، وبعد اكثر من تأجيل واحد ، بزيارة المقر في الثالث عشر من آذار عام ١٩٤٣ . وان كان شموندت نفسه لا يعرف شيئا عن المؤامرة.

وكان تريسكو في غضون ذلك يجدد محاولاته لاقناع رئيسه كلوغه بتولي الدور القيادي في قتل هتلر . واقترح على المشير ان يقوم المقدم فريهير فون بويسيلاغر [1] وهو قائد وحدة من الخيالة في مقر القيادة ، باستخدام وحدته في الخلاص من هتلر وحراسه عند وصولهم . وكان بويسيلاغر متلهفاً اشد التلهف للقيام بهذا العمل . ولم يكن ينتظر اكثر من مجرد أمر يصدر اليه من المشير . ولكن هذا القائد المتردد لم يكن من النوع الذي يستطيع ان يحزم امره . ولهذا قرر تريسكو وشلابريندورف تولي زمام الأمر بأيديهما .

واتفقا على ان يضعا قنبلة انكليزية الصنع في طائره هتلر ، لتنفجر في طريق العودة . واوضح شلابريندورف فيما بعد « ان ظواهر الانفجار ستشير الى مجرد حادث عادي مما يبعد عن الموضوع طابع القتل بكل ما فيه من اخطار . فلقد كان لهتلر في ذلك الوقت عدد كبير من الاتباع ، وكان لا بد لهؤلاء بعد مثل هذا الحادث ان يقاوموا ثورتنا مقاومة عنيفة » .

---

١ – اعدمه النازيون ايضا .

وتعرض الضابطان المناهضان للنازية مرتين بعد ظهر ذلك اليوم الثالث عشر من آذار ومسائه ، بعد وصول هتلر الى مقر القيادة ، لاغراء تبديل خطتها ، وتفجير القنبلة ، اما في مقر كلوغه الشخصي حيث كان هتلر يتشاور مع كبار القادة العسكريين في المجموعة او في مطعم الضباط حيث تناول الجميع عشاءهم.[1] ولكن مثل هذا العمل سيؤدي الى مصرع عدد من القادة العسكريين الذين كان المتآمرون يعتمدون عليهم بعد ان يتحرروا من قسم الولاء الشخصي للفوهرر ، في تسلّم زمام الحكم في الرايخ .

وظلت هناك مشكلة ايصال القنبلة الى طائرة الفوهرر التي كان من المقرر اقلاعها فور انتهاء العشاء . وكان شلابريندورف قد جمع « حزمتين متفجرتين » أعدهما في شكل رزمة تضم زجاجتي « كونياك » وطلب تريسكو إبان العشاء بمنتهى البراءة من العقيد هاينز براندت من هيئة اركان الحرب العامة ، وأحد افراد حاشية الفوهرر ، ان يتكرم بحمل زجاجتي كونياك كهدية الى صديقه القديم الفريق هيلموث ستيف [2] رئيس فرع التنظيم في القيادة العامة للجيش . وقد رد براندت الذي لم يشك في شيء بأنه سيكون سعيداً لتلبية رغبة تريسكو .

ومد شلابريندورف بعصبية يده من ثقب في الرزمة ، عندما وصل الجميع الى المطار ، وادار جهاز القنبلة الموقوتة ، ثم سلمها الى براندت ، وهو يستقل طائرة الفوهرر وكانت القنبلة من النوع الدقيق المتقن اذ لم تكن تضم ساعة واشية بدقاتها. فعندما ضغط الضابط الشاب على زر فيها ، كسر زجاجة صغيرة ، مطلقاً مادة كيمائية آكلة ، كان مقرراً لها ان تتلف سلكاً يشد « زنبركاً » في القنبلة .

---

١ ـ يقول شلابريندوف انه اتيح له في الاجتماع الاول ان يفحص القلنسوة الكبيرة التي كان هتلر يرتديها . وقد دهش من ثقلها . وقد تبين له بعد فحصها انها مدرعة بثلاثة ارطال ونصف الرطل من صفائح الفولاذ .

٢ ـ اعدمه النازيون ايضا .

وعندما ينتهي السلك ، يضغط « الزنبرك » الذي يدفع أمامه « مطرقة » تقرع على مفجّر سرعان ما يؤدي الى انفجار القنبلة .

ويقول شلابريندورف ان الانفجار كان متوقعاً بعد ان تجتاز الطائرة سماء منسك ، أي بعد نحو من ثلاثين دقيقة من اقلاعهـــا من سمولنسك . واشتد به الحماس فهتف لبرلين ، وابلغ المتآمرين بالرموز ان عملية الوميض قـــد بدأت . ووقف هو وتريسكو في لهفة زائدة يترقبان وصول النبأ العظيم وكانا يتوقعان مجيء هذا النبأ من احدى الطائرات المحاربة التي تتولى حراسة طائرة الفوهرر . وأخذا يعدان الدقائق واحدة إثر اخرى،فمضت عشر دقائق وعشرون وثلاثون وأربعون..وساعة كاملة دون ان يصل أي نبأ من الطائرة.وجاء هذا النبأ اخيراً بعد ساعتين. فقد وصلت رسالة عادية رتيبة تقول ان طائرة الفوهرر هبطت في راستنبرغ . ودوّن شلابريندورف يقول :

« وصعقنا هذا النبأ ، ولم يكن في وسعنا ان نتصور الفشل . وهتفت على الفور الى برلين أذكز لهم بالرموز ان المحاولة لم تنجح . وتشاورت مع تريسكو فوراً فيما يجب ان نفعل . لقد هزنا الفشل هزة عنيفة . ولا ريب في ان فشل المحاولة كان امراً خطيراً للغاية لكن ما هو أسوأ من ذلك اكتشاف القنبلة ، مما يؤدي حتماً الى الكشف عن أمرنا واعدام عدد كبير من اعواننا الوثيقين » .

لكن القنبلة لم تكتشف ابداً . فلقد هتف تريسكو تلك الليلة الى العقيـــد براندت يسأله اذا كان قد تكرم بايصال الهدية الى الفريق ستيف فجاءه الرد بأن الوقت لم يسمح له حتى تلك الساعة بأداء الأمانة . وقال له تريسكو انه سعيد لهذا ، وطلب اليه ان لا يسلم الهدية ، نظراً لوقوع خطأ في نوع الزجاجتـــين ، وذكر له ان شلابريندورف سيصل في اليوم التالي الى مقر القيادة العامة في عمل رسمي وانه سيحمل معه الزجاجتين الصحيحتين اللتين كان يعتزم ارسالها منذ البداية .

وطار شلابريندورف بشجاعة منقطعة النظير الى مقر قيـــادة هتلر وسلم زجاجتي كونياك صحيحتين بدلاً من القنبلة .. وراح يروي فيما بعد :

« ولا أزال أذكر ما اصابني من فزع عندما سلمني براندت القنبلة ورجّها رجّة عنيفة خفت معها ان يحدث الانفجار المتأخر بسببها . وتصنّعت الهدوء عندما تسلمت القنبلة ، ثم مضيت فوراً الى سيارتي فقدتها الى محطة كورستن القريبة » .

وهناك استقل شلابريندورف قطار الليل الى برلين وراح في خلوته في عربة النوم ، يفك القنبلة . وسرعان ما اكتشف ما حدث ، أو بالأحرى لِمَ لم تنفجر القنبلة ..

« لقد ادى الجهاز عمله ، وتحطمت الزجاجـــة الصغـــيرة ، وأكل السائل الأكال السلك ، وانطلقت المطرقة ، ولكن المفجّر لم يعمل » .

* * *

وأحس المتآمرون في برلين بخيبة الأمل ، ولكنهم لم يفقدوا العزم ، وقرروا القيام بمحاولة جديدة لاغتيال هتلر . وسرعان ما أتيحت لهم فرصة رائعة . فلقد كان من المقرر ان يشهد هتلر ومعه غورنغ وهملر وكايتل احتفال يوم الابطال في الواحـــد والعشرين من آذار في برلـــين في ساحـــة المعرض . وهكـــذا وجدت الفرصة لا للخلاص من هتلر وحده ، بل ومن كبار مساعديه ايضاً . ولقد قال العقيد فريهير فون غيرزدورف رئيس مخابرات هيئة اركان حرب كلوغـــه فيما بعد « ان الفرصة التي أتيحت الآن كانت من النوع الذي لايعوّض ابداً » . واختار تريسكو هذه المرة غيرزدورف للتصرف بالقنبلة ، وكانت المهمـة الآن من النوع الانتحاري ، فلقد قضت الخطة بأن يخفي العقيد قنبلتين في معطفـه ، وان يشعل الفتيلين ثم يقف على مقربة من هتلر اثناء الاحتفـــال بحيث تنفجر

القنبلتان ، وتحملان معها الفوهرر وحاشيته والعقيد نفسه الى العالم الثاني . وقد تطوع غيرزدورف ببسالة رائعة للقيام بهذا العمل والتضحية بحياته .

واجتمع مساء العشرين من آذار بشلابريندورف في غرفته في فندق ايدن في برلين ، وقد حمل شلابريندورف معه قنبلتين يشتعل فتيلها في غضون عشر دقائق . ولكن نظراً لدرجة الحرارة التي تبلغ التجمد في الباحة المغطاة بالزجاج في مكان الاحتفال .كان من المتوقع ان يستغرق اشتعال الفتيلين مدة تتراوح بين خمس عشرة دقيقة والعشرين قبل وقوع الانفجار . وكان من المقرر ان يقضي هتلر في هذه الباحة نحواً من نصف ساعة بعد الانتهاء من إلقاء خطابه ، ليشهد معرضاً للنصب التذكارية الروسية المنهوبة ، اعده غيرزدورف واركان مكتبه . وكان هذا هو المكان الوحيد الذي يستطيع فيه الدنو من هتلر لقتله .

وراح غيرزدورف يشرح فيما بعد حقيقة ما وقع فقال : [1]

« وحملت في اليوم التالي قنبلتين في جيبي معطفي ، وفي كل منهما فتيل يستغرق اشتعاله عشر دقائق. وقررت ان اقترب من الفوهرر اكثر ما استطيع ليمزقه الانفجار عند وقوعه شر ممزق . وعندما دخل هتلر الى قاعة المعرض ، جاءني شموندت وقال ان الفوهرر لا يستطيع ان يقضي اكثر من ثماني دقائق أو عشر في عرض النصب التذكارية. وهكذا لم يعد هناك وجود لاحتمال اغتيال هتلر . اذ ان اشتعال الفتيل يتطلب عشر دقائق على الأقل ، حتى ولو كانت درجة الحرارة عادية . وهكذا كان التبدل الذي طرأ في اللحظة الاخيرة على البرنامج ، والذي كان صورة لاساليب هتلر الماكرة في الحرص على سلامته ، سبباً في نجاته من الموت

- تحدث غيرزدورف بذلك الى رودلف بيشيل الذي نقل اقواله بتفصيل في كتابه « المقاومة الالمانية » .

مرة ثانية » [1]

ويقول غيرزدورف ان الفريق فـــون تريسكو كان يتابع من سمولنسك بلهفة وقلق ، اذاعة وصف الاحتفال من اذاعة برلين ، وهو يحمل « ساعة منبهة في يده . » وعندما اعلن المذيـع ان هتلر ترك القاعة بعد ثماني دقائــق من وصوله اليها ، ادرك الفريق ان محاولة أخرى لاغتيال هتلر قد منيت بالفشل .

وجرت ثلاث محاولات اخرى مماثلة في ترتيبها للاعتداء على حيـــاة هتلر ولكنها منيت جميعها بالفشل كما سنرى .

ووقع عصيان تلقائي في المانيا في مطلع عام ١٩٤٣ ، ساعد على الرغم من تفاهته وصغر حجمه على بعث المعنوية الخامدة لدى المعارضة ، بعد ان منيت بالفشل جميع محاولاتها للخلاص من هتلر وقد اقام هذا العصيان الدليل على الغلطة التي يمكن فيها للسلطات النازية ان تقضي على اية بادرة من بوادر المعارضة .

كان طلاب الجامعات في المانيا ، كما رأينا من قبل ، اكـــثر الناس تعصباً للنازية منذ مطلع حقبة الثلاثين. ولكن آمالهم قد طاشت بعد سنوات من الحكم الهتلري ، اشتدت خيبتهم من جراء فشل المانيا في الفوز بالحرب ولا سيما بعـد كارثة ستالينغراد في عام ١٩٤٣ . واصبحت جامعة ميونيخ ، المدينة التي ولدت النازية ، المستنبت الذي نشأت فيه ثورة الطلاب . وتولى قيادة هـــذه الثورة طالب في قسم الطب يدعى هانز شول وشقيقته ، صوفي ، الطالبة في قسم علم الحياة . وتمكن هؤلاء الطلاب ، من نشر الدعاية المناهضة للنازية في الجامعات

---

١ ـ لعل من الصعوبات التي تواجه المؤلف في سرد أعمال المتآمرين هو ان مذكرات القليلين منهم الذين نجوا من الموت بعيدة عن الحقيقة ، بحيث لا تختلف الروايات عن بعضها فحسب بل وتضارب ايضا . فلقد روى شلابريندورف مثلا في كتابه ، وهـــو الرجـــل الذي حمل القنبلتين لغيرزدورف ان محاولة الخلاص من هتلر في المعرض قد عدل عنها بسبب تعذر الحصول على فتيل قصير المدة اللازمة لاشتعاله . ويبدو انه لم يكن يعرف أو انه كان قد نسي ان غيرزدورف قد مضى فعلا الى المعرض ليحاول تنفيذ المهمة التي أوكلت اليه ، على الرغم من انه يقول ، ان غيرزدورف هذا ابلغه في الليلة الفائتة انه سيحاول القيام بالعمل ، بالفتيلين المتوفرين لديه .

الأخرى عن طريق مـا أصبح يدعى « برسائل الوردة البيضاء » ، كما اتصلوا بالمتآمرين في برلين .

ودعا القائد النازي في بافاريا بول غيسلر ، مجلس الطلاب الى الاجتماع في أحد ايام شباط عام ١٩٤٣ ، بعد ان تلقى ملفاً كاملاً عن هذه الرسائل من الغستابو ، وأبلغهم ان غير الصالحين بدنياً من الذكور ، سيطلبون للعمل في ناحية اكثر نفعاً في المجهود الحربي ، أما الصالحون بدنياً فقد جندوا للخدمة العسكرية في الجيش ، واقترح على الطالبات وهو ينظر اليهن شزراً ، ان تلد الواحدة منهن في كل عام طفلاً يعمل لخير الوطن .

وأضاف قائلاً : «واذا كانت بعض الفتيات يفتقرن الى الجمال الكافي للحصول على رفيق او عشير ، فسأخصص لكل واحدة منهن أحد رجالي ...واني أعدها بأن تمارس متعة ملذّة للغاية » .

وعرف عن البافاريين ميلهم الى المزاح المصحوب بالفظاظة ، لكن هـذا الرخص في القول ، كان اكثر ممـا يحتمله الطلاب ، فراحوا يصرخون على القائد وينادون بسقوطه ، وطردوا من القاعة جميع رجال الغستابو والحرس النازي الذين جاءوا يتولون حمايته . وقام الطلاب بعد ظهر ذلك اليوم نفسه بمظاهرات صاخبة ومناهضة للنازية في شوارع ميونيخ فكانت المظاهرات الاولى التي شهدها الرايخ الثالث طيلة وجوده . وسرعان ما شرع الطلاب بقيادة الاخوين شول في توزيع منشورات تحض الطلاب الألمان علناً على الثورة . وشاهد أحد مراقبي الابنية هانز وصوفي شول ، يقومان بتوزيـع المناشير في التاسع عشر من شباط من شرفة الجامعة ، فنقل ما رآه الى الغستابو .

وكانت نهاية الأخوين وحشية وسريعة . فقد سيقا أمام محكمة الشعب المرعبة التي يرئسها رولانـد فريزلر اكثر النازيين شراً وتعطشاً للدماء في الرايخ الثالث بعد هايدريش ، اذ سترد قصته فـيما بعد في هذا الكتاب . وأدانتهما المحكمة وقضت عليهما بالاعدام بتهمة الخيانة. ويبدو ان رجال الغستابو تولوا تعذيب صوفي

اثناء التحقيق حتى انها ظهرت أمام المحكمة محطمة القدم . لكن روحها المعنوية لم تضعف أبداً . وراحت ترد على تعنيف فريزلر القاسي بقولها وهي هادئة : « انك تعرف كما نعرف نحن اننا خسرنا الحرب . فلماذا تجبن عن الاعتراف بهذه الحقيقة ؟ »

ومشت على عكازتها الى المقصلة ، وماتت ميتة الابطال كشقيقها ونفذ حكم الاعدام بعد بضعة ايام بالاستاذ هوبر وبعدد آخر من الطلاب [١] .

وكان هذا الحادث بمثابة انذار الى المتآمرين في برلين ، بالخطر الذي يواجههم في وقت كان افتقار البعض منهم الى الحرص والحذر ، سبباً دائماً يقض على رفاقهم مضاجعهم . فلقد كان غوبردلر نفسه مهذاراً كثير الكلام . وكانت المحاولات التي بذلها بوبيتز لحمل هملر وغيره من ضباط الحرس النازي على الانضمام الى المؤامرة ،شديدة الخطورة كذلك . وفزع وايزساكر الذي لا يضاهى والذي أراد بعد انتهاء الحرب تصوير نفسه بصورة « المقاوم » الجسور العنيد ، فزعاً شديداً الى الحد الذي دعاه الى قطع جميع علاقاته بصديقه الحميم هاسيل متهماً اياه وزوجته السيدة فون هاسيل « بالرعونة البالغة » ومحذراً اياه من اشتباه الغستابو بأمره [٢] .

---

١ ـ هناك روايات عدة عن ثورات الطلاب بعضها من مصادر ذات صلة مباشرة بها . وأهم هذه المصادر كتاب « الوردة البيضاء » لانج شول وكتاب « مثل التضحية في جامعة ميونيخ » لكارل فوسلر وكتاب « حركة طلاب ميونيخ ضد هتلر » لريكاردا هوش وكتاب بيشيل « المقاومة الالمانية » ص ٩٦ ـ ١٠٤ . وكتاب وبلر بنيت « نقمة السلطان » ص ٥٣٩ ـ ٥٤١ ، وكتاب آلين دالاس « الحركة السرية في المانيا » ص ١٢٠ ـ ١٢٢ . وكذلك مجلة الراي العام السويسرية .

٢ ـ وصف هاسيل المنظر المؤلم في يومياته فقال : « طلب الي أن اوفر عليه ما يلحقه حضوري به من ازعاج . وعندما حاولت الاعتراض ، قاطعني بفظاظة » (يوميات فون هاسيل ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧) . ولم يقم وايز ساكر بحث المتآمرين جديا على العمل الا بعد ان شعر بالطمأنينة بعد تعيينه سفيرا لالمانيا في الفاتيكان : وعلق هاسيل على ذلك قائلا : « من السهل على المرء ان يقوم بهذا الدور من الفاتيكان » . وقد عاش وايز ساكر ، ليكتب بعد انتهاء الحرب مذكراته الرخيصة . أما يوميات هاسيل فقد نشرت بعد اعدامه .

وكانت الغستابو تراقب عـــدداً آخر من المتآمرين ولا سيما غويردلر الهواني الكثير الثقة ، لكن الضربة التي حلت بالمتآمرين فور فشل المحاولتين لقتل هتلر في شهر آذار المخيِّب للآمال من عام ١٩٤٣ ، جاءت ، على سبيل المفارقـــة المضحكة ، وليدة المنافسة بـين جهازي المخابرات في المانيا لا وليدة الدقة في استشمام الأمور ومتابعتها . فلقد أراد مكتب الأمن المركزي (R. S. H. A.) التابع لهملر وحرسه النـــازي ، ان يتخلص من أمير البحر كاناريس رئيس المخابرات العسكرية ، وان يتولى السيطرة على الجهاز الحربي كله .

ففي خريف عام ١٩٤٢ ، اعتقل تاجر من أهل ميونيخ يدعى شميدت — هوبر بتهمة تهريب النقد الأجنبي عبر الحدود الى سويسرا . وكان هذا الرجل بالفعل من عملاء المخابرات الألمانية ، ولكنه دأب منذ عهد بعيد على تهريب النقد عبر الحدود لحساب جماعة من اللاجئين اليهود في سويسرا . وكانت هذه الجريمة ، أشد ما يمكن لألماني أن يقترفه في الرايخ الثالث من جرائم ، حتى ولو كان من رجال المخابرات . وعندما تقاعس كاناريس عن حماية عميله ، راح هذا يعترف للغستابو بكل ما يعرفه عـن المخابرات العسكرية ، فاتهم هانز فون دوهناني الذي كان يمت مع رفيقه العقيد اوستر الى الحلقة الداخلية من المتآمرين . وأبلغ شميدت هوبر ، رجال هملر ، بالمهمة السرية التي قام بها الدكتور جوزيف مويلر في الفاتيكان في عام ١٩٤٠ ،عندما اتصل بالبريطانيين عن طريق البابا .وكشف لهم أيضاً زيارة القس بونهويفر الى ستوكهولم واجتماعه بأسقف شيسيستر في عام ١٩٤٢ ، بجواز سفر مزوّر ، زوده به رجال المخابرات .وراح يلمح الى مشاريع أوستر المتعددة للخلاص من هتلر .

وشرعت الغستابو في العمل بعـــد أشهر من التحقيقات الطويلة ، فاعتقلت دوهناني ومويلر وبونهويفر في الخامس من نيسان عام ١٩٤٣، وأرغمت اوستر، الذي تمكن من احراق كل ما لديه من أوراق تدينه ، على الاستقالة في شهر كانون الأول من العمل في المخابرات ، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله في

لايبزيغ [1]

وكانت هذه الخطوة بمثابة ضربة ترنح المتآمرون من شدتها . فلقد ذكر شلابريندورف في كتابه أن أوستر كان « رجلاً بمعنى الكلمة ، هادىء التفكير مرن التصرف ، لا يخشى ولا يهـاب في أوقات الخطر » ولذا فقد احتل مكانه بارزة بين المتآمرين ولعب دوراً هاماً منذ عام ١٩٣٨ في المؤامرات التي جرت لاغتيال هتلر ، بينما كان دوهنانيي ، القانوني في مهنته ، عوناً كبيراً له في مهمته . أما بونهويفر القس البروتستانتي ومويلر الكاهن الكاثوليكي فقد أضفيا قـوة روحية ضخمة على حركة المقاومة ، وقدمـا مثلاً رائعاً ، للشجاعة الفردية في المهام العديدة التي أدياها في الخارج ، وكذلك في رفضهما الاعتراف حتى بعد التعذيب الذي تعرضا له بعد اعتقالهما ، بشيء عن رفاقهما .

لكن النتيجة الخطيرة لهـذه الضربة ، هي انهيار جهاز المخابرات الذي كان يضمن للمتآمرين « الغطاء » اللازم ، وسبل الاتصال الرئيسي مع بعضهم البعض ومع القادة العسكريين المترددين ومع أصدقائهم في الغرب .

ولم تمض بضعة شهور حتى كانت تحريات همـلر واكتشافاته ، قد أدت الى اخراج جهاز المخابرات وقائده كاناريس من العمل كليّة .

وقد نشأ أحد هذه الاكتشافات مما بات يدعى في الحلقات النازية «بحفلة شاي السيدة سولف» التي جرت في العاشر من ايلول عام ١٩٤٣ . والسيدة انا سولف هي أرملة وزير سابق للمستعمرات في عهد الامبراطور غليوم الثاني ، وكان قد أشغل منصب السفير في اليابان في عهد جمهورية ويمار . وقد تولت هذه السيدة منذ عهد بعيد ادارة « ندوة » مناهضة للنازية في منزلها في برلين . وكانت هذه الندوة مسرحاً يؤمه كبار الضيوف البارزين وبينهم الكونتيسة حنة فون

---

١ ـ قام الحرس النازي باعدام بونهويفر ودوهنانيي واوستر في التاسع من نيسان عام ١٩٤٥ ، قبل أقل من شهر من استسلام المانيا . ويبدو ان اعدامهم كان عملا انتقاميا من جانب هملر . اما مويلر فقد ظل حيا حتى نهاية الحرب .

بريدار حفيدة بسمارك ، والكونت البرخت فون بيرنستون ، ابن اخي السفير الألماني في الولايات المتحدة إبان الحرب الكونية الأولى ، والأب اير كسليبن اليسوعي المعروف ، وأتو كيب الموظف الكبير في وزارة الخارجية والذي سبق له ان طرد من منصبه كقنصل عام لألمانيا في نيويورك لحضوره حفلة غداء رسمية اقيمت تكريماً للاستاذ انشتين ، ولكنه ما لبث ان عاد الى السلك الدبلوماتي ، واليزابيت فون تادّين ، السيدة المتدينة والمتألقة التي تدير معهداً للطالبات في ويبلينغين القريبة من هايدلبرغ .

وقد استصحبت الآنسة فون تادّين الى حفلة شاي السيدة سولف في العاشر من ايلول ، طبيباً سويسرياً جذاباً يدعى ريكسي ، كان يتمرن في مستشفى البر والإحسان في برلين في معية الاستاذ ساوربروخ . وقد أظهر الدكتور ريكسي كغيره من السويسريين مشاعر مناوئة للنازية ، سرعان ما اشترك فيها بعض الحاضرين ، وعرض خدماته لنقل أية رسائل تود السيدة سولف أو ضيوفها ارسالها الى أصدقائهم في سويسرا من المهاجرين الألمان المناهضين للنازية ، ومن الموظفين الدبلوماتيين البريطان والامريكيين ، وهو عرض سرعان ما تقبله اكثر من واحد من الحاضرين .

وكان الدكتور ريكسي من سوء حظ الحاضرين عميلاً من عملاء الغستابو ، فقدم لرؤسائه بعض الرسائل التي تقيم الدليل على جريمة مرسليها ، كما رفع لهم تقريراً عن حفلة الشاي التي شهدها .

وقدعلم الكونت فونمولتكيه بذلك منصديق له يعمل في وزارة الطيران ، كان قد استمع الى عدد من المكالمات الهاتفية بين الطبيب السويسري والغستابو ، فراح يبلغ صديقه كيب الذي تولى بدوره نقل النبأ الى بقية اعضاء الحلقة . ولكن الدلائل توافرت لدى هملر . وانتظر أربعة أشهر قبل ان يوجه ضربته . أملاً منه في توسيع شبكته . وتم في الثاني عشر من كانون الثاني اعتقال كافة الذين شهدوا حفلة الشاي ، وحوكموا وأدينوا ونفذ فيهم حكم الاعدام باستثناء

السيدة سولف نفسها ، وكريمتها الكونتيسة باليستريم [1] . فقد اعتقلت السيدتان في معتقل رافينزبروك ، ونجتا من الموت بأعجوبة [2] . واعتقل الكونت فون مولتكيه في هذا التاريخ ايضاً لعلاقته بصديقه كيب . ولكن اعتقاله لم يكن النتيجة الوحيدة لاكتشاف أمر كيب ، فقد امتدت النتائج من كل مكان حتى وصلت الى تركيا ، ومهدت الطريق لتصفية المخابرات العسكرية نهائياً وتسليم مهامها وأعمالها الى هملر .

وكان بين أقرب أصدقاء كيب من خصوم النازية اريك فيرميهرين وزوجته الفاتنة الكونتيسة السابقة اليزابيت فون بلاتينبرغ .وقد انضم الزوجان كغيرهما من خصوم العهد الى جهاز المخابرات العسكري الألماني ، فأوفدهما كوكيلين له الى استانبول . وقد استدعى الزوجان الى برلين ، لتقوم الغستابو باستجوابهما في قضية كيب . ولكنهما رفضا العودة ، إذ كانا يعرفان المصير الذي ينتظرهما ، واتصلا بالمخابرات البريطانية في مطلع شباط عام ١٩٤٤ . فنقلهما رجاله بالطائرة الى القاهرة ومنها الى انكلترا .

وساد الاعتقاد برلين ، وان ظهر بطلان هذا الاعتقاد فيما بعد ، ان الزوجين قد فرا يحملان جميع رموز المخابرات الألمانية السرية وسلماها الى البريطانيين . وكانت هذه الحادثة آخر ما استطاع هتلر تحمله ، ولا سيما بعد اعتقال دوهناني

---

١ ـ يبدو ان هملر قد تمكن من توسيع شبكته في الاشهر الاربعة المذكورة . ويقول ريتلنغر في الصفحة ٣٠٤ من كتابه « الحرس النازي » ان نحوا من اربعة وسبعين شخصا قد اعتقلوا نتيجة تجسس الدكتور ريكسي .

٢ ـ تدخل السفير الياباني في البداية لتأجيل محاكمتهما . وفي الثالث من شباط عام ١٩٤٥ ، اصابت قلبنة اسقطتها احدى الطائرات الامريكية ابان غارة جوية نهارية رولاند فريزلر اثناء ترؤسه احدى المحاكمات الشريرة لمتهمين بالخيانة العظمى فقتلته ، واتلفت ملف السيدتين سولف الذي كان بين ملفات محكمة الشعب . ولكن محاكمتهما تقررت امام نفس المحكمة في السابع والعشرين من نيسان ، ولكن الروس دخلوا برلين قبل هذا التاريخ . وكان سراح السيدتين قد أطلق في الثالث والعشرين من نيسان فعلا ، نتيجة غلطة . (ويلر بنيت ـ نقمة السلطان . ص ٥٩٥ . وكتاب بيشل ـ المقاومة الالمانية ص ٨٨ ـ ٩٣)

وغيره من رجال المخابرات وتزايد شكوكه في رئيسهم كاناريس، ولذا فقد أصدر أمره في الثامن عشر من شباط عام ١٩٤٤ ، بحل جهاز المخابرات ، وتسليم مهامه الى مكتب الأمن المركزي التابع لهملر . ومثل هذا الاجراء ريشة جديدة في قلنسوة انتصار هملر على فيلق الضباط ، الذي يرجع نزاعه معه الى أيام التهم الكاذبة التي لفقها ضد الفريق فون فريتشه في عام ١٩٣٨ . وهكذا حرمت القوات المسلحة من أي جهاز مخابرات لها . وأصبحت قوة هملر طاغية على القادة العسكريين . وأضعفت هذه الضربة الجديدة صفوف المتآمرين الذين باتوا الآن دون أي جهاز سري مهما كان شكله ، يستطيعون العمل عن طريقه [١] .

ولكنهم لم يتوقفوا عن محاولة اغتيال هتلر . وتم في المدة المنصرمة بين أيلول عام ١٩٤٣ وكانون الثاني عام ١٩٤٣ تنظيم نحو من ست محاولات . وكان جيكوب واللنبرغ قد جاء الى برلين في شهر آب للاجتماع الى غويردلر ، فأكد له هذا ان جميع الاعدادات قد تمت الآن للقيام بانقلاب في شهر ايلول ، وان شلابريندورف سيطير بعد ذلك الى ستوكهولم للاجتماع الى مندوب عن المستر تشرشل للبحث في عقد الصلح .

وروى المالي السويدي فيما بعد لالين دالاس : « وكنت أنتظر شهر ايلول بفارغ الصبر ، ولكنه مر كسابقيه دون أي حادث [٢] .

وقام الفريق ستيف ، وهو ضابط أحدب سليط اللسان ، سبق لنا ان ذكرنا اسمه ، عندما بعث اليه تريسكو بزجاجتي « الكونياك » ، وأسماه هملر

---

١ ـ عهد الى كاناريس برئاسة مكتب الحرب الاقتصادية والتجارية . واختفى (امير البحر الصغير) بتولي هذا المنصب الذي لا سلطان له من التاريخ الالماني . وكان هذا الرجل غامضا كل الغموض الى الحد الذي لا يتفق فيه كاتبان في الحديث عن حقيقة هذا الرجل ، او حقيقة ما يؤمن به ، ان كان يؤمن بشيء . فهو رجل كثير الشكوك (كلبي) الفلسفة ، وقدري الايمان ، وقد كره جمهورية ويمار وعمل سرا ضدها ، ثم عاد فانقلب بصورة مماثلة ضد الرايخ الثالث . وقد باتت ايامه كغيره من البارزين في المخابرات الالمانية باستثناء الفريق لاهوزين ، معدودة الآن كما سنرى عما قريب .

٢ ـ دالاس ـ المقاومة السرية في المانيا ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

فيما بعد « بالقزم القميء المسموم » ، بإعداد قنبلة موقوتة ليضعها في المكان الذي يعقد فيه هتلر ظهر كل يوم مؤتمره العسكري في راستنبرغ ، ولكنه جبن في اللحظة الاخيرة . ولم تمض بضعة ايام ، حتى وقع انفجار في مستودع القنابل الانجليزية التي كان قد تلقاها من جهاز المخابرات الألماني وأخفاها تحت برج الساعة في حرم القيادة العامة ، ولم ينج المتآمرون من الاكتشاف ، إلا لأن هتلر قد عهد بالتحقيق في الحادث الى عقيد من رجال المخابرات يدعى ويرنر شرادر ، كان هو نفسه بين المتآمرين .

وتم اعداد محاولة اخرى من محاولات « قنابل المعاطف » في شهر تشرين الثاني واختار المتآمرون ضابطاً من المشاة برتبة رئيس يبلغ الرابعة والعشرين من عمره ويدعى اكسيل فون ديم بوش ليقوم بوضع نموذج لمعطف عسكري جديد مع عدة الهجوم ، كان هتلر قد أمر بتصميمه ورغب الآن في رؤيته شخصياً قبل الموافقة على صناعته . وقرر بوش تجنباً من الفشل كالذي أحاق بغيرزدورف ان يحمل في جيوب نموذج المعطف قنبلتين ألمانيتي الصنع تنفجران بعد ثوان قليلة من اشعال الفتيل . وكانت خطته ان يمسك بهتلر وهو يتطلع الى المعطف الجديد ، وأن يتطاير هو مع الفوهرر مزقاً عند انفجار القنبلتين .

ولكن قنبلة من قنابل الحلفاء أحرقت النماذج قبل العرض أمام الفوهرر بيوم واحد ، وعاد بوش الى سريته في الجبهة الروسية . ورجع الضابط الى مقر القيادة العليا للجيش في شهر كانون الأول ليقوم بمحاولة جديدة في نماذج جديدة ولكن الفوهرر قرر فجأه السفر الى برخستغادن لقضاء عيد الميلاد في ملاذه الجبلي . وأصيب بوش بعد فترة وجيزة بجراح بالغة في جبهة القتال ، وطلب المتآمرون الى ضابط مشاة شاب ، بالحلول محله في المهمة . وهذا الشاب هو هنريخ فون كلايست وهو نجل الوالد فون كلايست احد كبار المتآمرين القدامى. وتقرر عرض النماذج في الحادي عشر من شباط عام ١٩٤٤ ، ولكن الفوهرر لسبب مجهول لم يحضره ، وان كان دالاس قد ذكر في كتابه ان السبب كان ناجماً

عن وقوع غارة جوية للحلفاء [١] .

وتوصل المتآمرون في هذه الآونة الى الاستنتاج بأن أسلوب هتلر في تغيير برامج تنقلاته بصورة مستمرة ، يتطلب منهم تبديلاً جذرياً في خططهم [٢] . واعتقد المتآمرون ان الفرصة الوحيدة التي لا يستطيع الفوهرر الافلات منهـا هي المؤتمران اليوميان العسكريان اللذان يعقدهما كل يوم مع رجال القيادة العليا للقوات المسلحة ، ومع رجال القيادة العامة للجيش . وقرر المتآمرون وجوب قتله في أحد هذين الاجتماعين اليوميين . وفي السادس والعشرين من كانون الأول عام ١٩٤٣ ، حضر ضابط شاب يدعى ستوفنبرغ الى مقر القيـــادة العليا في

---

١ ـ اعتقل الوالد والولد فيما بعد . وقد نفذ حكم الاعدام في كلايست الوالد في السادس عشر من نيسان عام ١٩٤٥ ، بينما نجا ولده من الموت .

٢ ـ كثيرا ما بحث هتلر في هذا الاسلوب مع اخوانه القدامى في الحزب . وهناك تسجيل خطي بطريقة الاختزال لمألكة (مونولوج) القاه هتلر في الثالث من ايار عام ١٩٤٢ على المجتمعين معه في مقر قيادته قال فيه : « انني لافهم تمام الفهم لماذا نجح تسعون في المائة من الاغتيالات التاريخية . ولعل خير اجراء وقائي بل لعله هو الاجراء الوحيد ، هو ان يعيش المرء حياة غير منتظمة ، وأن يتحدث ويقود سيارته ويسافر في مواعيد غير منتظمة وغير منتظرة . وعندما أمضي في سيارتي الى أي مكان احاول بقدر الامكان أن يكون ارتجالي مباغتا وحتى دون ابلاغ الشرطة مسبقا (محادثات هتلر السرية ص ٣٦٦) .

ولقد رأينا من قبل أن هتلر كان يعلم دائما بأنه معرض للاغتيال . فلقد أكد في مؤتمره العسكري الذي عقده في الثاني والعشرين من آب عام ١٩٣٩ ، عشية بدء الهجوم على بولنده ، لقادته العسكريين انه على الرغم من قناعته الشخصية بأنه لا يمكن الاستغناء عنه ، « الا ان من الممكن ان يزول من الوجود في أية لحظة على يدي مجرم او مجنون » .

وأضاف في هذيانه المحموم عن الموضوع في الثالث من أيار عام ١٩٤٢ ، قائلا : ليس ثمة من أمن مطلق تجاه المتعصبين والعقائديين . واذا أراد متعصب أن يقتلني بالرصاص أو بتفجير قنبلة ، فانا في جلوسي لست أكثر أمنا مني في وقوفي » . ولكنه اعتقد بأن « عدد المتعصبين الذين يطلبون حياتي لدوافع عقائدية قد نقص كثيرا ... ولا ريب في أن العناصر الخطرة حقا هي عناصر المتعصبين ، الذين يدفعهم الى العمل ، قسس جبناء او وطنيون أعماهم تعصبهم يمتون الى احدى البلاد التي قمنا باحتلالها . ولكن السنوات الطويلة من التجارب التي مررت بها تجعل الامر أكثر صعوبة حتى على هذا الطراز من الناس » (نفس المصدر ص ٣٦٧) .

راستنبرغ نائباً عن الفريق اولبرخت لحضور مؤتمر الظهر العسكري ، وليقدم تقريراً عن حركة التنقلات في الجيش . وكان الضابط قد أعد قنبلة موقوتة في حقيبته اليدوية . ولكن الاجتماع ألغي في اللحظة الاخيرة لان هتلر قد طار الى اوبرسالزبرغ لقضاء عيد الميلاد كما ذكرنا في ملاذه الجبلي .

وكانت هذه هي المحاولة الأولى التي قام بها هذا المقدم الشاب الجميل الصورة ولكنها لم تكن محاولته الاخيرة . فلقد عثر المتآمرون المناهضون للنازية اخيراً في شخص كلاوس فيليب شينك كونت فون ستوفنبرغ على ضالتهم المنشودة . وقد بات منذ هذه اللحظة الرجل الذي عزم على تحمل مسؤولية قتل هتلر بيديه بأية طريقة ممكنة . كما غدا مبعث الحيـــاة من جديد والأمل والحماس والضياء في صفوف المتآمرين وأصبح زعيمهم الفعلي ان لم يكن زعيمهم الأسمى .

رسالة الكونت فون ستوفنبرغ

كان هذا الرجل – ستوفنبرغ – موهوباً الى حد يفوق مواهب أي ضابط عسكري محترف . ولد في عـام ١٩٠٧ ، وكان ينتمي الى أسرة عريقة وبارزة من أسر الجنوب الالماني. فعن طريق والدته الكونتيسة او كسكول ـ غيلينبراند كان هذا الشاب حفيداً لغنيزناو ، أحد الأبطـال العسكريين في حرب التحرر ضد نابوليون ، والذي اشترك مع شارنهورست في انشاء هيئة اركان الحرب الألمانية ، كما انتمى عن طريقها ايضاً الى يورك فون وارتنبرغ . أحد القـــادة العسكريين المشهورين ايضاً في الحقبة النابوليونية . أما والده فـكان الأمين الخاص لآخر ملوك امارة وورتمبرغ . وقد تميزت هذه الأسرة بالوداعة والتدين والاخلاص للكثلكة وغزارة الثقافة والعلم .

وهكذا نشأ كلاوس فـــون ستوفنبرغ في مثل هذا المحيط ، ومثل هذه الأسس . وكان يتمتع بجسم رياضي رشيق وبجمال الصورة الى حد الفتنة الصارخة وتعهد عقله الشاب بالعناية منمياً فيه تألقه وميله الاستطلاعي واتزان تفكيره .

وكان يميل الى الخيل والرياضات مع هواية شديدة للفنون والآداب مغرمــاً في القراءة ، وتعلق منذ صباه بالشاعر الموهوب ستيفان جورج وبعبقريته الابداعية وصوفيته . ومــال الشاب فترة من الزمن الى احتراف الموسيقى ثم تحول الى الهندسة المعمارية ، ولكنه ما عتم ان انضم في عــام ١٩٢٦ وكان في التاسعة عشر من عمره الى الجيش كمرشح ضــابط ، في كتيبة بامبرغ السابعة عشر للفرسان والمشهورة باسم « بامبرغرريتر » .

والتحق في عام ١٩٣٦ بالاكاديمية الحربية في برلين ، حيث اجتذب ذكاؤه ومواهبه كلاً من اساتذته وأركان القيادة العامة . وخرج من المعهد بعد عامين ضابطاً صغيراً في اركان الحرب . وعلى الرغم من أنه كان كغيره من أبنــاء طبقته ملكياً في ميوله ، إلا انــه لم يكن حتى هذه اللحظة قد غدا خصماً للاشتراكية الوطنية . ويحتمل أن يكون اضطهاد اليهود في عــام ١٩٣٨ ، هو العامل الأول الذي بذر في نفسه الشكوك تجــاه هتلر ، وسرعان ما تزايدت هذه الشكوك في صيف عام ١٩٣٩ عندما رأى الفوهرر يقود المانيا الى حرب قد تصبح طويلة ، مرعبة التكاليف في الارواح البشرية ، وخاسرة في النهاية .

ومع ذلك عندما نشبت الحرب ، قذف بنفسه في أتونها بكل ما عرف عنه من حيوية دافقة ، مبرزاً كفاياته كضابط ركن في فرقة الفريق هويبنر المدرعة السادسة في حملتي بولندة وفرنسا . ويبدو ان ستوفنبرغ ، قد فقد آماله نهائياً في الرايخ الثالث إبان الحملة الروسية . وكان قد نقل الى القيادة العامة للجيش في مطلع حزيران عام ١٩٤٠ ، قبل بدء الهجوم على دانكرك ، وقضى معظم وقته طيلة الثمانية عشر شهراً الاولى من الحملة الروسية على الاراضي السوفياتية حيث اشترك مع آخرين في تنظيم وحــدات « المتطوعين » الروس من صفوف اسرى الحرب . ويقول أصدقاء الرجل ، انه اعتقد في هذه الآونة ، ان في وسع هؤلاء المتطوعين الروس ، في الوقت الذي يتخلص فيه الألمان من طغيان هتلر ، ان ان يعملوا على الإطاحة بطغيان ستالين ايضاً . ويبدو ان هذا التفكير كان مثلاً

على ما للشاعر ستيفان جورج وافكاره الصوفية من أثر عليه .

وفتحت وحشية الحرس النازي في روسياوأوامر هتلربقتل المفوضين البلاشفة فور العثور عليهم ، عيني ستوفنبرغ على حقيقة السيد الذي يعمل في خدمته وشاء الحظ ان يجتمع في روسيا الى اثنين من كبار المتآمرين الذين قرروا ان يضعوا نهاية لذلك السيد ، وهما الفريق فون تريسكو وشلابريندورف ويقول هذا انه وصاحبه سرعان ما أدركا ، بعد بضعة اجتماعات مع ستوفنبرغ ، ان هذاالشاب هو ضالتهما المنشودة ، وسرعان ما غدا والحالة هذه أحد المتآمرين النشيطين .

ولكنه كان لا يزال ضابطاً صغيراً ، وادرك لتوه ان مشيري الجيش ، كانوا أكثر حيرة ان لم يكن جبناً من ان يفعلوا أي شيء للاطاحة بهتلر أو لوقف تلك المذابح البشعة للروس واليهود وأسرى الحرب وراء الخطوط . وأحس بالتقزز من الكارثة التي حلت بالجيش في ستالينغراد والتي لم تكن هناك اية ضرورة لها وسرعان ما طلب بعد انتهاء تلك الكارثة ، أي في شباط عام ١٩٤٣ ،ان ينقل الى الجبهة ، وعين ضابطاً للعمليات الحربية في الفرقة العاشرة المدرعة في تونس ، مشتركاً في المراحل الاخيرة من معركة ممر القصرين التي تمكنت فيها وحدته من اخراج الأمريكيين من الفجوة .

واصطدمت سيارته في السابع من نيسان بلغم ارضي ، ويقول البعض إنها تعرضت لغارة على ارتفاع خفيض من طائرات الحلفاء ، وأصيب الضابط بجراح بالغة . وكانت النتيجة انه فقد عينه اليسرى ويده اليمنى واصبعين من اليدالثانية كما اصيب بجراح في اذنه اليسرى واحدى ركبتيه . وبدا لوقت طويل انه سيظل أعمى اذا نجا من جراحه . ولكن تمكن الاستاذ القدير ساور بروخ في احد مستشفيات ميونيخ من انقاذ حياته وكان من المتوقع من رجل أصيب بمثل ما أصيب هو ، ان يتقاعد من الجيش ، وان ينسحب بالتالي من المؤامرة . ولكنه كتب في اواسط الصيف الى الفريق اولبرخت ، بعد ان اجهد نفسه كثيراً في تعلّم الكتابة بثلاثة أصابع من يده اليسرى الملفوفة بالضماضات ، انه يتوقع

العودة الى الخدمة الفعلية في غضون ثلاثة أشهر . وأتيحت له في فترة نقاهته الطويلة ، الفرصة للتفكير ، وتوصل الى الاستنتاج القائل ، بأنه على الرغم مما يشعر به من نقص بدني كبير ، فإن عليه رسالة مقدسة يجب ان يؤديها .

وراح يقول لزوجته الكونتيسة نينا ووالدة اطفاله الاربعة عندما جاءت لزيارته في مستشفاه ذات يوم : « أشعر بأن من واجبي ان أفعل شيئاً الآن لانقاذ ألمانيا وعلينا نحن ضباط الاركان العامة ان نتحمل شطراً من المسؤولية [1] » .

وعاد الى برلين في نهاية ايلول عام ١٩٤٣ ، يحمل رتبة مقدم ، ويحتل منصب رئيس اركان حرب الفريق أولبرخت في المكتب العام للجيش . وسرعان ما أخذ يتدرب بواسطة « ملقط » على تفجير قنبلة من قنابل «المخابرات» البريطانية ، الصنع ، بالاصابع المتبقية من يده الوحيدة .

ولم يكتف بهذا وحده . فقد بعثت شخصيته الديناميكية ووضوح تفكيره وصفاء عقله واستقامة مبادئه وأفكاره ، وتألق مواهبه كإنسان منظم ، حياة جديدة وتصميماً في صفوف المتآمرين. وقد خلق في الوقت نفسه بعض الخلافات، اذ انه لم يكن راضياً عن طراز العهد الثقيل والمحافظ والمتزمت ، الذي كان القادة العجز الذين علاهم « الصدأ » من رجال المؤامرة من أمثال بيك وغويردلر وهاسيل يتصورون اقامته فور الاطاحة بالاشتراكية الوطنية. وكان أكثر عملية من أصدقائه من رجال حلقة كريساو،فقد رغب في اقامة ديموقراطية اشتراكية جديدة ذات روح ديناميكية ، وأصر على أن تضم الوزارة المناهضة للنازية والمقترحة ، صديقه الجديد جوليوس ليبر الاشتراكي اللامع وويلهلم لويشنر ، الموظف النقابي السابق،وكلاهما من المشتركين إشتراكاً عملياً وعميقاً في المؤامرة. وقد اشتد النقاش حول هذا الموضوع ولكن ستوفنبرغ تمكن بسرعة من تحقيق السيطرة على قادة المؤامرة السياسيين .

---

١ ـ نقل هذا القول قسطنطين فيتزغيبون في كتابه (٢٠ تموز) ص ٣٩ .

وكان نجاحه مع معظم القادة العسكريين لا يقل عن نجاحه مع السياسيين وقد اعترف بالفريق بيك كالزعيم الأسمي لهم ، وكان ينظر باعجاب عظيم الى الرئيس السابق لأركان الحرب ، ولكنه عندما عاد الى برلين ، رأى أن بيك الذي شفي من عملية سرطان ضخمة ، لم يعد إلا حطام الرجل الذي كأنه في الماضي ، وانه غدا نتيجة إجهاده وافتقاره الى النشاط ، وعدم تفهمه للشؤون السياسية ، واقعاً تحت تأثير غويردلر وسحره الطاغيين . وكان اسم بيك الداوي في الأوساط العسكرية نافعاً بل وضرورياً في تنفيذ الانقلاب . ولكنه رأى ضرورة تجنيد ضباط أكثر فتوة وشباباً ومن العاملين في الجيش ، للقيام بالعمل الفعَّال في اعداد القوات اللازمة للانقلاب وقيادتها . وسرعان ما عثر ستوفنبرغ على الرجال المهمين وذوي المراكز الحساسة الذين يحتاج اليهم .

وكان هؤلاء .. الذين عثر عليهم هم بالاضافة الى أولبرخت رئيسه ، الفريق ستيف رئيس فرع التنظيم في القيـــادة العامة للجيش والفريق أدوار واغنر الضابط الاعلى في قيادة الميرة ، والفريق اريك فيلغيبل رئيس فرع الاشارة في القيادة العـامة والفريق فريتز لينديمان رئيس دائرة العتاد في القيادة والفريق بول فون هيز قائد حامية برلين (الذي يستطيع تأمين الجنود لاحتلال العاصمة) والعقيد فريهير فون رون رئيس قسم الجيوش الأجنبية ورئيس أركان حربه الرئيس الكونت فون ماتوشكا .

وكان هناك قائدان او ثلاثة من رتبة الفريق من أمثال الفريق فريتز فروم القائد العـــام الفعلي لجيش الاحتياط ، ولكنه كان كزميله كلوغه من النوع المتقلب الذي لا يصلح للركون اليه .

ولم تضم صفوف المتآمرين حتى تلك اللحظة « مشيراً » في الخدمة الفعلية ، وكان المشير فون ويتزليبين ، احد المتآمرين الاصليين ، أهلاً لتولي القيادة العامة للقوات المسلحة ولكنه كان في قائمـــة غير العاملين جدياً ولم تكن لديه قوات تحت تصرفه . وحاول المتآمزون اقناع المشير فون رونشتادت الذي يتولى الآن

قيــادة جميع القوات في الغرب ولكنه رفض الرجوع عن قسم الولاء الذي اقسمه للفوهرر ، أو كانت هــذه هي الحجة التي تذرع بها لرفض الانضمام الى المؤامرة . ووقف المشير فون مانشتاين العبقري والانتهــازي نفس الموقف ايضاً .

وهنا ، أي في مطلع عـام ١٩٤٤ ، ظهر مشير محبوب وكثير النشاط على المسرح ، وابدى دون علم من ستوفنبرغ ، استعداده للتعاون مــع المتآمرين . انه رومل ، وجاء اشتراكه في المؤامرة ضد هتلر ، مفاجأة عظيمة لقــادة المقاومة ، الذين لم يوافق معظمهم على اشتراكه معهم ، اذ كانوا يعتبرون « ثعلب الصحراء » نازياً في عقيدته ، وانتهازياً بطبيعته طالما تقرب من هتلر لينــال رضاه ، وها هو ينقلب عليه الآن لأنه أدرك ان زعيمه قد خسر الحرب .

وكان رومل قد غدا في كانون الثاني عام ١٩٤٤ ، قائد مجموعة الجيوش (ب) في الغرب ، وهي القوة الرئيسية التي كان يعتمد عليها في صد الغزو الانكلو - امريكي في حالة وقوعه عبر القنــاة . وشرع يلتقي كثيراً في فرنسا بصديقين قديمين من اصدقائه هما الفريق الكساندر فون فولكنهاوزن الحاكم العسكري العام في بلجيكا وشمال فرنسا والفريق كارل هنريخ فون ستولبناغل ، الحاكم العسكري في فرنسا . وكان القائدان قد انضما الى المؤامرة على هتلر ، وشرعـا يؤثران بالتدريج على رومل للاشتراك فيهــا . وكان يساعدهما في مهمتها هذه صديق مدني قديم لرومل هو الدكتور كارل ستروبلين، رئيس بلدية شتوتغارت، والذي كان كالكثيرين من البارزين في هذه القصة ، نازياً متحمساً ، ولكنه وقد رأى الهزيمة تطل على المانيا ، وشاهد مدن المانيا وبينها مدينته نفسها تتحول بسرعة الى انقاض من جراء غارات الحلفاء ، اخذ يتحول في تفكيره ، متجهاً اتجاهات جديدة . وكان الدكتور غوبردلر ، قد اعان هــذا الرجل بدوره في اتجاهه الجديد فأعد بالأشتراك معه في شهر آب عام ١٩٤٣ مذكرة قدماهــا الى وزارة الداخلية التي يرئسها هملر الآن . وطلبا فيهــا معاً ، وقف اضطهاد

الكنائس المسيحية واليهود وإعادة الحقوق المدنية واقامــة جهاز للعدل والقضاء منفصل عن الحزب وعن الغستابو والحرس النازي . وقـــد عرض ستروبلين المذكرة على انظار المشير رومل عن طريق عقيلته ، وبدا ان القائد العسكري قد تأثر بها تأثراً ملحوظاً .

واجتمع الرجلان في نهاية شهر شباط عام ١٩٤٤ في دارة روميل في هيرلنغن القريبة من اولم ، حيث دار بينهما حديث صريح ... وروى رئيس البلدية فيما بعد قائلاً :

« قلت له أن هناك بعض كبـــار ضباط الجيش في الشرق يقترحون اعتقـــال هتلر وسجنه ، وارغامه على أن يذيـــع رسالة يعلن فيها تنازله عن السلطان . وقد وافق روميل على الفكرة .

« وقلت له أنه في نظرنا أعظم قادتنـــا العسكريين وأكثرهم شعبية لدى الالمـــان ، وأوفرهم مكانة محترمة في الخارج . وأضفت قائلاً : « انك الوحيد الذي باستطاعته منـــع الحرب الأهلية من الحدوث في المانيا.وعليك ان تضفي اسمك وشهرتك على الحرية[1] »

وتردد روميل طويلاً ثم اتخذ قراره أخيراً ... وقال لستروبلين : « أعتقد ان الواجب يحتم علي انقاذ المانيا » .

وعارض روميل في هذا الاجتماع وفي كل ما تلاه من اجتماعات شهدها ، في اغتيال هتلر لا لدوافع أخلاقية ، بل لدوافع واقعية . وكان يقول ان قتل الطاغية يجعله « شهيداً » في نظر الناس . وأصرّ على أن يتولى الجيش اعتقاله وتقديمه الى محكمة المانية لمحاكمته على الجرائم التي ارتكبهـــا بحق شعبه وشعوب البلاد المحتلة[2] .

---

١ ـ كتاب ديسموند يونغ ـ روميل ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ . وقد روى ستروبلين عرضا شخصيا لما دار في الاجتماع . راجع ايضا ستروبلين في محاكمات نورمبرغ. محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٥٦ ، وكتابه « شتوتغارت المحطة الاخيرة في الحرب » .

٢ ـ يؤكد سبيدل هذه النقطة في كتابه (الغزو) ص ٦٨ و ص ٧٣ .

وشاء القدر ان يضع تأثيراً جديداً على المشير ، في شخص الفريق هانز سبيدل الذي عين في الخامس عشر من نيسان عـــام ١٩٤٤ ، رئيساً لأركان المشير . وكان سبيدل هذا ، كزميله في التآمر ستوفنبرغ ، وان كانا ينتميان الى جماعتين مختلفتين ، ضابطاً ممتازاً للغاية . ولم يكن مجرد جندي ، بل كان فيلسوفاً ايضاً اذ حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة توبينغين في عام ١٩٢٥ . وسارع الرجل الى اقناع قائده . ورتب في الخامس عشر من ايار أي بعـد شهر واحد من مجيئه ، عقد اجتماع في بيت ريفي قريب من باريس ، حضره روميل وستولبناغل ورئيسا اركان حربهما . وكان الهدف من الاجتماع كما قال سبيدل ، اعداد العدة « لاتخاذ الاجراءات اللازمة لإنهـــاء الحرب في الغرب والإطاحـة بالعهد النازي » [١] .

وكان هذا الهدف واسعاً الى حدٍ كبير ، وأدرك سبيدل ، ان اعداد العدة له ، يتطلب اتصالات اكثر وثوقاً مع المناهضين للنازية في الوطن ولا سيما جماعـة غويردلر – بيك ، على أن تتم في أسرع وقت ممكن . وظل غويردلر الرجراج ، يلح عدة اسابيع لعقد اجتماع سري بين روميل وبين نوراث ، وهنـــا وجه الغرابة ، اذ ان هذا الرجل بعد ان اسهم بقسط كبير في اعمـــال هتلر القذرة كوزير للخارجية اولاً ، ومن ثم كحام للرايخ في بوهيميا ، قـــد صحا اخيراً لدى رؤيته الكارثة الفظيعة التي توشك ان تحل بالوطن . وتقرر ان من الخطورة بمكان كبير ، ان يجتمع روميل الى نوراث وستروبلين ، ولذا فقد اوفد المشير ، ضابطه الفريق سبيدل ، الى الاجتماع الذي عقد في منزله في فرويد ينستادت في السابع والعشرين من ايار . وكان الثلاثة المجتمعون أي سبيـــدل ونوراث وستروبلين يمتون كروميل نفسه الى اصل « سوابي» واحد ، وكانت هذه الوحدة في المنشأ (نسبة الى مقاطعة سوابيا الالمانية) ، هي التي أدت الى الالفة الـــتي سادت الاجتماع ، والى ما اسفر عنه من اتفاق . وقد تقرر فيه وجوب الاطاحة

---

١ – سبيدل – الغزو ص ٦٥ .

بهتلر بسرعة ، وان يستعد رومل ، إمـــا لأن يصبح الرئيس المؤقت للدولة أو القائد الأعلى لقواتها المسلحة ، وهما منصبان لم يطلبهما رومل لنفسه في وقت من الاوقات كما يقتضي الحق ان يقال . وتم الاتفاق على مختلف التفاصيل وبينهـــا وضع الخطط اللازمة ، للاتصال بالحلفاء الغربيين لطلب الهدنة ، واعداد الرموز للاتصال بين المتآمرين في المانيا وبين مقر قيادة رومل .

ويؤكد الفريق سبيدل جازماً ان رومل نقل بصراحة كل شيء الى قائده المباشر في الغرب المشير فون رونشتادت ، وان هذا « وافق على الترتيبات كل الموافقة » . لكن هناك عيب على أي حـــال في شخصية هذا القائد الكبير من قادة الجيش .. وقد كتب سبيدل فيما بعد يقول :

« كان الحديث يدور عن اعداد مطالب مشتركة لتقديمهـــا الى هتلر ، واذا برونشتادت يقول لرومل : « انك ما زلت شاباً ، فأنت تعرف الشعب وتحبه . وفي وسعك ان تفعل ذلك » [١]

وبعد اجتماعات اخرى عقدت في أواخر الربيع ، وضعت خطة ، كان سبيدل هو الرجل الوحيد الذي ظل حياً من متآمري الجيش في الغرب ، ليشرحها ... فقد قال :

من الواجب الوصول الى هدنة فورية مع الحلفاء الغربيين على ان لا يكون هناك استسلام بلا قيد او شرط . ينسحب الالمان من الغرب الى المانيا . تتوقف فوراً غارات الحلفاء الجوية على المانيا . يعتقل هتلر لمحاكمته امام محكمة المانية . يطاح بالحـكم النازي في البلاد . تتولى قوى المقاومة التي تمثل جميـع الطبقات مؤقتاً زمام السلطة التنفيذية في المانيا بقيـادة الفريق بيك وغويردلر وممثـل النقابات لويشنر . لن تكون هناك ديكتاتوريـة عسكرية . يجري الاعداد « لسلام بنـّاء » ضمن اطار ولايات اوروبية متحدة . تستمر الحرب في الشرق . يحافظ على خط « مقصّر » يمتد من مصب الدانوب عبر جبال الكربات الى نهر

١ ـ سبيدل ـ الغزو ص ٧١ .

الفستولا فميناء ميمل [1]

ويبدو ان القـــادة العسكريين لم يكونوا يشكون آنذاك مطلقاً في ان الجيوش البريطانية والامريكية ستشترك معهم بعد ذلك في الحرب ضد روسيا للحيلولة كما قالوا دون تحول اوروبا الى البلشفية .

ووافق الفريق بيك في برلين على الاقل ، على اقتراح المضي في الحرب في الشرق . وبعث عن طريق غيزيفيوس في مطلع شهر ايار بمذكرة الى دالاس في سويسرا يضع فيها مخططاً خيالياً غريباً . وقد تضمن هـــذا المخطط انسحاب القادة الالمان مع قواتهم من الغرب الى الحدود الالمانية بعد وقـــوع الغزو الانكليزي – الامريكي . وحث بيك الحلفاء الغربيين على القيـــام في غضون ذلك بثلاث عمليات تعبوية (تكتيكية) ، وهي انزال ثلاث فرق من الجو في منطقة برلين لمساعدة المتآمرين على الصمود في العاصمة ، وإنزال قوات ضخمة من البحر على الساحل الالماني على مقربـــة من همبورغ وبريمن ، وانزال قوات لا بأس بها عبر القناة في فرنسا . وتقوم القـــوات المناهضة للنازية والموثوق بإخلاصها في غضون ذلك ، بتطويق هتلر في ملاذه الجبلي في اوبر سالزبرغ في منطقة ميونيخ . أما الحرب فتستمر ضد روسيا . ويقول دالاس ، انه لم يضع وقتاً في محاوله حمل المتآمرين في برلين على ادراك الواقع ، فقد ابلغهم ان ليس في وسعهم مطلقاً ان يحلموا بصلح منفرد مع الغرب [2] .

وقد ادرك ستوفنبرغ واصدقاؤه من اعضاء حلقة كريساو وغيرهم من المتآمرين من امثال شولنبرغ ، السفير السابق في موسكو ، هذه الحقيقة تمـــام الادراك . وكان معظم هؤلاء في الحقيقة وبينهم ستوفنبرغ نفســـه « شرقيين » أي ميالين الى الروس على الرغم من عدائهم للبلشفية ، وظلوا يعتقدون ردحاً من الزمن ، ان من الاسهل عليهم الحصول على صلح مع روسيا ، منه مع الحلفـاء

---

١ – سبيدل – الغزو – ص ٧٢ – ٧٤ .

٢ – دالاس – المقاومة السرية في المانيا ص ١٣٦ .

الغربيين الذين يعزفون على نغمة « الاستسلام بلا قيد او شرط» بينما يؤكد ستالين في بياناته وفي دعاياته الاذاعية ان روسيا لا تحارب الشعب الالماني وانما تحارب « الهتلريين » [١] . ولكنهم سرعان ما تخلوا عن هذه الأوهام ، في تشرين الاول عام ١٩٤٣ ، عندما اعلنت الحكومة السوفياتية في مؤتمر وزراء خارجية الحلفاء الذي عقد في موسكو موافقتها على بيان مؤتمر « الدار البيضاء » بالاستسلام بلا قيد أو شرط .

وادرك المتآمرون مع اقتراب صيف عام ١٩٤٤ القدري ، ومع رؤيتهم الجيوش الحمراء تقترب من حدود الرايخ ، والجيوش البريطانية والامريكية تتأهب لغزو واسع النطاق عبر القناة ، والمقاومة الالمانية في ايطاليا تنهار امام قوات الحلفاء التي يقودها اليكساندر ، ان عليهم التخلص من هتلر وعهده النازي بسرعة ، هذا اذا كانوا يحلمون في الوصول الى صلح من أي نوع ، ينقذ المانيا من خطر الاجتياح والإبادة .

وأتم ستوفنبرغ ورفاقه أخيراً في برلين وضع خططهم وأتقنوها . وقد جمعوا هذه الخطط وأطلقوا عليها اسماً رمزياً هو « فالكيري » هو اسم مطابق تماماً للواقع ، اذ أن هذه الكلمة تعني « العذارى » في الاساطير الالمانية — النوردية (الميتولوجيا) ، اللائي كن يتصفن بالجمال الخارق والوحشية الفائقة ، وكان يفترض أنهن يحلّقن في أجواء الميادين القديمة للقتال ، لاختيار من يجب قتلهم في المعارك . وقد تقرر الآن قتل أدولف هتلر . ولعل من سخرية المفارقات ان أمير البحر كاناريس ، كان قد اقترح على الفوهرر قبل سقوطه فكرة «العذارى» واضعاً مشروعاً ينفذه الحرس الوطني للحفاظ على الأمن في برلين وغيرها من

---

١ — كان تشرشل وروزفلت قد أصدرا عند اجتماعهما في الدار البيضاء في الرابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، اعلانا بالاستسلام اللامشروط لالمانيا . وقد أستغل غوبلز بالطبع هذا البيان أكبر استغلال ، في محاولته الهاب عزائم الشعب الالماني ودفعه الى وضع المقاومة الشاملة . ولكن مؤلف هذا الكتاب يرى ان عددا من الكتاب الغربيين قد بالغوا مبالغة مدهشة في وصف ما حققه من نجاح في استغلاله هذا .

المدن الكبيرة في حالة قيام العمال الاجانب الذين يعدون بالملايين ويعملون في هذه المدن بالثورة أو العصيان . وكانت مثل هذه الثورة مستحيلة ، اذ ان هؤلاء العمال الأجانب كانوا يفتقرون الى السلاح والى التنظيم ، ولكن الفوهرر الذي كانت الهواجس تسيطر عليه الآن من الأخطار الخفيّة في كل زاوية ، لاسيما وان جميع الجنود الأصحاء بعيدون عن الوطن اما في جبهات القتال أو في ضمان السيطرة على شعوب البلاد المحتلة ، خدع باقتراح كاناريس . وأقر وجوب قيام جيش الوطن أو الحرس الوطني ، بوضع الخطط اللازمة لحماية أمن الرايخ الداخلي من هذه القطعان الهائلة من عمال الرقيق المتذمرين . وهكذا باتت عبارة « العذارى » ستاراً رائعاً لتغطية أعمال المتآمرين العسكريين ، اذ مكنتهم من العمل جهاراً في وضع الخطط اللازمة لجيش الوطن للسيطرة على العاصمة وغيرها من المدن كفيينا وميونيخ وكولون ، في حالة اغتيال هتلر .

وكانت مشكلتهم الكبرى في برلين ، قلة ما لديهم من قوات ، وتضاؤلها أمام تشكيلات الحرس النازي . وكانت هناك أيضاً وحدات كبيرة من السلاح الجوي في العاصمة وضواحيها ، يتولون العمل في أجهزة الدفاع ضد الغارات المعادية ، وستظل هذه الوحدات ، ما لم يتحرك الجيش بسرعة ، على ولائها لغورنغ ، وسيقاتل أفرادها حتماً للحفاظ على العهد النازي في ظل زعيمهم حتى ولو قتل هتلر . وكان في وسعهم استخدام مدافعهم المضادة للطائرات كمدافع عادية ضد وحدات الجيش . أما قوات الشرطة في برلين ، فقد انضمت من الناحية الأخرى الى صفوف المؤامرة عن طريق قائدها الكونت فون هيلدورف ، الذي انضم الى المؤامرة فعلاً .

وبالنظر الى قوة الحرس النازي ووحدات السلاح الجوي ، فقد ركز ستوفنبرغ اهتمامه الزائد على توقيت العملية للسيطرة على العاصمة . وتبيّن له ان الساعتين الأولىين ستكونان حرجتين كل الحراجة . وعلى قوات الجيش في هذه الفترة القصيرة ، ان تتمكن من احتلال مقر الاذاعة الرئيسي والسيطرة عليه ،

وكذلك محطتي الاذاعة الاضافيتين في المدينة ، والمراكز الاساسية للمواصلات الهاتفية والبرقية ودار المستشارية ، ودور الوزارات ومقر قيادة الغستابو والحرس النازي . ومن الواجب اعتقال غوبلز وهو النازي البارز الوحيد الذي لايغادر العاصمة إلا لماماً مع جميع ضباط الحرس النازي . وعندما يتم اغتيال هتلر ، يجب أن يعزل مقر قيادته في راستنبرغ فوراً ، للحيلولة بين غورنغ أو هملر ، أو أي من القادة العسكريين النازيين ككايتل أو يودل ، وبين تسلم الزمام . ومحاولة حشد الجنود وقوات الشرطة وراء عهد نازي مستمر . وقد تعهد الفريق فيلغيبل ، قائد الاشارة ، والموجود في مقر قيادة الفوهرر ، بضمان هذا المشروع .

وعندما يتم تحقيق كل هذه الخطوات في غضون الساعتين الاوليين من الانقلاب ، يصبح في الامكان بث الرسائل التي تم وضعها واعدادها ، عن طريق الاذاعة والبرق والهاتف الى قادة جيش الوطن في مختلف المدن والى كبار القادة العسكريين في الجبهات وفي البلاد المحتلة ، معلنة موت هتلر ، وقيام حكومة مناهضة للنازية في برلين . ومن الواجب ان تتم الثورة ويتحقق نجاحها في غضون اربع وعشرين ساعة ، وان تكون الحكومة الجديدة قد وطدت اقدامها . ومالم يتم ذلك فإن القادة العسكريين المذبذبين ، قد يعدلون عن أفكارهم الأولى ، وقد يكون في استطاعة غورنغ وهملر ضمهم اليهما ، مما يؤدي الى نشوب حرب أهلية . وفي مثل هذه الحالة ستنهار الجبهات حتماً وتسود الفوضى والانهيار ، وهو ما يريد المتآمرون تجنبه والحيلولة دون وقوعه .

والنجاح متوقف بعد اغتيال هتلر الذي ضمن ستوفنبرغ شخصياً وقوعه ، على قدرة المتآمرين على الافادة من قوات الجيش في برلين وحولها ، في أقصى سرعة وحيوية ممكنتين ، في تحقيق غاياتهم . وكانت هذه هي المشكلة المعقدة التي واجهت المتآمرين .

وكان في وسع الفريق فريتز فروم وحده ، وهو القائد العام لجيش الوطن وجيش الإحتياط ، ان يصدر رسمياً الامر بتنفيذ خطة « العذارى » . وقد ظل

هذا الرجل حتى النهاية يؤلف اشارة استفهام ضخمة ، فلقد واصل المتآمرون طيلة عام ١٩٤٣ ، محاولة التأثير عليه . وأخيراً توصلوا الى الاستنتاج القائل بأنه لا يمكن الاعتماد على هذا الضابط الجبان إلا بعد رؤية الثورة ناجحة كل النجاح . ولكن لما كان المتآمرون على ثقة من نجاحها ، فقد شرعوا يعدون سلسلة من الأوامر تحمل توقيع فروم دون علمه . وقرروا أنه في حالة تردده في اللحظة الحرجة ، يجب استبداله فوراً بالفريق هويبنر قائد الدبابات اللامع الذي فصله هتلر من الخدمة بعد معركة موسكو في عام ١٩٤١ ومنعه من ارتداء الملابس العسكرية .

وكان هناك في برلين قائد مهم آخر ، يؤلف مشكلة معقدة للمتآمرين وهو الفريق فون كورتزفليش ، فهذا الرجل نازي لحماً ودماً ويتولى قيادة المنطقة الثالثة التي تضم برلين وبراندبرغ . وتقرر اعتقال هذا الرجل فوراً والاستعاضة عنه بالفريق فريهير فون توينغين . وكان الفريق بول فون هيز ، قائد برلين ، بين المتآمرين ، وكان في الامكان الاعتماد عليه في قيادة الحامية المحلية من مطلع الأمر ، وحملها على القيام بالخطوات المهمة لاحتلال المدينة .

ووضع ستوفنبرغ وتريسكو ، بالتعاون مع غويردلر وبيك وويتزليبين وغيرهم ، بالاضافة الى الخطط التفصيلية للسيطرة على برلين ، الاوراق اللازمة والمتضمنة للتعليمات الموجهة الى القادة العسكريين في المناطق ، والتي تشرح لهم الطريقة التي يقبضون فيها على زمام السلطة التنفيذية في مناطقهم ، كالقضاء على الحرس النازي واعتقال النازيين البارزين واحتلال المعتقلات . وتم ايضاً اعداد عدد من البيانات المثيرة التي تقرر اذاعتها في اللحظة المناسبة على القوات المسلحة وعلى الشعب الألماني والصحافة والاذاعة . وقد وقع بيك بعضها كالرئيس الجديد للدولة والبعض الآخر المشير فون ويتزليبين كالقائد الأعلى للقوات المسلحة والبعض الثالث غويردلر كالمستشار الجديد للدولة . وتم طبع نسخ الأوامر والنداءات في منتهى السرية في الساعات المتأخرة من الليل في البندلشتراسه ،

وقامت بطباعتها سيدتان باسلتان اشتركتا في المؤامرة وهما السيدة ايريكا فون تريسكو عقيلة الفريق التي عملت الكثير لإنجاح المؤامرة ، ومرغريت فون اوفين ، كريمة فريق متقاعد ، والسكرتيرة الأمينة لسنوات طويلة ، لقائدين عامين سابقين للجيش هما الفريق فون هامر شتاين والفريق فون فريتشه . واخفيت الأوراق بعد ذلك في خزانة الفريق أولبرخت الحديدية .

وهكذا تم اعداد جميع الخطط . ويمكن القول ان اتمامها كان في نهاية عام ١٩٤٣ ، وانها ظلت شهوراً طويلة تنتظر التنفيذ . لكن الاحداث لا تستطيع انتظار المتآمرين . وعندما حل تموز من عام ١٩٤٤ ، ادرك المتآمرون ان الوقت يكاد يسبقهم ، ولعل ادراكهم هذا نشأ عن سبب واحد على الأقل ، وهو ان الغستابو بدأت في الاطباق عليهم . وفي كل اسبوع تجري اعتقالات جديدة كان من اول ضحاياها الكونت فون مولتكيه واعضاء حلقة كريساو ، ومع كل اسبوع جديد يمضي ، تقع حوادث اعدام جديدة . وأخذت شرطة هملر السرّية تراقب كلاً من بيك وغويردلر وهاسيل وويتزليبين وغيرهم من اعضاء الحلقة الداخلية للمؤامرة ، حتى بات من الصعب عليهم ان يجتمعوا معاً . وكان هملر نفسه قد انذر كاناريس الذي هوى في الربيع ، بأنه يعرف تمام المعرفة بأن الفرقاء العسكريين يعدون ثورة أو مؤامرة ، وان عدداً من أصدقائهم المدنيين يساعدونهم في اعدادها . وقال له انه يراقب مراقبة شديدة كلاً من بيك وغويردلر . وبالطبع نقل كاناريس هذا التحذير الى اولبرخت [1] .

وكان الوضع العسكري لا يقل شؤماً في خطره على المتآمرين . وكان المعتقد ان الروس سيشنون عمّا قريب هجوماً عاماً شاملاً في الشرق . وفي ايطاليا انسحب الألمان من رومة امام قوات الحلفاء فسقطت في ايديها في الرابع من حزيران . وبات الغزو الانكليزي – الامريكي في الشرق وشيك الوقوع في كل

---

١ – شلابريندورف – كادوا يقتلون هتلر – ص ٩٧ .

لحظة . وستتعرض المانيا عمّا قريب للهزيمة العسكرية قبل الاطاحة بالنازية ، وأخذ عدد المتآمرين المتأثرين بفكرة حلقة كريساو في الازدياد وباتوا يعتقدون ان من الخير وقف خططهم والسماح لهتلر والنازيين بالمضي حتى النهاية ليحتملوا مغبّة الكارثة . وساد الاعتقاد بأن الإطاحة بهم الآن ستخلق اسطورة جديدة من « الطعن في الظهر » كتلك التي ضللت الكثير من الألمان بعد الحرب الكونية الأولى .

الغزو الانكليزي ــ الامريكي
في ٦ حزيران عام ١٩٤٤

لم يعتقد ستوفنبرغ ان الحلفاء الغربيين سيحاولون النزول في فرنسا في ذلك الصيف . وقد أصرّ على فكرته هذه ، حتى بعد ان ابلغه العقيد جورج هانسين من رجال المخابرات السابقين الذين انتقلوا الى مكتب هملر للمخابرات العسكرية ، في مطلع شهر ايار ، ان الغزو قد يبدأ في أول يوم من حزيران .

وكانت الهواجس تنتاب الجيش الألماني نفسه ولا سيما بالنسبة الى موعد الغزو ومكانه . ومرت هناك ثمانية عشر يوماً في شهر أيار ، كان الطقس فيها صالحاً للغزو من ناحية البحر والتيارات المائية ، ولاحظ الألمان ان الفريق ايزنهاور لم يحاول الافادة من هذه العوامل المناخية المناسبة . ونقل رونشتادت القائد العام للجيش في الغرب الى هتلر في الثلاثين من أيار ، انه لا توجد ثمة اشارة توحي بأن « الغزو وشيك الوقوع » . ونقلت محطة الأرصاد الجوية التابعة للقوة الجوية في باريس في الرابع من حزيران الى القيادة العامة انه بسبب العواصف الجوية ، لا يتوقع قيام الحلفاء بأي عمل لمدة اسبوعين على الأقل .

وامتنع السلاح الجوي الألماني على ضوء هذا البيان وعلى ضوء ما وصلت اليه من معلومات قليلة عن القيام بأعمال الاستطلاع الجوية فوق موانىء الساحل

الجنوبي من انكلترا حيث كانت تحتشد قوات ايزنهاور في ذلك الحين فوق ظهور بواخرها ، كما سحب الاسطول الألماني وحداتـه الاستطلاعية من القناة بسبب ارتفاع البحر وأعد روميل تقديراً للوضع في صباح الخامس من حزيران ونقل الى رونشتادت ان الغزو ليس قريباً ، ثم راح يستقل سيارته الى دارته في هيرلينغين ليقضي الليلة مع أسرته ثم ليمضي في الصباح التـالي الى برختسغادن للتشاور مع هتلر .

وتذكر الفريق سبيدل رئيس اركان حرب روميل فيما بعد ان اليوم الخامس من حزيران « كان يوماً هادئاً للغاية » . ولم يكن ثمة سبب يحول بين روميل وبين القيام برحلة التسرية عن النفس التي قام بها لألمانيا . حقاً كانت هنـاك التقارير المألوفة من العملاء الألمان عن احتمال نزول الحلفاء بين السادس والسادس عشر من حزيران ، ولكن مئات التقارير من هذا النوع كانت تنهال منذ شهر نيسان ، ولذا لم يحملها أحد هذه المرة على محمل الجد . وقام الفريق فريدريك دولمان قائد الجيش السابع في نورماندیا ، التي كانت قوات الحلفاء على وشك غزو سواحلها ، في السادس من حزيران ، بوقف حالة الاستنفار التي كانت مفروضة على الجيش ، لفترة موقتة ، ودعا كبار ضباط جيشه لحضور تمرين على الخرائط ، في مدينة رين التي تقع على بعد (١٢٥) ميلاً الى الجنوب من هذه الشطئان .

وكان الألمان لا يقلون جهلاً للمكان الذي سيقع فيه الغزو عنهم لموعد وقوعه . وكان رونشتادت وروميل على يقين من انه سيقع في منطقة خليج كاليه ، حيث تضيق القناة الانكليزية الى الحد الاكبر . وقد حشدا تبعاً لذلك اقوى وحداتهما في تلك المنطقة أي الجيش الخامس عشر ، الذي تضاعفت قوته في الربيع من عشر فرق الى خمس عشرة فرقة للمشاة . ولكن حاسة هتلر السادسة كانت قـد أوحت اليه في نهاية شهر آذار بأن رأس رمح الغزو سيكون في نورمانـديا ، ولذا فقد أصدر أمره في الاسابيع القليلة التالية بارسال نجدات قوية الى المنطقة الواقعة بين نهري السين واللوار . وظل يحذر قادته العسكريين قائلاً : « احذروا

نورماندیا » .

ومع ذلك وعلى الرغم من هذا التحذير ظلت القوة الألمانية الرئيسية سواء في المشاة أو في الوحدات المدرعة ، الى الشمال من نهر السين بين مينائي الهافر ودنكرك . وظل رونشتادت وفرقاؤه يرقبون منطقة خليج كاليه بدلاً من نورماندیا ، وقد شجعهم على ذلك عدد من المناورات التضليلية التي قامت بها القيادة العليا البريطانية – الامريكية في شهري نيسان وايار ، والتي أوحت لهم بأن حساباتهم صحيحة ودقيقة .

وهكذا مضى اليوم الخامس من حزيران في هدوء نسبي من ناحية الألمان على الأقل وظلت الغارات الجوية الحليفة تصب قنابلها على مستودعات الألمان ومحطات رادارهم ومواقع اطلاق القنابل الطائرة (ف ۱) ومواصلاتهم ووسائل نقلهم ، ولكن هذه الغارات كانت مستمرة ليلاً ونهاراً منذ اسابيع طويلة ، ولم تكن اليوم اشد منها في الايام السابقة .

وتلقت قيادة رونشتادت بعد هبوط الظلام انباء تفيد ان محطة الاذاعة البريطانية تواصل بث عدد اضخم من المعتاد من رسائل الرموز الى قوات المقاومة الفرنسية وان محطات الرادار الألمانية بين شربورغ والهافر قد توقفت عن العمل. والتقط الجيش الخامس عشر في الساعة العاشرة مساء رسالة رمزية من دار الاذاعة البريطانية موجهة الى المقاومة الفرنسية اعتقد انها تعني ان الغزو بات وشيك الوقوع . واستنفر هذا الجيش فوراً ، ولكن رونشتادت لم يعتقد بضرورة استنفار الجيش السابع الذي كانت قوات الحلفاء الآن أي عند منتصف الليل ، تقترب من منطقته لتنزل في سواحلها التي تقع الى الغرب بين كاين وشربورغ ، من نحو من الف سفينة .

ولم يشعر الجيش السابع الذي لم يكن قائده قد عاد بعد من تمرين الخرائط في رين بحقيقة ما هو واقع إلا في الساعة الواحدة والدقيقة الحادية عشرة صباحاً . وكانت فرقتان امريكيتان وفرقة بريطانية اخرى محمولة في الجو قد

بدأت في النزول على البر . وأطلقت اشارة الانذار العـــام في الساعة الواحدة والنصف من الصباح .

واتصل اللواء ماكس بيمسيل رئيس أركان حرب الجيش السابع هاتفياً بعد نحو من ٤٥ دقيقة بالفريق سبيدل في مقر قيادة رومل ليبلغه ان الحركة تبدو وكأنها « ضخمة وواسعة » . ولم يصدق سبيدل هذا القول ، ولكنه نقله بدوره الى رونشتادت الذي لم يكن ليقل عنه شكاً في صحته. واعتقد القـــائدان ان انزال المظليين لم يكن إلا مجرد ستار مضلل لتغطية عملية النزول الرئيسية حول كاليه. وابلغ بيمسيل في الساعة الثانية والدقيقة الاربعين من الصباح ان رونشتادت « لايعتبر هذه العملية رئيسية » [١]

ولم يصدق القائد العام ان هذا هو الهجوم الرئيسي للحلفاء ، حتى عندمـــا بدأت تتوارد اليه الأنبـــاء بعد بزوغ فجر السادس من حزيران ، ان اسطولاً ضخماً للحلفاء بدأ ينزل أعداداً ضخمة من الجنود على ساحل نورماندیا بين نهري فير وأورن ، تحت ستار من نيران المدفعية القاتـــلة من مدافع اسطول ضخم من السفن الحربية . ويقول سبيدل ان الحقيقة لم تتضح إلا بعد ظهر السادس من حزيران . وكان الأمريكيون قد أقاموا في ذلك الوقت مواطىء قدم على ساحلين من السواحل . وأقام البريطانيون مواطىء مماثلة على ساحل ثالث ، وتوغلت القوات الغازية مسافات تتراوح بين الميلين والستة أميال الى الداخل .

وهتف سبيدل لقائده رومل في الساعة السادسة صباحاً وهو في دارتـه ، وهرع المشير عائداً بسيارته دون ان يكمل رحلته لمقابلة هتلر ، ولكنه لم يصل الى مقر قيادة مجموعة الجيوش (ب) إلا في ساعة متأخرة من بعـــد ظهر ذلك

---

١ ـ سجل الهاتف في مقر قيادة الجيش السابع ، وقد عثر على هذه الوثيقة الرائعة سليمة في آب عام ١٩٤٤ وهي تؤمن مصدرا لا مثيل له للرواية الالمانية عما وقع لجيوش هتلر يوم الغزو وفي معركة نورماندیا التالية .

اليوم [1] . واتصل في غضون ذلك كل من سبيدل ، ورونشتادت ورئيس اركان حربه الفريق بلومنتريت هاتفياً بالقيادة العليا للقوات المسلحة التي كانت قد انتقلت في ذلك الحين الى برختسفادن وكان هناك امر أهوج صادر عن هتلر يمنع حتى القائد العام في الغرب من استخدام الفرق المدرعة دون أمر صريح من الفوهرر . وعندما رجا القادة الثلاثة في الساعات المبكرة من صباح السادس من حزيران من الفوهرر السماح لهم بارسال فرقتين مدرعتين على الأقل الى نورماندیا ، رد يودل بأن هتلر يريد أولاً مراقبة التطورات . وآنذاك مضى الفوهرر الى فراشه ، ولم يكن في الامكان ازعاجه من نومه ليرد على هواتف القادة العسكريين المحمومة حتى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وعندما أفاق من نومه . كانت الأنباء السيئة التي تواردت في غضون ذلك قد حفزت سيد الحرب النازي أخيراً على العمل . وأصدر في النهاية وبعد فوات الأوان ، أوامر بأن تشتبك فرقة « ليهر » المدرعة وفرقة الحرس النازي المدرعة الثانية عشرة في معركة نورماندیا . وأصدر كذلك أمراً مشهوراً حفظ للأجيال في سجلات الجيش السابع :

الساعة ١٦ والدقيقة ٥٥ . السادس من حزيران ١٩٤٤ .
« تؤكد رئاسة أركان حرب القيادة الغربية رغبة القيادة العليا في إبادة العدو في رأس الجسر الذي أقامه قبل مساء السادس من حزيران طالما ان هناك خطراً ماثلاً ، في وقوع حركات انزال اضافية من البحر والجو لتأييد القوات التي نزلت ... ومن الواجب تطهير الشواطىء تطهيراً كاملاً قبل انتهاء الليل » .

وكان هتلر يواصل القول دائماً ومنذ شهور طويلة في ذلك الجو الجبلي الخفيف

---

١ ـ كان هتلر قد منع كبار قادته العسكريين من التنقل بالطائرات ، بسبب تفوق الحلفاء الجوي في الغرب .

في اوبرسالزبرغ حيث كان يحاول الآن توجيه اخطر معــارك الحرب حتى اليوم ، ان مصير المانيا سيتقرر في الغرب . ولذا فلا ريب في ان هذا الأمر ، قد صدر بمنتهى الجدية ، وبموافقة كل من يودل وكايتل . ويبدو ان رومل الذي نقله هاتفياً ايضاً قبيل الساعة الخامسة من بعد الظهر أي بعد ساعة من عودتــه من المانيا ، الى القوات العاملة تحت امرته ، قد حمله على محمل الجد ، اذ انــــه اصدر امره الى مقر قيادة الجيش السابع بأن تشن هجوماً بالفرقــة المدرعــة الواحدة والعشرين وهي الوحدة الالمانية المدرعة الوحيدة في المنطقة ، وان يكون هذا الهجوم « فورياً » دون اكتراث اذا كانت النجدات ستصل ام لا » .

وكانت الفرقة قد شرعت في هجومها دون انتظار اوامر رومل . وعندمــا تلقى الفريق بيمسيل الأمر الهاتفي من رومل ، بأن هتلر يطلب إزالة رأس الجسر الساحلي قبل انتهاء الليل ، رد بشكل حازم ، وكان يعرف بأن رؤوس الجسور باتت ثلاثة لا واحداً ... بأن تنفيذ هذا الطلب مستحيل .

وهكذا تم اختراق جدار هتلر الغربي الذي طبلت له دعايته وزمرت في غضون بضع ساعات . وطرد السلاح الجوي الألماني الذي كان موضع فخــار الالمان وزهوهم من سماء المعركة فوراً ، كما طرد الاسطول الالماني من البحر ، وبوغت الجيش مباغتة ضخمة ، ولم تكن المعركة قد انتهت بعد ، ولكن نتيجتها كانت واضحة كل الوضوح . ويقول سبيدل ان « زمام المبــادرة انتقل منــذ التاسع من حزيران الى ايدي الحلفاء » .

وقرر رونشتادت ورومل ان الوقت قد حان لمواجهة هتــلر بالحقيقة وان يطلبا اليه احتمال النتائج . وراحا يغريانه على المجيء للاجتماع اليهما في السابــع عشر من حزيران في مارجيفال الواقعة الى الشمال من سواسّون ، في القبــو المدرّع من القنابل ، والذي كان هتلر قد أمر ببنائه في صيف عــام ١٩٤٠ ليكون مقراً لقيادته العليا عند غزو بريطانيا ، والذي لم يستعمله قط . وهكذا ظهر الفوهرر في هذا المــكان في الصّيف الرابــع من بنائه ، لأول مرة وكتب

سبيدل فيما بعد يقول :

« بدا هتلر شاحب الوجه ، جفا النـــوم جفنيه ، وهو يلعب بعصبية واضحة بنظارتيه ، وبمجموعة من الاقلام الرصاصية الملونة كان يحملها بين أصابعه . وجلس منحني الظهر على مقعد صغير لا ظهر له ، بينما وقف المشيران أمامه . وبدا ان سحره المغناطيسي على مقابليه قد خبا وانتهى . وحياهمـــا تحية قصيرة وجامدة . وراح يتحدث بصوت عال وبمرارة عن الالم الذي يشعر به من نجاح الحلفاء في نزولهم ، وهو النجاح الذي اراد ان يحمل قادة الميدان مسؤوليته [١] .

وعندما توقف هتلر مؤقتاً عن حملة الطعن التي شنها على القائدين ، كان توقع هزيمة اخرى مذهلة قد شجع المشيرين أو شجّع روميل على الاقل ، الذي تخلى له رونشتادت عن الحق في الكلام معظم الوقت ، على الحديث . ويقول سبيدل الذي شهد المقابلة « ان روميل اشار بصراحة لا ترحم ، الى ان المعركة يائسة وخاسرة ، نظراً لتفوق الحلفاء في الجو والبحر والبر » [٢] . ولكنه

---

١ ــ سبيدل ــ الغزو ص ٩٣ .

٢ ــ كان روميل قد بعث في الثالث والعشرين من نيسان ، أي قبل اقل من شهرين من وقوع الغزو برسالة الى الفريق يودل ، يقول فيها : « اذا نجحنا على الرغم من تفوق العدو في الجو ، في تحريك قسم كبير من قواتنا المتحركة في المنطقة المهددة والقطاعات الساحليـة الدفاعية في الساعات الاولى من الغزو وتمكينها من الدخول في المعركة ، فاني على ثقة من انهيار هجوم العدو على الساحل انهيارا تاما في اليوم الاول » (اوراق روميل .. اعداد ليدل هارت ص ٤٦٨) . ولكن أوامر هتلر القاطعة جعلت من المستحيل القذف بالفرق المدرعة في المعركة « في الساعات الاولى » وحتى في الايام الاولى . وعندما وصلت هذه الفرق اخيرا فشلت ومزقت شر ممزق . (سبيدل ــ الغزو ص ٩٣ ــ ٩٤ . استندت على هذا الكتاب في هذا السرد . وقد خلف الفريق بلومنتريت رئيس اركان رونشتادت وصفا آخر لما وقع . وهناك معلومات اضافية في « اوراق روميل » من اعداد ليدل هارت . ص ٤٧٩) .

اضاف بأن المعركة لن تكون يائسة كل اليأس اذا تخلى هتلر عن تصميمه العجيب على الاحتفاظ بكل شبر من الأرض وقذف قوات الحلفاء في البحر . واقترح رومل بموافقة رونشتادت ، ان ينسحب الألمان بعيداً عن مدافع اسطول العدو القاتلة ، وان يبعدوا فرقهم المدرعة عن الميدان لإعادة تنظيمها واعدادها لاندفاع جديد قد يؤدي الى هزيمة الحلفاء في معركة تدور « خارج نطاق المدى المدفعي لوحدات العدو البحرية » .

ولكن سيد الحرب الاعلى يرفض الاستماع الى أي اقتراح بالانسحاب . وعلى الجنود الالمان ان يصمدوا وان يقاتلوا . وبـــدا ان الموضوع ليس مستساغاً لذوقه ، وسرعان ما تحول الى الحديث في مواضيـــع اخرى . وراح هتلر في عرض وصفه سبيدل بأنه « مزيج غريب من الكلبية والالهام الخادع » يؤكد لقادته العسكريين ان سلاح القنبلة الطائرة الجديد (ف ١) ، الذي شرع في استخدامه ضد لندن بالأمس « سيكون حاسماً ضد بريطانيا العظمى .. ويجعل البريطانيين راغبين في عقد الصلح » . وعندما لفت المشيران اهتمام الفوهرر الى فشل السلاح الجوي فشلاً كلياً في الغرب ، رد الفوهرر بأن « المجموعات الضخمة من الطائرات النفاثة » التي كان الالمان قد شرعوا في انتاجها بينما لم يكن لدى الحلفاء شيء منها ، ستطرد الطيارين البريطان والامريكيين من الاجـــواء . وراح يقول بعد ذلك ان بريطانيا ستنهار . وهنـــا ارغمهم اقتراب طائرات الحلفـــاء من المـــكان على تأجيل الاجتماع ، لينتقلوا الى ملجـــأ الفوهرر من الغارات الجوية .

وعادوا الى استئناف الحديث في الملجأ الأمين المشيد من الاسمنت المسلح تحت الارض [1] ، واصر رومل هنا على توجيه الحديث الى السياسة ، ويروي

---

١ ـ استمرت المناقشات من الساعة التاسعة صباحا حتى الرابعة مساء دون ان تنقطع الا لتناول الغداء المؤلف من شكل واحد . ويقول سبيدل ان « هتلر ابتلع بعد ذلك صحنا مليئا بالارز والخضار بعد ان تذوق مرافقوه الطعام قبل ان يشرع فيه . وانتشرت حبوب الدواء والعلاجات المختلفة امامه فأخذ في تناولها على التوالي . وكان رجلان من الحرس النازي يقفان وراء مقعده لحراسته .

سبيدل قائلا :

« تنبأ روممل ان الجبهة الالمانية في نورمانديا ستنهار ، وانه لن يكون في وسع القوات الألمـــانية ان تحول دون اختراق قوات الحلفاء لصفوفها والنفاذ الى المانيـــا .. وأعرب عن شكه في تمكن الجبهة الروسية من الصمود . وأشار الى العزلة السياسية الكاملة التي تحيط بألمانيـا ، وانهى حديثه مناشداً الفوهرر مناشدة جدية وجوب وضع حد للحرب » .

وراح هتلر الذي كان يقاطع روممل مرات عدة أثناء حديثه ، يوقفه أخيراً بشكل صارم وهو يقول : « عليك ان لا تهتم بالسير المقبل للحرب ، وان تحصر اهتمامك في جبهة الغزو التي تتولى قيادتها » .

ولم يستطع المشيران ان يحققا أي نجاح مع هتلر لا بحججها العسكرية ولا بمنطقها السياسي . وتذكر يودل فيما بعد امام محكمة نورمبرغ ان « هتلر لم يكترث مطلقاً بتحذيراتهما » . وحث القائدان هتلر في النهاية على زيارة مقر قيادة مجموعة الجيوش (ب) التي يتولى روممل قيادتها ليتشاور مع بعض قادة الميدان في موضوع مـــا يعتزمون الاقدام عليه في نورمانديا ، وقد وافق هتلر برماً على ان يقوم بالزيارة بعد يومين أي في التاسع عشر من حزيران .

ولكنه لم يف بوعده . اذ لم يكد المشيران يغادران مارجيفال بعد ظهـــر السابع عشر من حزيران حتى كانت قنبلة طائرة شاردة ، موجهة الى لندن ، تستدير في الجو لتهبط على ظهر القبـــو الذي يقيم فيه الفوهرر . وعلى الرغم من ان احداً لم يقتل او يصب بأذى إلا ان هتلر انزعج اشد انزعاج ، مما حمله على المضي فوراً بحثاً عن اماكن أكثر أمناً ، دون ان يتوقف حتى وصل الى ملاذه الجبلي في برختسغادن .

وسرعان ما وصلت اليه هناك انباء أكثر سوءاً . فقد بدأ الهجوم الروسي الذي طال انتظاره في الجبهة الوسطى في العشرين من حزيران ، وكان من

القوة الهائلة بحيث تحطمت مجموعة جيوش الوسط الألمانية التي كان هتلر قد حشد فيها احسن قواته تحطيماً كلياً في غضون بضعة ايام ، وتمزقت جبهتها شر ممزق ، واصبحت الطريق مفتوحة أمام الهجوم الروسي . واجتاز الروس في الرابع من تموز حدود بولندة الشرقية لعـــام ١٩٣٩ ، وتدفقت قواتهم على بروسيا الشرقية . وسرعان مـــا هرعت القيادة العامة تجمع كل ما يتوافر لها من قوات احتياطية ، لتبعث بهـا بسرعة الى الجبهة للدفاع لأول مرة في الحرب الكونية الثانية عن أراضي الوطن الألماني . وأدى هذا التطور الى تقرير مصير الجيوش الألمانية في الغرب ، إذ لم يعد في وسعها ان تعتمد منذ هذه اللحظة على وصول أية نجدات ذات قيمة .

وراح رونشتادت وروممل في التاسع والعشرين من حزيران يناشدان هتلر من جديد مواجهة الواقع في الشرق والغرب وان يحاول انهاء الحرب ، قبل ان تزول من الوجود القوات القوية الباقيـــة من الجيش الالماني . ودار هذا الاجتماع هذه المرة في أوبرسالزبرغ ، حيث عامـــل سيد الحرب الأعلى مشيريه معاملة جافة ، رافضاً توسلاتهما بغلظة وصلافة ، منتقلاً بعد ذلك الى مألكة (مونولوج) طويلة عن الطريقة الـــتي سيفوز بهـــا في الحرب مستخدماً « الأسلحة السرية العجيبة » . ويقول سبيدل ، ان حديثه ضاع في غمرة « الانحرافات الخيالية الغريبة » .

ولم ينقض يومان حتى كان هتلر يستبدل رونشتادت في قيادة الغرب العامة بالمستر فون كلوغه [١] . وبعث روممل في الخامس عشر من تموز برسالة مطولة

---

١ ــ من المحتمل ان تكون اقالة رونشتادت قد جاءت الى حد ما نتيجة العبارات الجافة التي كان قد وجهها الى كايتل في الليلة الفائتة . وكان هذا قد هتف له مستعلما عن الوضع. وكان الهجوم العام الذي قامت به اربع فرق مدرعة من فرق الحرس النازي على الخطوط البريطانية ، ما زال يغالب القدر. ، وكان رونشتادت في وضع نفسي كئيب للغاية . . =

الى هتلر ، ارسلها عن طريق الجهاز الطابع اللاسلكي للجيش . وقد قال في رسالته .. « يحارب الجنود ببطولة في كل مكان ، ولكن الكفاح اللامتكافىء أوشك على الوصول الى نهايته » . واضاف عبارة كتبها بخط يده يقول فيها : « وأرى لزاماً علي ان ارجوك الوصول الى النتائج المناسبة دون إبطاء . واني لأرى من واجبي كقائد عام لمجموعة من الجيوش الألمانية ان اقول هذا بجلاء ووضوح [1] » .

وقال رومل لسبيدل .. « لقد اتحت له فرصته الاخيرة ، فاذا لم يهتبلها فسنبادر الى العمل [2] » .

ولم يمض يومان حتى كان رومل يعود في سيارة اركان حرب القيادة بعد ظهر السابع عشر من تموز الى مقر قيادته في جبهة نورمانديا ، عندما اطلقت عليه طائرات الحلفاء المقاتلة النيران من ارتفاع خفيض، فأصيب بجراح بالغة، حتى ظن الجميع في بادىء الأمر انه لن ينجو منها ولن يعيش يوماً واحداً .وكان هذا بمثابة كارثة للمتآمرين ، إذ ان رومل كان قد حزم أمره الآن ، كما يقسم سبيدل [3] ،

= وصرخ كايتل قائلا : ترى ماذا يجب ان نفعل ؟

ورد رونشتادت بقوله : عليكم ان تعقدوا الصلح أيها المجانين . فهل في وسعكم ان تفعلوا شيئا سوى ذلك ؟

ويبدو ان كايتل « المداهن الواشي » كما كان يسميه معظم قادة الميدان ، قد مضى لتوه الى هتلر لينقل اليه ماقاله رونشتادت . وكان الفوهرر اثناء ذلك ، يتشاور مع كلوغه ، الذي كان يقضي منذ بضعة أشهر اجازة مرضية نتيجة الاصابات التي تعرض لها في حادث سيارة. وسرعان ما اختار كلوغه ليخلف رونشتادت . هذه هي الطريقة التي كان سيد الحرب النازي يبدل فيها كبار قادته العسكريين . وقد روى الفريق بلومنتريت قصة هذا الحديث الهاتفي الى ويلموت الذي سردها في كتابه (معركة اوروبا ص ٣٤٧) وليدل هارت الذي ادرجها في كتابه « الفرقاء الالمان يتكلمون ص ٢٠٥ » .

١ - يوجد نص الرسالة في كتاب سبيدل « ألغزو » ص ١١٥ - ١١٧ . ويوجد نص آخر مختلف كل الاختلاف في « اوراق روميل ص ٤٨٦ - ٤٨٧ » .

٢ - سبيدل - الغزو ص ١١٧ .

٣ - سبيدل - الغزو ص ١٠٤ - ١١٧ .

على عدم التردد في اداء دوره في خلاص المانيا من حكم هتلر ، وان كان ما زال يعارض في اغتياله . وكان يعتزم القيام بذلك في بضعة الايام التالية . وهكذا ثبت ان الضباط الألمان افتقروا افتقاراً شديداً الى جرأته واندفاعه ، عندما حزموا أمرهم اخيراً ، وبعد ان رأوا الجيوش الالمانية تتهاوى في الشرق والغرب في تموز عام ١٩٤٤ ، على القيام بمحاولتهم الاخيرة للاطاحة بهتلر وباشتراكيته الوطنية .

ويقول سبيدل ان المتآمرين « أحسوا بالألم الشديد لحرمانهم من هذا الركن القوي الذي يسند قوتهم [١] » .

المؤامرة في الساعة قبل الاخيرة

أدى نجاح نزول الحلفاء في نورماندیا الى إيقاع الاضطراب في صفوف المتآمرين . وقد رأينا في السابق ، كيف ان ستوفنبرغ لم يكن ليصدق ان الحلفاء سيحاولون الغزو في عام ١٩٤٤ ، وكان يرى ان هناك فرصة تعادل خمسين بالمائة من الفشل في حالة وقوعه . ويبدو انه ود لو فشل الغزو ، طالما ان الحكومتين البريطانية والامريكية ، ستكون اكثر استعداداً بعد هذه النكسة الباهظة الثمن والدموية ، في التفاوض لعقد صلح في الغرب مع حكومته الجديدة المناهضة للنازية ، ويكون في امكانها والحالة هذه الحصول على شروط افضل .

وعندما اتضح ان الغزو قد نجح ، وان المانيا قد منيت بهزيمة شنيعة ، وانها

---

١ ــ سبيدل ــ الغزو . ص ١١٩ . وقد نقل سبيدل عن الكاتب الالماني ايرنست يونغر الذي نالت كتبه من الشهرة في المانيا النازية حدا كبيرا ، ولكنه ما لبث ان انقلب على النازيين وانضم الى الجانب الباريسي من المؤامرة ، وقوله : « لقد حرمت الضربة التي نزلت بروميل على طريق ليفاروت في السابع عشر من تموز ، مؤامرتنا من الرجل القوي الوحيد القادر على حمل اعباء الحرب الفظيعة وما قد يتلوها من حرب اهلية ، ايضا » .

تتعرض الآن لخطر هزيمة اخرى من ناحية الشرق ، بدأ الشك يتسرب الى نفوس ستوفنبرغ وبيك وغويردلر من جدوى المضي في تنفيذ خططهم . فلو قدر لهم النجاح في انقلابهم فــإن اللوم سينصب عليهم على اعتبار انهم هم الذين جاءوا بالكارثة النهائية لبلادهم . وعلى الرغم من ادركهم ان الهزيمة واقعة لا محالة ، إلا ان الجمهرة الغالبة من الألمان لم تدرك هذه الحقيقة . ووصل بيك اخيراً الى النتيجة القائلة بأنه على الرغم من ان الثورة المناهضة للنـــازية لن يقدر لها ان تنقذ المانيا من احتلال العدو ، إلا انها على الاقل ستضع نهاية للحرب وتوفر على الوطن المزيد من التضحيات بالدماء والخراب . وسيؤدي الصلح الآن ايضاً الى منع الروس من اجتياح المانيا وبلشفتها . وسيظهر للعالم كذلك ان هناك « المانيا اخرى » غير المانيا النازية . ومن يدري ؟ فقد لا يكون الحلفاء الغربيون على الرغم من اصرارهم على الاستسلام اللامشروط ، من القسوة البالغـــة على حد كبير مع المانيا المغلوبة والمحتلة . وقد وافقه غويردلر على افكاره وركز المزيد من الآمال على الديمقراطيات الغربية . وقال انه يعرف كم يخشى تشرشل خطر « الانتصار الروسي الكامل » .

ولكن المتآمرين الأحدث سناً وفي طليعتهم ستوفنبرغ لم يقتنعوا بهـــذه الآراء . وراحوا ينشدون المشورة من تريسكو ، الذي اصبح الآن رئيس اركان حرب الجيش الثـــاني في الجبهة الروسية المنهارة . وقد رد جوابه المتآمرين المترددين الى الطريق .. اذ قال :

« يجب ان نحاول الاغتيال بأي حال من الاحوال . وحتى لو فشلت المحاولة ، فعلينا ان نقوم بمحاولتنا لتسلم زمـــام الحـــكم في العاصمة . وعلينا ان نقيم الدليل للعالم وللأجيال المقبلة ان رجال حركة المقاومة الالمانيـــة قد تجرأوا على اتخاذ الخطوة الحاسمة ، وعرضوا حياتهم للأخطار بسببها ، وليس ثمة من اهمية لأي هدف

آخر الى جانب هذا الهدف [١] » .

وقد أدى هذا الرد الملهم الى تسوية القضيـــة وانعش روحية ستوفنبرغ وأصدقائه الشبان ، وشدد من عزائمهم وبدد مخاوفهم وشكوكهم . وفرض خطر الانهيار الذي يهدد الجبهات في روسيا وفرنسا وايطاليا على المتآمرين ان يبادروا الى العمل فوراً . وقد ساعدتهم على الاسراع في التنفيذ حادثة جديدة وقعت الآن ...

وكانت حلقة بيك – غويردلر – هاسيّل ترفض منذ البداية التعاون مع الحركة السرية الشيوعية في المانيا ، كما كانت هذه الحركة ترفض التعاون مع الحلقة المذكورة . وكان الشيوعيون يرون في المتآمرين جماعة لا تقل رجعية عن النازيين ، وكانوا يخشون أن يؤدي نجاحهم الى الحيلولة دون قيام المانيا شيوعية تخلف المانيا الاشتراكية الوطنية . ولا ريب في ان بيك واصدقاءه كانوا على علم بهذا الخط الشيوعي في التفكير ، وكانوا يعرفون ان موسكو هي التي توجه الحركة الشيوعية السرية ، الـــتي يتركز عملها الرئيسي في التجسس لحساب الروس [٢] . يضاف الى هذا انهم عرفوا بأن عملاء الغستابو قد تسللوا الى هذه

---

١ – شلابرندورف – كادوا يقتلون هتلر ص ١٠ . وكان لا يزال من اركان حرب تريسكو .

٢ – ظهرت هذه الحقيقة في قضية « الفرقة الموسيقية الحمراء » في عام ١٩٤٢ ، عندما اكتشفت المخابرات الالمانية ان هناك عددا كبيرا من الالمان يحتلون مراكز مهمة حساسة ، ويمت بعضهم الى اعرق الاسر الالمانية البارزة ، يديرون شبكة واسعة للتجسس لحساب الروس . وكانوا في وقت ما يبثون المعلومات الى موسكو على نحو من مائة جهاز ارسال سري ، منتشرة في المانيا وفي البلاد المحتلة في الغرب . وكان هارولد شولز – بويسون ، يتولى قيادة هـذه الفرقة الموسيقية الحمراء ، وهو حفيد امير البحر الاكبر فون تربيتز ، والقائد العجيب « للجيل الضائع » بعد الحرب الكونية الاولى ، وصاحب الشخصية البوهيميـة المشهورة في تلك الايام في برلين ، اذ كان يتنقل في ارجائها مرتديا « بلوزة صوفية » حمراء ، وقد ارخى عفرة شعره الاشقر على جبهته ، بينما يجتذب اهتمام الناس بميله الى السياسـة والـى الشعر الثوري وكان يرفض في ذلك الوقت كلا من النازية والشيوعية ، وان كان يعتبر نفسه من رجال اليسار . وعندما نشبت الحرب تمكن من الانضمام عن طريق نفوذ والدته الى السلاح الجوي الالماني ، برتبة ملازم ، وانغمس يعمل في مكتب غورنغ للابحاث العلمية ، الذي ركز =

الحركة ، وأن هؤلاء العملاء كان يرئسهم هنريــخ مويلر رئيس الغستابو نفسه والتلميذ المعجب بجهاز الشرطة السرية السوفياتية .

وقرر المتآمرون في شهر حزيران على الرغم من نصيحة غويردلر وغيره من شيوخ المتآمرين الاتصال بالشيوعيين . وقد تم هذا الاتصال باقتراح من الجنـاح الاشتراكي ولا سيما من أدولف ريشواين الفيلسوف الاشتراكي والفنان الذي غدا الآن مدير متحف الفن الشعبي في برلــين . وعلى الرغم من شكوك ستوفنبرغ نفسه بالمتآمرين ، إلا ان صديقيه الاشتراكيين ريشوان وليبر أقنعاه ، بضرورة اجراء بعض الاتصال معهم لمعرفة مــا ينتوون عمله في حالة نجاح الانقلاب ، ولاستخدامهم اذا أمكن في اللحظة الاخيرة لتوسيع قاعدة المقاومة المناهضة للنازية . ووافق متبرمــاً على ان يجتمع ليبر وريشوان بزعماء المقاومة الشيوعية السرية في الثاني والعشرين من حزيران ولكنه حذرهما من البوح بأكثر ممــا هو ضروري للزعماء الشيوعيين .

ـ اهتمامه كما رأينا في الفصل الخاص باتحاد النمسا ، على التخصص في التقاط المحادثات الهاتفية . وسرعان ما شرع في تينظم شبكة تجسس واسعة المروس ، معتمدا على شركاء موثوقين يحتلون مراكز مهمة في كل وزارة وكل مكتب عسكري في برلــين . وتضمنـت قائمـة هـؤلاء الجواسيس ساسم ارفيدهارناك ابن أخ عالم اللاهوت المعروف ، والاقتصادي الشاب اللامـع الذي يعمل في وزارة الاقتصاد والمتزوج من سيدة امريكية تدعى ميلدريدفيش ، كان قد اجتمع اليها في جامعة ويسكونسين ، وفرانز شيليها من موظفي وزارة الخارجية وهورست هيلمان من موظفي وزارة الدعاية ، والكونتيسة ايريكا فون برو كدورف من موظفات وزارة العمل .

وقد باح بسر الفرقة الموسيقية الحمراء الى الغستابو عميلان سوفياتيان انزلا بالمظلات في المانيا ثم اعتقلا ووقعت على الاثر سلسلة كبيرة من الاعتقالات .

وقدم الى المحاكمة خمسة وسبعون زعيما من زعماء الحركة اتهموا جميعا بالخيانة العظمى وحكم على خمسين منهم بالاعدام وبينهم شولز ـ بويسون وهارناك . وقد نجت ميلدريد هارناك والكونتيسه فون بروكدورف بحكم بالسجن ولكن هتلر امر على اعدامهما ايضا . وقد اعدمتا وأراد هتلر ان يجعل من هؤلاء عبرة لمن تسول له نفسه الخيانة فأمر بشنق المحكومين ، لكن برلين تخلو من المشانق اذ جرت العادة على تنفيذ احكام الاعدام بالفأس ، وعلى هذا فقد شنق المحكومون بحبال عادية شدت الى رقابهم وربطت الى كلابات من التي يستعملها الجزارون : واضحت هذه الطريقة في الشنق مستعملة منذ ذلك اليوم كتعبير عن الغلظة مع اولئك الذين يجرؤون على تحدي الفوهرر .

ووقع الاجتماع في برلين الشرقية بين ليبر وريشواين ممثلين للاشتراكيين وبين رجلين يدعى احدهما فرانز جيكوب والثاني انطون سايفكو وقد زعما ولعلهما صادقين في زعمهما ، انهما يقودان الحركة السرية الشيوعية . وقد رافقهما شخص ثالث قدماه باسم الرفيق « رامبو » وقد بـدا ان الشيوعيين كانوا على عـلم بشيء عن المؤامرة ضد هتلر وانهم يريدون الاطلاع على المزيد . وطلبوا الاجتماع الى زعماء المؤامرة العسكريين في الرابع من تموز . وقد رفض ستوفنبرغ اجابة هذا الطلب ، ولكنه خول ريشواين تمثيله في اجتماع آخر عقد في نفس التاريخ . وعندما وصل الى الاجتماع مع جيكوب وسايفكو ، اعتقلوا على الفور وتبيّن ان رامبو لم يكن الا عيناً من عيون الغستابو . وسرعان ما اعتقل ايضاً ليبر في اليوم التـالي ، وكان ستوفنبرغ يعلق عليه آمالاً عريضة في ان يغدو قوة سياسية طاغية في الحكومة الجديدة [١] .

ولم يجزع ستوفنبرغ فحسب لاعتقال ليبر الذي كان قد غدا صديقاً حميماً له ، والذي كان يعتبره عنصراً لا غنى عنه في الحكومة الجديدة المقترحة ، بل رأى في اعتقاله ايضـاً ان المؤامرة كلها قد غدت على كف عفريت وفي خطر الاكتشاف بعد ان تبين ان رجال هملر ، كانوا قريبين للغاية من الأثر الصحيح . وكان ليبر وريشواين من الرجال الشجعان البواسل ، وكان في وسعه ان يعتمد على كتمانهما ما يعرفانه من اسرار حتى ولو تعرضا لأشد انواع التعذيب ..ولكن هل تكون الثقة فيهما مطلقة الى هذا الحد ؟ لقد كان بعض المتآمرين في شك من قدرتهما على الصمود . فهناك حدود ينهار امامها حتى اشجع الرجال ، لا سيما عندما تتعرض اجسامهم لأشد انواع التعذيب البدني مما قد يضطرهم الى البوح بما يعرفونه .

وهكذا جـاء اعتقال ليبر وريشواين حافزاً جديداً للإسراع في العمل

---

١ ـ نفذ حكم الاعدام بالاربعة وهم ليبر وريشواين وجيكوب وسايفكو .

الفوري .

انقلاب العشرين من تموز عام ١٩٤٤

أصاب حسن الطالع المتآمرين في نهاية شهر حزيران بضربة من ضرباته . فقد رفعت رتبة ستوفنبرغ الى « العقيد » وعين رئيساً لأركان حرب الفريق فروم ، القائد العام لجيش الوطن . ومكنه المنصب الجديد من اصدار الأوامر الى الجيش باسم قائده فروم ، كما أتاح له الاتصال الدائم والمباشر بهتلر . وشرع الفوهرر يستدعي قائد الجيش الاحتياطي أو نائبه لمقابلته عدة مرات في كل اسبوع ليطلب قوات احتياطية جديدة يستبدل بها فرقه التي تتعرض للإبادة في الجبهة الروسية. وقرر ستوفنبرغ ان يعد القنبلة ويفجرها في احدى هذه المقابلات.

وغدا الرجل الآن قطب الرحى في المؤامرة . فبين يديه يتركز الأمل الوحيد في النجاح . وكان عليه ان يقتل هتلر لأنه العضو الوحيد في المؤامرة الذي يستطيع النفاذ الى مقر قيادة الفوهرر الشديد الحراسة في أي وقت . وكان عليه بوصفه رئيس اركان حرب جيش الاحتياط ، ان يوجه القوات التي سيطلب منها احتلال برلين بعد الخلاص من هتلر ، طالما ان قائده فروم ، لم يكسب نهائياً الى صفوف المتآمرين ، وليس في الامكان الركون اليه بصورة قاطعة . وكان عليه ان ينفذ المهمتين في نفس اليوم وفي مكانين تفصلها مئات الأميال ، سواء أكان الفوهرر في مقر قيادته في اوبرسالزبرغ أو في راستنبرغ ، فهنا يجب ان يقتل هتلر ، وهناك في برلين يجب ان ينفذ الشق الثاني من المؤامرة . وقد تنقضي بين العمل الأول والعمل الثاني فترة ساعتين أو ثلاث ساعات ، تكون طائرته إبانها تئز عائدة الى العاصمة ، ولن يستطيع في غضون هذه المدة ان يفعل شيئاً سوى التعلق بالأمل في ان يكون اعوانه في برلين قد شرعوا في تنفيذ خططه بحيوية ونشاط وكانت هذه هي المشكلة الاولى التي واجهته كما سنرى فيما بعد .

ولكنها لم تكن المشكلة الوحيدة ، فهناك مشاكل عدة اخرى . وكانت بينها مشكلة نجمت عن تعقيدات لا ضرورة لها ، نشأت في عقول المتآمرين الذين باتوا الآن في وضع يائس . فقد توصلوا الى نتيجة تقول ، بأن قتل هتلر لم يعد كافياً ، وانما عليهم ان يقتلوا في نفس الوقت كلاً من غورنغ وهملر ، ليضمنوا عدم استخدامها للقوات العسكرية العاملة تحت أمرتها ، ضد الثورة . واعتقدوا ان الخلاص من هذين الرجلين سيضمن أيضاً سرعة انضمام كبار القادة العسكريين في الميدان ، من الذين لم تكسبهم المؤامرة بعد الى صفوفها ، الى الثورة . ولما كان غورنغ وهملر ، يحضران عادة الاجتماعات العسكرية اليومية التي يعقدها الفوهرر في مقر قيادته ، فليس من الصعب ، كما رأى المتآمرون الخلاص من الرجال الثلاثة بقنبلة واحدة . وأدى هذا القرار الاحمق الى ان ستوفنبرغ أضاع فرصتين ذهبيتين .

وقد استدعي الرجل الى اوبرسالزبرغ في الحادي عشر من تموز ليقدم تقريراً الى الفوهرر عن امكان تزويد الجبهات بما تحتاج اليه من قوات احتياطية لازمة للغاية . وحمل معه على الطائرة التي أقلته الى برختسغادن قنبلة انكليزية الصنع من قنابل المخابرات الألمانية . وكان قد تقرر في اجتماع عقده المتآمرون في الليلة الفائتة ان هذه هي اللحظة المواتية للخلاص من هتلر وغورنغ وهملر في آن واحد . ولكن هملر لم يحضر الاجتماع في ذلك اليوم ، وعندما خرج ستوفنبرغ من الاجتماع للحظات ، هتف للفريق اولبرخت في برلين ، يبلغه ذلك ، ويؤكد له ان في وسعه الخلاص من هتلر وغورنغ ، ولكن الفريق حثه على التريث لفرصة أخرى ، يتخلص فيها من الرجال الثلاثة . واجتمع ستوفنبرغ عند عودته الى برلين تلك الليلة الى كل من بيك واولبرخت ، وأصر في حديثه اليهما على ان يحاول في المرة التالية قتل هتلر سواء أكان غورنغ وهملر حاضرين أو لا ، فوافقه الرجلان على رأيه .

وسرعان ما أتيحت الفرصة التالية . فلقد صدر الأمر الى ستوفنبرغ في

الرابع عشر من تموز ، ليقدم الى الفوهرر في اليوم التالي تقريراً عن وضع القوات الاحتياطية ، اذ كانت القيادة العليا بحاجة الى كل مجنّد لتملأ الفجوة التي حدثت في روسيا ، اذ ان خسارة الثلاث والعشرين فرقة التي منيت بها مجموعة جيوش الوسط ، قد أدت الى توقف هذه المجموعة عن الوجود كقوة محاربة . وكان هتلر قد عاد بمقر قيـــادته في ذلك اليوم الى « وعش النسر » في راستنبرغ ، ليتولى شخصياً محاولة تركيز الجبهة الوسطى ، التي وصل فيها الجيش الأحمر الى نقطة لا تبعد إلا ستين ميلاً عن بروسيا الشرقية .

واستقل العقيد ستوفنبرغ في صباح الخامس عشر من تموز الطائرة مرة أخرى الى مقر قيادة الفوهرر [1] ، وهو يحمل قنبلة في حقيبته الجلدية اليدوية . وكان المتآمرون على ثقة هذه المرة من النجاح ، الى الحد الذي حملهم على تقرير البدء بالاشارة الاولى لعملية «العذارى» وهي التي تقضي بشروع القوات في زحفها على برلين بتحرك الدبابات من مدرسة المدرعات في كرامبنيتز على العاصمة قبل ساعتين من موعد اجتماع الفوهرر العسكري الذي كان من المقرر ان يبـــدأ في الساعة الواحدة بعد الظهر . فمن الواجب ان لا يقع أي ابطاء في التنفيذ .

---

١ ـ هناك خلاف بين المؤرخين حول الجهة التي طار اليها ستوفنبرغ، وهل كانت راستنبرغ او اوبرسالزبرغ . ويقدم لنا المؤرخان الالمانيان الموثوقان ، ايبرهارد زيلر والاستاذ غيرهارد ريتر روايتان متضاربتين ، اذ يقول اولهما ان هتلر كان لا يزال في اوبر سالزبرغ (برختسغادن) ، بينما يعلن الثاني ثقته من خطأ هذا القول ، ويؤكد ان الفوهرر قد عاد الى راستنبرغ . ومن سوء الحظ ان السجل اليومي لحركات الفوهرر ، الذي كان حتى الآن موجها لا يخطى للمؤلف حتى هذه النقطة ، لم يعثر عليه كاملا ، ولا يشمل هذه الفترة . ولكن ثمة دلائل قوية وبينها تقرير اعد في مقر قيادة الفوهرر في الثاني والعشرين من تموز عن حركات ستوفنبرغ ، قد اكدت ان هتلر كان في الخامس عشر من تموز في راستنبرغ ، وان ستوفنبرغ خطط لقتله هناك في هذا التاريخ . وعلى الرغم من ان المكانين اللذين كان الفوهرر يحاول توجيه الحرب وادارة دفتها منهما ، تبعدان بعدا متساويا عن برلين التي ندر ان زارها في هذه المدة نظرا لتعرضها المستمر للغارات الجوية التي لا ترحم ، الا ان برختسغادن كانت افضل مكانا من راستنبرغ لتنفيذ المؤامرة ، نظرا الى مركزها المتوسط في المانيا ، وقربها من ميونيخ التي كان المتامرون يشكون في ولاء حاميتها العسكرية لبيك .

وأصدر الفريق اولبرخت في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت الخامس عشر من تموز الأمر الاول المتعلق بعملية «العذارى» بالنسبة الى برلين ، وشرعت القوات قبل ظهر ذلك اليوم تتحرك نحو قلب العاصمة وقد تلقت الأمر باحتلال حي الولهلمشتراسة . ووصل ستوفنبرغ في الساعة الواحدة بعد الظهر الى الغرفة التي يعقد فيها الفوهرر اجتماعاته ، وهو يحمل حقيبته اليدوية ، فقدم الى الفوهرر تقريراً عن وضع القوات الاحتياطية ، ثم خرج من الغرفة مدة كافية هتف إبانها الى اولبرخت في برلين ليقول له برموز متفق عليها ، ان هتلر موجود ، وانه يعتزم العودة الى الاجتماع ، لتفجير القنبلة . وأبلغه اولبرخت ان القوات في برلين قد شرعت زحفها . وهكذا بات النجاح في المشروع العظيم الذي طال انتظاره في متناول اليد اخيراً . ولكن عندما عاد ستوفنبرغ الى الغرفة كان الفوهرر قد غادرها ، ولم يعد اليها . وهرع ستوفنبرغ وهو يائس ، الى الهاتف ليبلغ اولبرخت الانباء السيئة ، فراح الفريق يلغي باجراءات محمومة اشارة الاستنفار لعملية العذارى ، وطلب الى القوات ان تعود الى ثكناتها في أسرع وقت ممكن .

وأصابت أنباء الفشل الجديد المتآمرين بصدمة هائلة ، واحتشدوا في برلين ينتظرون عودة ستوفنبرغ ، لدراسة الخطوة التالية وكان غويردلر ، يؤيد العودة الى ما يسمى «بالحل الغربي» . واقترح على بيك ان يطيرا معاً الى باريس للتشاور مع المشير فون كلوغه . وحثه على عقد هدنة في الغرب يتعهد الحلفاء الغربيون بموجبها بعدم الاندفاع الى ما وراء الحدود الفرنسية -الالمانية ليسمحوا للجيوش الالمانية في الغرب ، بالانسحاب الى الجبهة الشرقية لانقاذ الرايخ من الروس ومن البلشفية . ولكن بيك كان اصفى فكراً من صديقه ، فلقد آمن بأن الفكرة بعقد صلح منفرد مع الغرب ، ليس إلا حلماً وخيالاً . وأكد على أي حال ضرورة المضي بالمؤامرة لقتل هتلر والاطاحة بالنازية مهما كانت النتائج ، وذلك لانقاذ الشرف الالماني على الاقل ، على حد تعبيره . ووافقه ستوفنبرغ على رأيه مقسماً بأنه لن يفشل في المرة التالية . اما الفريق اولبرخت ، وكان قد تلقى تأنيباً

صارماً من كايتل على حركة قواته في برلــين ، فقد أعلن لرفاقه ، انه لن يجرؤ على هذا العمل مرة ثانية ، اذ انه سيعرض المؤامرة للإنكشاف . وأضاف انه تمكن من النجاة هذه المرة بادعاء القيام بمناورة تدريبية لإيضاح الحركة . وقد أدى هذا الخوف من تحريك القوات الى ان تكون الانبـاء المؤكدة عن موت هتلر قد وصلت ، الى نتائج مفجعة في يوم الخميس التالي .

ودعا ستوفنبرغ ليلة الأحد السادس عشر من تموز عدداً صغيراً من اقاربـه وأصدقائه الحميمـين الى دارته في وانسي ، وبينهم شقيقه برتهولد ، وهو شاب هادىء الطبع ، مستبطن التفكير ، شغوف بالبحث والدرس يعمل مستشاراً للقانون الدولي في مقر القيادة البحرية ، والمقدم قيصر فون هوفاكر ، وهو ابن عم له ، ويعمل حلقة اتصال بينه وبين القادة العسكريين في الغرب ، والكونت فريتز فون دير شولنبرغ ، النــازي السابق ونائب مدير شرطة برلين وتروت زوسولز . وكان هوفاكر قد عــاد لتوه من الغرب حيث تشاور مع عدد من القادة العسكريين وبينهم فولكنهاوزن وستولنباغل وسبيدل وروميل و كلوغه ، وقد روى للحاضرين ان انهيار القوات الالمانية في الغرب بات وشيك الوقوع ، وان روميل على استعداد لدعم المؤامرة مهـما كان الموقف الذي يتخذه كلوغه ، وإن كان لا يزال يعارض في قتــل هتلر . واتفق المتآمرون الشبان بعد نقاش طويل ، على ان الخلاص من هتلر ، هو السبيل الوحيد للانقـاذ الآن . ولم تعد الخيالات تساورهم الآن بأن عملهم اليائس سينقذ المانيامن الاستسلام اللامشروط . واتفقوا ايضاً على ان هذا الاستسلام سيكون للروس كما هو للحلفاء الغربيين . واضافوا ان الشيء المهم الآن ، للالمان لا لمحتليهم الاجانب ، هو تحرير المانيـا من طغيان هتلر [1] .

---

١ ـ اعتمدت في مصادري عن هذه الاجتماعات على السجل المختزل لمحاكمة ويتزليبين وهوبنر ورفاقهما وعلى تقارير كالتنبرونر عن ثورة العشرين من تموز وكتاب ايبرهارد زيلر « شبح الحرية » ص ٢١٣ ـ ٢١٤ وكتاب غيرهارد ريتر « غوبردلر وحركة المقاومة الشعبية الالمانية » ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ .

ولكنهم تأخروا الى حد فظيع في ادراك هـذه الحقيقة . فلقد طال أمر الطغيان النازي وعاش أحد عشر عامـاً . وكانت الثقة من الهزيمة الكلية في الحرب التي شنتها المانيـــا والتي لم يعملوا كثيراً ، ولا قليلاً ، لمنعها ، هي التي حفزتهم الآن للعمل . لكن العمل افضل من اللاعمل ، حتى ولو كان متأخراً ولم يبق أمامهم الا وقت قصير . وها هم القادة العسكريون في الشرق والغرب على حد سواء يبلغونهم ان الانهيار بات قيد اسابيع ليس الا .

وبدا للمتآمرين ان عليهم ان ينفذوا مخططهم في غضون بضعة ايام . ولقد أثار زحف القوات المفتقر الى النضوج ، على برلـــين في الخامس عشر من تموز شكوك القيادة العليا . وجاءت الأنباء في ذلك اليوم تقول ان الفريق فون فالكنهاوزن ، وهو احد قادة المؤامرة في الغرب ، قد أقيل بصورة مباغتة من منصبه كحاكم عسكري في بلجيكا وفرنسا الشمالية . وسادهم الفزع من ان يكون هناك من يشي بهم . وسمعوا في السابع عشر من تموز ، بالجراح البالغة التي أصابت رومل ، والتي حتمت عليهم ، ان يهملوه في خططهم الى أمد غير محدود ، وتلى غويردلر معلومات من اصدقائه في مقر قيادة الشرطة في اليوم التـــالي ، تفيد ان هملر اصدر الأمر باعتقاله ، ومضى غويردلر تحت ضغط ستوفنبرغ الى مخبئه ، على الرغم من معارضته . ونقل الرئيسُ الفريد كرانز فيلدر وهو صديق شخصي لستوفنبرغ وأحد الضباط البحريين القلائل المنضمين الى المؤامرة ، الى صديقه ، بأن الشائعات منتشرة في برلين بأن مقر قيادة الفوهرر سينسف في بضعة الايام القـــادمة . واتضح من جديد ، ان هناك في المؤامرة من لا يتخذ الحيطة والحذر . واشارت جميـع الدلائل الى ان الغستابو بدأت تقترب من الحلقة الداخلية للمؤامرة للاطباق عليها .

واستدعي ستوفنبرغ بعد ظهر التاسع عشر من تموز للقدوم من جديد الى راستنبرغ ليقدم تقريراً جديداً الى هتلر عن فرق الرماة الشعبية الجديدة ، التي كان جيش الاحتياط يتولى تدريبها بسرعة للقذف بها في الجبهة الشرقية المنحلة ،

وكان عليه ان يقدم تقريره الى الاجتماع العسكري الاول الذي سيعقد في مقر قيادة الفوهرر في الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالي العشرين من تموز [1]. وتولى ستوفنبرغ ابلاغ المشير فون ويتزليبين والفريق هويبنر ، اللذين كانا يعيشان على بعد مسافة قليلة من برلين ، ضرورة المجيء باكراً الى برلين . وتولى الفريق بيك اعداد اجراءات الدقيقة الاخيرة ،لتوجيه الانقلاب الى ان يكون ستوفنبرغ قد عاد الى المدينة في الوقت المناسب بعد تنفيذه مهمته القاتلة . وقيل لكبار الضباط في الحاميات المنتشرة في برلين وحولها بأن العشرين من تموز هو « اليوم الموعود » .

وراح ستوفنبرغ يعد في « البندلشتراسة » تقريره الذي سيقدمه الى هتلر في اليوم التالي ، ولم يغادر مكتبه الا في الساعة الثامنة مساء عائداً الى دارته في دانسي . وتوقف في طريق العودة في كنيسة كاثوليكية في داهلم ليصلي [2] وقضى تلك الليلة هادئاً في دارته مع اخيه برتهولد ثم انصرف مبكراً الى فراشه . ويذكر كل من رآه بعد ظهر ذلك اليوم ومسائه ، انه كان هادئاً وودوداً كعادته ، وكأنه ليس مقدماً على شيء خطير للغاية .

---

١ ـ يروي الفريق ادولف هويسيفر رئيس قسم العمليات في قيادة الجيش العامة ان الانباء التي وردت من اوكرانيا في التاسع عشر من تموز كانت سيئة الى الحد الذي دعاه الى الاستفهام من القيادة العليا عما اذا كان جيش الاحتياط ، قد اعد قوات تحت التدريب في بولندة بحيث يمكن قذفها في الجبهة الشرقية وقد اقترح كايتل استدعاء ستوفنبرغ في اليوم التالي ليرد على هذا الاستفهام (كتاب هويسنفر « امر باستمرار المقاومة » ص ٣٥٠)

٢ ـ يقول فيتزغيبون في كتابه (٢٠ تموز) في الصفحة (١٥٠) ان الشائع « ان ستوفنبرغ اعترف في هذه الزيارة للكنيسة ولكنه لم ينل الغفران بالطبع » . ويقول المؤلف ان ستوفنبرغ ابلغ اسقف برلين الكردينال الكونت بريسينغ ، ما يعتزم عمله ، وان الاسقف رد بانه يجل الدوافع النبيلة التي تحفز الشاب على العمل . ولا يرى مبررا لمحاولة بالعدول عن نواياه لاعتبارات دنية (كتاب ٢٠ تموز ص ١٥٢) .

٢٠ تموز ١٩٤٤

مضى العقيد ستوفنبرغ في الساعة السادسة من صباح ذلـــك اليوم المشرق والدافىء من ايام الصيف ، من العشرين من تموز في سيارته يصحبه مرافقه الملازم فير فون هيفتين ، ماراً بأبنية برلين التي حطمتها القنابل الى مطار رانغزدورف وقد تضمنت حقيبته اليدوية المنتفخة اوراقاً تتعلق بفرق الرمـــاة الشعبية التي كان من المقرر ان يقدم تقريراً عنهـــا في الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليـــوم الى هتلر في « عش النسر » في راستنبرغ في بروسيا الشرقية . وكانت هنـاك قنبلة موقوتة تقبـع بين الاوراق ، وقد لفها العقيد في قميص من قمصانه .

وكانت القنبلة شبيهة بتلك التي كان تريسكو وشلابريندورف قد وضعاها في طائرة الفوهرر في السنة الماضية والتي لم تنفجر . وهي من صنـع انكليزي ، وتنفجر كما سبق لنا ان روينا ، بكسر « كبسولة » زجاجية ، يسيل الحامض منها ليأكل سلكاً صغيراً ، يفلت زناداً يطبق على مـــكان التفجير . وكانت كثافة السلك تحدد الوقت الذي يتطلبه حدوث الانفجار ، وقد جهزت قنبلة اليوم بأدق سلك ممكن ، لا يستغرق تآكله اكثر من عشر دقائق .

وقابل ستوفنبرغ في المطـــار الفريق ستيف الذي أعد القنبلة في الليلة السابقة . ووجدا في المطار طائرة في انتظارهما ، هي الطائرة الشخصية التي يستقلها الفريق ادوارد واغنر كبير ضباط « الميره » في الجيش الالماني وأحد زعماء المؤامرة ، وكان قد أعد العدة لوضعها تحت تصرفهما للقيام بهذه الرحلة الجوية المهمة للغـــاية . وحلقت الطائرة في الجو في الساعة السابعة لتهبط في راستنبرغ في الساعة العاشرة صباحاً . واصدر المرافق هيفتين تعليماته الى الطيار ليكون على استعداد للإقلاع في رحلة العودة في أي وقت بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً .

ونقلتهم سيارة من سيارات الاركان من المطـــار الى مقر قيادة « عش

النسر » القائم في منطقة معتمة شديدة الرطوبة داخـــل الغابات الكثيفة في بروسيا الشرقية . ولم يكن المكان ، كما لاحظ ستوفنـــبرغ ، من الامكنة التي يسهل الوصول اليها او الخروج منها . فهي مشيّدة في حلقات ثلاث يحيط بكل حلقة منها سياج دفاعي من الالغام الارضية والمراكز المحصنة والاسلاك الشائكة ، ويتولى حراستها ليلاً ونهـاراً جنود من اشد الحرس النازي تعصباً . وكان يتحتم على كل داخل الى الحلقة الداخلية المحروسة جيداً ، حيث يعيش هتلر ويعمـل ، ان يبرز ولو كان من ارفع القادة العسكريين رتبة ، جوازاً ، خاصاً ، يصلح للاستعمال مرة واحـدة ، وان يتعرض لتفتيش دقيق وشخصي من « الرئيس الاعلى » راتنهوبر ، رئيس قسم الامن التابع لهملر ، وقائد فريق الحرس النازي ، أو من احد نوابه . ولكن لما كان هتلر قد أمر شخصياً باستدعاء ستوفنبرغ ، لم يلق مع مرافقه هيفتين أية صعوبة في دخول الحلقـة الداخلية ، وان تعرضا للوقوف وتفحص جوازيها . وبعد ان تناولا طعام الافطار مع الرئيس فون مويليندورف مساعد قائد المعسكر ، راح ستوفنبرغ يسعى لمقابلة الفريق فريـتز فيلغيبل رئيس فرع الاشارة في القيادة العليا .

وكان هذا احد القادة البارزين في المؤامرة . واراد ستوفنبرغ التأكـــد من ان الفريق على استعداد لتطيير نبأ الإنفجار الى المتآمرين في برلين حتى يتمكنوا من البدء بالعمل فوراً . وكان على الفريق ايضاً ان يعزل مقر قيادة الفوهرر بعد ذلك بوقف جميع الاتصالات الهاتفية والبرقية والاذاعية معاً . ولم يكن في وسع انسان ان يؤمن ذلك تمام التأمين إلا قائـــد شبكات الاشارة في القيادة العليا ، وقد اعتبر المتآمرون انفسهم سعداء لانهم تمكنوا من اجتذابه الى صفوفهم ، اذ كان اشتراكه في المؤامرة امراً لا يمكن الاستغناء عنه .

وبعد ان زار الفريق بوهلي ممثل الجيش في القيادة العليا ليبحث معه شؤون جيش الاحتياط ، مضى ستوفنبرغ الى مكتب كايتل ، فعلـّق قلنسوته ونطاقه في الغرفة الخارجية ، ثم دخل الى مكتب الرئيس الاعلى للقيادة العليا للقوات

المسلحة . وعلم هناك ان عليه ان يعمل بسرعة اكثر مما كان مقرراً من قبل ، وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة بقليل ، وابلغه كايتل انه بسبب توقع وصول موسوليني بالقطار في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، فقد قرر الفوهرر تقديم موعد اجتماعه اليومي الاول من الساعة الواحدة ظهراً الى الساعة الثانية عشرة والنصف . ونصح كايتل العقيد ، بأن يختصر تقريره ما امكن ، إذ ان الفوهرر يريد الانتهاء من الاجتماع في وقتٍ مبكر للغاية .

ولكن هل يغادر الفوهرر الاجتماع قبل ان تنفجر القنبلة ؟ لا ريب في ان ستوفنبرغ كان يسأل نفسه ، عما اذا القدر يريد ان يحرمه مرة ثانية ، وقد تكون المحاولة الاخيرة من فرصة النجاح . ويبدو انه كان يأمل هذه المرة ايضاً ان يعقد الاجتماع في قبو الفوهرر الدوثروي حيث تكون شدة الانفجار اقوى أثراً بمرات عدة منها في أي بناء فوق الثرى . ولكن كايتل ابلغه ان الاجتماع سيدور في ثكنة المؤتمرات . [1] وكان هذا المكان بعيداً عن الكوخ الخشبي الواهي الذي كثر الحديث عنه. وكان هتلر في الشتاء الفائت قد أمر بتقوية البناء الخشبي الأصلي بجدران من الاسمنت المسلح سمكها ثماني عشرة بوصة لتأمين الوقاية من القنابل المحرقة ومن شظايا القنابل المتطايرة التي قد تسقط في الاماكن المجاورة . ولا ريب في ان هذه الجدران ستضفي قوة على تفجير قنبلة ستوفنبرغ .

---

١ ـ ذكر عدد من الكتاب ان هتلر كان يعقد عادة اجتماعاته العسكرية اليومية في راستنبرغ في قبوه الدوثروي، ولكن نظرا لاجراء بعض الاصلاحات في القبو وبسبب حرارة اليوم وشدة رطوبته نقل اجتماع العشرين من تموز الى البناء القائم فوق الثرى . وكتب بولوك في كتابه « هتلر » في الصفحة ٦٨١ يقول : « ان هذا التبدل العرضي في المكان انقذ حياة هتلر» . ولكن من المشكوك فيه ان يكون هذا التبدل عارضا ، فثكنة المؤتمرات كما يوحي بذلك اسمها، هي المكان الذي تعقد فيه المؤتمرات اليومية عادة ، ولم تكن الاجتماعات تنقل الى القبو الدوثروي الا في حالات وجود خطر من الغارات الجوية ، لا سيما وان هذا القبو يكون عادة اكثر برودة في الايام الشديدة الرطوبة . راجع كتاب زيلر « شبح الحرية » ص ٣٦٠ .

وتحتم عليه ان يسرع الى تشغيل القنبلة . فلقد اطلع كايتل على ما ينوي قوله لهتلر ، وعندما اشرف على الانتهاء من حديثه لاحظ ان رئيس القيادة العليا يتطلع بفروغ صبر الى ساعة يده . وقبل بضع دقائق من الموعد المقرر وهو النصف بعد الثانية عشرة ، قال كايتل ان عليهما ان يمضيا الى الاجتماع فوراً والا تأخرا . وخرجا من المكتب ، ولكن لم يسيرا بضع خطوات حتى قال ستوفنبرغ انه نسي قبعته ونطاقه في الغرفة الخارجية وعاد مسرعاً لحملها ، قبل ان يتمكن كايتل من اقتراح قيام مرافقه الملازم فون جون الذي يسير على مقربة منهما بالعودة للإتيان بهما .

وفتح ستوفنبرغ حقيبته بسرعة في الغرفة الخارجية وامسك بالملقط بأصابعه الثلاثة الباقية وحطم الكبسولة . وهكذا بات لزاماً ان تنفجر القنبلة في غضون عشر دقائق إلا اذ وقع خطأ ميكانيكي آخر في الجهاز .

وكان كايتل وهو المعروف بصلافته مع مرؤوسيه ، وكان خشناً اليوم مع رؤسائه ، قد تضايق من تأخر ستوفنبرغ ، فعاد ادراجه الى البناء ، وهتف بالعقيد طالباً اليه ان يسرع ، فقد تأخر عن الموعد . واعتذر ستوفنبرغ عن التأخر . وادرك كايتل ولا شك ان رجلاً عاطلاً ومشوهاً كستوفنبرغ يتطلب وقتاً اكثر من الرجل العادي للتمنطق بنطاقه . وبدا العقيد وهما يتجهان نحو كوخ هتلر في حالة مرحة ، وراح يحاول التسرية عما يحس به كايتل من ضيق او انزعاج ، اذ لم يكن القائد الكبير قد شك في شيء بعد .

ولكنهما تأخرا كما توقع كايتل ، فلقد بدأ الاجتماع قبل وصولهما وعندما دخل الرجلان البناء توقف ستوفنبرغ لحظة في البهو الخارجي ليقول لرئيس العرفاء المسؤول عن بدالة الهاتف ، على مسمع من كايتل ، انه يتوقع نداء هاتفياً عاجلاً من مكتبه في برلين ، وان هذا النداء يتضمن تزويده بمعلومات يحتاج اليها ليكون تقريره الى الفوهرر دقيقاً حتى اللحظة الاخيرة ، وانه يرجو ان يستدعى من الداخل فور وصول النداء الهاتفي . ولم تثر هذه الملاحظة ايضاً

على الرغم من غرابتها شكوك كايتل ، اذ كان من غير المألوف ان يجرؤ انسان حتى ولو كان مشيراً على ان يغادر حضرة سيد الحرب النازي قبل ان يسمح له هذا بالانصراف أو قبل ان ينتهي الاجتماع ويغادر القائد الاعلى المكان اولاً .

ودخل الرجلان قاعة الاجتماع . وكان قد انقضى على تحطيم الكبسولة اربع دقائق ، ولم يبق إلا ست دقائق . وكانت القاعة صغيرة لاتعدو مساحتها ثلاثين قدماً طولاً وخمسة عشر قدماً عرضاً ، وفيها عشر نوافذ ، كلها مشرعة ، للسماح للنسيم العليل بدخول القاعة في هذا اليوم الحار الشديد الرطوبة . وهكذا فإن هذا العدد الكبير من النوافذ المشرعة ، سيخفض من قوة تفجير القنبلة . وكانت هناك في وسط الغرفة منضدة مستطيلة الشكل طولها ثمانية عشر قدماً وعرضها خمسة اقدام وهي مصنوعة من صفائح البلوط السميكة . وكان تركيبها غريباً من حيث انها لاتقف على ارجل عادية وانما على قائمتين ضخمتين ثقيلتين ، تقفان في طرفي المنضدة وتمتدان على طول عرضها تقريباً . وكان لهذا التركيب الطريف اثره في الأحداث اللاحقة .

وعندما دخل ستوفنبرع الى القاعة ، كان هتلر يجلس في وسط الجانب الطويل من المنضدة وقد ادار ظهره الى الباب . وجلس الى يمينه مباشرة الفريق هوسينغر رئيس دائرة العمليات ونائب رئيس هيئة اركان حرب الجيش والفريق كورتين رئيس اركان حرب القوة الجوية والعقيد هاينز براندت رئيس اركان هوسينغر . وجلس كايتل في مقعده الى يسار الفوهرر ، والى جانبه جلس الفريق يودل . وكان هناك نحو من ثمانية عشر ضابطاً آخرين من القوات المسلحة الثلاث ومن الحرس النازي يقفون حول المنضدة ، ولكن لم يكن غورنغ وهملر بينهم . وكان هتلر يلعب بنظارته المكبّرة التي كان يحتاج اليها الآن لقراءة الحروف الدقيقة على الخرائط المنتشرة امامه ، بينما جلس كاتب اختزال الى المنضدة .

وكان هوسينغر يتلو تقريراً كئيباً عن آخر ما احدثه الروس من اختراقات في الجبهة الوسطى وعن الوضع العسكري الشديد الخطورة ، على الجيوش

الألمانية لا في تلك الجبهة وحدها بل وفي جبهتي الشمال والجنوب ايضاً. وتدخل كايتل في الحديث ليعلن وجود العقيد فون ستوفنبرغ والغرض من مجيئه . ورفع هتلر عينيه الى العقيد ذي الذراع الواحدة ، والذي يضع رقعة جلدية سوداء على عينه الضائعة وحيّاه باقتضاب ، واعلن انه يود ان ينتهي من هوسينغر قبل الاستماع الى تقريره .

وسرعان ما اقتعد ستوفنبرغ مجلسه على المائدة بين كورتين وبراندت ، على بعد بضعة اقدام الى اليمين من هتلر . ووضع حقيبته على الأرض دافعاً بها الى الأمام تحت المنضدة ، لترتكز على الجانب الداخلي من القائمة البلوطية الضخمة . وكانت على بعد ستة اقدام من قدمي الفوهرر . وكانت الساعة قد بلغت الآن الثانية عشرة والدقيقة السابعة والثلاثين ، ولم يبق على انفجار القنبلة إلا خمس دقائق . وواصل هوسينغر حديثه ، مشيراً باستمرار الى خريطة الوضع المنشورة على المنضدة . وواصل هتلر وضباطه الانحناء عليها لدراستها .

ويبدو ان أياً من الموجودين لم يلاحظ ستوفنبرغ وهو ينسل خارجاً ، باستثناء العقيد براندت على ما يظهر . وكان هذا الضابط مشغولاً في الاستماع الى ما يقوله قائده ، واراد الانحناء اكثر على المنضدة ، ليرى الخريطة بشكل افضل ، واكتشف ان حقيبة ستوفنبرغ المنتفخة تعترض طريقه فحاول ابعادها بقدمه ، ثم مد احدى يديه ورفعها مبعداً اياها الى الطرف النائي من الدعامة الثقيلة التي اصبحت الآن تقف حاجزاً بين القنبلة وبين هتلر . ويبدو ان هذه الحركة البسيطة في مظهرها هي التي انقذت حياة الفوهرر وكلفت العقيد براندت حياته هو ولا ريب في ان القضاء الذي لا يمكن تفسيره قد لعب دوره هنا[1]. فلقد كان العقيد براندت، كما يذكر القارىء ، هو الضابط البريء الذي كان

---

1 ـ تقول رواية باح بها امير البحر كورت اسمان لمحققي الحلفاء ، وكان حاضرا الاجتماع ان ستوفنبرغ همس في اذن براندت قائلا : « يجب ان اذهب لاتحدث بالهاتف . ارجو ان تهتم بحقيبتي ففيها بعض الاوراق السرية » .

تريسكو قد اغراه بأن يحمل له « زجاجتـين من الكونياك » على ظهر طـائرة هتلر من سمولنسك الى راستنبرغ مساء الثالث عشر من آذار عـام ١٩٤٣ ، وقد حملها بالفعل دون ان يشك مطلقاً بأن هاتين الزجاجتين لم تكونا في الواقع إلا مجرد قنبلة ، من نفس طراز القنبلة التي دفعها الآن دون قصد تحت المنضدة ، بعيدة عن سيد الحرب . وكان المحلول الكيمائي فيها الآن قد انهى أكل السلك الذي يمسك بزناد التفجير .

وتطلع كايتل المسؤول عن استدعاء ستوفنبرغ حول المنضدة الى المكان الذي كان من المفروض ان يقف فيه العقيد . وكان هوسينغر قد اشرف تقريبـاً على نهاية تقريره الكئيب ، وكان رئيس القيادة العليا يريد ان يشير الى ستوفنبرغ ليكون على استعداد للادلاء بتقريره فور انتهاء المذكور . وخيّل اليه انه قـد يكون في حاجة الى من يعينه في إخراج أوراقه من المحفظة . ولكن كايتل لم ير العقيد في مكانه مما أثار قلقه . وتذكر المشير ما قاله ستوفنبرغ عنـد دخوله لعامل الهاتف ، فانسل خارجاً من الغرفة ليصلح الخطأ الذي ارتكبه هـــذا الضابط الشاب بسلوكه الغريب .

ولكن ستوفنبرغ لم يكن موجوداً عند الهاتف . وقال العريف المناوب انه رآه يخرج مسرعاً من البناء . وعاد كايتل تعروه الدهشة والحيرة الى غرفـة الاجتماع ، وكان هوسينغر قد وصل الى نهاية تقريره عن الوضع اليومي المفجع .. وكان يقول : « يزحف الروس في قوات كبيرة الى الغرب من نهر دونا باتجـاه الشمال . وقد بلغت رؤوس رماحهم الى الجنوب الغربي من دونا بيرغ . وما لم تنسحب مجموعة جيوشنا الموجودة حول بحيرة بيبوس ، فوراً فإن كارثة [1] .. ولكن هذه الجملة ظلت ناقصة لم تنته ابداً ..

ففي هذه اللحظة بالذات وكانت الساعة (١٢,٤٢) ، انفجرت القنبلة .

وشهد ستوفنبرغ ما وقع . فقد كان واقفاً مع الفريق فيلفيبل ، أمام مكتب

---

١ ـ هوسينغر ـ امر باستمرار المقاومة ص ٣٥٢ .

الأخير في الشكنة رقم (٨٨) التي تبعد نحواً من مائتي ياردة عن المكان ، مترقباً بتلهف ما سيحدث ومتطلعاً الى ساعة يده يرقب حركة عقرب الثواني ، وينتقل بنظره الى الشكنة التي تركها . ورآها تنفجر محدثة دوياً ، ثم وتصاعد اللهيب والدخان ، كما روى هو فيما بعد وكأن الشكنة قد اصيبت اصابة مباشرة من قذيفة مدفع عيار (١٥٥) ملمتراً . ولم يكن ثمة أي شك لدى ستوفنبرغ المضطرب الفكر ، ان كل شخص في غرفة الاجتماع قد مات أو على وشك الموت . وراح بسرعة يودع فيلفيبل ، الذي بات من واجبه ان يهتف الآن للمتآمرين في برلين أن المحاولة قد نجحت ، وان يقطع بعد ذلك الاتصالات حتى يكون المتآمرون قد استولوا على العاصمة واعلنوا قيام الحكومة الجديدة [1] .

وكانت مهمة ستوفنبرغ التالية ان ينجو حياً من مقر قيادة راستنبرغ وبأقصى سرعة ممكنة . وكان رجال الحرس في نقاط المراقبة قد سمعوا الانفجار أو رأوه وهو يحدث في قاعة مؤتمرات الفوهرر ، وسرعان ما أغلقوا جميع المداخل . وأوقفوا سيارة ستوفنبرغ عند الحاجز الأول الذي لا يبعد إلا بضع ياردات عن ثكنة فيلفيبل وقفز العقيد من سيارته طالباً التحدث الى ضابط الخفر في غرفة الحرس . وراح يهتف أمام الضابط الى شخص لم يُعْرَف أبداً حديثاً قصيراً ثم يغلق السماعة ويلتفت الى الضابط قائلاً : « ياحضرة الملازم .. لقد سمح لي

١ ـ ادعى عدد من الكتاب ، انه كان من المقرر ان يقوم الفريق فيلفيبل في هذه اللحظة بنسف مركز المواصلات ، وان فشله في تحقيق ذلك ادى الى نتائج مفجعة بالنسبة الى المؤامرة . وهكذا يقول ويلر ـ بنيت في كتابه « نقمة السلطان ص ٦٤٣ » ان « الفريق فيلفيبل فشل فشلا معيبا في أداء واجبه » . ولما كانت مراكز المواصلات المختلفة موجودة في عدة أقبية دوثروبة ، ويقوم على حراستها رجال الحرس النازي ، فليس من المعقول ان تكون خطط ستوفنبرغ قد قضت بنسف هذه المراكز اذ ان القيام بمثل هذه المهمة كان امرا مستحيلا على الفريق . وكان كل ما وافق هذا على عمله ، منع الاتصال بين المعسكر والعالم الخارجي مدة ساعتين او ثلاث ساعات ، بعد ان تكون برلين قد تلقت نبأ الانفجار . واذا ما استثنينا خطأ او خطأين . فقد نفذ هذا العمل تمام التنفيذ .

بالمرور » .

وكانت هذه الحركة مجرد خدعة، ولكنها نجحت بعد أن دوّن الملازم في سجله: « الساعة ١٢و٤٤ مرّ العقيد ستوفنبرغ » وراح يبلغ نقطة المراقبة الثانية بالسماح للسيارة بالمرور . ولكن المهمة كانت أكثر صعوبة عند الحاجز الأخير . فلقد تلقى الحرس هنا اشارة إنذار ، وأغلق الحاجز الحديدي وضوعف الحرس ، ومنع أي انسان من دخول مقر القيادة أو خروجه منه . ورأى ستوفنبرغ ومرافقه الملازم هيفتين ، ان رئيس عرفاء كثير العتاد يسمى كولبي يسد الطريق على سيارتهما . وعاد ستوفنبرغ يطلب السماح له باستعمال الهاتف وطلب الرئيس فون مويلندورف مساعد قائد المعسكر . وقد شكا من ان الحراس لا يسمحون له بالخروج « بسبب الانفجار » ، ثم أضاف قائلاً : « انني على عجلة من أمري ، فالفريق فروم ينتظرني في المطار » . وكانت هذه خدعة ثانية فالفريق في برلين وكان ستوفنبرغ يعرف هذه الحقيقة تمام المعرفة .

ووضع العقيد السماعة والتفت الى العريف قائلاً : « هل سمعت أيها العريف . لقد سمح لي بالمرور » . ولكن الخدعة لم تجز على العريف ، فعاد يتحدث هو هاتفياً الى مويلندورف ليتثبت من الاذن للعقيد بالمرور ، فأكد له الرئيس ذلك .

وانطلقت السيارة بعد ذلك الى المطار تسابق الريح ، بينما شرع هيفتين يبطل بسرعة قنبلة ثانية كان قد حملها في حقيبته ، قاذفاً بأجزائها الى طرف الطريق ، حيث عثر عليها رجال الغستابو فيما بعد . ولم يكن قائد المطار قد تلقى أي انذار . وكان الطيار قد أدار محركات الطائرة عندما رأى الرجلين يقتربان من المطار . ولم تمض دقيقة أو دقيقتان حتى كانت الطائرة قد ارتفعت في السماء .

كانت الساعة الآن قد تجاوزت الواحدة بعد الظهر بقليل . وبدت الساعات الثلاث التالية ، وكأنها أطول ما مر به ستوفنبرغ من ساعات في حياته . ولم يكن في وسعه أن يفعل شيئاً وطائرة « الهينكل » البطيئة ، تتجه غرباً فوق

السهل الالماني المنبسط الذي تملؤه الرمال ، إلا أن يأمل في ان يكون فيلغيبل قد تمكن من الاتصال ببرلين ناقلاً الى المتآمرين الإشارة الهامة ، وأن يكون هؤلاء قد شرعوا فوراً في العمل لاحتلال المدينة ، ولارسال الرسائل المعدة سابقاً الى القادة العسكريين في المانيا ، وان لا تجبر طائرته على الهبوط من قبل الطائرات الألمانية المحاربة التي قد تكون في هذه الساعة قد تلقت انذاراً ، أو من قبل طائرة روسية معتسة ، لا سيا وقد نشطت الطائرات السوفياتية مؤخراً في سماء بروسيا الشرقية ولم يكن في طائرته جهاز بث للمسافات البعيدة ، مما يمكنه من ادارة القرص على اذاعة برلين ليستمع الى أولى اذاعاتها المثيرة ، التي كان ينتظر من المتآمرين أن يكونوا قد شرعوا فيها قبل هبوطه من الطائرة . ولم يكن في وسعه بسبب هذا النقص ان يتصل بشركائه في العاصمة ، ليعطي اليهم الإشارة التي قد يكون الفريق فيلغيبل قد فشل في إرسالها .

وظلت طائرته تئز في ساعات الظهيرة المبكرة من ذلك اليوم من أيام الصيف . وهبطت في مطار رانغسدورف في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين ، وأسرع ستوفنبرغ والحماس يغلبه الى أقرب هاتف في المطار ليتحدث الى الفريق أولبرخت وليعرف تماماً ، ما تم تحقيقه في الساعات القدرية الثلاث التي يعتمد عليها الكثير . ودهش دهشة بالغة عندما وجد ان شيئاً لم يتحقق . لقد وصلت رسالة هاتفية عن الانفجار من فيلغيبل بعيد الساعة الواحدة بقليل ، ولكن الاتصال كان سيئاً للغاية ولم يتمكن المتآمرون من التثبت مما اذا كان هتلر قد قتل او لا . ولهذا لم يقوموا بأداء أي عمل . وقد اخرجت اوامر عملية العذارى من خزانة اولبرخت الحديدية ولكنها لم تصدر بعد . وكان كل انسان في البندلشتراسه يقف عاطلاً عن العمل ينتظر عودة ستوفنبرغ . ولم يكن قد وصل الى برلين بعد الفريق بيك أو المستر فون ويتزليبين ، اللذان كان من المنتظر ان يشرعا ، بوصف اولها رئيس الدولة الجديد وثانيهما القائد العام للقوات المسلحة ، في اصدار البيانات والأوامر المعدّة سابقاً ، وان يكونا قد وجها

الى الشعب الألماني رسالة يعلنان فيها بزوغ فجر جديد في المانيا .

* * *

ولكن هتلر على النقيض من اعتقاد ستوفنبرغ الذي افضى به الى اولبرخت بالهاتف من رانغسدورف لم يمت . فلقد انقذ حياته عمل العقيد براندت اللاواعي بتحريك المحفظة من مكانها الى الطرف البعيد من قاعدة المنضدة البلوطية الضخمة . وقد اهتز هزّة عنيفة ولكنه لم يصب بجراح بالغة . وكل ما أصابه ان النار قد شاطت شعره ، وان ساقيه قد اصيبتا بحروق ، وان ذراعه الايمن اصيب برضوض وبعض الخدوش كما لحق به نوع من الشلل المؤقت ، بينما خرقت طبلتا اذنيه ، وتمزق ظهره من جراء عارضة خشبية هوت عليه . ولقد تذكر احد شهود العيان فيما بعد ، ان انساناً لم يعرفه عندما خرج من حطام البناء المحترق المتهدم ، مستنداً الى ذراع كايتل الذي نجا من الاصابات باعجوبة ، وقد اسود وجهه من الدخان كما احترق شعره ، وتمزقت ملابسه . ولكن معظم الذين كانوا في طرف المنضدة حيث تفجرت القنبلة إما لاقوا حتفهم أو اشرفوا على الموت او اصيبوا اصابات بالغة .[1]

وكثرت التكهنات في لحظات الإثارة الاولى عن مصدر الانفجار . وخيل الى هتلر بادىء ذي بدء ان الانفجار قد يكون ناجماً عن هجوم حقير شنته احدى طائرات العدو القاذفة — المقاتلة . اما يودل الذي حمل رأساً فقد تناثرت الدماء فوقه اذ هوت « النجفة » مع اشياء اخرى عليه ، فقد اعتقد ان بعض عمال البناء قد وضعوا قنبلة مؤقتة تحت ارض البناء . وقد ايّد الثقب الكبير في ارض القاعة الذي احدثته قنبلة ستوفنبرغ هذا الرأي كل التأييد . ومضى وقت طويل قبل ان تحوم الشكوك حول العقيد . واصيب هملر الذي

---

١ — قتل بيرغر كاتب الاختزال الرسمي كما مات كل من العقيد براندت والفريق شموندت مرافق هتلر والفريق كورتين متأثرين من جراحهم وأصيب الباقون وبينهم الفرقاء يودل وبودنشاتز ، رئيس اركان غورنغ وهوسينغر باصابات متفاوتة بين الحدة والعنف .

هرع الى المكان لدى سماعه بالانفجار بشيء من الدهشة المطلقة ، وكان اول ما عمله هو انه هتف قبل دقيقة او دقيقتين من قطع الفريق فيلغيبل للاتصالات الى ارتورنيبي ، رئيس دائرة الشرطة الجنائية في برلين ليوفد بالطائرة وعلى جناح السرعة فرقة من المفتشين السريين ، للقيام بالتحقيقات اللازمة .

ولم يذكر احد في غمرة هذا الاضطراب الأولى وما لحقها من هزة ، ان ستوفنبرغ كان قد تسلل من غرفة الاجتماع قبل لحظات من وقوع الانفجار . وكان الاعتقاد السائد في البداية انه لابد وانه كان في البناء ، وانه احد الذين اصيبوا اصابات بالغة ونقل الى المستشفى على جناح السرعة . وطلب هتلر الذي لم يكن قد شك فيه بعد التحري عنه في المستشفى .

وبعد نحو من ساعتين من انفجار القنبلة بدأت أصابع الاتهام في الظهور . فلقد روى العريف المسؤول عن بدالة الهاتف في ثكنة المؤتمرات « ان العقيد ذا العين الواحدة » الذي كان قد ابلغه انه يتوقع هاتفاً بعيداً من برلين ، خرج من قاعة الاجتماع ، وغادر البناء بسرعة هائلة دون ان ينتظر هاتفه . وتذكر بعض حاضري الاجتماع ان ستوفنبرغ كان قد ترك محفظته تحت المنضده . وكشف رجال الحرس عند نقاط التفتيش ان ستوفنبرغ ومرافقه مرّا فور وقوع الانفجار خارجين من المعسكر .

وسرعان ما اشتدت الشكوك في نفس هتلر . وكشف السؤال الهاتفي لمطار راستنبرغ النقاب عن معلومات مهمة ، فقد تبيّن ان ستوفنبرغ قد طار من هناك بسرعة هائلة قبيل الواحدة بعد الظهر ، وانه ذكر انه متجه الى رانفسدورف . وقد أمر هملر فوراً باعتقاله عند هبوطه هناك ، ولكن أمره لم يصل الى برلين بسبب العمل الباسل الذي اقدم عليه فيلغيبل بقطع جميع الاتصالات مع المعسكر . ويبدو أن اياً من رجال مقر القيادة العليا لم يكن قد شك حتى هذه اللحظة بأن ثمة شيئاً ما غير مألوف يحدث في برلين . وكان الجميع يعتقدون ان ستوفنبرغ عمل منفرداً . ولن يكون من الصعب عليهم اعتقاله إلا

اذا كان كما شك بعضهم قد هبط بطائرته وراء الخطوط الروسية لكن هتلر الذي بدا و كأنه يسلك سلوكاً هادئاً في مثل هذه الظروف ، كان يفكر من ناحية اخرى ، اذ كان عليه ان يستقبل موسوليني الذي تقرر وصوله في الساعة الرابعة بعد الظهر اذ كان بعض التأخير قد طرأ على قطاره .

وهناك شيء غريب ومضحك عن هذا الاجتماع الأخير بين الديكتاتورين الفاشيين بعد ظهر العشرين من تموز عام ١٩٤٤ ، اذ قاما بمشاهدة خرائب قاعة الاجتماع ، وحاولا خداع نفسيهما بالتفكير في ان المحور الذي اقاماه ، والذي وضعا اسسه على اسس سيادة القارة الأوروبية لم يتحول الى حطام ايضاً . ولم يعد الدوتشي ، الذي كان مزهواً بنفسه متكبراً في يوم ما ، أكثر من مجرد « محافظ » لمقاطعة لومبارديا بعد ان انقذه اجلاف النازية من سجنه ، ثم تولى هتلر وحرسه النازي دعمه والحفاظ عليه . لكن صداقة الفوهرر واجلاله للطاغية الايطالي الهاوي لم يتأثرا مطلقاً ، وقد استقبله اليوم بنفس الدرجة من الحرارة والدفء التي تسمح بها حالتها الصحية ، وعرض على أنظاره حطام ثكنة المؤتمرات « الذي كان الدخان لا يزال ينبعث منه ، والذي نجت حياته منه بأعجوبة قبل بضع ساعات ، وراح يتكهن لزائره بأن قضيتها المشتركة على الرغم من كل ما منيت به من نكسات لابد وان تنتصر في النهاية .

وتذكر الدكتور شميدت ، ترجمان هتلر ، الذي شهد منظر الاجتماع ما دار فيه ، بعد مدة طويلة فقال : [1]

« بدا الرعب الكامل على موسوليني ولم يستطع ان يفهم كيف يمكن لمثل هذا ان يحدث في مقر القيادة ...

« وراح هتلر يقول له : كنت أقف هنا على هذه المنضدة . وانفجرت القنبلة عند قدمي . ويتضح من هذا أنه لن يصيبني شيء او ضرر . فالقدر يشاء لي ان أواصل المضي في طريقي وأن اصل

---

١ ـ شميدت ـ ترجمان هتلر . ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧ .

برسالتي الى النهاية والكمال ... إن ما حدث اليوم لم يكن إلا الذروة القصوى ! أما وقد نجوت من الموت ... فقد بت اليوم أكثر اقتناعاً من أي وقت مضى ، بأن القضية العظمى التي نذرت نفسي لها ، ستجتاز محنها الراهنة ، وان كل شي، سيصل الى نهاية طيبة » .

ويقول شميدت ان موسوليني الذي ألف ان تأسره أقوال هتلر وافق على ما قاله مضيفه ...

« ومضى موسوليني يقول : ان وضعنا سيء ، بل في وسع المرء ان يصفه بأنه يائس . ولكن ما حدث هنا اليوم يوحي بشجاعة جديدة . ولا أستطيع ان أصدق بعد هذه المعجزة ، ان قضيتنا ستمنى بسوء الطالع » .

ومضى الدكتاتوران بعد ذلك مع رجال بطانتيهما لتناول الشاي ، ووقع الآن حادث مضحك ، وكانت الساعة قد بلغت الخامسة مساء ، يظهر صورة كاشفة ان لم تكن مدهشة لأوضاع الزعماء النازيين الرثة المهلهلة ، في هذه اللحظة من لحظات الأزمات التي يمر بها الرايخ الثالث . ففي هذه الآونة اعيد جهاز الاتصال الى العمل من راستنبرغ بأمر من هتلر ، ونقلت أنباء برلين الأولى ان ثورة عسكرية قد وقعت هناك ، وان من المحتمل ان تكون ثورة مماثلة قد نشبت في الجبهة الغربية . وشرع أعوان هتلر يتبادلون الاتهامات والسباب التي طال كبتها فانفجرت الآن ، وصراخهم يدوي في كل مكان وتتناقل العارضات الخشبية في المكان أصداءه ، بينما جلس هتلر صامتاً في البداية يفكر تفكيراً عميقاً ، واقتعد موسوليني مجلسه واحمر وجهه من الخجل والدهشة .

وراح أمير البحر دونيتز ، الذي هرع بطريق الجو الى راستنبرغ بعد ان استمع الى نبأ الانفجار ، فوصلها بعد الشروع في تناول الشاي ، يسلق الجيش بألسنة حداد متهماً إياه بالخيانة . وقام غورنغ نيابة عن القوة الجوية بدعمه وتأييده ، وسرعان ما

انتقل دونيتز الى غورنغ يحمله مسؤولية الفشل المفجع الذي أصاب السلاح الجوي، وراح المشير البدين بعد ان دافع عن نفسه يهاجم موضع كراهيته الدائمة ريبنتروب محملاً إياه مسؤولية افلاس السياسة الخارجية الألمانية، مهدداً في احدى اللحظات بأن يضرب وزير الخارجية المغرور بعصا المشيرية. وصرخ به غورنغ قائلاً: « اغلق فمك يا بائع الشمبانيا الحقير القذر .. أجل اغلق فمك اللعين ». وكان هذا اكثر مما يطيق ريبنتروب الذي طالب المشير بشيء من الاحترام له قائلاً: « ما زلت وزير الخارجية، وما زال اسمي فون ريبنتروب »[1]

وأثار احدهم موضوع « ثورة » سابقة ضد العهد النازي، هي « المؤامرة » التي قام بها روهم في الثلاثين من حزيران عام ١٩٣٤. وثار هتلر لذكر ذلك الحادث، وكان حتى الآن يجلس هادئاً يتناول الحبات والجرعات الطبية من طبيبه الدجّال الدكتور تيودور موريل، وتحوّل الى حالة من الهياج العنيف. ويقول شهود العيان ان الفوهرر وثب من مقعده، والزبد يعلو شدقيه وصرخ وزعق بالحاضرين: ان ما فعله مع روهم واتباعه الخونة، لن يقاس بما سيفعله مع خونة اليوم. فيجتث الخيانة من جذورها، ويحطم الخونة تحطيماً كلياً. ومضى يقول مهتاجاً: « سأطرح بنسائهم وأطفالهم الى المعتقلات، ولن تبدر عني تجاههم بادرة رحمة ». ولا ريب في انه وفي هذه المرة كما في مرات مماثلة سابقة بوعده الذي قطعه.

وقطع هتلر مألكته (مونولوجه) الجنونية، بسبب ما أصابه من اجهاد من ناحية وبسبب ما نقله اليه الهاتف من برلين من تفاصيل اخرى عن الثورة العسكرية، ولكن ثورته لم تهدأ أبداً. وراح يودع موسوليني الى قطاره، وكان وداعهما الأخير اذ لم يلتقيا بعد هذه المرة، ثم عاد الى مقره. وعندما قيل له حوالي الساعة السادسة ان الحركة الانقلابية لم تخمد بعد في العاصمة، تناول

---

١ — كان ريبنتروب بالفعل بائعا للشمبانيا ثم بنى بكريمة اكبر منتجي الخمور في المانيا. وكان لقب النبالة « فون » قد انتقل اليه من عمة له تبنته تدعى الآنسة جرترود فون ريبنتروب، في عام ١٩٢٥ وكان آنذاك في الثانية والثلاثين من عمره.

الهاتف وراح يصدر أوامره صارخاً الى الحرس النازي في برلين بإطلاق النار على كل من يشتبه بخيانته أقل اشتباه ، ثم قال : « وأين هملر ؟ لم لا يكون في برلين الآن ؟ » وقد نسي انه قبل ساعة واحدة ، وكانت حفلة الشاي ما زالت قائمة ، أصدر أمره الى رئيس حرسه النازي بأن يطير فوراً الى برلين وأن يستعمل منتهى القسوة لإخماد الثورة ، وان كبير شرطه لا يمكن ان يكون قد وصل الى العاصمة في مثل هذا الوقت القصير [1] .

* * *

وكانت الثورة التي طال الاعداد لها ، واتخذت ترتيباتها بدقة متزايدة في برلين ، قد بدأت بداية بطيئة ، وفقاً للمعلومات التي تلقاها ستوفنبرغ ، وأثارت في نفسه الفزع عند وصوله الى رانغسدورف في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين بعد الظهر . وقد اضاع المتآمرون ثلاث ساعات ثمينة وهامة ، كانت فيها قيادة الفوهرر معزولة عن العالم الخارجي كله .

ولم يستطع ستوفنبرغ في حياته ، ولا أي مؤرخ حاول ان يتتبع أحداث ذلك اليوم القدري ، ان يفهم السبب في هذا التأخر . كان الطقس حاراً وشديد الرطوبة ومن المحتمل ان يكون هذا الطقس قد ترك بعض الأثر على المتآمرين . وعلى الرغم من ان كبار المتآمرين قد عرفوا ان ستوفنبرغ قد غادر برلين الى راستنبرغ في ذلك الصباح « يحمل عبئاً كبيراً » كما قيل للفريق هوبنر ، ليشهد مؤتمر الفوهرر الذي سيعقده في الساعة الواحدة ظهراً ، فإن قلة منهم ، ومعظمهم من صغار الضباط ، لم يشرعوا في الوصول متراخين متكاسلين الى مقر قيادة

---

١ ـ روى عدد من الضيوف في حفلة الشاي من ألمان وايطاليين ما دار اثناء الحفلة رواية شهود عيان . ولعل خير وصف قد ورد في الكتاب الذي وضعه يوجين دولمان ضابط ارتباط الحرس النازي مع موسوليني والذي أسماه « رومة المستنزية » ص ٣٩٢ ـ ٤٠٠ وكذلك في استجوابه من محققي الحلفاء في نورمبرغ وقد لخصها دالاس في كتابه «المقاومة النازية في المانيا» ص ٩ ـ ١١ وزيلر في كتابه « شبح الحرية » ص ٣٦٧ وويلر بنيت في كتابه « نقمة السلطان » ص ٦٤٤ ـ ٦٤٦ .

جيش الاحتياط وهو مركز المؤامرة في الوقت نفسه في البندلشتراسه إلا حوالي الظهر . ويذكر القراء ان الفريق اولبرخت كان قد أصدر يوم المحاولة السابقة التي قام بها ستوفنبرغ لاغتيال هتلر في الخامس عشر من تموز ، اوامره الى قوات حامية برلين بأن تشرع في الزحف قبل ساعتين من موعد انفجار القنبلة . ولكنه هذه المرة ، في العشرين من تموز ، لم يصدر اوامر مماثلة ، اذ لعله تذكر الخطر الذي مر به في المحاولة الأولى . وكانت الانباء قد نقلت الى قادة الوحدات في برلين وفي مراكز التدريب القريبة منها كمركز دوبيريتز وهوستربوغ وكرامبنيتز ووينسدورف ، منذ الليلة السابقة بأن يتوقعوا تسلم أوامر « عملية العذارى » في العشرين من الشهر . ولكن اولبرخت قرر هذه المرة ان ينتظر الى ان تصله الانباء الموثوقة من فيلغيبل في زاستنبرغ ، قبل ان يصدر الأمر الى قواته بالحركة من جديد . ووصل الفريق هوبنر ، حاملاً البزة العسكرية التي منعه هتلر من ارتدائها في حقيبته ، الى البندلشتراسه في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين ظهراً ، في نفس اللحظة التي كان ستوفنبرغ يحطم فيها « كبسولة » قنبلته ، ثم مضى مع اولبرخت يتناولان الغداء ويشربان نصف زجاجة من الخمر نخب نجاح المشروع .

ولم يكن قد مضى عليهما وقت طويل منذ عادا الى مكتب اولبرخت عندما اندفع الى الغرفة الفريق فريتز تيل كبير ضباط الاشارة في مقر القيادة العامة للجيش ، قائلاً بحماس انه كان يتحدث هاتفياً قبل لحظات الى فيلغيبل ، وانه على الرغم من رداءة الاتصال الهاتفي ومن تحفظ فيلغيبل في حديثه ، إلا انه فهم ان الانفجار قد وقع ، ولكن هتلر لم يقتل .. وأضاف تيل انه ينبغي في هذه الحالة عدم اصدار اوامر « العذارى » ، فوافقه اولبرخت وهوبنر على رأيه .

وهكذا لم يقم المتآمرون بأي عمل بين الساعة الواحدة والرابعة بعد الظهر والساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين عندما هبط ستوفنبرغ في مطار

رانفسدورف وهرع الى الهاتف يتحدث الى اولبرخت . ولم تكن القوات قد جمعت ، او الأوامر قد صدرت الى القيادة العسكرية في المدن الأخرى ، كما لم يفكر احد ، وهنا تقوم منتهى الغرابة ، في السيطرة على مقر دار الاذاعة أو مراكز الاتصال الهاتفي والبرقي . ولم يكن القائدان العسكريان الرئيسيان بيك وويتزليبين قد وصلا بعد .

ولكن وصول ستوفنبرغ دفع المتآمرين أخيراً الى العمل . وراح يحث على الهاتف الفريق اولبرخت من المطار ، بأن يشرع في العمل وفق خطة العذارى دون ان ينتظر وصوله الى البندلشتراسه ، لا سيما وان مدة الانتقال من المطار تستغرق ثلاثة ارباع الساعة وهكذا عثر المتآمرون أخيراً على الرجل الذي يصدر الأوامر ، إذ بدونها ، يضيع الضابط الألماني ، حتى ولو كان ثائراً ، وكان في مثل هذه اللحظة الحرجة الدقيقة ، وشرعوا في العمل . وأخرج العقيد ميرتز فون كويرنهايم رئيس اركان أولبرخت وصديق ستوفنبرغ الحميم أوامر عملية العذارى ، وشرع يصدرها عن طريق « الطابعة السلكية » والهاتف . وقد استنفر الأمر الأول القوات في برلين وضواحيها ، ثم صدر الأمر الثاني موقعاً من ويتزليبين بوصفه « القائد العام للقوات المسلحة » ، وحاملاً توقيع « الكونت فون ستوفنبرغ » اذ كانت الأوامر قد اعدت منذ عدة أشهر – ومعلناً ان الفوهرر قد مات وان ويتزليبين « ينقل السلطة التنفيذية » الى قادة المناطق العسكريين في الوطن والى القادة العامين للجيوش المقاتلة في الجبهات . ولم يكن المشير فون ويتزليبين قد وصل بعد الى البندلشتراسه. وكان قد وصل الى زوسين التي تبعد عشرين ميلاً الى الجنوب الشرقي من برلين حيث أخذ في التشاور مع ضابط الميرة الأعلى الفريق واغنر . واستدعي على عجل الى برلين كما استدعي الفريق بيك ، اذ كان القائدان العسكريان الكبيران في المؤامرة يتصرفان على مهلهما في مثل ذلك اليوم القدري .

وعندما بدأت الأوامر في الصدور وبعضها يحمل توقيع الفريق فروم دون علمه ، مضى اولبرخت الى مكتب قائد جيش الاحتياط ، وابلغه ان فيلغيبل

قد نقل اليه نبأ اغتيال هتلر ، ثم حثه على ان يتولى قيادة عملية العذارى وان يضمن الأمن الداخلي في الدولة . وكان المتــآمرون يعرفون ان اوامر فروم ستطاع بصورة آلية رتيبة . وكان في منتهى الاهمية لهم في هــذه اللحظة . ولكن فروم ، شأنه في ذلك شأن كلوغـه ، كان عبقرياً في حساب خطواته ، ولم يكن من النوع الذي يثب خطوة واحدة قبل ان يتأكـد من ان الارض التي ستقع عليها قدماه ثابتة . وطلب برهاناً واضحاً على ان هتلر قد قتل ، قبل ان يقرر ما يفعله .

وهنا ارتكب اولبرخت خطيئـــة اخرى من الخطيئات التي ارتكبهـــا المتآمرون في ذلك اليوم . فلقد كان على ثقة بالنسبة الى ما حدّثه به ستوفنبرغ من رانغسدورف ، بأن الفوهرر قـــد مات وعرف ايضاً ان فيلغيبل قد افلح في قطع الاتصالات الهاتفية مع راستنبرغ طيلة بعد ظهر ذلك اليوم . وسرعان ما التقط سماعة الهاتف وطلب اتصالاً هاتفياً « خاطفاً » مع كايتــل . وكانت دهشته بالغة عندما سمع صوت كايتل على الجانب الثاني من الخط فوراً ، اذ كان يجهل ان الاتصالات قد اعيدت مع مقر قيادة الفوهرر .

فروم – ماذا حدث في مقر القيادة العليا ؟ ان الاشاعات الضخمة تجتـاح برلين .

كايتل – ماذا يجب ان يحدث ؟ كل شيء على مألوف عادته هنا .

فروم – تلقيت نبأ قبل قليل يقول ان الفوهرر قد اغتيل ..

كايتل – هذه سخافة . أجل لقـــد جرت محاولة ، ولكنها فشلت لحسن الحظ . والفوهرر حي يرزق ، ولم يصب الا بجراح طفيفة .. آه . تذكرت .. اين رئيس اركان حربك العقيد الكونت ستوفنبرغ . ؟

فروم – لم يعد الينا بعد .. [١]

* * *

---

١ – ذكر نص هذا الحديث الهاتفي في احدى الوثائق التي قدمت كدليل الى محكمة الشعب . وقد نقلها شلابرندورف في كتابه « كادوا يقتلون هتلر » ص ١١٣ .

وخسر المتآمرون منذ تلك اللحظة الفريق فروم ، مما ادى الى نتائج مفجعة وأشبه ما تكون بالكارثه . واصيب اولبرخت مؤقتاً بشيء من الذهول ، وانسل من المكتب دون ان ينبس ببنت شفة . ووصل في هذه اللحظة الفريق بيك وقد ارتدى بزة مدنية قاتمة ، وكأنه يريد ان يومىء ، بأن الثورة ليست ذات طابع عسكري ، وانه على استعداد لتولي الزمام . ولكن ستوفنبرغ ، كما ادرك الجميع لتوّهم ، كان صاحب الامر ، اذ صعد راكضاً درج وزارة الحربية القديم في الساعة الرابعة والنصف ، وسقطت قلنسوته ، وكادت انفاسه تتقطع ، وراح يروي باختصار ، كيف وقع الانفجار ، الذي أكد أنه رآه بنفسه من مسافة لا تزيد على المائتي ياردة . وعندما قاطعه اولبرخت ليقول ان كايتل كان يتحدث على الهاتف قبل لحظات ، مقسماً ان هتلر أصيب بجراح طفيفة ، رد ستوفنبرغ بأن كايتل ، انما يحاول اكتساب الوقت عن طريق الكذب . وراح يؤكد ان هتلر لا بد وان يكون قد اصيب بجراح بالغة على الأقل ، واضاف ان عليهم على كل حال ان يفعلوا شيئاً واحداً الآن . وهو ان لا يضيعوا لحظة واحدة ويعملوا على الاطاحة بالعهد النازي . ووافق بيك على ما قاله الضابط الشاب وقال انه لايهمه سواء أكان الطاغية لا يزال على قيد الحياة أو انه مات . فعليهم ان يمضوا قدماً وان يحطموا عهده الشرير .

وكانت مشكلة المتآمرين انهم بعد هذا التأخر القدري ، وفي خضم هذا لم يعرفوا ، على الرغم من جميع مخططاتهم السابقة ، كيف يستطيعون الآن ان يمضوا قدماً في تنفيذ هذه المخططات . ويبدو انه لم يخطر في بال المتآمرين ، حتى عندما اتاهم الفريق ثيل ليقول ان نبأ بقاء هتلر على قيد الحياة سيذاع بعد قليل من شبكة الاذاعات الالمانية العامة ، وان اول ما يتحتم عليهم عمله فوراً ، ان يسيطروا على الجهاز المركزي للاذاعة وان يحولوا بين النازيين وبين بث ما ما يريدونه ، وان يمطروا الجو الاذاعي سيلاً من بياناتهم عن قيام الحكومة الجديدة . وكان في وسع رجال الشرطة ان يضمنوا تحقيق هذا الهدف اذا لم

تتوافر القوات العسكرية اللازمة لإنجـــازه . وكان الكونت فون هيلدورف ، مدير الشرطة والعضو الاصيل في المؤامرة ، ينتظر بفارغ الصبر منذ الظهـــيرة دعوته الى العمل مستخدماً قواتـــه الكبيرة والمستنفرة . ولكنه لم يتلق أي نداء ، وعندما أزفت الساعة الرابعة بعد الظهر ،مضى بسيارته الى البندلشتراسه ليرى ماذا حدث . وقد أبلغه أولبرخت أن شرطتـه ستتلقى أوامرهـــا من الجيش ولكن لم يكن ثمة حتى تلك الساعة أي جيش للثوار وانما كان هنـــاك عدد من الضباط الحائرين الذين يطوفون انحاء القيادة العامـة ، دون أن يتوافر لهم العدد اللازم من الجنود لقيادتهم .

وبدلاً من ان يحل ستوفنبرغ هذه المشكلة وجه رسالة هاتفية عاجلة الى ابن عمه المقدم قيصر فون هوفاكر ، في مقر قيادة ستولبناغل في باريس حاثاً فيهـا المتآمرين على المبادرة للعمل هناك ؛ وكانت هذه الخطوة على جانب كبير من الاهمية ، اذ ان المؤامرة في فرنسا كانت أحسن تنظيماً وأقوى دعماً من عدد من كبار ضباط الجيش منها في أي مكان آخر باستثناء برلـين . واظهر ستولبناغل بالفعل حماساً اكثر من حماس زملائه القادة العسكريـــين الموجودين في مركز الثورة وقلبها : وقام قبل حلول المساء باعتقـــال نحو من (١٢٠٠) من ضباط الحرس النازي والفرقة الخاصة في برلين وفي طليعتهم قائدهم المخيف اللواء كارل اوبيرج . ولو اظهر الثائرون في برلين مثل هذا النشاط ومثل تلك الكفاية في توجيه النشاط ، لاتخذ التاريخ بعد ظهر اليوم اتجاهاً مغايراً .

وبعد ان انتهى ستوفنبرغ من استنفار باريس اتجه باهتمامه الى قائده العتيد فروم ، الذي يعمل هو رئيساً لاركان حربه ، والذي عرقل نجاح المؤامرة برفضه السير مع الثائرين في خططهم ، بعد ان عرف من كايتل ان هتلر ما زال حيـــاً يرزق ، ولم يكن بيك على استعداد للمشاجرة مع فروم في مثـــل هذه المرحلة المبكرة من العملية ، ولذا فقد اعتذر عن المضي مع ستوفنبرغ واولبرخـــت لمقابلته وراح أولبرخت يقول لفروم ان في وسع ستوفنبرغ ان يؤكد موت هتلر. وقال فروم بشكل سريع خاطف : « هذا مستحيل فقد أكد لي كايتل

نقيضه . »

ورد ستوفنبرغ : « ان كايتل يكذب كعادته . لقد رأيت بأم عيني جثة هتلر وهم يحملونها خارجاً . »

وراح فروم يفكر ، بعد هذا التأكيد من شاهد عيان هو رئيس اركان حربه ، ولم يحر جواباً فترة قصيرة . ولكن عندما اراد أولبرخت استغلال هذه اللحظة من التردد ، مشيراً الى ان الأمر الرمزي بتنفيذ عملية العذارى قد صدر على أي حال ، قفز فروم من مقعده صارخاً : « هذا تمرد على صلاحيات القائد ! من أصدر الأمر ؟ » وعندما قيل له ان العقيد ميرتزفون كويرنهايم هو الذي أصدره ، استدعاه وابلغه انه موقوف ورهن الاعتقال .

وبذل ستوفنبرغ آخر محاولة لكسب رئيسه الى صفوفهم .. اذ بادره قائلاً : « ياسيدي الفريق . لقد قمت انا بوضع القنبلة في غرفة اجتماع هتلر .. وكان الانفجار شبيهاً بما يحدث من اصابة قذيفةمدفع من عيار (١٥٥) مليمتراً.واؤكد لك ان من غير المعقول ان ينجو من الموت أي شخص كان في الغرفة . ولكن فروم كان عبقرياً في المداهنة الى الحد الذي لا يسهل خداعه . ورد على ضابطه قائلاً « لقد فشلت المحاولة ياكونت ستوفنبرغ . وعليك ان تنتحر فوراً » ولكن هذا رفض ببرود . ولم تمض لحظات حتى كان فروم المكتنز الشحم والاحمر الوجه يعلن اعتقال زائريه الثلاثة ، ستوفنبرغ وأولبرخت وميرتز .

ورد أولبرخت قائلاً : انك تخدع نفسك . فنحن الذين سنعتقلك الآن .

ودار شجار في غير وقته بين الأخوة الضباط ، وتقول إحدى الروايات ان فروم صفع ستوفنبرغ ذا اليد الواحدة على وجهه . وسرعان ما اذعن الفريق ووضع رهن الاعتقال في مكتب مرافقة وعهد الى الرائد لودفيغ فون ليونرود[١]

---

١ ـ كان ليونرود قد سأل قبل بضعة اسابيع أحد القسس في الجيش وهو من اصدقائه، الاب هيرمان ويهرلي عما اذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تتسامح بقتل الطغاة فتلقى ردا سلبيا وعندما أثيرت هذه النقطة في محكمة الشعب عند محاكمة ليونرود ، اعتقل الاب ويهرلي ، لانه تقاعس عن ابلاغ السلطات ونفذ فيه حكم الاعدام مع الضابط .

بحراسته . واحتاط الثائرون للأمر ، فقطعوا الخط الهاتفي عن الغرفة .

وعاد ستوفنبرغ الى مكتبه ليرى ان الرئيس الأعلى بيفريــدر ، وهو من أجلاف الحرس النازي وقد اشتهر مؤخراً باشرافه على نبش قبور نحو من(٢٢١) الفاً من اليهود الذين قتلهم فرق العمل الخاص في مناطق البلطيق قبل تقــدم الروس اليها ، واتلاف ما فيها من جثث ، جاء الآن لاعتقاله . ولكن الضابط أمر بأعتقال بيفريدر واثنين من مرافقيه وهم في ملابس مدنية في مكتب فارغ مجاور . وسرعان ما وصل الفريق فون كورتز فليش قائـد المنطقة الثالثـة التي تضم برلين وبراندنبرغ مستعلماً عمـا حدث . واصرّ هذا الفريق الشديد التعصب للنازية على مقابلة فروم ، ولكنه اقتيد الى مكتب اولبرخت فرفض القائــد التحدث اليه . واستقبله بيك بعد ذلك ، ولكن عندما ظل على اصراره ،اعتقله المتآمرون ايضاً . واختير الفريق فون ثوينجين ، طبق الخطة المرسومة ليخلفـه في منصبه .

وادى ظهور بيفريدر الى تذكر ستوفنبرغ بأن المتآمرين نسوا وضع حرس حول البناء . وأمر بوضع فصيــل من فوج حرس (كروس دويتشلاند) الذي كان من المفروض ان يتولى الحراسة فتقاعس عنها ، في مدخل البناء . وهكــذا عندما ازفت الساعة الخامسة كان الثائرون مسيطرين على الأقل على مقر قيادتهم ، ولكن هذا المقر كان الشيء الوحيد الذي سيطروا عليه في برلين . ترى ما الذي حدث لقوات الجيش التي كان من المفروض ان تحتل العاصمة وتضمن ولاءهــا للحكومة الجديدة المناهضة للنازية ؟

كان الفريق فون هيز قائد حامية برلين، قد هتف بعد الساعة الرابعة ، وبعد ان كان المتآمرون قد نشطوا للعمل اثر عودة ستوفنبرغ ، الى قائد فوج حرس (كروس دويتشلاند في دويبريتز ، وامره بأن يستنفر وحدتـه ، وان يهرع فوراً الى مركز قيادة الحامية في شارع اونتر دين لندن . وكان الرائـد اوتوريمر قد تولى قيادة هذا الفوج مؤخراً ، وقد قدّر له ان يلعب دوراً هاماً هـذا اليوم

ولكنه دور مختلف عما كان المتآمرون يتوقعونه . وكانوا قد جسّوا نبضــه في الماضي بالنظر الى اهمية الدور الذي ستلعبه وحدتــه في الحركة ، واقتنعوا بأنه من طراز الضباط الذين لا يهتمون بالسياسة والذين يطيعون طاعــة عمياء اوامر رؤسائهم المباشرين . ولم يكن لديهم شك في بسالته، اذ جرح ثماني مرات، وكان قد تلقى من يد هتلر نفسه وسام « صليب الفرسان مع اوراق البلوط » وهــو من أرفع الأوسمة التي لا ينالها الا ذوو التفوق والبروز .

واستنفر ريمر فوجه تلبية للأمر وهرع الى المدينة ليتلقى الأوامر المحددة من هيز . وابلغه الفريق ان هتلر قد قتل وان الحرس النازي يحاول القيــام بانقلاب ، وأمره بأن يضمن السيطرة على دور الوزارات في الويلهلمشتراسه وعلى مكتب الامن المركزي للحرس النازي في حي « محطة انهولت » القريب . ولم تحل الساعة الخامسة والنصف حتى كان ريمر قد نفذ الأوامر ، واتصل بأونتردين لندن بانتظار أوامر جديدة .

ولكن ما لبث أن ظهر الى المسرح شخص ثانوي الدور ، عمل على ان يجعل من ريمر « إله النقمة » على المؤامرة . فلقد كان هنالك ملازم يــدعى الدكتور هانز هاغين ، وهو شاب معتد بنفسه وكثير الحماس ، عينــه المسؤولون ضابط توجيه للاشتراكية الوطنية في فوج ريمر . وكان هذا الضابط الصغــير يعمل في الوقت نفسه مع الدكتور غوبلز في وزارة الدعاية ، وقد اوفــده وزيره الى « بايروث » حيث شرع يعمل منذ وقت قصير في اعــداد كتاب عن تاريخ الثقافة الاشتراكية الوطنية » كان مارتن بورمان سكرتير هتلر ، يود اعداده . ولهذا كان ظهوره في برلين في هذا اليوم مجرد صدفة عابرة ، اذ جاء ليلقي خطاباً في تأبين كاتب مغمور سقط صريعاً في ميدان القتال ، واغتنم فرصة وجوده في العاصمة ليلقي محاضرة بعد ظهر ذلك اليوم – على الرغم من حرارته وشدة رطوبته – على جنود فوجه عن « قضايا التوجيه الاشتراكي الوطني » ويبدو أن هذا الرجــل كان من المولعين بإلقاء الخطب العامة .

وعندما كان الملازم المتحمس متجهاً بسيارته الى دويبريتز خيّل اليه انه قد رأى المشير فون براوختش يمر في سيارة عسكرية وقد ارتدى بزة كاملة ، واعتقد ان القائد العجوز ، لا بد أن يكون مقدماً على عمل من اعمال الخيانة . لكن براوختش الذي كان هتلر قد طرده من قيادته منذ مدة ، لم يكن في برلين في ذلك اليوم لا مرتدياً زيه العسكري ، ولا أي لباس مدني ، وان أصر هاغين مقسماً أنه رآه . وكان ينقل شكوكه الى قائده ريمر ، عندما تلقى هذا الأوامر باحتلال وزارات الويلهلمشتراسه . وسرعان ما ألهبت الأوامر شكوكه ، واقنع ريمر بأن يعطيه دراجة نارية مع عربتها الجانبية ، استخدمها في الوصول بسرعة الى وزارة الدعاية لتحذير غوبلز مما يجري في العاصمة .

وكان الوزير قد تلقى قبل لحظات اول مكالمة هاتفية من هتلر ، الذي أبلغه نبأ محاولة الاعتداء على حياته ، وامره بأن يبث هو بنفسه فوراً من دار الاذاعة معلناً فشل المحاولة . ويبدو ان هذا النبأ كان أول ما وصل الى وزير الدعاية اليقظ عادة ، عما حدث في راستنبرغ وسرعان ما نقل اليه هاغين ، حقيقة ما يجري الآن في العاصمة نفسها . وشكّ غوبلز في صدق رواية محدثه ، اذ كان يعتبره انساناً مزعجاً ، وتقول احدى الروايات انه كان على وشك طرده من حضرته ، عندما اقترح عليه هذا ان يمضي بنفسه الى النافذة ليرى ما هو جارٍ في حي الوزارات . وكان ما رآه بالطبع اكثر اقناعاً من عبارات هاغين الهستيرية . فالجنود يتخذون مراكزهم حول دور الوزارات . وعلى الرغم من بلادة غوبلز المعهودة . إلا انه كان سريع البديهة ، فطلب من هاغين ان يبعث بطلب ريمر فوراً . ونفذ هاغين الامر ، وانتهى دوره وخرج من مسرح التاريخ .

وهكذا بينما كان المتآمرون في البندلشتراسه يتصلون بالقادة العسكريين الكبار في طول اوروبا وعرضها ، دون ان يفكروا بضابط صغير كريمر ، على الرغم من دوره الذي لا غنى عنه بحكم منصبه ، كان غوبلز يتصل بهذا الرجل ،

رغم انخفاض رتبته لما لمنصبه من اهمية قصوى في هذه اللحظة بالذات .

وكان لا بد من وقوع هـذا الاتصال ، اذ ان الاوامر كانت قد صدرت الى ريمر في غضون ذلك باعتقال وزير الدعاية . وهكذا اجتمع عند الرجل امران ، امر باعتقال غوبلز ، وامر آخر بالمضي الى مقابلته . ودخل الرائد وزارة الدعاية ومعه عشرون جندياً أمرهم بأن يسرعوا للبحث عنه اذا لم يعد من مكتب الوزير في غضون بضع دقائق . ومضى الضابط ومرافقه وقد اشهرا مسدسيهما لاعتقال أهم شخصية نازية رسمية ، كانت في برلين في ذلك اليوم .

وكان من بين المواهب التي تميّز بها غوبلز والتي مكنته من الوصول الى تلك المرتبة العالية في الرايخ الثالث ، قدرته الفائقة على الحديث بسرعة في المواقف الحرجة ، ولا ريب في ان هذا الموقف الذي يمر به الآن ، كان من اكثر المواقف دقة وخطورة في حياته العاصفة كلها . وراح يـذكر الرائد الشاب بيمين الولاء التي اقسمها للقائد الأعلى . ورد ريمر بصلافة ان هتلر قـد مات . ولكن غوبلز أكد له ان الفوهرر حي يرزق وانه كان يتحدث اليه قبل لحظات عن طريق الهاتف . واضاف انه سيثبت للضابط صحة ما يقول . وسرعان ما رفع سماعة الهاتف وطلب الاتصال فوراً بالقائـــد الأعلى في راستنبرغ . وهكذا وقعت الكارثة من جديد ، وفي برلين بالذات ، من فشل المتـــآمرين في ادراك اهميـــة الاتصالات الهاتفية . وعدم قيامهم بالسيطرة عليها او قطعها على الأقـــل .[1] ولم تمض دقيقة او دقيقتـــان حتى كان هتلر على الجانب الثاني من الخط الهاتفي . وراح غوبلز يسلّم السماعة فـــوراً الى ريمر . وراح سيد الحرب النازي يسأل الرائد اذا كان قد تعرف الى محدثه من صوته . ولكن هل يوجـد في المانيا من لا يستطيـع تميـيز ذلك الصوت الأجش ، الذي استمع اليه الناس مئات المرات

١ ـ يقال ان غوبلز هتف فيما بعد قائلا : « هل يستطيع المرء ان يتصور ان هؤلاء الثائرين كانوا من البلاهة بحيث اغفلوا قطع الاسلاك الهاتفية ؟ لو كانت ابنتي الصغيرة هي التي فكرت بالثورة ، لكان أول عمل لها قطع هذه الهواتف » (كورت ريبس « جوزيف غوبلز ... محامي الشيطان » ص ٢٨٠) .

من دار الأذاعة ؟ يضاف الى هذا ان ريمر كان قد استمع اليه مباشرة قبل بضعة اسابيع عندما تلقى من الفوهرر شخصياً الوسام الرفيع الذي انعم به عليه . ويقال ان الرائد اتخذ موقف الاستعداد وهو يحدث الزعيم . وامره هتلر بأن يسحق العصيان وان يطيع اوامر غوبلز وحده ، وأوامر هملر ، الذي ابلغه نبأ تعيينه قائداً عاماً لجيش الاحتياط ، والذي كان في الطريق الآن بالطائرة الى برلين ، وكذلك أوامر الفريق رينيكه ، الموجود حالياً في العاصمة ، والذي صدرت اليه الأوامر بتولي قيادة جميع القوات في المدينة . واعلن الفوهرر على التو ترقية الرائد الى رتبة العقيد .

واكتفى ريمر بما سمع . فلقد تلقى أوامره من المصدر الأعلى وسارع الى تنفيذها بحماس كان يفتقر اليه العاملون في البندلشتراسه . وسرعان ما سحب فوجه من الويلهلمشتراسه ، واحتل قيادة حامية برلين في اونتر دين لندن ، واوفد دورياته لوقف أية قوات قد تزحف على العاصمة ، ومضى بنفسه يحاول العثور على مقر قيادة المؤامرة ، ليعتقل زعماءها .

وهنا تتوارد الاسئلة التي تؤلف احاجي العشرين من تموز .. ترى لماذا اوكل قادة الثورة من فرقاء وعقداء هذا الدور الهام الى رومر في الدرجة الأولى ؟ ولماذا تقاعسوا عن استبداله في اللحظة الاخيرة بضابط يؤيد المؤامرة قلباً وقالباً ؟ ولماذا لا يوفدون على الاقل ضابطاً يثقون به من رجالهم الى فوج الحرس ليشرف على قيام ريمر باطاعة الاوامر وتنفيذها ؟ واخيراً لم تقاعس المتآمرون عن اعتقال غوبلز ، وهو أهم موظف نازي في العاصمة واكثرهم خطورة منذ البداية ؟ لقد كان في وسع رجلين من رجال شرطة الكونت فون هيلدورف ان يقوما بهذا العمل في أقل من دقيقتين اذ ان وزارة الدعاية كانت مفتقرة الى الحراسة . ولماذا لم يستول المتآمرون على رئاسة الغستابو في شارع الامير البرخت ولم يكتفوا بالسيطرة على الشرطة بينما كان حرياً بهم ان يطلقوا سراح عدد من رفاقهم المتآمرين وبينهم ليبر . اذا كانوا

معتقلين فيها ؟ لقد كانت رئاسة الغستابو مفتقرة الى الحراسة الكافية وكان هـذا صحيحاً ايضاً بالنسبة الى مقر قيادة المخابرات والفرقة الخاصة والحرس النازي ، وكانت هذه المراكز ، من أولى المواقع التي يجب احتلالها . انها اسئلة محـيرة ، يعجز المرء عن ايجاد الجواب الصحيح لها .

لم يعرف رجال البندلشتراسه بانقلاب ريمر عليهم إلا بعد وقت طويـل . ويبدوا أنهم ظلوا على جهل بالكثير مما حدث في برلين حتى ساعـة متأخرة . ومن الصعب حتى في يومنـا هذا أن نعرف حقيقة ما حـدث ، اذ ان روايات شهود العيان تنطوي على الكثير من التناقضات المحـيرة . ترى أين راحت الدبابات ، وأين ذهب الجنود الذين كان من المنتظر وصولهم من المراكز القريبة؟

وسرعان ما أذاعت محطة « دويتشلاند زيندر » وهي محطة اذاعية قوية ، تسمع اذاعتها في جميع انحاء اوروبا ، في الساعة السادسة والنصف بلاغاً قصيراً ، يعلن ان محاولة قد جرت لاغتيال هتلر ، وانها منيت بالفشل . وجاء هذا البيان بمثابة ضربة صاعقة للمتآمرين الكثيرين في البندلشتراسه ، ولكنـه كان ايضاً يحمل معنى التحذير لهم بأن الوحدة العسكرية التي كان من المفروض ان تحتـل دار الأذاعة (رودفنكهاوس) قد فشلت في اداء مهمتها . وكان غوبلز قد تمكن من نقل نص هذا البيان الى دار الاذاعة ، هاتفيـاً ، في الوقت الذي كان ينتظر فيه وصول ريمر الى مكتبه . وراح ستوفنبرغ يبعث في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين بإشارة عن طريق « الطابعة البعيدة » الى القادة العسكريين يقول فيها ان بيان الاذاعة كاذب مختلق ، وان هتلر قد مـات . لكن الضرر الذي لحق بالانقلابيين كان من النوع الذي لا يمكن اصلاحه . فلقد تراجع القائدان العسكريان في براغ وفيينا ، بعد ان كانا قد شرعا في اعتقال قادة الحرس النازي والحزب . وتمكن كايتل في الساعة الثامنة والدقيقة العشرين مساء من ارسال اشارة عن طريق آلة الجيش الطابعة البعيدة الى كافة قيادات الجيش تعلن قرار الفوهرر تعيين هملر قائداً عاماً لجيش الاحتياط ، وتطلب « اطاعة الأوامر التي

يصدرها هو او هملر دون سواها » . واضاف كايتل يقول : « امـــا الأوامر الصادرة عن فروم أو ويتزليبين او هويبنر فباطلة ولاغية » وكان لبيان الاذاعة بأن هتلر مازال حياً ، ولأمر كايتل الصارم بأن تطاع أوامره دون سواها ، وأن تهمل أوامر المتآمرين ، اثرها الحاسم كما سنرى على المشير فون كلوغه الذي كان على وشك أن يقذف بنفسه في صفوف المتآمرين [١]

ولم تصل حتى الدبابات التي كان الضباط الثائرون يركزون عليها الكثير من آمالهم . وكان من المتوقع أن يعني هويبنر ، وهو القائد البارز للدبابات ، بأمرها ولكنه لم يتمكن من الوصول اليها . فلقد صدر الأمر للعقيد ولفغانغ غليسيمر قائد المدرعات في كرامبنيتز ، بأن يقدم الدبابات ويأمر بزحفها الى المدينـــة ، وان يصل هو الى البندلشتراسه ، لتلقي التعليمات الجديدة. ولكن عقيد الدبابات لم يرغب في القيام بأي دور في أي انقلاب عسكري ضـــد النازي ، مما اضطر

١ ـ هناك روايات متناقضة عن الاسباب التي حالت دون السيطرة على اذاعة برلين . وتقول احدى الروايات ان هذه المهمة قد اسندت الى وحدة من مدرسة المشاة في دوبيريتز وان تنفيذها كان موكلا الى آمر المدرسة الفريق هيتزفيلد ، وهو احد المشتركين في المؤامرة ولكن المتآمرين نسوا ابلاغ الفريق بأن العشرين من تموز هو ساعة الصفر ، ولذا كان غائبا عن وحدته في بادن حيث شهد تشييع جثمان قريب له الى مقره الاخير . وكان نائبه العقيد . ويلر بعيدا عن الوحدة ايضا في مهمة عسكرية . وعندما عاد هذا اخيرا في الساعة الثامنة مساء ، وجد ان احسن افواجه قد ترك المعسكر للقيام بتدريب ليلي . وعندما تمكن من جمع قواته في منتصف الليل . كان الوقت قد فات . وتقول رواية اخرى ان ضابطا يدعى الرائد جيكوب ، افلح في تطويق دار الاذاعة بقوات من مدرسة المشاة ولكنه لم يستطع الحصول على تعليمات واضحة من اولبرخت عما يطلب اليه عمله وعندما نقل غوبلز نص البلاغ هاتفيا الى دار الاذاعة ، لم يعترض جبكوت على اذاعته . وادعى الرائد فيما بعد انه لو تلقى الاوامر الواضحة اللازمة من اولبرخت لحرم على النازيين استعمال دار الاذاعة ولوضعها تحت تصرف المتآمرين . وقد وردت الرواية الاولى في كتاب زيلر « شبح الحرية » ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، وهو اصدق مرجع مدعوم بالوثائق كتبه مؤرخ الماني عن مؤامرة العشرين من تموز ، اما الرواية الثانية فقد وردت على لسان ويلر ـ بنيت في كتابه « نقمة السلطان » ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥ ، وكتاب رودولف ساملر « غوبلز ، الرجل الثاني بعد هتلر » ص ١٣٨ وقد اقتبس الاخيران القصة من الرائد جيكوب نفسه .

اولبرخت الى اعتقاله داخل البناء بعد ان عجز عن اقناعـه بالحسنى . ولكن غليسيمر تمكن على أي حال ان يهمس في اذن مرافقه الذي لم يعتقل تعليماته التي تقضي بأن يطلع مقر قيادة مفتشية المدرعات في برلين التي تتبع لها جميع وحدات الدبابات في المنطقة على ما حدث وأن يضمن اطاعة اوامر المفتشية وحدهـا ليس إلا .

وهكذا لم يستطع المتآمرون الافادة من الدبابات التي كانوا في أمس الحاجة اليها ، وان كان بعضها قد وصل بالفعل الى قلب العاصمة عند مسلّة النصر في تبير غارتن . وتمكن العقيد غليسيمر ، عن طريق الخديعـة ، من الخلاص من اعتقاله ، فقد أبلغ حراسه أنه قرر قبول أوامر اولبرخت وانه سيتولى بنفسه قيـادة الدبابات ، ثم تسلل خارج البناء وسرعـان ما سحبت الدبابات من العاصمة .

لم يكن قائد المدرعات الضابط الوحيد الذي نجا من الاعتقال المهـذب والاعتباطي ، الذي فرضـه المتآمرون على كل من رفضوا الاشتراك معهم في مؤامرتهم ، وهو وضع سرعان ما أسهم في نهاية الثورة .

وأدرك المشير فون ويتزليبين الذي وصَل أخيراً في الساعة الثامنـة مساء، مرتدياً بزة « المشير » وحاملاً عصا « المشيرية » ليتسلم مهام منصبه كالقائد العام الجديد للقوات المسلحة ، ان الانقلاب قد مني بالفشل . وراح يصرخ في وجـه بيك وستوفنبرغ متهماً اياهما بالاهمال والتفريط في تنفيذ الخطط . وقال للمحكمة التي تولت محاكمته ، ان فشل المؤامرة قد اتضح له ، عنـدما علم ان المتآمرين لم يقوموا حتى باحتلال دار الأذاعة . ولكنه لم يعمل شيئاً لإنجاحها ، في الوقت الذي كانت مكانته « كمشير » سابق في الجيش ، كافية ، لحشد عـدد أكبر من القادة العسكريين في برلين وخارجها وراء الانقلاب . وراح بعد خمس وأربعين دقيقة من وصوله الى البندلشتراسه ، يخرج ثانية ، ويبتعد عن المؤامرة التي أيقن الآن من فشلها ، فيقود سيارتـه « المرسيدس » الى زوسّين التي كان قد صرف فيها الساعات السبع الحاسمة من ذلك النهار ، حيث اكد لمدير الميرة العام الفريق

واغنر فشل الثورة ، ليعود بعد ذلك بسيارته الى اقطاعيته الريفية التي تبعد ثلاثين ميلاً من زوسّين حيث تولى احد زملائه الفرقاء ويدعى لينيرتز اعتقاله في اليوم التالي .

* * *

وارتفع الستار الآن عن المشهد الأخير في المسرحية .

فبعيد الساعة التاسعة مساء ، اصيب المتآمرون الفاشلون بما يشبه الصاعقة عندما اعلنت الاذاعة الألمانية العامة ان الفوهرر سيذيع بنفسه رسالة الى الشعب الألماني في ساعة لاحقة من ذلك المساء . وعرف المتآمرون بعد بضع دقائق ، ان الفريق فون هيز قائد حامية برلين الذي كان قد وجه الأمر الى الرائد ريمر الذي بات الان عقيداً ، للقيام بمهمته القدرية ، قد اعتقل وان الفريق النازي رينيكيه ، تدعمه قوات الحرس النازي قد تولى قيادة جميع القوات في العاصمة ، وانه يعد الآن عدته لاقتحام البندلشتراسه .

وقد تحرك الحرس النازي أخيراً بفضل جهود اوتو سكورزيني ، قائد الحرس الصارم ، الذي اظهر كفاياته في انقاذ موسوليني من الأسر . وكان سكورزيني جاهلاً بما وقع ذلك اليوم فاستقل في الساعة السادسة مساء القطار السريع المتجه الى فيينا ، ولكنه ما عتم ان انزل من القطار في ضاحيـــة ليختر فيلد بطلب من قائد الحرس النازي شيلينبرغ ، وهو الرجل الثاني في الفرقة الخاصة . وعندما عاد سكورزيني ، وجد مقر قيادة الفرقة الخاصة دون حراسة ، وقد سادته حالة هستيرية ، فتمكن بما عرف عنه من برود وضبط اعصاب وقدرة هائلة على التنظيم ، من حشد عصاباته المسلحة فوراً ليمضي بها الى العمل . واليه يرجع الفضل الأول في اقناع وحدات مدرسة الدبابات بالحفاظ على ولائها لهتلر .

وادى العمل السريع في راستنبرغ ، وسرعة خاطر غوبلز في كسب ريمر الى صفه ، والافادة من الاذاعة ، والبعث الذي ظهرت به قوات الحرس النازي في برلين ، والاضطراب الذي لا يمكن تصوره ، والافتقار الى العمل من جانب

الثائرين في البندلشتراسه ، الى حمل عدد كبير من ضباط الجيش الذين كانوا على وشك الانضمام الى صفوف الثورة ، أو الذين كانوا قد انضموا اليها فعلاً ، على اعادة النظر في موقفهم . وكان بين هؤلاء الفريق اوتو هير فورث رئيس اركان الفريق كورتزفليش المعتقل ،فلقد تعاون هذا القائد في بداية الأمر مع البندلشتراسة في محاولة تجميع القوات وحشدها . ولكنه عندما رأى تطور الأحداث ، عاد فانقلب ، وهتف الى مقر قيادة هتلر حوالي الساعة التاسعة والنصف مساء ، ليقول انه شرع في اخماد الانقلاب العسكري .[1]

أما الفريق فروم ، الذي ادى رفضه الانضمام الى الثورة الى شلها منذ البداية ، والذي اعتقل نتيجة رفضه هذا ، فسرعان ما استعاد قواه ، وشرع يعمل من جديد . ففي الساعة الثامنة مساء ، أي بعد اربع ساعات من اعتقاله في مكتب مرافقه ، طلب ان يسمح له بالمضي الى غرفته الخاصة في الطبقة الارضية . وأقسم بشرفه العسكري ، ألا يقوم بأية محاولة للفرار أو للاتصال بالخارج . ووافق الفريق هويبنر على الاستجابة لطلبه ، كما بعث اليه ببعض الشطائر وزجاجة من النبيذ عندما سمع شكواه من الجوع والظمأ . وكان ثلاثة فرقاء من اركان حرب فروم قد وصلوا قبل لحظات ، ورفضوا الانضمام الى الثورة ، وطلبوا السماح لهم بالمضي الى غرفة رئيسهم . ولا يمكن تفسير ما وقع ، فقد استجيب الى طلبهم وسمح لهم وان كان – رهن الاعتقال – بالمضي الى غرفته ولم يكادوا يدخلونها حتى حدثهم فروم عن باب خلفي يندر استعماله ، يمكن لهم ان يفروا عن طريقه . ونكث الفريق بوعده وبشرفه العسكري لهويبنر ، فأمرهم بأن يهربوا ويعدوا النجدات لاقتحام البناء وانقاذه من اسره واخماد الثورة . وانسل الفرقاء الثلاثة دون ان يراهم أحد .

وأحس نفر من صغار الضباط من رجال اولبرخت ، وكانوا في البداية قد

---

١ – لم تحل خيانته هذه دون اعتقاله فيما بعد بتهمة الاشتراك في المؤامرة ، وشنق بعد ادانته .

ساروا مع الثـــائرين أو قبعوا في اماكنهم في البندلشتراسه يـــترقبون تطور الأحداث ، ان الثورة قد منيت بالفشل . وبدأوا يدركون ، كما روى أحدهم فيما بعد ، انهم سيشنقون جميعاً كخونة اذا فشلت الثورة ولم يكونوا قد انقلبوا عليها في الوقت المناسب . وقـــام احدهم وهو المقدم فرانز هيربر وهو ضابط شرطة سابق ومن المؤمنين بالنازية ، بالبحث عن بعض مدافـــع « التومي » الرشاشة والعتاد من مستودع في سباندو ، ونقلها سراً الى الطبقة الثانيـــة من البناء وقـــام هؤلاء الضباط في الساعة العاشرة والنصف بزيارة اولـــبرخت وطلبوا اليه ان يعرّفهم تماماً بما يهدف اليه هو واصدقاؤه . وعنـــدما ابلغهم الفريق ، الحقيقة ، انسحبوا من حضرته دون أي نقاش .

وعاد ستة أو ثمانية منهم بعد عشرين دقيقة بقيادة هيربر والمقدم بودو فون ديرهيد ، واسلحتهم في أيديهم ، يطلبون ايضاحـــات أخرى من اولبرخت . وهنا جاء ستوفنبرغ يستطلع سبب هذه الضجة فأمسكوا بتلابيبه . وعندمـــا حاول الفرار ، مقتحماً الباب ، وهارعاً في الممر ، اطلقوا الرصاص على الذراع الوحيدة التي يملكها . وبدأ « الثائرون المعاكسون » باطلاق النار بعنف وجنون دون ان يصيبوا أحداً إلا ستوفنبرغ . وسرعان ما طافوا بالجناح الذي جعـــله المتآمرون مقراً لقيادتهم ، يعتقلونهم واحداً اثر آخر . وتمكنوا من القبض على بيك وهويبنر واولبرخت وستوفنبرغ وهيفتين ومـــيرتز ونقلهم الى مكتب فروم الخالي ، حيث جاء فروم بعد لحظات ملوحاً بالمسدس في يده .

وقال فروم : « حسناً أيهـــا السادة . ساعاملكم الآن كما عاملتمـــوني » . ولكنه لم يف بوعده .

وقال يأمر آسريه السابقين وهو يبلغهم أنهم باتوا رهن الاعتقال : « حسناً القوا سلاحكم وسلموه » .

ورد بيك بهدوء وهو يمد يده الى مسدسه : « انك لن توجه الي مثل هذا الطلب ، انا قائدك القديم . وسأتحمل نتائج هذا الوضع التعس وحدي » .

وقال فروم يحذره : « حسناً وجه فوهته اليك » .

لكن الافتقار الغريب الى العزيمة على العمل التي رافقت هذا القائد اللامع المتحضر ، والذي كان رئيساً لأركان الحرب في يوم ما ، قد أدى اخيراً الى فشله في التجربة الضخمة التي مر بها في حياته . أجل لقد رافقه حتى النهاية .

وبدأ بيك يقول : « وانني في هـــذه اللحظة ، اعود بالذكرى الى الايام السالفة .. »

ولكن فروم قطع عليه حديثه قائلاً : « ليست لدينا رغبة في الاستماع الى هذا النوع من الحديث الآن . انني اطلب اليك التوقف عن الكلام ، وان تفعل شيئاً .. »

وفعل بيك شيئاً .. فقد ضغط بيده على الزناد ، ولكن الرصاصة الـتي انطلقت من المسدس لم تكد تخـــدش رأسه . وانطرح على مقعده وبعض الدم ينزف منه .

وأمر فروم اثنــــين من صغار الضباط قائلاً : « ساعدوا السيد العجوز » وعندما حاول الضابطان أخذ السلاح من يده ، اعترض بيك ، طالباً منحه فرصة أخرى ، وأحنى فروم رأسه موافقاً .

وعاد يتجه الى بقية المتآمرين .. وقال : « وانتم ايها السادة ، سأمنحـكم بضع دقائق أخرى ، فقد تكون لديـكم رسائل تودون كتابتهـــا . » وطلب اولبرخت وهويبنر بعض الورق ، واخذا يكتبان رسالتين وداعيتين قصيرتين الى زوجتيهما . ووقف ستوفنبرغ وميرتز وهيفتين صامتين . ثم خرج فروم من الغرفة .

كان الرجل قد حزم أمره على الخلاص من هؤلاء الناس ، وعدم الاكتفاء بطمس الأدلة التي تشي به ، اذ على الرغم من رفضه الاشتراك عملياً في المؤامرة ، إلا انه كان يعرف بها منذ شهور طويلة ، مغطياً على القتلة ، دون ان يشي بهم . وكان يريد الآن التقرب الى هتلر بوصفه الرجل الذي اخمد الثورة . ولم يعرف

فروم آنذاك ان مثل هذا الأمل ، لا مجال له في عالم قطاع الطرق من النازيين .

وعاد بعد خمس دقائق ليعلن « باسم الفوهرر » انه دعا الى اجتماع « للمحكمة العسكرية » ـ وليس ثمة من دليل على صدق قوله ـ وان هذه المحكمة اصدرت حكمها بالموت على أربعة ضبــاط هم « العقيد ميرتز من هيئة أركان الحرب والفريق اولبرخت ، وهذا العقيد الذي لم اعد اعرف اسمه (ستوفنبرغ) وهذا الملازم (هيفتين) » .

وكان الفريقــان اولبرخت وهويبنر ، لا يزالان يخطان رسالتيهما الى زوجتيهما . وكان الفريق بيك لا يزال منبطحاً في مقعده وقد ملأت الدمــاء وجهه من خدش الرصاصة . ووقف الضباط الأربعة الذين حكم عليهم بالموت جامدين كالاصنام .

وراح فروم يقول لأولبرخت وهويبنر : « حسناً ايها السيدين .. هل انتما على استعداد ؟ أجد لزامــاً علي ان اطلب اليكما الاسراع ، لتسهلا الأمر على الآخرين » .

وأتم هويبنر رسالته ووضعها على المنضدة . وطلب اولبرخت غلافاً ، وضع فيه رسالته ثم اقفلها . وشرع بيك يعود الى وعيه الآن ، فطلب مسدساً آخر . وسيق ستوفنبرغ وقد تلطخ كم يده السليمة الجريحة بالدم ورفاقه الثلاثة الذين حكم عليهم بالموت الى الخارج . وطلب فروم من هويبنر ان يتبعه .

وتم التخلص من الضباط الاربعة ، اذ أطلقت سرية النار عليهم في الباحة الخارجية على ضوء خافت صادر عن أنوار سيارة عسكرية « عتمت » مصابيحها تنفيذاً لتعليمات الوقاية من الغارات الجوية . ويقول شهود العيان ان كثيراً من الضجيج والصراخ رافــق عملية الاعدام ، وقد صدر معظمه عن الحراس الذين كانوا على عجلة من امرهم ، تحسباً لخطر الغارة الجوية ، اذ ان الطائرات البريطانية كانت تقوم بزيارتها لبرلين في كل ليلة تقريباً من ليالي ذلك الصيف .

ومات ستوفنبرغ وهو يهتف : « عاشت المانيا المقدسة [١] » .

وكان فروم في غضون ذلك ، قد خيّر الفريق هويبنر بين امرين ، ذكرهما هويبنر نفسه بعد اسبوعين ، في ظل تهديد حبل المشنقة وهو يحاكم أمام محكمة الشعب اذ قال :

« قال لي فروم : حسناً يا هويبنر . ان هذا الوضع يؤلمني . لقد كنا صديقين حميمين ، كما كنا رفيقي سلاح كما تعلم . ولكنك ربطت نفسك بهذا العمل ، وعليك ان تحتمل نتائجه . فهل ترغب في ان تسير على الطريق التي سار فيـــها بيك ؟ اذا لم تكن لديك هذه الرغبة ، فإني اجد نفسي مضطراً لاعتقالك » .

ورد هويبنر بأنه لا يرى نفسه « مجرمـــاً » وانه يعتقد بقدرته على تبرئة نفسه .

ورد فروم وهو يصافحه : « انني افهمك ! » وسرعان ما نقل هويبنر الى السجن العسكري في موابيت .

وعندما كان يمضي في طريقه الى السجن ، سمع صوت بيك المجهد يصل اليه من الغرفة المجاورة قائـلاً : « اذا لم انجح هذه المرة ، فأرجو ان تساعدوني على الخلاص من حياتي » وسمع صوت طلقة مسدس . وفشلت محاولة بيك الثانيـة قتل نفسه . وأطل فروم برأسه من الباب ، وقال لأحد الضباط من جديد : « ساعد السيد العجوز » ورفض هذا الضابط المجهول ان يمثل « الدور الأخير » تاركاً الأمر الى عريف تولى جرّ بيك الذي فقد وعيه من الجرح الثاني الذي أصيب به الى خارج الغرفة حيث انهى أمره بطلقة ثالثة في رقبته [٢] .

---

١ ــ زيلر ــ شبح الحرية . ص ٣٦٢ . وقد قدم روايتين لشاهدي عيان عن تنفيذ الاعدام، احدهما سائق سيارة عسكرية شهد التنفيذ من نافذة قريبة والثاني سكرتيرة تعمل في مكتب فروم .

٢ ــ استندت في هذا الوصف لما وقع في البند لشتراسه في ذلك المساء على شهادة الفريق هويبنر الصريحة امام محكمة الشعب اثناء محاكمته ومحاكمة ويتزليبين وستة ضباط آخرين=

وكانت الساعة قد تجاوزت الآن منتصف الليل . وقد تم اخماد الثورة الجدية الوحيدة التي قامت ضد هتلر طيلة حكمه الذي امتد احدى عشرة سنة ونصف السنة في احدى عشرة ساعة ونصف الساعة . ووصل سكورزيني الى البندلشتراسة على رأس جماعة من الحرس النازي ، ومنع تنفيذ أي اعدام جديد ، اذ كان يعرف كشرطي ان لا ضرورة لقتل اولئك الذين يمكن الحصول منهم عن طريق تعذيبهم على أدلة ثمينة عن مدى المؤامرة واتساعها . وقام بتصفيد أيدي بقية المتآمرين بالاغلال ، وبعث بهم الى سجن الغستابو في شارع الأمير البرخت ،

= يومي السادس والسابع من آب عام ١٩٤٤ . وقد احترقت سجلات محكمة الشعب ابان غارة جوية امريكية وقعت في الثالث من شباط عام ١٩٤٥ ، ولكن احد كتاب الاختزال في المحكمة غامر بحياته فسرق السجلات المختزلة قبل وقوع الغارة ، وعاد فقدمها الى محكمة نورمبرغ بعد انتهاء الحرب . وقد نشرت حرفيا بالالمانية في (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٣٢) ص ٢٩٩ – ٥٣٠) .

وهناك كتابات كثيرة عن مؤامرة العشرين من تموز ومعظمها متضارب ، وبعضها يدعو الى الحيرة والارتباك . ولعل خير تجميع لها وتنقيح ، وارد في كتاب زيلر « شبح الحرية » ، الذي يورد في الصفحات ٣٨١ – ٣٨٨ ، قائمة مطولة بالمصادر التي اعتمد عليها . ويعتبر كتاب غيرهارد ريتر عن « غوبردلر وحركة المقاومة الشعبية الالمانية » مصدرا ثمينا ايضا ، وان كان يركز أشد التركيز على موضوعه . ويقدم ويلر – بنيت في كتابه « نقمة السلطان » أحسن مرجع باللغة الانكليزية ، وهو يعتمد كزيلر على مذكرة (أوتوجون) التي لم تنشر . وكان جون هذا ، الذي تعرض لمتاعب مع حكومة بون بعد الحرب طوحت به في السجن ، حاضرا في البندلشتراسه في ذلك اليوم ، وسجل الكثير مما رآه وسمعه من ستوفنبرغ ويورد قسطنطين فيتزغيبون في كتابه (٢٠ تموز) وصفا رائعا اعتمد فيه ، على الغالب ، على المصادر الالمانية ، وأخص بالذكر منها كتاب زيلر .

وهناك ايضا مصدر ثمين وان كان يجب ان ينظر اليه بعين التحفظ ، وهو التقارير اليومية عن التحقيقات التي قام بها المكتب الخاص التابع للغستابو في قضية المؤامرة بين الواحد والعشرين من تموز والخامس عشر من كانون الاول عام ١٩٤٤ . وقد وقع كالتنبرونر هذه التقارير التي رفعها الى هتلر ، وكتبت بحروف كبيرة ليتمكن الفوهرر من قراءتها دون نظارتيه . وتعكس هذه التقارير ما توصلت اليه « اللجنة الخاصة للتحقيق في مؤامرة ٢٠ تموز ١٩٤٤ » والتي ضمت نحوا من اربعمائة موظف من المكتب الخاص والغستابو قسموا الى احدى عشرة مجموعة تحقيق . وتوجد تقارير كالتنبرونر بين الوثائق الالمانية المصادرة . وتوجد نسخ مصورة منها في مكتبة (الوثائق القومية) في واشنطن رقم (ت ٨٤ – الرقم المتسلسل ٣٩ – السجل ١٩ – ٢١ والرقم المتسلسل ٤٠ السجل ٢٢) .

وعهد الى بعض مفتش التحري ، بالبحث عن المستمسكات والاوراق الثبوتية التي لم يتح الوقت الكافي للمتآمرين لإتلافها.وراح هملر ، الذي كان قد وصل الى برلين قبل فترة قصيرة ، واتخذ من وزارة غوبلز التي يتولى بعض جنود ريمر حراستها ، مقراً له ، يهتف الى هتلر ، ليقول له ان الثورة قد أخمدت تماماً . وكانت سيارة اذاعية تسابق الريح في بروسيا الشرقية ، منتقلة من كوينغزبرغ الى راستنبرغ ، ليتمكن الفوهرر من توجيه رسالته الاذاعية التي طـــال الاعلان عنها من محطة الاذاعة الألمانية منذ الساعة التاسعة مساء في فترات لا تتجاوز المدة بينها بضع دقائق .

وانطلق صوت هتلر الأجش قبيل الساعة الواحدة صباحاً ، في تلك الليلة الحارة من ليالي الصيف يقول :

« ايها الرفاق الالمان !

« اذا كنت اتحدث اليكم اليوم ، فان ذلك ناجم أولاً عن رغبتي في ان تستمعوا الى صوتي لتعرفوا أنني بخير ، وانني لم أصب بسوء ، وعن إرادتي ثانياً في ان تعرفوا بأن جريمة قد اقترفت اليوم ، لا مثيل لها في التاريخ الالماني .

« فلقد تواطأت زمرة صغيرة جداً من الضباط الطموحين الذين لا يعرفون المسؤولية ، والذين فقدوا عقولهم وأصيبوا بالبله والبلادة لإزالتي من الوجود ومعي جميع أركان القيادة العليا للقوات المسلحة .

« لقد انفجرت القنبلة التي وضعها العقيد الكونت ستوفنبرغ على بعد مترين الى يميني . ولقد أصاب انفجارها بجراح بالغة عدداً من أكثر أعواني إخلاصاً وولاء ، ومات أحدهم . أما أنا فلم أصب بأي أذى ، باستثناء بعض الخدوش والرضوض والحزوق البسيطة . وإني لأعتبر نجاتي هذه تأكيداً للرسالة التي فرضت العناية الإلهيـــة علي تنفيذها ...

« وحلقة هؤلاء الغاصبين صغيرة للغـاية ، ولا يشترك أعضاؤها بأية صفات مع روحية القوات الالمانية المسلحة ، او روحية الشعب الالماني . انها عصابة من العناصر الاجرامية التي يجب القضاء عليها دون رحمة او اشفاق .

« واني لآمر الآن،بأن لا تطيع أية سلطة عسكرية اوامر هذه الفئة من الغاصبين ، كما آمر ايضاً بأن يضع كل فرد منكم نصب عينيه واجبه في القبض على كل من يصدر مثل هذه الاوامر او ينقلها ، وفي حالة رفضه الاذعان للقبض عليه ، ومقاومته ، ان تطلق النار عليه فوراً دون تردد .

« وسنصفي هذه المرة حساباتنا معهم ، بالطريقة التي ألفناها نحن معشر الاشتراكيين الوطنيين » .

الانتقام الدموي

ووصلت الوحشية التي عامل بها النازيون اخوانهم الالمان القمة . فلقد طغت موجة عنيفة من الاعتقالات تبعتها حملات تعذيب مرعبة ، ومحاكمات عسكرية ، وأحـكام بالاعدام تنفذ في معظم الحالات بالموت البطيء بينما يعلق الضحايا الى كلابات اللحم المستعارة من حوانيت الجزارين ومن المسالخ بواسطـة أسلاك معدنية . وتم حمل الألوف من أقارب المتهمين والمشبوهين وأصدقائهم وأرسلوا الى المعتقلات حيث لاقى الكثيرون منهم حتفهم . وعومل البواسل من الاهلين الذين آووا من اختفى من المتآمرين معاملة وحشية مماثلة .

وسيطرت على هتلر رغبة عارمة في الثأر وموجة هائلة من الغضب ، فـكان يستحث هملر وكالتنبرونر على المـزيد من الجهد ، لاعتقال كل من جرؤ على

التآمر عليه . وقد وضع بنفسه الاجراء الذي يجب اتباعه للخلاص من المتآمرين.

فقد انفجر الفوهرر في أحد الاجتماعات الأولى التي عقدها بعد انفجار راستنبرغ يقول : « علينا في هذه المرة ان نقصر الأمد الذي نمنحه للمجرمين عادة للاعتراف بخطاياهم . فلن تكون هناك محاكم عسكرية . وانما سنقدم الجميع الى محاكم الشعب . ولن نسمح لهم بإلقاء خطب مطوّلة . بل على المحكمة ان تتصرف بسرعة البرق الخاطف . أما التنفيذ فيكون بعد ساعتين من صدور الحكم . ويكون شنقاً دون أي رحمة [1] » .

وقد قام رونالد فريزلر رئيس محكمة الشعب بتنفيذ هذه الأوامر التي صدرت اليه من علٍ تنفيذاً حرفياً وكان هدا الرجل مجنوناً وغداً يطعن في الناس ، اذ أخذ أسير حرب عند الروس في الحرب الكونية الاولى ثم تحول الى بلشفي متعصب ، وما لبث ان بات في عام ١٩٢٤ نازياً مجنوناً وان ظل على اعجابه الشديد بالارهاب الروسي ، وتعلمه من اساليبه وطرقه . وكان قد درس اسلوب اندريه فيشنسكي كممثل للادعاء العام في محاكمات موسكو في حقبة الثلاثين ، التي أقرت « اجرام البلاشفة القدامى » ومعظم القادة العسكريين البارزين بتهمة « الخيانة العظمى » وأمرت بتصفيتهم . وكان هتلر قد ذكر في الاجتماع الذي أشرت اليه قبل قليل ، بأن « فريزلر هو فيشنسكي النازية » .

ونظرت المحاكمة الاولى لمتآمري العشرين من تموز أمام محكمة الشعب والتي عقدت في برلين في السابع والثامن من آب ، في قضية المشير فون ويتزليبين والفرقاء هويبنر وشييف وفون هيز وعدد من صغار الضباط من امثال هاغين وكلوزينغ ، وبيرنارديس والكونت بيتر يورك فون وورتنبرغ ، الذين عملوا باخلاص مع معبودهم ستوفنبرغ . وكان هؤلاء قد تحطموا من جراء المعاملة التي وجدوها في زنزانات الغستابو ، ولما كان غوبلز قد أمر بأن تصور جميع دقائق

---

١ ـ زيلر ـ شبح الحرية ص ٣٧ . نقلا عن ضابط شهد الاجتماع .

المحاكمة في شريط سينمائي ليعرض على الجنود وعلى الشعب كعبرة ومثل لمن يجرؤ على التآمر ، فقد اتخذت جميع الوسائل لاظهار المتهمين بأكثر الاشكال حقارة وزراية وقد ادخلوا الى قاعة المحكمة في ملابس مهلهلة لا يمكن وصفها، من معاطف رثة بالية ، و « كنزات » صوفية ممزقة ، وقد طالت ذقونهم ، وخلت اعناقهم من أي رباط ، وحرموا من الانطقة او الحمالات لسراويلهم المسترخية ، وبدا المشير الذي كان متكبراً ذات يوم كعجوز محطم ، لا اسنان له ، اذ انتزعت من فمه اسنانه الزائفة قبل ان يقف في قفص الاتهام متعرضاً لسباط السباب من رئيس المحكمة السليط اللسان ، وممسكاً سرواله بيديه ليمنعه من السقوط .

وصرخ به فريزلر قائلاً : « لماذا تواصل الامساك بسراويلك ايها العجوز القذر ؟ » .

وعلى الرغم من ان المتهمين كانوا يعرفون ان مصيرهم قد تقرر سلفاً ، إلا انهم سلكوا سلوكاً ينطوي على الأنفة والشجاعة على الرغم من جهود فريزلر المستمرة لإذلالهم والحط من قدرهم . ولا ريب في ان بيتر يورك الشاب ، وهو ابن عم ستوفنبرغ ، كان أشجعهم جميعاً ، اذ ظل يرد بهدوء على الأسئلة المهينة للغاية ، دون ان يحاول اخفاء ما يحس به من ازدراء للاشتراكية الوطنية .

وسأله فريزلر : « لِمَ لم تنضم الى الحزب ؟ .

ورد الكونت قائلاً : « لانني لست نازياً ولا يمكن ان اكونه » .

وعندما افاق فريزلر من ذهوله لهذا الرد ، وألحف في سؤاله عن هذه النقطة ، حاول يورك ان يوضح قوله : « سيدي الرئيس .. لقد سبق لي ان بيّنت في الاستجواب ، ان العقيدة النازية هي من النوع الذي .. »

وقاطعه القاضي قائلاً : « من النوع الذي لا تقبل به .. فأنت لا تتفق مع مفهوم الاشتراكية الوطنية في العدالة مثلاً ، بالنسبة الى اجتثاث اليهود من جذورهم ؟ » .

ورد يورك قائلاً : « ان المهم ، الذي يربط بين هذه الأسئلة كلها ويشدها الى بعضها ، هو الحق الجماعي الذي تفرضه الدولة على الفرد ، والذي ترغمه بموجبه على التخلي عن اخلاقه والتزاماته الدينية نحو الله » .

وصرخ فريزلر موقفاً المتهم عند هذا الحد : « يا له من سخف » .. لقد أدرك القاضي ان مثل هـذا الحديث سيسمم شريط غوبلز السينمائي عن المحاكمـة ويثير غضب الفوهرر الذي أمر بعدم السماح للمتهمين بإلقاء « خطب طويلة » .

وكان محامو الدفاع الذين عينتهم المحكمة من النوع الغريب المضحك . فلقد كان جبنهم الذي يتبيّن من قراءة وقائع الجلسات ، من النوع الذي لا يصدق . فلقد بزّ محامي الدفـاع عن ويتزليبين مثلاً ويدعى الدكتور وايسمان ، ممثل الاتهام وضاهى رئيس المحكمة فريزلر ، في إدانة موكله ووصفه « بالقاتل » الذي يعتبر مجرماً يستحق أقسى العقاب .

وقد صدر ذلك العقاب فور انتهاء المحاكمة في الثامن من آب . ان هتلر « يأمر بأن يعلقوا كالمـاشية » وقد علقوا فعلاً ونقل المحكومون الثمانية الى سجن بلويتزينسي ، حيث علقوا في غرفة صغيرة على ثماني كلابات من التي تعلق بها الخراف بعد ذبحها ، في سقف الغرفة . وتم نزع ما يرتدونه على صدورهم من ملابس واحداً بعـد آخر ، ثم علقوا بعـد ان وضعت انشوطات من أسلاك « البيانو » حول رقابهم الى « كلابات » مثبتة في الحائط . وظلت آلة تصوير سينمائية تدور من مكان الى آخر ، لتلتقط صور المحكومين وهم يضربون الهواء باقدامهم ، وتهاوت سراويلهم من جراء حركاتهم العنيفة ليصبحوا عراة في ساعة موتهم [١] . وقد نقل الشريط فور « تظهيره » الى هتلر ، ليراه ، كما يرى صور المحاكمة في نفس الليلة . ويقال ان غوبلز قد صان نفسه من الاغماء ،

---

١ ـ روى هانز هوفمان آمر السجن فيما بعد طريقة تنفيذ الاعدام ، كما رواها ايضا مساعده ، واحد المصورين الذين شهدوا التنفيذ . (ويلر بنيت ـ نقمة السلطان . ص ٦٨٣ ـ ٦٨٤) .

بتغطية عينيه بيديه ليمنعها من رؤية هذا المنظر [1] .

وواصلت محكمة الشعب الشريرة عقد جلساتها طيلة ذلك الصيف وما تلاه من خريف وشتاء حتى مستهل عام ١٩٤٥ الجديد ، راقصة فيها رقصة الموت ، ومصدرة احكام الاعدام بالجملة، الى ان اصابت قنبلة امريكية مباشرة دار المحكمة صباح الثالث من شباط عام ١٩٤٥ ، إبان نقل شلابريندورف الى قفص الاتهام في المحكمة ، فقضى انفجارها على القاضي فريزلر ، وأحرق اللهيب الناجم عنها سجلات معظم المتهمين الذين كانوا لا يزالون ينتظرون دورهم لمحاكمتهم . وهكذا نجا شلابريندورف من الموت بأعجوبة ، وكان احد المتآمرين القلائل الذين ابتسم لهم الحظ ، اذ حررته القوات الامريكية في التيرول من مخـــالب الغستابو في النهاية .

وأرى لزاماً علي هنا ان أسجل مصير الآخرين ..

فلقد مضى غويردلر الذي كان من المقرر تعيينه مستشاراً للعهد الجديد في حالة نجاح الانقلاب ، الى عالم الاختفاء ، قبل ثلاثة ايام من موعد العشرين من تموز ، وذلك على أثر تلقيه تحذيراً بأن الغستابو أصدرت الأمر باعتقاله . وظل الرجل مختفياً ثلاثة اسابيع يجول بين برلين وبوتسدام وبروسيا الشرقية ، دون ان يمكث ليلتين في مكان واحد إلا فيما ندر ، عاثراً على المأوى عند الاصدقاء والأقارب الذين غامروا بأرواحهم في اخفائه ، وتقديم الملاذ له ، لا سيما وان هتلر قد وعد بمكافأة قدرها مليون مارك لمن يأتيه برأسه . ودخل في صبـــاح

---

١ ــ عثر على الشريط السينمائي الذي سجل المحاكمة ، وعرضه الحلفاء في محكمة نورمبرغ حيث رآه المؤلف لاول مرة . اما شريط عمليات الاعدام فلم يعثر عليه ، ويعتقد ان هتلر قد امر باتلافه مخافة وقوعه في أيدي الاعداء . ويقول الين دالاس ان الشريطين اللذين بلغ طولهما في البداية ثلاثين ميلا ثم اختزلا في ثمانية اميال ، عرضا معا بأمر من غوبلز علـى عـدد مـن العسكريين ليكونا عبرة وعظة . ولكن الجنود كانوا يرفضون التطلع اليه وخرج طلاب مدرسة المرشحين في ليخترفيلد من القاعة عندما بدأ عرض الشريط . وسرعان ما امر غوبلز بسحبه من العرض . (دالاس ــ المقاومة السرية الالمانية ص ٨٣) وكتاب ويلفريد فون اوفين (مع غوبلز الى النهاية) الجزء الثاني ص ١١٨ .

الثاني عشر من آب ، وهو مجهد جائــع ، بعد ايام وليالي طويلة من التنقل على قدميه في بروسيا الشرقية ، الى نزل صغير في قرية كونرادز وولد القريبة من مارينويردر . وبينما كان في انتظـار من يقدم له طعام الفطار ، لاحظ امرأة في زي المجندات في السلاح الجوي ، تتطلع اليه بنظرة متفحصة ، فراح ينسل دون ان ينتظر مجيء الطعام ليختفي في الغابات القريبة . ولكن بعد فوات الأوان . فلقد كانت المجندة صديقة لأسرة غويردلر ، واسمها هيلين شويرزيل وقد عرفته بسهولة ، واسرّت بهويتـه الى رجلين من رجال القوة الجوية كانا يجلسان الى جانبها . وسرعان ما عثر عليه في الغابات القريبة .

وقضت عليه محكمة الشعب في الثامن من ايلول عام ١٩٤٤ بالموت ، ولكنه لم ينفذ فيه إلا في الثاني من شباط من السنة التالية مع بوبيتز [١] . ويبدو ان هملر قد أجل التنفيذ لانه اعتقد ان اتصالات الرجلين – ولا سيما غويردلر مـع الحلفاء الغربيين عن طريق السويد قد تغدو نافعة له ، اذا تسلم القيادة في سفينة الدولة المشرفة على الغرق ، وهو أمل بدأ يراوده في هذا الوقت [٢] .

أما الكونت فريدريك فيرنر فـون شولنبرغ السفير السابق في موسكو وهاسيل السفير السابق في رومة ، وكان من المقرر ان يتوليا توجيه السياسة الخارجية في العهد الجديد المناهض للنازية ، فقد أعدما ، وكان اعدام الاول في العاشر من تشرين الثاني واعدام الثاني في الثامن من ايلول . اما الكونت فريتز فون دير شولنبرغ فقد أعدم في العاشر من آب . ونفذ حـكم الاعدام في نفس اليوم في الفريق فيلغيبل رئيس فرع الاشارة في القيادة العليا للقوات المسلحة ،

١ – نفذ حكم الاعدام معهما ايضا في الاب الفريد ديلب العضو اليسوعي في حلقة كريساو. وشنق فريتز شقيق غويردلر بعد بضعة ايام . واعدم الكونت فون مولتكيه زعيم حلقة كريساو في الثالث والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٥ ، مع انه لم يشترك في مؤامـرة الاغتيال . وشنق تروت زوسولز ، العضو البارز في الحلقة وفي المؤامرة في الخا.. والعشرين من آب عام ١٩٤٤ .

٢ – ريتر – غويردلر وحركة المقاومة الشعبية الالمانية ص ٤١٩ – ٤٢٩ .

الذي روينا دوره في حركة العشرين من تموز من قبل .

ويطول الحديث عن قائمة الموتى . ويقول أحد المصادر ان عددهم بلغ نحواً من ٤٩٨٠ شخصاً [١] . أما قائمة سجلات الغستابو فتقدر اعتقال سبعة آلاف شخص وكان بين قادة المقاومة الذين اوردنا اسماءهم في هذا التاريخ والذين أعدموا الفريق فريتز ليندمان والعقيد فون بويسلاغر والقس ديتريش بونهويفر والعقيد جورج هانسين من رجال المخابرات والكونت فون هيلدورف ، والعقيد فون هوفاكر والدكتور جينز بيتر جيسين واتوكيب والدكتور كارل لانغبيهن وجوليوس ليبر والرائد فون ليونرود وويلهلم لويشنروارتور نيبي (رئيس الشرطة الجنائية) والاستاذ ادولف رايشواين والكونت بيرتهولد فون ستوفنبرغ شقيق كلاوس والفريق ثيل رئيس فرع الاشارة في القيادة العامة للجيش ، والفريق فون ثوينجن الذي عينه بيك ليخلف الفريق فون كورتزفليش يوم الانقلاب .

وتم اعدام مجموعة تضم عشرين محكوماً كان هملر قد أجل اعدامهم ، أملاً منه بأن يفيد من خدماتهم في حالة توليه زمام الأمر في البلاد واضطراره لعقد الصلح ، في ليلة ٢٢ – ٢٣ نيسان ، عندما كان الروس قد شرعوا يشقون طريقهم الى داخل العاصمة . وقد نقل المسجونون من سجن ليهرترشتراسة الى حبس الغستابو في شارع الأمير البرخت ،ولم يتمكنوا من الفرار مع ان كثيرين من المسجونين اغتنموا في الماضي فرصة « التعتيم » واختفوا في ايام الرايخ الثالث الاخيرة . وأوقفهم فصيل من الحرس النازي على جدار ثم قتلوهم رمياً بالرصاص ولم ينج منهم إلا اثنان تمكنا من رواية ما حدث فيما بعد.وكان بين الذين اعدموا الكونت البرخت فون بيرنستورف وكلاوس بونهويفر شقيق الكاهن ، والبرخت هوشوفر وهو صديق حميم لردولف هس ونجل عالم الجغرافيا السياسية المشهور .

---

١ – ورد هذا الرقم في تعليق على سجلات مؤتمرات الفوهرر في الشؤون البحرية (١٩٤٤) ص ٤٦ ، وقد قبله زيلر في كتابه « شبح الحرية » ص ٢٨٣ وبيشيل في كتابه « المقاومة الالمانية » الذي يقول في الصفحة ٣٢٧ « ان السجل الرسمي للاعدام قد سجل (٣٤٢٧) عملية في عام ١٩٤٤ ان كان بعضها لا علاقة له بمؤامرة العشرين من تموز » .

وسرعان ما انتحر الوالد لاحقاً بابنه .

ولم ينج الفريق فروم من الاعدام على الرغم من سلوكه في تلك الليلة القدرية مساء العشرين من تموز . فقد اعتقله هملر في اليوم التالي بعد ان خلفه في قيادة جيش الاحتياط وقدم الى محكمة الشعب في شباط عام ١٩٤٥ بتهمة « الجبن » فقضت عليه بالموت [1] . وكرمز للاعتراف بالخدمة الحيوية التي قدمها لانقاذ العهد النازي لم يعلق « بكلابة » للحوم ، اسوة بالآخرين الذين اعتقلهم هو ليلة العشرين من تموز ، وانما مات رمياً بالرصاص من فريق عسكري في التاسع عشر من آذار عام ١٩٤٥ .

وقد أحاط الغموض الذي غلّف دائماً حياة امير البحر كاناريس ، الرئيس المفصول لجهاز مخابرات الرايخ ، والذي عمل الكثير لمساعدة المتآمرين دون ان يشترك فعلياً في أحداث العشرين من تموز ، بالظروف التي أدت الى موته وظل محيطاً بها مدة سنوات طويلة . والمعروف انه اعتقل بعد المؤامرة على حياة هتلر ولكن كايتل استطاع القيام بعمل يعتبر من الأعمال النبيلة النادرة في حياته في القيادة العليـــا ، فحال دون تسليمه الى محكمة الشعب . وثار الفوهرر لهذا الابطاء في محاكمة الرجل ، فأمر بتقديمه الى محكمة مستعجلة للحرس النازي . وطرأ تأجيل على هذا الاجراء ايضاً ، واخيراً قدم كاناريس ومساعده السابق العقيد اوستر واربعة آخرون للمحكمة في معتقل فلوسنبرغ في التاسع من نيسان عام ١٩٤٥ ، أي قبل أقل من شهر من انتهاء الحرب ، وحكم عليهم بالاعدام . ولكن أحداً لم يتأكد من ان كاناريس قد أعدم فعلاً . واستغرق حل السر والكشف عما لفه من غموض نحواً من عشر سنوات . فقد حوكم المدعي العام من رجال الغستابو الذي ظهر في القضية ، في عام ١٩٥٥ ، وشهد عدد من الشهود

---

١ ـ روى شلابرندورف فيما بعد ، وقد اجتمع طويلا الى الفريق فروم في سجن الغستابو في شارع الامير البرخت ان « الحكم اثر عليه تأثيرا عميقا . اذ لم يكن يتوقعه ابدا» (شلابرندورف ـ كادوا يقتلون هتلر . ص ١٢١)

بأنهم رأوا كاناريس يشنق في التاسع من نيسان عام ١٩٤٥ . وروى شاهد عيان هو العقيد الهولندي لوندينغ أنه رأى بعينه كاناريس يجر عارياً من زنزانته الى المشنقة . وقد شنق اوستر في نفس التاريخ ايضاً .

وقد نجا بعض الذين اعتقلوا من المحاكمة ، وحررتهم أخيراً قوات الحلفاء الزاحفة من قبضة الغستابو . وكان بين الناجين الفريق هولدر والدكتور شاخت ، اللذان لم يشتركا في ثورة العشرين من تموز ، وان كان شاخت قد ادعى في نورمبرغ انه كان أحد العاملين فيها . وقد أودع هولدر في السجن الانفرادي في زنزانة حقيرة معتمة عدة أشهر . وتولت القوات الامريكية الزاحفة تحرير هذين الرجلين مع عدد آخر من الرجال البارزين المسجونين من المان واجانب في الرابع من ايار عام ١٩٤٥ في نيدردورف في التيرول الجنوبي عندما كان حراسهم من رجال الغستابو على وشك اعدامهم جميعاً . وكان بين المحررين ايضاً بالاضافة الى هولدر وشاخت كل من شوشنيغ النمسوي وليون بلوم الفرنسي وشلابريندورف والفريق فون فالكنهاوزن . وحوكم الاخير امام محكمة بلجيكية كمجرم حرب وحكم عليه في التاسع من آذار عام ١٩٥١ بعد ان قضى اربع سنوات في السجن ينتظر المحاكمة ، بالحبس اثني عشر عاماً مع الاشغال الشاقة . ولكنه اطلق سراحه على أي حال بعد اسبوعين واعيد الى المانيا .

وآثر عدد كبير من الضباط الذين اتهموا بالاشتراك في المؤامرة الانتحار على ان يسلموا الى رحمة محكمة الشعب وعدالتها . ولقد ودع الفريق هينينغ فون تريسكو الذي كان قلب المؤامرة وروحها بين الضباط في الجبهة الشرقية ، صديقيه ومساعديه شلابريندورف في صباح الواحد والعشرين من تموز ، وداعه الاخير ، وظل هذا يذكر ما قاله له بالحرف الواحد :

« سينقلب علينا الجميع الآن ويغرقوننا بالسباب والاهانات. لكن ايماني يظل على حاله ثابتاً لا يتزعزع ، بأننا سرنا في الطريق السوي . فهتلر ليس بعدو لألمانيا فحسب بل هو عدو العالم ايضاً .

وسأقف بعد بضع ساعات بين يدي الله ، أحاسب على ما عملته وعلى ما وقعت فيه من اخطاء . واعتقد ان في وسعي ان اتمسك مرتاح الضمير بكل ما فعلته في محاربة هتلر ..

« وفي وسع كل من انضم الى حركة المقاومة ان يرتدي قميص نيسوس [١] وقيمة المرء تقدر بما يبديه من استعداد للتضحية بحياته في سبيل معتقداته [٢] » .

ومضى تريسكو بسيارته في ذلك الصباح الى جبهة فرقة البنادق الثامنة والعشرين ، ثم زحف الى منطقة الارض الحرام بين خطوط القتال وفجر قنبلة يدوية كانت في يده ، فأطارته مع شظاياها .

ولم تمض خمسة ايام اخرى حتى كان الفريق واغنر مدير ميرة الجيش ، يستل حياته بيده ايضاً .

وانتحر في الغرب ضابطان كبيران يحملان رتبة المشير وآخر يحمل رتبة الفريق . فلقد رأينا في باريس ان الثورة سارت سيراً حسناً في باديء الأمر عندما قام الفريق هنريخ فون ستولبناغل الحاكم العسكري في فرنسا باعتقال جميع رجال الحرس النازي والفرقة الخاصة والفستابو . وبات الآن كل شيء متوقفاً على سلوك المشير فون كلوغه القائد العام الجديد في الغرب ، الذي ظل تريسكو يحاول اقناعه أكثر من عامين في الجبهة الشرقية ليجعل منه متآمراً فعالاً . وعلى الرغم مما ظهر على كلوغه من تردد ، إلا انه وافق اخيراً ، او

---

١ ــ قصة قميص نيسوس مأخوذة من الاساطير الاغريقية فقد احست ديانيرا زوجة هرقل بالغيرة على زوجها فبعثت اليه بقميص تشرب دم (القنطور) الخرافي الذي قتله زوجها ولكن هذا الدم كان قد تسمم من سهم هرقل الذي قتل به (القنطور) ولهذا سرى السم في بدنه عندما ارتدى القميص وسببه له اوجاعا مخيفة . وحاول تمزيق القميص فلم يستطع وحمل قريبا من الموت الى جبل ايتا حيث امر باحراق جسده واصبح من الآلهة . اما زوجته فقد انتحرت ندما على ما فعلته .

٢ ــ شلابرندورف ــ كادوا يقتلون هتلر ــ ص ١١٩ ــ ١٢٠ .

هكذا فهم المتآمرون على الأقل ، على تأييد الثورة حالما يموت هتلر .

وقد أقيمت حفلة عشاء قدرية تلك الليلة العشرين من تموز في مقر قيادة مجموعة الجيوش (ب) في لاروش - غيون ، حيث كان كلوغه قد تولى قيادتها بعد الحادث الذي جرى لرومل ، بالاضافة الى منصبه كقائد عام . واراد كلوغه ان يبحث مع كبار مستشاريه في موضوع الانباء المتضاربة عن مصير هتلر ، وهل مات أو ما زال حياً ، وهم الفريق غونتر بلومنتريت رئيس أركان حربه والفريق سبيدل رئيس أركان حرب مجموعة الجيوش (ب) والفريق ستولبناغل والعقيد فون هوفاكر الذي أبلغه ستوفنبرغ هاتفياً في ساعة مبكرة من بعد الظهر نبأ القنبلة والانقلاب في برلين . وعندما اجتمع الضباط للعشاء ، خيّل لبعضهم على الاقل ان المشير الحذر كان قد حزم أمره ، على ان يربط مصيره بمصير الثورة . واتصل به بيك هاتفياً قبل العشاء ، وتوسل اليه تأييده ، سواء أكان هتلر حياً أو ميتاً . وسرعان ما وصل أول أمر عام وقد وقعه المشير فون ويتزليبين . وكاد كلوغه يقتنع .

ولكنه أراد المزيد من المعلومات عن الوضع ، ومن سوء حظ المتآمرين ان هذه المعلومات جاءت الآن من الفريق ستيف ، الذي سافر في ذلك الصباح الى راستنبرغ مع ستوفنبرغ ، وتمنى له التوفيق ورأى الانفجار بنفسه ، وتأكد من ان هتلر لم يقتل ، وبات الآن في المساء ، يحاول طمس جميع الآثار واخفاءها ، وقد اتصل به بلومنتريت هاتفياً ،فأبلغه حقيقة ما حدث ،أو حقيقة ما لم يحدث .

وقال كلوغه لرئيس أركان حربه : « اذن فقد فشل الانقلاب » وبدا عليه شيء من خيبة الامل الحقيقية . وأضاف انه لو نجح الانقلاب لما تردد لحظة واحدة في الاتصال بأيزنهاور ليطلب منه الهدنة .

وكانت حفلة العشاء كما روى سبيدل فيما بعد ، كئيبة « وكأنهم يجلسون في بيت زاره ملاك الموت » وأصغى كلوغه الى أقوال ستولبناغل وهوفاكر الخالية من العواطف والتي أكد فيها وجوب المضي مع الثورة حتى ولو كان

هتلر لا يزال على قيد الحياة . وشرح بلومنتريت ماجرى بعد ذلك بقوله :

« وعندما انتهى القائدان من حديثهما ، قال كلوغه بلهجة تبين فيها خيبة الأمل : « حسناً ايهـــا السادة . لقد فشلت المحاولة . وانتهى كل شيء .» وهتف ستولبناغل آنذاك قائلاً : « يامشير .. ظننت انك على علم بخططنا . علينا ان نعمل شيئاً . »[1]

ونفى كلوغه معرفته بأية خطط . وبعد ان أمر ستولبناغل باطلاق سراح رجال الحرس النازي والفرقة الخاصة في باريس اشار عليه قائلاً : « اسمع ان خير ما تفعله هو ان تنزع ملابسك العسكرية وترتدي الملابس المدنية وتمضي الى حياة الاختفاء » .

لكن هذا لم يكن أحسن سبيل بالنسبة الى فريق كريم من طراز ستولبناغل. وبعد حفلة غريبة دامت طيلة الليل في فندق رافائيل في باريس وطفحت بأقداح الشمبانيا ، اشترك فيهـــا ضباط الحرس النازي والفرقة الخاصة بقيادة الفريق اوبرج ، وتآخوا فيها مع قادة الجيش الذين اعتقلوهم والذين كان لابد وان يقتلوهم لونجحت الثورة، راح ستولبناغل الذي تلقى أمراً بالمضي الى برلين يغادر باريس بسيارته الى المـانيا . وتوقف في فردان حيث كان يقود أحد الافواج في الحرب الكونية الأولى ، ليلقي نظرة على ميدان المعركة المشهورة ، ولينفـذ قراراً شخصياً اتخذه . وسرعـان ما سمع مرافقه وسائقه صوت طلقة مسدس. وعثرا عليه يغالب الماء في احدى القنوات. فقد أصـــابت الطلقة النارية احدى عينيه وأطارتها وألحقت اذى بالغاً بالعين الأخرى، مما ارغم الاطباء في مستشفى فردان العسكري حيث نقله مرافقاه ، على انتزاعها .

ولكن هذا الحـــادث لم ينقذ ستولبناغل من نهايته المرعبة . فقد أمر هتلر بتقديمه الى محكمة الشعب ، التي ظهر أمامهـا ضريراً يائساً ، مطروحاً على قطعة

---

١ ـ روى الفريق بلومنتريت هذا الوصف الى ليدل ـ هارت الذي ضمنه كتابه «الفرقاء الالمان يتكلمون ص ٢١٧ ـ ٢٢٣ » .

من الجيش بينما يتعرض لإهانات فريزلر وسبابه ، وقد خنق في سجن بلويتزيلسي في الثلاثين من آب .

ولم يؤد عمل المشير فون كلوغه الحاسم في رفض الانضمام الى الثورة الى انقاذ حياته ، تماماً كما لم يؤد عمل فروم المماثل في برلين الى انقاذه . وقال سبيدل قولاً في منتهى السداد والصواب معلقاً على موقف هذا القائد المتردد المذبذب : « ان القدر لا يوفر الرجل الذي لا تكون عقائده ، كافية لخلق الحافز لديه على انفاذها » . وهناك أدلة تقول ان العقيد فون هوفاكر ، اعترف تحت وطأة التعذيب الشديد ، اذ لم ينفذ فيه حكم الاعدام إلا في العشرين من كانون الأول ، باشتراك كلوغه ورومل وسبيدل في المؤامرة . ويقول بلومنتريت ان اوبرج ابلغه ان هوفاكر « ذكر » اسم كلوغه في استجوابه الأول ، وان المشير بعد ان ذكر له اوبرج ذلك بدا « يظهر المزيد من القلق » .[1]

ولم تكن انباء الجبهة ايضاً من النوع الذي يعيد اليه انتعاشه ونشاطه . ففي السادس والعشرين من تموز تمكنت القوات الأمريكية بقيادة الفريق برادلي من اختراق الجبهة الألمانية في « سنت – لو » ، ولم تمض اربعة ايام حتى كان جيش الفريق باتون الثالث الذي تم تشكيله حديثاً ، يغذ السير عبر الفجوة ويصل الى افرانش ، فاتحاً الطريق الى مقاطعة بريتاني والى نهر اللوار في الجنوب . وكانت هذه الاحداث نقطة التحول في غزو الحلفاء ، وفي الثلاثين من تموز راح كلوغه يبلغ مقر قيادة هتلر الرسالة التالية : « لقد تحطمت الجبهة الغربية كلها واصبحت مفتوحة .. وانهار الجناح الايسر » . ولم يحل منتصف شهر آب ، حتى كان كل ما تبقى من الجيوش الألمانية في نورماندیا ، قد حوصر في جيب ضيق حول فاليز ، حيث أصدر هتلر أمره بوقف كل انسحاب . وكان الفوهرر قد ضاق ذرعاً الآن بكلوغه الذي حمله مسؤولية النكسات في الغرب ، وكان يشك في

---

١ – ليدل هارت – الفرقاء الالمان يتكلمون ص ٢٢٢ . وهناك مصادر اخرى عن الجانب الباريسي من المؤامرة بينها الوصف الذي قدمه سبيدل في كتابه ، والمقالات العديدة التي كتبها بعض شهود العيان من الالمان في المجلات . ولعل خير وصف ورد على لسان ويلهلم فون شرام ، امين المحفوظات العسكرية في الغرب في مقاله « يوم ٢٠ تموز في باريس »

انه يدرس قضية استسلام قواته الى ايزنهاور .

ووصل المشير وولتر مودل في السابع عشر من آب الى الغرب ليتسلم القيادة من كلوغه، وكان وصوله اول اشعار تلقاه هذا، بصرفه من الخدمة. وطلب هتلر الى كلوغه تحديد مكان اقامته في المانيا ، وكان هذا الطلب بمثابة انذار بأنه بات متهماً بعلاقته بثورة العشرين من تموز .وراح يكتب في اليوم التالي رسالة مطوّلة الى هتلر ، ثم استقل سيارته عائداً الى منزله في المانيا . وعندما اقترب من ميتز، تجرّع سماً ومات منتحراً .

وعثر على رسالته الوداعية الى الفوهرر بين الوثائق العسكرية الألمانية المصادرة وهذا بعض ما جاء فيها :

« عندما تتلقى رسالتي هذه ، لن أكون على قيد الحياة .. اجل فقدت الحياة كل معنى لها لدي .. وكنت انا وروميل ، نتوقع هذه التطورات الراهنة .. ولكنك لم تصغ الينا ..

« ولست ادري اذا كان في وسع المشير موديل ، الذي ثبتت كفايته في كل ميدان ، سيكون قادراً على السيطرة على الوضع .. أما اذا فشل ، ولم تفلح اسلحتك السرية التي جعلتها معبودتك في تحقيق نتيجة ما .. فاني ارجو يا زعيمي ، ان تحزم أمرك على انهاء هذه الحرب ..فلقد تحمل الشعب الألماني من الآلام ما لايطاق ولا يوصف ، وقد حان الوقت لوضع حد لهذه الحالة المخيفة ..

« لقد كنت دائماً معجباً بعظمتك .. واذا كان القدر أقوى من ارادتك ومن عبقريتك ، فان العناية الإلهية أقوى منهما ايضاً .. ولتظهر نفسك الآن عظيماً ايضاً الى الحد الذي يدفعك الى انهاء صراع يائس عند الضرورة .. »

وروى يودل في شهادته في نورمبرغ ان هتلر قرأ الرسالة صامتاً ثم سلمها اليه دون تعليق . وبعد بضعة أيام قال سيد الحرب الأعلى في مؤتمره العسكري الذي عقده في الواحد والثلاثين من آب ، لمن حوله .. « هناك اسباب قوية تدعو الى

الاعتقاد ، بأن كلوغه لو لم ينتحر لكان رهن الاعتقال الآن .. » [1]

* * *

وجاء الآن دور المشير رومل معبود الجماهير الألمانية.

اذ بينا كان الفريق فون ستولبناغل ، مطروحاً على مائدة العمليات في مستشفى فردان بعد محاولته الفاشلة في قتل نفسه ، وقد فقد نظره ووعيه ، انطلق اسم رومل من بين شفتيه دون وعي او تصميم . وانهار العقيد فون هوفاكر ، تحت ضغط التعذيب الرهيب الذي تعرض له في زنزانة سجن الغستابو في شارع الامير البرخت ، وروى فيما بعد دور رومل في المؤامرة . فذكر ان المشير أكد له قائلاً : « ابلغ من في برلين ان في وسعهم الاعتماد علي » . وقد علق هذا القول في ذهن هتلر عندما سمعه ، وحمله على ان يقرر موت القائد الذي كان يؤثره ، والذي كان يعرف خير معرفة انه اكثر القادة العسكريين شعبية في المانيا .

وكان رومل الذي اصيب بكسور بالغة في جمجمته وصدغيه وعظام وجنتيه والذي اصيب بضرر بالغ في عينه اليسرى ، وامتلأ رأسه بشظايا القنبلة ، قد نقل اولاً من مستشفى الميدان في برني الى سنت جرمان ، لانقاذه من خطر الوقوع في أيدي قوات الحلفاء الزاحفة ، ثم عاد فانتقل الى بيته في هيرلينغين القريبة من اولم . وقد تلقى اول انذار بما تخبئه له الايام عندما اعتقل الفريق سبيدل ، رئيس اركان حربه السابق في السابع من ايلول ، اي في اليوم الذي تلا زيارته في هيرلينغين .

وكان رومل قد قال لسبيدل عندما تحوّل الحديث الى هتلر : « لقد اصبح الانسان المريض بالكذب مجنوناً كل الجنون . وها هو ينفذ سموم « صاديته »

---

١ ـ فيلكس جيلبرت . « هتلر يوجه حربه » ص ١٠١ .

على متآمري العشرين من تموز ، وقد لا يكون ما يعمله الآن هو النهاية . »[1]

ولاحظ رومل الآن ان رجال الفرقة الخاصة يراقبون بيته . وعندما كان يخرج من البيت ليسير في الغاباتالقريبة مع ولده البالغ الخامسة عشرة من عمره ، والذي منح اجازة مؤقتة من بطاريات المدافع المضادة للطائرات التي يخدم فيها ليتولى العناية بوالده ، كان الأب وولده يحملان مسدسيهما معهما . وكان هتلر قد تلقى الآن في مقر قيادته في راستنبرغ نسخة من شهادة هوفاكر التي يتهم فيها رومل . وهنا قرر الفوهرر موت المشير ولكن بطريقة خاصة . فقد ادرك الفوهرر كما أوضح كايتل فيما بعد للمحققين في نورمبرغ ، « ان الفضيحة ستكون كبيرة في المانيا اذا اعتقل هذا المشير المشهور والقائد المحبوب شعبياً ثم قدم الى محكمة الشعب » . وهكذا أعد هتلر العدة مع كايتل بأن يبلغ رومل الأدلة القائمة ضده وان يخيّر بين ان يقتل نفسه أو يظهر للمحاكمة أمام محكمة الشعب . واذا اختار الأمر الأول ، فستقام له جنازة رسمية مع كامل مظاهر التكريم والاجلال ، ولا تصاب أسرته بأي أذى .

وهكذا اتجه قائدان المانيان من رتبة فريق ظهر الرابع عشر من تشرين الأول عام ١٩٤٤ ، من مقر قيادة هتلر الى منزل رومل ؛ الذي بات الآن محاطاً بقوات الحرس النازي تعززها خمس سيارات مدرعة . وكان هذان الفريقان هما ويلهلم بيرغدورف ، الرجل الكحولي الاحمر الوجه الذي ينافس كايتل في ابتذاله تقرباً من هتلر ، ومساعده في مكتب « الشؤون الذاتية للجيش »

---

١ ـ سبيدل ـ الغزو . ص ١٥٢ . استندت في قصتي عن موت رومل بالاضافة الى سبيدل الذي استجوب السيدة رومل وغيرها من الشهود على تقريرين كتبهما ابنالمشير مانفريد، اولهما للمخابرات البريطانية وقد نقله شرلمان في الصفحتين ١٣٨ و ١٣٩ من كتابه « الهزيمة في الغرب » والثاني لكتاب « اوراق رومل » الذي اعده ليدل هارت ص ٤٩٥ ـ ٥٠٥ ، وكذلك على استجواب الفريق كايتل من قبل العقيد جون . ا هـ . آمين ، في ٢٨ ايلول عام ١٩٤٦ في نورمبرغ (المؤامرة النازية والعدوان الملحق (ب) . ص ١٢٥٦ ـ ١٢٧١) وروى ديزموند يونغ في كتابه « رومل » ايضا وصفا كاملا استند فيه الى احاديثه مع اسرة رومل واصدقائه وعلى محاكمة الفريق مايزيل بعد الحرب .

ايرنست مايزل الذي يشبه في اخلاقه وشخصيته . وكانا قد بعثا برسالة شفوية الى رومل يقولان فيهـا انهما موفدان من الفوهرر للبحث معه في موضوع « عمله المقبل » .

وشهد كايتل فيما بعد بقوله : « بعثت ببيرغدورف بأمر من هتلر حاملاً معه نسخة من الشهادة المقدمة ضد رومل . وكان عليه أن يتحمل النتائج اذا صحت هذه الشهادة ، أما اذا لم تكن صحيحة فستبرئه المحكمة . »

وسئل كايتل : « وهل حقاً أنك أمرت بيرغدورف أن يحمل معه سمـاً ، وأن يضعه تحت تصرف رومل » ؟

– أجل . لقد طلبت الى بيرغدورف أن يحمل سماً وأن يضعه تحت تصرف رومل ، اذا اقتضت الضرورة ذلك »

وقد اتضح بعد وصول بيرغدورف ومايزل ، أن الفريقين لم يأتيا للبحث في موضوع منصبه الجديد . فقد طلبا اليه الحديث على انفراد ، وانسحب الرجال الثلاثة الى مكتب المشير .

وروى مانفرد رومل فيما بعد : « وبعد لحظات سمعت والدي يصعد الدرج ويمضي الى غرفة والدتي ... » ثم :

« دخلنا معاً الى غرفتي وبدأ يقول لي : « كان علي ان أبلـغ والدتك ، انني سأغدو في عداد الموتى في غضون ربع سـاعة ... فهتلر يتهمني بالخيانة العظمى . وبالنظر لخدماتي السابقة في أفريقيا ، فقد أتاح لي فرصة الموت بالسم الذي حمـله الفريقان معهما . انه من النوع الذي يقتل في غضون ثـلاثة ثوان . فإذا وافقت على هذه الميتة ، فلن يتخذ أياً من الإجراءات ضد أسرتي . وسيقام لي مأتم رسمي . وقد تم إعداد كل شيء حتى في أدق التفاصيل . وستتلقى في غضون ربع ساعة نداء هاتفيـاً من مستشفى أولم يقول لك انني أصبت بانفجار في المخ وأنا في طريقي الى اجتماع هام ... »

وهذا ما وقع فعلاً ....

فقد ارتدى رومل البزة العسكرية التي كان يرتديها وهو يقود الفيلق الأفريقي بمعطفة الجلدي، وحمل عصا المشيرية، ثم استقل سيارة مع الفريقين، مضت بهم نحو ميل او ميلين في الطريق المحاذية للغابة، ثم خرج منها الفريق مايزل والسائق من رجال الحرس النازي، وتركا المشير مع الفريق بيرغدورف في مقعدها الخلفي وعندما عاد الرجلان الى السيارة بعد نحو من دقيقة كان رومل منكفأ على المقعد الخلفي وقد فارق الحياة. وكان بيرغدورف يذرع الطريق جيئة وذهاباً بفروغ صبر وكأنه يخشى ان يتأخر عن غدائه وعن الشراب الذي اعتاد تناوله عند الظهيرة. ولم تمض خمس عشرة دقيقة على وداعها للمشير، حتى كانت السيدة رومل تتلقى الرسالة الهاتفية المنتظرة من المستشفى. فلقد ذكر لها رئيس الاطباء ان فريقين جاءا الى المستشفى يحملان جثة المشير، الذي توفي من جراء انسداد الوريد في الدماغ، مما قد يعزى الى الكسور التي كان قد أصيب بها في رأسه. وكان بيرغدورف قد حظر بصرامة من تشريح الجثة قائلاً بلهجة عاصفة: « لا تلمسوا الجثة لقد تم اعداد كل شيء في برلين ».

وبالفعل تم اعداد كل شيء.

فلقد اصدر المشير مودل أمراً يومياً داوياً أعلن فيه وفاة رومل متأثراً «من الجراح التي أصيب بها في السابع عشر من تموز» معرباً عن الفجيعة «بوفاة واحد من أعظم القادة الذين أنجبتهم البلاد».

وبعث هتلر الى السيدة رومل بالبرقية التالية: « أرجو ان تقبلي مني أصدق تعازي بالخسارة الفادحة التي أصابتك من جراء وفاة زوجك. وسيظل اسم المشير رومل مقترناً الى الأبد بمعارك البطولة التي خاضها في أفريقيا الشمالية. »

وبعث غورنغ ببرقية « تعرب عن الأسى الصامت » وقال:

« ولا ريب في أن وفاة زوجك ميتة الأبطال نتيجة الجراح التي أصيب بها، بعد أن كنا جميعاً نأمل في بقائه ذخراً للشعب الألماني، قد أثارت مشاعري الى حد كبير ».

وأمر هتلر بإقامة مأتم رسمي القى فيه كبير ضباط الجيش الألماني المشير فون رونشتادت ، خطاب التأبين .. وقال المشير وهو يقف امام جثمان روميل الذي لف بعلم الصليب المعقوف : « لقد كان قلبه وقفاً على الفوهرر » [١]

ويقول سبيدل : « بـــدا الجندي العجوز (رونشتادت) لكل من حضر الاحتفـال ، رجلاً حائراً محطماً .. فلقد اتاح له القضـاء والقدر فرصة فريدة لتمثيل دور مارك انطونيوس . ولكنه حافظ على تبلده المعنوي » [٢]

* * *

---

١ ـ من الانصاف ان يقال هنا ان رونشتادت لم يكن يعرف على الغالب الظروف التي احاطت بموت روميل، ولم يدر بها الا من شهادة كايتل امام محكمة نورمبرغ بعد انتهاء الحرب. وقال رونشتادت في شهادته امام المحكمة : « لم أسمع بهذه الشائعات ، ولو عرفت الحقيقة لما رضيت بتمثيل الفوهرر في المأتم الرسمي ، اذ انمثل هذا الموقف يعتبر عارا لا يمكن وصفه» (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢١) ص ٤٧) . ومع ذلك فقد لاحظت اسرة روميل ان هذا السيد الذي يمت الى المدرسة القديمة ، رفض حضور مراسم احراق الجثة بعد انتهاء المأتم، كما رفض المجيء الى بيت روميل لاداء واجب العزاء الى ارملته كما فعل باقي القادة العسكريين.

٢ ـ لم يصب الفريق سبيدل نفسه على الرغم من حبسه في زنزانات سجن الغستابو في شارع الامير البرخت في برلين ، ومن تعرضه للاستجواب المستمر ، بأي انهيار او حيرة . ولعل ما يتميز به من ميول سياسية بالاضافة الى طبيعته العسكرية هي التي ساعدته على هـذا التماسك . ولقد تغلب في ذكائه على معذبيه من رجال الفرقة الخاصة ، ولم يتعرف بأي انسان ، وقدر له ان يمر بلحظة سيئة للغاية عندما واجهوه بالعقيد فون هوفاكر ، الذي يعتقد بأن سجانيه لم يكتفوا بتعذيبه بل خدروه ايضا ليحملوه على الكلام ، ولكنه في هذه المواجهة رفض الوشاية بالفريق منكرا ما سبق له ان اعترف به .

وظل سبيدل حبيس الغستابو سبعة شهور دون ان يقدم الى المحاكمة . وعندما اقتربت القوات الاميركية من المكان المعتقل فيه على مقربة من بحيرة كونستانس في جنوب المانيا ، فر من سجنه مع عشرين آخرين بطريق الحيلة ، ولجأوا الى منزل كاهن كاثوليكي أخفاهم في كنيسته حتى وصل الاميركيون . ويحذف سبيدل هذا الفصل في حياته من كتابه ، الذي يتميز بالموضوعية المطلقة ، والذي كتبه على لسان ضمير الغائب ، ولكنه روى القصة الى ديزموند يونغ الذي دونها في كتابه « روميل ـ ثعلب الصحراء » ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ . »

وانهى سبيدل حياته الغريبة باحتلال مركز قيادي مهم في منظمة حلف الاطلسي في أواخر عام ١٩٥٠ . (سبيدل ـ الغزو . ص ١٥٥ ، ص ١٧٢ .)

وكان الاذلال الذي لحق بفيلق الضباط المتعجرف في الجيش الألماني عظيماً للغاية . فلقد رأى ثلاثة من مشيريه المشهورين وهم ويتزليبين وكلوغه ورومل ، يقحمون في مؤامرة للاطاحة بسيد الحرب الاعلى ، مما ادى الى خنق احدهم وارغام الآخرين على الانتحار . وتحتم على هذا الفيلق ان يقف مكتوف اليدين وهو يشهد عشرات من أكبر قادته العسكريين يجرون الى سجون الغستابو ، ويقتلون قتلاً مشروعاً بعد محاكمات صورية تجري في محكمة الشعب . وعلى الرغم من هذه الاوضاع التي لا مثيل لها ، وعلى الرغم من تقاليد هذا الفيلق الكريمة والمتكبرة ، لم يوحد افراده صفوفهم . وقد حاول على النقيض من ذلك الحفاظ على « شرفه » بوسائل لا يمكن لأي مراقب اجنبي ان يصفها إلا بالانحطاط والتنكر للشرف . واكتفى قادته الخائفون المذعورون باظهار النفاق وتعفير وجوههم بالتراب ، أمام غضب العريف النمساوي السابق .

وليس غريباً ان يبدو المشيرفون رونشتادت انساناً محطماً وحائراً ، وهو يهمس بخطاب التأبين على جثمان رومل ، فلقد هوى كاخوانه الضباط الى درك خفيض ، أرغمهم هتلر فيه على ان يجرعوا كأس العلقم حتى الثمالة . وقد قبل رونشتادت نفسه منصب رئيس ما تدعى بمحكمة الشرف العسكرية التي خلقها هتلر ليطرد عن طريقها من الجيش جميع الضباط الذين يشك في اشتراكهم في المؤامرة عليه ، ليحرموا من حق المحاكمة امام المحاكم العسكرية، وليقدموا مسربلين بالخزي والعار كمدنيين عاديين الى محكمة الشعب التي تشبه الطبل في خوائها. ولم يكن من حق محكمة الشرف ان تسمح لضابط متهم بالدفاع عن نفسه أمامها ، وانما كانت تعمل على ضوء « الأدلة » التي يقدمها رجال الغستابو اليها. ولم يحتج رونشادت على هذه التقييد لصلاحياتها ، كما لم يحتج ايضاً عضواً آخر من اعضائها هو الفريق غودريان ، الذي كان قد عين بعد يوم واحد من وقوع الانفجار ، رئيساً لهيئة اركان حرب الجيش ، وان كان هذا القائد قد اعترف في مذكرته ، ان هذه المحكمة تؤلف «مهمة مزعجة» وان جلساتها كانت «باعثة على الحزن » وانها تثير « اعقد المشاكل المتعلقة بتبكيت الضمير » . ولا ريب

في انها كانت تثير هذه المشاكل المتعلقة بالضمير ، لان رونشتادت وغودريان وزملائهما من القضاة وكلهم من الفرقاء ، قد قدموا المئات من زملائهم الى الاعدام المؤكد بعد الحط من شأنهم بطردهم من الجيش .

وعمل غودريان اكثر من هذا فقد اصدر بوصفه رئيساً لهيئة اركان الحرب ، أمرين يوميين طنانين ، اكد فيهما لسيد الحرب النازي ولاء فيلق الضباط الثابت الذي لا يلحق به وهن . وقد صدر الأمر الأول في الثالث والعشرين من تموز متهماً المتآمرين بأنهم « قلة من الضباط ، وبعضهم من المتقاعدين ، وكلهم من الذين فقدوا جميع معاني الشجاعة ، واندفعوا يؤثرون بدافع الجبن والضعف طريق العار على الطريق الوحيد أمام الجندي الشريف ، وهو طريق الواجب والشرف . « وراح بعد ذلك يؤكد تأكيداً قاطعاً للفوهرر « وحدة الفرقاء وفيلق الضباط ورجال الجيش مع الفوهرر » .

وراح المشير المنبوذ فون براوختش نفسه يهرع في غضون ذلك ليصدر بياناً مطبوعاً يضمنه عبارات لاهبة في استنكار الانقلاب ، مؤكداً ولاءه من جديد للفوهرر ومرحباً بتعين هملر ، الذي يحتقر جميع الفرقاء وبينهم براوختش نفسه، قائداً لجيش الاحتياط. وهرع منبوذ آخر ، هو امير البحر الأكبر ريدر ، وقد خشي ان يشك على الأقل في عطفه على المتآمرين ، من عزلته التقاعدية الى راستنبرغ ليؤكد شخصياً لهتلر ولاءه . واصبحت التحية النازية اعتباراً من الرابع والعشرين إلزامية وحلت محل التحية العسكرية القديمة لتكون تعبيراً عن ولاء الجيش الذي لا يهين ولا يضعف للفوهرر،ورمزاً للوحدة الوثقى بين الجيش والحرب » .

ووجه غودريان في التاسع والعشرين من تموز انذاراً الى جميع ضباط اركان الحرب ، طالباً اليهم ان يكونوا منذ الآن قدوة في التمسك بالنازية والولاء والاخلاص للزعيم .. ثم قال :

« وعلى كل ضابط في أركان الحرب ان يكون قائداً للضباط في الاشتراكية الوطنية لاعن طريق سلوكه المثالي تجاه القضايا السياسية

فحسب ، بل وعن طريق التعاون تعاوناً نشيطاً في موضوع تثقيف القادة الشبان ثقافة سياسية تتفق مع مبادىء الفوهرر .

« وعلى المسؤولين عند اختيارهم ضباط اركان حربهم ان يحكموا على الضباط من ناحية فضائلهم في السلوك والروح وان يؤثروها على المؤهلات العقلية . فقد يكون الوغد على جانب كبير من الدهاء والذكاء ، ولكنه لن يكون اميناً في ساعة الحاجة لانه وغد زنيم .

« واني لأتوقع من كل ضابط اركان حرب يعلن تقبله فوراً لآرائي واعتناقه لها ، وان يعلن عن ذلك في بيان عام . وعلى كل من يتقاعس عن ذلك ان يطلب تنحيته من هيئة اركان الحرب . » [١]

ولا نعرف حتى الآن ، ان أياً من الضباط قد تقدم بمثل هذا الطلب .

وعلق مؤرخ عسكري الماني على هذين الأمرين بقوله : « في وسع المرء ان يحكم بعد الاستماع الى هذين الأمرين على ان قصة وجود هيئة أركان الحرب كوحدة مستقلة ، قد وصلت الى نهايتها . » [٢] فهذه الفئة المختارة التي انشأها شارنهورست وغنيزناو ، ثم انماها مولتكيه لتكون عمود الأمة ، فحكمت المانيا إبان الحرب الكونية الأولى ، وسيطرت على جمهورية ويمار ، وأرغمت حتى هتلر نفسه على القضاء على جيش العاصفة ، وعلى قتل قائده ، عندما حاول الوقوف في طريقها ، قد تحوّلت الآن وفي صيف عام ١٩٤٤ ، الى هيئة تثير الرثاء والاشفاق تضم رجالاً فزعين منافقين . ولم يبق فيها من يجرؤ على مقاومة هتلر أو حتى على توجيه النقد اليه . وهكذا قضي على الجيش الذي كان قوياً في يوم ما ان

---

١ ـ لا يشير غودريان في مذكراته التي اكثر فيها عن الحديث عن وقوفه امام هتلر وتوجيه النقد اللاذع اليه ، الى هذين الامرين مطلقا .

٢ ـ غوبر ليتز ـ تاريخ هيئة اركان الحرب الالمانية ص ٤٧٧ .

يهبط مع الرايخ الثالث كأية منظمة أخرى موجودة فيه ، وقد أصيب قادته بالحذر وفقدان الشعور والاحساس ، مفتقرين كل الافتقار الى الشجاعة التي أبدتها تلك الحفنة من المتآمرين وحدها ، في رفع اصواتها ، هذا اذا لم نعتبر انها قامت بأي شيء ، لوقف يد ذلك الرجل الواحد ، الذي أدرك الجميع الآن كل الادراك انه يقودهم ويقود الشعب الألماني بسرعة هائلة الى اعظم كارثة واهوالها لحقت بوطنهم المحبوب طيلة تاريخه الطويل .

وان المرء يدهش حقاً وهو يرى هذا الشلل يلحق بتفكير هؤلاء الناس الناضجين وارادتهم ، بعد ان نشأوا مسيحيين صالحين منضبطين افتراضاً على اسس الفضائل القديمة العريقة ، مفاخرين بقوانين الشرف التي نشأوا عليها ، بواسل لا يهابون الموت في ميادين الوغى ، لكن هذه الدهشة قد تزول ، اذا تذكر القارىء سير التاريخ الألماني الذي رسمناه في فصل سابق ، وهو التاريخ الذي يجعل من الطاعة العمياء للحكام المدنيين اعظم فضيلة يتمتع بها الرجل الألماني ، ويعتبر العبودية مغنماً ومكسباً . وكان الفرقاء يعرفون الآن شرور ذلك الرجل الذين يعفرون وجوههم في الرغام أمامه . ولقد تذكر غودريان فيما بعد ، هتلر على الصورة التي بات فيها بعد العشرين من تموز فقال :

« لقد تحولت القسوة في هذا الرجل الى شراسة ووحشية ، وانقلب الميل لديه في البلف الى مجرد كذب وبعد عن الشرف . وكثيراً ما بات يكذب دون تردد ، ويفترض ان الآخرين يبادلونه كذباً بكذب . ولم يعد يصدق احداً . ولقد كان من الصعب دائماً التعاون معه ، لكن هذا التعاون انقلب الآن الى عذاب اخذ ينمو مع الايام ومع الشهور . وكثيراً ما فقد في هذه الآونة قدرته على ضبط اعصابه ، وتحوّل حديثه الى عنف متزايد ، ولم يعد يلقى في الحلقة القريبة التي تحيط به ، من يردعه او يزجره او يؤثر عليه . » [١]

---

١ ــ غودريان ــ قائد فرق الصاعقة ص ٢٧٦ .

ومع ذلك ، كان هذا الرجل وحده ، نصف المجنون ، المتدهور في عقله وبدنه تدهوراً سريعاً ، هو الذي تمكن الآن ، كما في شتاء عام ١٩٤١ الثلجي أمــــام موسكو ، من تجميع جيوشه المتراجعة المحطمة ، وبعث روح جديدة في البلد المدكوك ليل نهار . وتمكن بما عرف عنه من عزيمة وتصميم لا يصدقان ، ويفتقر اليهما كل انسان سواه في المانيا ، في جيشها وحكومتها وبين شعبها ، من اطالة فواجع الحرب ، وحيداً دون نصرة احد ، سنة اخرى تقريباً .

ولم يكن فشل ثورة العشرين من تموز عام ١٩٤٤ ناشئاً عن التفاهــــة التي لا توصف عند نفر من اقدر الناس واكثرهم كفاية في الجيش والحياة المدنية ، ولا عن الضعف المفجع في شخصية فروم وكلوغه ، ولا بسبب ما أحاق بالمتآمرين من سوء طالع رافقهم في كل حركة من حركاتهم ، وانما نشأ عن ان كافة الرجال الذين كانوا يتولون ادارة هذه البلاد من قاد عسكريين ومدنيين ، ووراءهم جماهير الشعب الألماني في الجيش وخارجه ، لم يكونوا على استعداد للثورة بعد . ولم يكونوا يريدونها في الحقيقة على الرغم ممــا أحاق بهم من تعاسة ، وما يتراءى امامهم من اشباح الهزيمة والاحتلال الأجنبي . وكانوا لا يزالون يرون في الاشتراكية الوطنية ، على الرغم مما ألحقته بهم من حطة وهوان وما أنزلته ببلادهم وبأوروبا كلها من اذلال ، الشيء الذي يتقبلونه بل ويساعدونه ، ويرون في أدولف هتلر ، منقذ البلاد ومخلّصها . فقد كتب غودريان فيما بعد يقول :

« وكانت الحقيقة الصارخة الظاهرة في ذلك الحين والتي لا تقبل أي شك أو جدال ، هي ان الغالبية الكبرى من الشعب الألماني ، كانت لا تزال تؤمن بأودلف هتلر ، وان القاتل لو نجح في مهمته ، لأزال من المانيا الرجل الوحيد الذي كان لا يزال قادراً على الوصول بالحرب الى نهاية موفقة » [١]

ولقد ذكر الفريق بلومنتريت ، حتى بعد انتهاء الحرب ، وهو الرجل الذي كان على استعداد ، وان لم يشترك في المؤامرة ، لمساعدتها لو ان رئيسه كلوغه كان

١ ــ غودريان ــ قائد فرق الصاعقة ص ٢٧٣ .

من معدن أشد صلابة ، ان : « اكثر من نصف السكان المدنيين اصابهم الفزع من ان القادة العسكريين الألمان قد اشتركوا في محاولة الاطاحة بهتلر ، وأنهم أحسوا تبعاً لذلك بشعور من المرارة تجاههم ، وقد شاركهم شعورهم هذا رجال الجيش نفسه » [1]

فلقد تمكن هتلر بقوة مغناطيسية تتحدى الشرح والتفسير من غير الألمان على الأقل ، من الحفاظ على ولاء هذا الشعب البارز وثقته حتى النهاية . وكان لا بد لهذا الشعب والحالة هذه من ان يسير افراده وراءه دون وعي ، وكالقطعان البكم من الماشية مع ايمان ملموس ، وحتى مع حماس يرفعهم عن مصاف الحيوان ، الى الهاوية التي أنزلت الدمار ببلادهم وأمتهم .

---

١ ــ ليدل هارت ــ الفرقاء الالمان يتكلمون . ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

الكتاب السادس

سُقوط الرايخ الثالث

٣٠

احتلال المانيا

وصلت الحرب الى المانيا نفسها .

اذ لم يكد هتلر ينجو من الهزة التي اصابته في العشرين من تموز حتى بات يواجه خسارة فرنسا وبلجيكا ،والفتوحات الروسية الضخمة في الشرق وأخذت قوات العدو تطبق بأعدادها الهائلة على الرايخ نفسه .

ولم يحل منتصف شهر آب عام ١٩٤٤ ، حتى كان هجوم الصيف الروسي الذي بدأ في العاشر من حزيران واستمر في موجات متتابعة ، قد أوصل الجيش الأحمر الى حدود بروسيا الشرقية حاصراً نحو خمسين فرقة المانية في منطقة البلطيق ، وتوغل حتى فيبورج في فلندة ، وحطم مجموعة جيوش الوسط الألمانية ، وقدم خطوط الروس في هذه الجبهة مسافة اربعمائة ميل في غضون ستة أسابيع ليصل بها الى نهر الفستولا امام وارشو . بينما تمكن هجوم جديد شنه الروس في الجنوب في العشرين من آب من احتلال رومانيا قبل نهاية الشهر والسيطرة على حقول الزيت في بلويستي ، وهي المصدر الكبير الوحيد للزيت الطبيعي الذي يزود الجيوش الالمانية . وانسحبت بلغاريا في السادس والعشرين من آب رسمياً من الحرب ، وشرع الالمان ينسحبون بسرعة من تلك البلاد . وحذت فلندة حذوها ، وراحت تحارب القوات الألمانية التي رفضت الجلاء

عن اراضيها .

وتم في الغرب تحرير فرنسا بسرعة كبيرة . وقد وجد الامريكيون في الفريق باتون ، قائد الجيش الامريكي الثالث المؤلف حديثاً ، قائداً للدبابات لا يقل في جرأته وفطنته عن رومل في افريقيا . فبعد ان استولى على افرانش في الثلاثين من تموز خلـّف وراءه مقاطعة بريتاني ، تسكر على خمرها ، ومضى في زحف هائل ، يلتف حول جيوش الالمان في نورمانديا متجهاً جنوباً بشرق نحو اورليانز على نهر اللوار ، ومنها نحو الشرق باتجاه نهر السين الى الجنوب من باريس . ووصل الامريكيون الى نهر السين في الثلاثين من آب الى الشمال الغربي من العاصمة وجنوبها الشرقي ، ولم يمض يومان حتى تحررت المدينة العظيمة التي تمثل امجاد فرنسا بعد ان عانت اربع سنوات من الاحتلال الالماني ، إذ دخلت الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية التي يقودها الفريق جاك لكليرك وفرقة المشاة الامريكية الرابعة اليها ، لتجد قوات المقاومة الفرنسية وقد سيطرت عليها ، ووجدت ان جسور السين وبعضها تحف رائعة من أعمال فن البناء ، سليمة لم تمس [١] .

وشرعت بقايا الجيوش الالمانية في فرنسا الآن في حركة انسحاب كامل . وقطع مونتغومري ، قاهر رومل في شمال افريقيا ، والذي رقي الى رتبة المشير في الأول من ايلول ، بجيشه الكندي الأول وجيشه البريطاني الثاني ، مسافة

---

١ ـ يقول سبيدل ان هتلر اصدر امره في الثالث والعشرين من آب بتدمير جميع الجسور في باريس مع كافة المنشئات المهمة حتى « ولو تحطمت معها بعض الآثار الفنية » . وقد رفض سبيدل اطاعة الاوامر ، كما رفض اطاعته ايضا الفريق فون شولتيتز ، القائد الجديد لمنطقة باريس الكبرى ، الذي استسلم للحلفاء بعد عدة طلقات حافظ بها على شرفه العسكري . وقد حوكم شولتيتز بسبب ذلك غيابيا بتهمة الخيانة العظمى في نيسان عام ١٩٤٥ ، ولكن اصدقاءه من الضباط تمكنوا من تأجيل الاجراءات حتى انتهت الحرب دون ان يصدر الحكم . ويكشف سبيدل النقاب ايضا عن ان هتلر اصدر اوامره بعد سقوط باريس بتدميرها بنيران المدافع الثقيلة والقنابل الطائرة (ف ـ ١) ولكنه ـ اي سبيدل ـ رفض اطاعة هذا الامر ايضا . (سبيدل ـ الغزو . ص ١٤٣ ـ ١٤٥) .

مائتي ميل في أربعة ايام ، من مصب السين حتى بلجيكا عبوراً بمواقع المعارك التاريخية في حرب عام ١٩١٤ – ١٩١٨ . واحتل بروكسل في الثالث من ايلول وانتويرب في اليوم الذي تلاه . وكان هذا الزحف من السرعة بحيث لم يجد الالمان الوقت الكافي لتدمير مـــا في ميناء انتويرب من تجهيزات ومؤسسات . وكانت هذه الحقيقة ضربة من ضربات حسن الطالع اصابت الحلفاء في الصميم ، إذ قدر لهذا الميناء بعد تطهير مداخله ، ان يغدو قاعدة التموين الرئيسية للجيوش الانكليزية – الامريكية الزاحفة .

والى الجنوب من القوات البريطانية – الكندية ، زحف الجيش الأمريكي الأول بقيادة الفريق كورتني . هـ. هودجز بسرعة مماثلة الى الجنوب الشرقي من بلجيكا فوصل نهر الموز الذي شهد بدايةالاختراق الالماني الرهيب لجبهةالحلفاء في ايار عام ١٩٤٠ ، واحتل قلعتي نامور وليبج اللتين لم يجد الالمان الوقت لتنظيم الدفاع عنهما . والى الجنوب البعيد من ذلك ، احتل جيش الفريق باتون الثالث مدينة فردان واحاط بميتز ووصل الى نهر الموزيل ، حيث اتصل عنـــد فتحة بلفورت بالجيش الفرنسي – الأمريكي السابع الذي كان قد نزل بقيادة الفريق اليكساندر باتش على ساحل الريفييرا في جنـــوب فرنسا في الخامس عشر من آب ، واندفع بسرعة مع مسيل نهر الرون .

ولم تحل نهاية شهر آب ، حتى كانت الجيوش الالمانية في الغرب قد خسرت نصف مليون رجل ، نصفهم من الأسرى ، وجميع دباباتها ومدافعها وسيارات شحنها تقريباً . ولم تبق هناك قوات تستطيع الدفاع عن ارض الوطن . وكان خط سيغفريد الذي طالما طبلت الدعاية الالمانية له وزمّرت ، قد بات بلا رجال ولا مدافــع للدفاع عنه . واعتقد معظم القادة العسكريين الألمان في الغرب ان النهاية قد جاءت . ويقول سبيدل انه لم يبق هناك « أية قوات أرضية بله جوية في الميدان [1] » . وقال رونشتادت الذي أعيد في الرابع من ايلول قائداً عاماً في

١ – سبيدل – الغزو – ص ١٤٧ .

الغرب ، لمحققي الحلفاء بعد انتهاء الحرب ، ان « الحرب بالنسبة الي ، انتهت في شهر ايلول [1] » .

لكن الحرب لم تنته عند ادولف هتلر . فلقد حاضر عـدداً من فرقائه في اليوم الاخير من آب في مقر قيادته محاولاً ان يبعث في عروقهم عزيمة جديدة ، وان يدفع الى نفوسهم شيئاً من الأمل فقال :

« سنحارب اذا اضطررنا على نهر الراين . فهـذا لا يهم . وسنواصل هذه المعركة في جميع الظروف حتى يكل ، كما قال فريدريك الكبير ، أحد أعدائنـا الملاعين ، ويشعر بعجزه عن مواصلة القتال . وسنحارب الى ان نصل الى صلح يضمن الحيـاة لأمتنا الألمانية لخمسين أو مـائة سنة قادمة ، ولا يلطخ شرفنا أو كرامتنا مرة ثانية كما حدث في عام ١٩١٨ . واني لأحيا الآن لأقود هذا الصراع ،لأنني أدرك ، انه ما لم تتوافر الارادة الفولاذية ، فليس في وسعنا ان نكسب هذه المعركة » .

وبعد ان سلخ جلود اعضـاء هيئة أركان الحرب لافتقارهم الى الارادة الفولاذية ، حسر هتلر النقـاب الى فرقائه عن بعض الاسباب التي تدعوه الى الاصرار على هذه الآمال العنيدة .

« وسيحين الوقت الذي تشتد فيه الخلافات بين الحلفاء الى الحد الذي يؤدي الى القطيعة بينهم . فلقد علمنـا التاريخ ان جميع الأحلاف في التاريخ قد تفسخت ان آجلاً وان عاجلاً . وكل مـا نحتاج اليه هو التريث للوصول الى اللحظة المواتية مهما كان في هذا التريث من قسوة ومشقة [2] » .

---

١ ــ استجواب وزارة الحرب البريطانية ، اقتبسه شولمان في كتابه « الهزيمة في الغرب.» ص ٢٠٦ .

٢ ــ مؤتمرات هتلر السرية في ٣١ آب ١٩٤٤ نقلها فيلكس جيلبرت في كتابه « هتلر يوجه حربة » ص ١٠٦ .

وعهد الفوهرر الى غوبلز بمهمة تنظيم « التعبئة الجماعية » ، بينما مضى هملر ، الرئيس الجديد لجيش الاحتياط ، الى العمل ،لحشد خمس وعشرين فرقة من فرق « الرماة الشعبية » للدفـاع في الغرب . ولكن موارد البلاد كانت بعيدة عن التنظيم « الجماعي » على الرغم من جميـع الخطط ومن الحديث الكثير في المانيا النازية على « الحرب الجماعية » فلقد واصلت المانيا طيلة الحرب انتاج سلع المدنيين باصرار من هتلر على نطاق واسع يثير الدهشة ، رغبة منه كما يبدو في الحفاظ على معنوية الشعب . وكان قد أبطل السير في تنفيذ المشاريـع الـتي سبقت الحرب لتعبئة النساء للعمل في المصانـع . ولقد رد على سبير في آذار عام ١٩٤٣ ، عندما أراد هذا تجنيد النساء في الصناعة قائلاً : « ان التضحية بأكثر عقائدنا قداسة وحباً ، ثمن باهظ [١] » فالعقيدة النازية تقول ان البيت هو المكان الطبيعي للمرأة لا المصنـع ، وعلى هذا يجب ان تظل في البيت . ففي السنوات الأربـع الاولى من الحرب ، كان هناك نحو من مليونين وربـع المليون من النساء في بريطانيا العظمى يعملن في الانتاج الحربي ، بينما لم يزد عددهن في المانيا على (١٨٢) ألفاً . وظل عدد خادمات البيوت في ألمانيا طيلة الحرب مماثلاً لما كان عليه قبل نشوبها وهو مليون ونصف المليون [٢] .

أما الآن ، وقد أصبح العدو على الابواب ، فقد اضطر القـادة النازيون الى اليقظة . واستدعي الفتيان بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة والكهول بـين الخمسين والستين ، الى الخدمة العسكرية . وتم تمشيط الجامعات والمدارس الثانوية والمكاتب والمصانـع بحثاً عن الجنود . وتم العثور في أيلول وتشرين الاول عـام ١٩٤٤ على نصف مليون رجل ، لتجنيدهم في الجيش . ولكن القيادة النازية لم تقم بأي إجراء للاستعاضة بالنساء عمن يؤخذون من المصانـع والمكاتب ، ممـا اضطر ألبرت سبير وزير التسلح والانتاج الحربي الى الاحتجاج لدى هتلر ، بأن تجنيد العمال الفنيين أخذ يؤثر تأثيراً خطيراً على انتاج الأسلحة .

---

١ ـ مؤتمرات هتلر السرية ١٣ آذار ١٩٤٣ .

٢ ـ نشرة «القصف الامريكي الاستراتيجي» ـ التقرير الاقتصادي ، الملحق ـ جدول(١٥)

ومنذ ايام نابوليون ، لم يجد الجنود الألمـان أنفسهم مضطرين الى حماية تربة وطنهم المقدسة . فطيلة الحروب التي خاضتها بروسيا أولاً او المانيا ثانيـاً منذ تلك الأيام ،كان الجنود الالمان يقاتلون فوق أراضي الشعوب الاخرى ويخربونها . وسرعان ما انهالت على الجنود المجهدين ، زخات من بيانات الحض والحث ..

« يا جنود الجبهة الغربية !

انتظر منكم ان تدافعوا حتى النهاية عن تربة المانيا المقدسة ...

عاش الفوهرر !

فون رونشتادت

المشير »

« يا جنود مجموعة الجيوش !

لن يتنازل أي منا وهو حي عن شبر واحد من التربـة الألمانية ... وكل من يتراجع دون ان يقاتل .. خائن لشعبه ...

« أيها الجنود ! ان وطننا وحياة نسائنا وأطفالنا في خطر ...

« والفوهرر وجميع أحبائنا والعزيزين علينا ... يثقون في جنودهم !

« لتعش المانيتنا ، وليعش فوهررنا المحبوب .

مودل ..

المشير ».

ومع ذلك ، بلـغ عدد الهاربين من الجيش يتزايد مع انهيار السقف ، واتخذ هملر اجراءات جذرية صارمة لوقف هذا التطور ... وراح في العاشر من ايلول يصدر الاعلان التالي :

« يبدو ان بعض العناصر غـير الموثوقة ، تعتقد ان الحرب

ستنتهي بالنسبة اليهم حالما تستسلم الى العدو ..

« ولكن كل فار من الحرب .. سيجد عقابه العادل .يضاف الى هذا ان سلوكهم المعيب سيؤدي الى إلحاق اقسى النتائج بافراد عائلاتهم » .

ووجَّه عقيد يدعى هوفمان – شونفورن من ضباط فرقة الرماة الثامنة عشرة الى وحدته النداء التالي :

« لقد فر بعض الخونة من صفوفنا الى العدو .. وقد باح هؤلاء الأوغاد للعدو ببعض الأسرار الحربية المهمة .. ويزعجكم الدجالون المخادعون اليهود بنشراتهم ويحاولون اغراءكم للتحول الى أوغاد ايضاً . ولكن دعوهم ينفثون سمومهم . أما بالنسبة الى الخونة الحقيرين الذين نسوا شرفهم وتخلوا عنه فإن عائلاتهم ستكفر عن خياناتهم » .

وحدثت في شهر ايلول التطورات التي اعتبرها القادة العسكريون المتشككون، معجزة من المعجزات . وقد وصفها سبيدل بأنها « صورة المانية من معجزة المارن عند الفرنسيين في عام ١٩١٤ . فقد اضطر زحف الحلفاء العنيف الى التوقف » .

أما السبب في توقفه فقد ظل موضع نقاش وجدال بين قادة الحلفاء من ايزنهاور مما دون حتى يومنا هذا . أما بالنسبة الى القادة العسكريين الالمان فقد كان شيئاً لا يفهم مطلقاً . وكانت الوحدات الامريكية قد وصلت في الاسبوع الثاني من شهر ايلول الى الحدود الالمانية امام آخن وعلى نهر الموزيل . وأضحت المانيا مشرعة الابواب امام الحلفاء . وكان مونتغومري قد حث ايزنهاور في شهر ايلول ، على تخصيص كل ما يتوفر لديه من قوات احتياطية وتموينات للجيوش البريطانية والكندية والجيشين الامريكيين التاسع والأول للقيام بهجوم جريء في الشمال تحت قيادته يتوغل بسرعة نحو الروهر ، لحرمان الالمان من ترسانات

تسلحهم الرئيسية ولفتح الطريق الى برلين لإنهاء الحرب . ولكن ايزنهاور رفض الاقتراح [١] . اذ أراد التقدم الى الراين على « جبهة واسعة » .

ولكن جيوشه باتت في حاجة الى التموين . فكل طن من الغازولين أو العتاد كان ينقل الى شواطىء نورمانديا او عن طريق ميناء شربورغ الوحيد لتنقله الشاحنات بعد ذلك مسافة ثلاثمائة ميل او اربعمائة الى الجبهة الأمامية الزاحفة. واضطرت هذه الجيوش الى التوقف في الاسبوع الثاني من ايلول متجمدة في أماكنها بسبب افتقارها الى المؤن . وشرعت تواجه كذلك مقاومة المانية غير متوقعة . وقد تمكن رونشتادت في منتصف ايلول ، عن طريق تركيز ما توافر له من قوات قليلة في نقطتين هامتين من وقف جيش باتون الثالث على نهر الموزل وقفاً مؤقتاً ، وجيش هودج الأول أمام مدينة آخن .

ووافق ايزنهاور اخيراً امام إلحاح مونتغومري وضغطه ، على خطة جريئة تقضي بإقامة رأس جسر على الراين الأسفل في ارنهيم والحصول بذلك على موقع يستطيع فيه الحلفاء الالتفاف حول سيغفريد من الشمال وكان الهدف يبعد كثيراً عن حلم مونتغومري في التقدم نحو الروهر ومنه الى برلين ، ولكنه يضمن قاعدة سوقية هامة لمحاولة لاحقة. وبدأ الهجوم الذي قادته حركة انزال ضخمة من الجو لفرقتين امريكيتين تحملها الطائرات وفرقة بريطانية ثالثة ، جاء جنودها جميعاً من قواعد في بريطانيا في السابع عشر من ايلول ، ولكن رداءة الطقس، وهبوط القوات الحليفة وسط فرقتين مدرعتين من فرق الحرس النازي كان الحلفاء يجهلون وجودهما هناك. وكذلك الافتقار الى القوات البرية اللازمة للاندفاع من الجنوب، كلها عوامل أدت الى الفشل ، واضطر الحلفاء الى الانسحاب من ارنهيم بعد قتال وحشي دام عشرة ايام . وقد ضاعت الفرقة البريطانية الاولى المحمولة في الجو

---

١ ـ كتب ايزنهاور في مذكراته (حملة صليبية في اوروبا ص ٣٠٥) يقول : « انني على ثقة من ان المشير مونتغومري سيقر على ضوء ما وقع من احداث لاحقة ، بأن وجهة نظره كانت خاطئة » . ولكن هذا القول كان بعيدا عن الحقيقة كما يعرف كل من قرأ مذكرات مونتغومري.

والتي أنزلت على مقربة من المدينة ، ولم يبق من مجموع رجالها البالغ عددهم تسعة آلاف رجل إلا نحو من ٢١٦٣ رجلاً فقط . وكانت هذه النكسة بالنسبة الى ايزنهاور « دليلاً واضحاً على ان معارك مريرة ما زالت أمامه [١] » .

ولكنه لم يكن يتوقع مطلقاً ان يستعيد الألمان قواهم الى الحد الذي يمكنه من شن المفاجأة المذهلة التي انفجرت في الجبهة الغربية عندما اقترب عيد الميلاد مع مجيء الشتاء .

مقامرة هتلر الاخيرة اليائسة

استدعي مساء الثاني عشر من كانون الاول عام ١٩٤٤ ، جمع من الفرقاء الالمان هم كبار قادة الميدان في الجبهة الغربية الى مقر قيادة رونشتادت ، حيث انتزعت منهم مسدساتهم وحقائب ايديهم ، ثم جمعوا في سيارة باص ، سارت بهم نحو نصف ساعة في جنح الظلام في الريف الذي تغطيه الثلوج ليضلوا طريقهم ، ثم انزلتهم عند مدخل قبو دوثروي تبين انه مقر قيادة الفوهرر في زيغينبرغ القريبة من فرانكفورت . وهناك عرف هؤلاء القادة ما كانت تعرفه حفنة من كبار ضباط الاركان وقادة الجيش منذ اكثر من شهر ، وهو ان الفوهرر يعتزم ان يشن في غضون اربعة ايام هجوماً هائلاً في الغرب .

وكانت الفكرة قد تسلطت عليه منذ اواسط شهر ايلول ، عندما أرغمت جيوش ايزنهاور على التوقف عند الحدود الالمانية الى الغرب من نهر الراين . وعلى الرغم من ان الجيوش الامريكية التاسع والاول والثالث قد حاولت استئناف الهجوم في شهر تشرين الاول ،هادفة الى شق طريقها ببطء نحو الراين ، كما قال ايزنهاور ، إلا ان تقدمها كان شاقاً وبطيئاً . واستسلمت آخن ، عاصمة الاباطرة السابقين ، ومقر شارلمان ، الى الجيش الاول في الرابع والعشرين من تشرين الاول بعد معركة مريرة ، فكانت اول مدينة المانية تسقط في ايدي

---

١ ــ ايزنهاور ــ حملة صليبية في اوروبا . ص ٣١٢ .

الحلفاء ، ولكن الامريكيين ظلوا عاجزين عن خرق الجبهة الالمانية ، والوصول الى الراين. ومع ذلك ظلوا هم والبريطان والكنديون الى الشمال يجهدون المدافعين المتضاعفين بمعارك « التآكل » ، التي تستنزف قواهم . وادرك هتلر ان بقاءه في حالة الدفاع لا يعني الا مجرد تأجيل ساعه الحساب . وتولّدت في عقله المحموم فكرة جريئة وواسعة الخيـــال ، وهي ان يستعيد زمام المبادرة فيوجه ضربة تفصل بين الجيشين الامريكيين الثالث والاول ، ويتوغل الى انتويرب فيحرم ايزنهاور من ميناء تموينه الرئيسي ، ويدحرج امامه الجيوش البريطانية والكندية على الحدود البلجيكية ـ الهولندية ملتفاً حولها . وخيل اليه ان مثل هذا الهجوم سيحقق بالاضافة الى الهزيمة الساحقة التي ينزلها بالجيوش الانكليزية ـ الامريكية ، تحرير المانيا من الخطر على حدودها الغربية ، مما يمكنه من ان يستدير نحو الروس الذين توقفوا على الرغم من تقدمهم في البلقان على نهر الفستولا وفي بروسيا الشرقية منذ تشرين الاول . وقرر ان يواجه الهجوم بسرعة عبر منطقة الاردين حيث حقق في عام ١٩٤٠ بداية اختراقه الضخم ، وحيث تبيّن للمخابرات الالمـــانية ان الدفاع عنها ضعيف ، تتولاه أربع فرق امريكية ضعيفة من فرق المشاة .

حقاً لقد كانت خطة في منتهى الجرأة . واعتقد هتلر ان تنفيذها سيباغت الحلفاء حتماً ، فيتمكن من التغلب عليهم قبل ان تتاح لهم الفرصة ليفيقوا من هولها [1] . لكن هناك نقطة ضعف واحدة . فالجيش الالماني الآن اضعف بكثير

---

١ ـ واضيف الى الخطة شيء من الزينة والزخرف من بنات خيال هتلر ، اطلق عليه اسم « عملية غريف » . وقد عهد بادارة هذه العملية الى اوتوسكورزيني الذي اتبع عمليته الجريئة باختطاف موسوليني بعمليات مدهشة اخرى منها وقفته الجريئة في برلين ليلة العشرين من تموز عام ١٩٤٤ ، واختطافه امير البحر هورتي الوصي على عرش المجر ، من بودابست في تشرين الاول عام ١٩٤٤ ، عندما حاول الاخير الاستسلام للروس الزاحفين . وكانت مهمة سكورزيني الجديدة تنظيم لواء خاص يضم الفي جندي الماني من الناطقين بالانكليزية ، والباسهم ملابس عسكرية امريكية والتسلل بهم في دبابات وسيارات جيب امريكية من التي استولى عليها الالمان سابقا الى ما وراء الخطوط الامريكية لقطع اسلاك المواصلات وقتل ناقلي الرسائل ، وتوجيه المرور توجيها خاطئا ونشر الاضطراب والفوضى . وتقرر ان تتسلل وحدات صغيرة اخرى الى جسور نهر الموز ومحاولة الاحتفاظ بها سليمة حتى تصل اليها الوحدات الالمانية المدرعة الرئيسية .

مما كان عليه في عام ١٩٤٠ ولا سيما في الجو ، كما انه يواجه الآن عدواً اقوى عدداً وأشد تسليحاً . ولم يضع الفرقاء الالمان وقتاً بل شرعوا يلفتون نظر الفوهرر الى هذه النقطة .

وروى رونشتادت فيما بعد ما حدث فقال : « عندما تلقيت هذه الخطة في مطلع شهر تشرين الثاني ، أصبت بالذهول . ان هتلر لم يكلف نفسه حتى عناء استشارتي .. وكان من الواضح لدي ان القوات المتوافرة لدينا ، أقل بكثير مما تحتاجه هذه الخطـــة المتناهية في الطموح » . وأدرك رونشتادت ومودل ، عبث المناقشة مع هتلر ، ولكنهما قررا ان يقترحا له خطة بديلة قد ترضي اصرار سيد الحرب على القيام بهجوم ، وتكون في الوقت نفسه محدودة في خرق النتوء الامريكي حول آخن [1] . ولمـــا كان القائد العام في الغرب يائساً من تحويل الفوهرر عن رأيه ، فقد رفض الذهاب الى برلين لحضور مؤتمر عسكري عقد فيها في الثـــاني من كانون الاول ، وأوفد نيابة عنه رئيس اركان حربه الفريق بلومنتريت . ولكن بلومنتريت والمشـــير مودل والفريق هاسو فون مانتوفل والفريق في الحرس النـــازي سيت ديتريش ـ وقد تقرر ان يقود الاخيران جيشين مدرعين ضخمين للقيام بعملية الاختراق ـ قد فشلوا إبان الاجتماع الذي شهدوه في حمل الفوهرر على العدول عن تصميمه . فلقد كان طيلة الخريف الذي انقضى يقدح زناد المانيـــا للقيام بهذه المقامرة اليائسة الاخيرة . وتمكن من ان يجمع في شهر تشرين الثاني نحواً من (١٥٠٠) دبابة جديدة أو أعيد بناؤها ، وعدداً كبيراً من مدافع الهجوم ، ثم جمع في كانون الاول الفاً أخرى . وحشد ثماني وعشرين فرقة بينها تسع مدرعة للقيام بعملية الاختراق في الاردين ، وست فرق اخرى للقيام بهجوم في الالزاس يتلو الهجوم الرئيسي. ووعد غورنغ بتزويد الجبهة بثلاثة آلاف طائرة مقاتلة .

كانت قوة كبيرة ، ولكنها اضعف بكثير من تلك التي كانت تحت تصرف

---

١ ـ من اقوال رونشتادت لليدل هارت كتاب « الفرقاء الالمان يتكلمون » ص ٢٢٩ .

مجموعة جيوش رونشتادت على نفس الجبهة في عام ١٩٤٠ . لكن تجميعها عنى حرمان القوات الالمانية في الشرق من النجدات التي كان قادتها يؤمنون بضرورتها المطلقة لصد هجوم الشتاء الروسي المنتظر في شهر كانون الثاني . وعندما احتج غودريان رئيس هيئـــة اركان الحرب ، وهو المسؤول عن الجبهة الشرقية على ذلك ، رد عليه هتلر بمحاضرة قاسية :

« انا لا احتاج الى تعليمك . فلقد قدت الجيش الالماني في الميدان خمس سنوات ، وقد أتيحت لي من التجارب العملية في هذه الفترة ، ما لا يأمل في الوصول اليـــه أي سيد من سادات هيئة الاركان العامة . ولقد درست كلوزيويتز ومولتكيه [١] ، كما قرأت جميع أوراق شليفين [٢] . ولهذا فالصورة أوضح لدي منها اليك » .

وعندما احتج غودريان بأن الروس على وشك البدء بهجوم بقوات طاغية ، راوياً أرقاماً عن الحشود السوفياتية . صرخ به هتلر قائلاً : « انها أعظم بلفة منذ أيام جنكيزخان ! ترى من المسؤول عن تقديم كل هذه السخافات اليك ؟ [٣] » .

ووجد الفرقاء الذين اجتمعوا في مقر قيادة الفوهرر في زيغينبرغ عشية الثاني عشر من كانون الاول بعد ان تخلصوا من محافظهم ومسدساتهم سيد الحرب النازي ، وقد غدا كمـــا وصفه مانتوفل فيما بعد « شخصاً محدودب الهامة ، ذا وجه شاحب منتفخ ، مقعٍ على مقعده ، ويداه ترتجفان وذراعه الأيسر يتعرض الى تشنجات عنيفة كان يحاول جاهداً اخفاءها . انه رجل مريض ... وعندما كان يمشي كان يجر ساقه اليسرى وراءه [٤] » .

لكن روحه المعنوية ظلت على مـــا كانت عليه دائماً من اتقاد ووميض .

---

١ ـ ٢ ـ الاولان من كبار القادة العسكريين الالمان وذوي الدراسات العسكرية . امـا الثاني فواضع الخطة المشهورة باسمه عن الهجوم في الغرب ـ المعرب ـ .

٣ ـ غودريان ـ قائد الدبابات ـ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ و ص ٣١٠ .

٤ ـ مانتوفل في كتاب فريدين وريشاردسون « القرارات القدرية » ص ٢٦٦ .

وتوقع الفرقاء ان يحدثهم باختصار عن صورة الهجوم العسكرية الشاملة ، ولكن سيد الحرب النازي ، شرع يلقي عليهم عوضاً عن ذلك خطاباً تاريخياً وسياسياً شاملاً ... اذ قال :

« لم يحدث قط في التاريـخ ان تحالف ضدنا مثل هذا العدد من الاعداء الذين يضمون عناصر متباينة الاشكال وغير متجانسة ، ومتضاربة في أهدافها. فهم يجمعون بين الدول المغرقة في الرأسمالية من ناحية وتلك المتطرفة في الماركسية من الناحية الاخرى .وهناك امبراطورية استعمارية تحتضر من ناحية وهي بريطانيا . ومستعمرة تجري وراء ارثها وهي الولايات المتحدة ...

« وقد مضى كل فريق الى هذا الائتلاف وهو يأمل في تحقيق اهدافه السياسية ... فأمريكا تحاول ان ترث انكلترا ، وروسيا تسعى الى الفوز بالبلقان ، وانكلترا تجاهد للحفاظ على ممتلكاتها في البحر المتوسط .. وحتى في هذه اللحظة بدأت المشاحنات تظهر بين هذه الدول ، وفي وسع كل من يقبع كالعنكبوت وسط نسيجه ، يرقب التطورات ان يلحظ كيف ان هذه الخلافات تشتد وتنمو ، ساعة بعد اخرى .

« واذا تمكنا الآن من توجيه بعض الضربات الاخرى ، فإن هذه الجبهة المشتركة التي تدعمها أسس زائفة مصطنعة قد تنهـــار فجأة محدثة دوياً هائلاً يشبه هزيم الرعد ، شريطة شيء واحد ، وهو ان لا تبدي المانيا من جانبها أي ضعف أبداً .

« ومن الضروري ان نحرم العدو من ثقته بالنصر . فالحروب لا تقرر إلا اذا أدرك هذا الجانب أو ذاك ، ان الفوز فيهـــا أمر مستحيل ...

وعلينا ان لا نسمح بمرور لحظة واحده ، دون ان نظهر للعدو ،

انه مهما فعل،فلن يستطيع الركون الى استسلامنا. أبداً أبداً [1]».

وتفرق الفرقاء وكلمات الفوهرر المثيرة تدوي في آذانهم ، ولم يصدق أحد منهم ، كما رووا فيما بعد على الاقل ، ان ضربة الاردين قد تنجح ، وان ظلوا عازمين على تنفيذ اوامره الى اقصى ما لديهم من قدرة وطاقة .

وبالفعل نفذوا هذه الأوامر . وكانت ليلة الخامس عشر من كانون الاول قاتمة وثلجية ، وخيم ضباب كثيف على التلال الوعرة المغطاة بالثلوج التي تؤلف غابة الاردين عندما تقدم الالمان الى مواقعهم الهجومية على جبهة تمتد سبعين ميلاً ، بين مونشو الى الجنوب من آخن واخترناخ الى الشمال الغربي من ترير . وتوقع خبراء الارصاد الجوية عندهم ، ان الطقس سيظل على هذه الحالة أياماً عدة ، كان من المقدر فيها ان تظل قوات الحلفاء الجوية على الارض عاجزة عن العمل ، وان تنجو ارتال التموين الالمانية من جحيم نورمانديا . وظل الطقس مواتياً لهتلر خمسة ايام ، وتمكن الالمان وقد باغتوا القيادة العليا للحلفاء تمام المباغتة من تسجيل عدة اختراقات بعد التسلسل المبدئي الذي حققوه في السادس عشر من كانون الاول .

وعندما وصلت جماعة المانية مدرعة الى ستافيلوت ليلة السابع عشر من كانون الاول ، أضحت على بعد لا يزيد على الثمانية أميال من مقر قيادة الجيش الامريكي الاول في سبا ، التي تم اخلاؤها بسرعة. ولعل ما هو اهم من هذا انها لا تبعد اكثر من ميل عن مستودع تموين امريكي ضخم يضم ثلاثة ملايين صفيحة من الغازولين . ولو تمكن الالمان من الاستيلاء على هذا المستودع ، لبات في مكنة فرقهم المدرعة التي كانت تضطر الى الابطاء في سيرها بسبب البطء في وصول الغازولين اليها ، نظراً لافتقارهم افتقاراً شديداً الى هذه المادة الهامة ، ان تغذ السير بسرعة أكبر ، وان تتقدم مسافات أبعد من تلك التي قطعتها . وتمكن لواء اسكورزني المدرع الخمسون ، وقد ارتدى رجاله الملابس العسكرية

---

١ ـ مؤتمرات الفوهرر السرية ـ ١٢ كانون الاول ١٩٤٤ .

الامريكية ، وقادوا الدبابات والشاحنات والسيارات الامريكية الصنع من قطع مسافات أبعد وانسلت حمولة اربعين سيارة جيب ، عبر الجبهة ، المحطمة ، فوصل بعضها الى نهر الموز [١] .

ومع ذلك فقد أدت المقاومة العنيدة المؤقتة التي ابدتها وحدات متفرقة من الجيش الامريكي الاول ، بعد اجتياح الفرقة الضعيفة الاربع في الاردين الى ابطاء الزحف الالماني ، كما ان الصمود على الكتفين الشمالي والجنوبي للاختراق في مونشا وباستون ، قد أدى الى وضع قوات هتلر في نتوء ضيق . وقد قرر الدفاع الامريكي في باستون مصير هذه القوات .

وكانت نقطة تقاطع الطرق هذه ، هي مفتاح الدفاع عن الاردين وعن نهر الموز وراءها . اذ لو امكن الحفاظ عليها بقوة لأغلقت الطرق الرئيسية أمام اندفاع جيش مانتوفل المدرع الخامس الزاحف الى نهر الموز عند دينانت ، ولاستبقت قوات المانية ضخمة كان من الممكن الافادة منها في الاندفاع الى الامام . ووصلت رؤوس رماح مانتوفل المدرعة في صباح الثامن عشر من كانون

---

١ ـ أخذ ضابط الماني يحمل عدة نسخ من « عملية غريف » اسيرا في السادس عشر من كانون الاول ، وبذلك عرف الامريكيون ما اعده الالمان لهم . ولكن هذا الادراك ، لم يكبح كما يبدو جماح الاضطراب الاولي الذي نشره رجال سكورزني ، الذي ارتدى بعضهم زي الشرطة العسكرية الامريكية واتخذوا مواقف لهم عند نقاط تقاطع الطرق ليوجهوا حركة المرور العسكرية الامريكية واتخذوا مواقف لهم عند نقاط تقاطع الطرق ليوجهوا حركة المرور العسكرية الامريكية توجيها مضللا . ولم يحل ايضا دون تصديق ضابط مخابرات الجيش الامريكي الاول من تصديق الاكاذيب التي اوردها عدد من الاسرى الالمان الذين يرتدون الملابس الامريكية والتي ذكرت بأن عددا من حمقى سكورزني هم في طريقهم الآن الى باريس لاغتيال ايزنهاور . وظل رجال الشرطة العسكرية الامريكية لمدة ايام يوقفون الوف الجنود الامريكيين على طريق باريس ويطلبوا اليهم اقامة الدليل على جنسيتهم بالاجابة على اسئلة تتعلق بمن فاز في المباريات الامريكية وما هي عاصمة الولاية التي جاءوا منها ، على الرغم من ان بعضهم كان لا يعرف الرد الصحيح او لا لمكره . وقد اعدم عدد من الالمان الذين اسروا وهم في الملابس الامريكية فورا ، او قدموا الى محاكم عسكرية ثم اعدموا بعد ادانتهم . وقد حوكم سكورزني نفسه امام محكمة امريكية في داخاو في عام ١٩٤٧ ، ولكنها برات ساحته . وانتقل بعد ذلك الى اسبانيا وامريكا الجنوبية حيث اقام هناك عملا ناجحا في تجارة الاسمنت ثم شرع في اعداد مذكراته .

الاول ، الى بعد خمسة عشر ميلاً من المدينة التي كانت القوات الامريكية الوحيدة فيها بمجموعة تنتمي الى ضباط أركان حرب من مقر قيادة الفيلق ، وقد باتت على استعداد للجلاء عنها . ولكن صدرت الأوامر ليلة السابع عشر الى الفرقة المحمولة من الجو (١٠١) ، وكانت تنظم من جديد في ريمز ، بالتقدم باقصى سرعة ممكنة الى باستون التي تبعد عنها مائة ميل . وتمكنت الفرقة وشاحناتها تتقدمها طيلة الليل مضيئة الطريق بأنوارها من الوصول الى البلدة في غضون اربع وعشرين ساعة فسبقت الالمان اليها . لقد كان السباق حاسماً ، وقد خسره الالمان . وعلى الرغم من تطويقهم باستون إلا انهم وجدوا صعوبة في حمل فرقهم على الالتفاف حولها لتجديد زحفهم نحو نهر الموز . واضطروا بالاضافة الى ذلك الى إبقاء قوات قوية وراءهم لحراسة نقطة تقاطع الطرق ولمحاولة الاستيلاء عليها .

وبعث الفريق هنريخ فون لويتويتز قائد الفيلق الالماني المدرع السابع والاربعين مذكرة خطية في الثاني والعشرين من كانون الاول الى الفريق ا. س. ماكوليف قائد الفرقة المحمولة من الجو (١٠١) يطلب فيها تسليم باستون . وقد رد بكلمة واحدة سرعان ما غدت مشهورة شهرة عالمية اذ قال له وهو يعني بها ، « لن تنجح في ذلك حتى ولو ساعدتك جميع الظروف » .

وحلت نقطة التحول الواضحة في مقامرة هتلر في الاردين اليوم الذي سبق عيد الميلاد . فقد وصل فوج استطلاع من الفرقة الالمانية المدرعة الثانية الى التلال التي تبعد ثلاثة اميال الى الشرق من الموز عند ديننانت ، في اليوم السابق ، وانتظرت هناك وصول الوقود لدباباتها وبعض النجدات قبل ان تشرع في الانحدار باتجاه النهر . ولكن الوقود لم تصل ، كما لم تصل الدبابات ابداً . وفجأة اندفعت الفرقة الامريكية المدرعة الثانية مهاجمة من الشمال . وكانت بعض فرق جيش « باتون » الثالث قد بدأت في التحرك من الجنوب هادفة انقاذ باستون . وكتب مانتوفل فيما بعد يقول : « وفي مساء الرابع

والعشرين اتضح اننا قد وصلنا الى الحد الاعلى من عمليتنا . وادركنا الآن اننا لن نستطيع الوصول الى هدفنا » . واصبح الضغط على الجناحين الشمالي والجنوبي من النتوء الألماني الضيق والعميق كبيراً الى حدٍ لا يطاق . وصفا الجو اخيراً قبل يومين من حلول عيد الميلاد ، وشرعت القوات الانكليزية – الامريكية الجوية في أعمال ضخمة بدأتها بهجمات كبيرة على خطوط تموين الألمان وعلى قواتهم ودباباتهم التي تتحرك في الطرق الجبلية الوعرة . وقام الألمان بمحاولة يائسة اخرى لاحتلال باستون . فقد شنوا طيلة يوم عيد الميلاد سلسلة من الهجمات ، ابتداءً من الساعة الثالثة صباحاً ، ولكن مدافعي ماكوليف صمدوا في أماكنهم وتمكنت قوة مدرعة من جيش باتون الثالث في اليوم التالي من اختراق الحصار والوصول الى البلدة لنجدتها . وباتت القضية الآن بالنسبة الى الألمان موضوع انقاذ قواتهم من الرواق الضيق ، قبل ان يعزلوا ويبادوا .

ولكن هتلر لم يشأ ان يصغي الى أية فكرة بالانسحاب . وعقد مساء الثامن والعشرين من كانون الاول ، مؤتمراً عسكرياً شاملاً . وبدلاً من ان يستمع الى نصيحة رونشتادت ومانتوفل بسحب القوات الالمانية من النتوء في الوقت المناسب ، أمر باستئناف الهجوم ، واقتحام باستون وتجدد الاندفاع الى نهر الموز . وامر بالاضافة الى ذلك بشن هجوم جديد فوراً الى الجنوب من الالزاس ، حيث ضعف الخط الامريكي بسبب ارسال عدة فرق من جيش باتون الى الشمال نحو الاردين . وظل يصم اذنيه عن احتجاجات الفرقاء ، بأنهم يفتقرون الى القوات الكافية لاستمرار الهجوم في الاردين وللهجوم في الالزاس . وقال :

« اسمعوا ايها السادة .. لقد صرفت في هذا العمل احد عشر عاماً .. ولم اسمع في يوم ما من احدكم ان كل شيء معد تماماً .. فأنتم دائماً لستم على استعداد . وهذا واضح لي . »

ومضى يتحدث ويتحدث .[1] ولا ريب في انه اتضح للفرقاء قبل ان ينتهي من حديثه بأمد طويل ، ان قائدهم الأعلى ، قد غدا في عمى عن الواقع ، وانه أضاع نفسه وسط الغيوم .. اذ مضى يقول :

« والمشكلة الآن هي .. هل لدى المانيا العزيمة على البقاء في الوجود ، أو هل سنسمح بأن يلحقها الدمار .. ان خسارة هذه الحرب ستؤدي حتماً الى دمار الشعب الألماني .

وتلا ذلك بحث طويل عن تاريخ رومه وعن تاريخ بروسيا في حرب السبع سنوات .

وعاد أخيراً بافكاره الى مشكلة الساعة الراهنة . وعلى الرغم من اعترافه بأن هجوم الاردين لم يؤد « الى النجاح الحاسم الذي كان متوقعاً منه » ، إلا انه زعم بأنه أدى « الى تحول للوضع كله بصورة لم يكن يصدق انسان احتمال وقوعها قبل اسبوعين » . ثم قال :

« وقد اضطر العدو الى التخلي عن جميع الخطط التي وضعها للهجوم .. كما أجبر على القذف بواحدة كان الجهد قد اخذ منها كل مأخذ . وقد ارتبكت خططه العملية ارتباكاً كاملاً ، واصبح يتعرض لحملة عنيفة من الانتقادات في بلاده . ولا ريب في ان هذه الفترة سيئة له من الناحية النفسية كل السوء . وقد اضطر الى الاعتراف بأن ليس ثمة أمل من تقرير الحرب قبل شهر آب بل وربما قبل نهاية العام القادم .. »

ولكن هل كانت الحملة الاخيرة اعترافاً منه بالهزيمة النهائية ؟ سرعان ما

---

١ ـ استمر هتلر في الحديث عدة ساعات ، هذا اذا قدرنا الوقت على ضوء السجل المختزل لهذا المؤتمر الذي ظل سليما . وهو يؤلف القسم السابع والعشرين من مؤتمرات الفوهرر . ويقدم لنا جيلبرت النص الكامل في كتابه « هتلر يوجه حربه » ص ١٥٨ ـ ١٧٤ .

راح هتلر يحاول اصلاح مثل هذا الانطباع :

« واني لاسارع في ان اضيف ايها السادة .. بأن عليكم أن لا تستخلصوا من هذا انني اتصور ضياع هذه الحرب حتى بعد هذا الموعد البعيد .. انني لم أعرف قط في حياتي عبارة « الاستسلام ». وليس الموقف بجديد علي اليوم . فلقد مررت بأوضاع اسوأ من هذا الوضع بكثير . ولكنني قلت ما قلت ، لانني أريد منكم ان تفهموا لماذا اتابع هدفي بمثل هذا التعصب ، ولماذا لا يمكن لأي أمر ان يجهدني أو يتعبني . وطالما انني لا اتأثر بالقلق، ولا تهزني المتاعب من ناحية صحية ، فلن يكون هناك أي تبديل في قراري مواصلة الحرب الى ان ينقلب الميزان راجحاً الى صالحنا . »

وراح بعد ذلك يناشد الفرقاء بأن يؤيدوا الهجمات الجديدة بكل ما لديهم من حماس ملتهب وقال :

« وسنحطم آنذاك الامريكيين تحطيماً كلياً .. وسنرى بعد ذلك ما يقع . وانا لا اعتقد أن باستطاعة العدو على المدى البعيد ان يقاوم خمساً وأربعين فرقة المانية . أجل سنسيطر على القضاء والقدر ! »

ولكن فات الأوان . فقد اضحت المانيا مفتقرة الى القوة العسكرية اللازمة لتحقيق وعوده .

وقذف هتلر يوم رأس السنة الجديدة بثماني فرق المانية في هجوم جديد في منطقة السار وأتبعه باندفاع من رأس الجسر عند الراين الأعلى بجيش تولى قيادته هنريخ هملر ، مما أثار سخط القادة العسكريين وهزءهم. ولم يحقق أي من الهجومين تقدماً بعيداً . كما لم يحقق ذلك هجوم شامل على باستون بدأ في الثالث من كانون الثاني وشنه فيلقان يضمان نحواً من تسع فرق مما أدى الى نشوب قِتال هو أقسى ما وقع في حملة الأردين كلها. ويئس الالمان في الخامس من كانون الثاني من احتلال

هذه المدينة المفتاحية المهمة . وأصبحوا يواجهون الآن خطر الانعزال من هجوم بريطاني – امريكي مضاد من الشمال ، بدأ في الثالث من كانون الثاني . وتلقى مودل أخيراً في الثامن من كانون الثاني اذناً بالسماح له بالانسحاب بعد أن غدت جيوشه في خطر الوقوع في الطوق عند هوفاليز ، الواقعة الى الشمال الشرقي من باستون . ولم يحل السادس عشر من كانون الثاني اي بعد شهر من بدء الهجوم الذي قامر فيه هتلر بآخر ما لديه من قوات احتياطية من الرجال والمدافع والعتاد حتى كانت القوات الالمانية قد عادت الى الخط التي كانت قد شرعت منه بالهجوم .

وقد خسر الالمان في هذا الهجوم نحواً من مائة وعشرين الف رجل بين قتيل وجريح ومفقود وستمائة دبابة ومدفع ميدان وألفاً وستمائة طائرة وستة آلاف سيارة وكانت خسارة الأمريكيين بالغة أيضاً ، اذ فقدوا ثمانية آلاف قتيل و (٤٨) الف جريح و (٢١) الف اسير أو مفقود و (٧٣٣) دبابة ومدمرة دبابات . [١] ولكن كان باستطاعة الامريكيين الاستعاضة عن خسائرهم بينما كان

---

١ – كان بين القتلى الامريكيين عدد من الاسرى الذين قتلوا عن عمد واصرار على أيدي جماعة العقيد جوشين بيبر المقاتلة من فرقة الحرس النازي المدرعة الاولى على مقربة من ماليدي في السابع عشر من كانون الاول . ويؤكد الدليل الذي قدم في محاكمات نورمبرغ ان (١٢٩) أسيرا امريكيا قد ذبحوا ، ثم ما لبث هذا الرقم ان هبط الى (٧١) في المحاكمات التي تلت لضباط الحرس النازي المتهمين بالمذبحة . وقد وقعت خاتمة غريبة لهذه المحاكمة التي جرت أمام محكمة عسكرية في داخاو في ربيع عام ١٩٤٦ ، فقد حكم على (٤٣) ضابطا من ضباط الحرس النازي بينهم بيبر بالاعدام وعلى ثلاثة وعشرين بالسجن مدى الحياة وثمانية آخرين بالسجن لفترات أقصر . وحكم على سيب ديتريش قائد جيش الحرس النازي المدرع السادس الذي قاتل في الطرف الشمالي من النتوء بالسجن خمسة وعشرين عاما ، وعلى كريمر قائد الفيلق المدرع الاول من الحرس النازي بالسجن عشر سنوات وعلى هيرمان بريس قائد فرقة الحرس المدرعة الاولى بالسجن ثمانية عشر عاما .

وسرعان ما انطلقت صرخة عاتية في مجلس الشيوخ الامريكي ولا سيما من الشيخ المتوفي ما كارثي ، الذي ادعى ان ضباط الحرس النازي قد عوملوا معاملة وحشية لارغامهم على الاعتراف . وخفضت احكام الموت على واحد وثلاثين في اذار عام ١٩٤٨ وخفض الفريق لوشيوس د. كلي . احكام الاعدام على ستة من الباقين الاثني عشر ، وعاد جون ماكلوي المندوب السامي

هذا متعذراً على الالمان . أجل لقد أطلقوا آخر ما في جعبتهم من سهام . وكان هذا آخر هجوم كبير قام به الجيش الالمـاني في الحرب الكونية الثانية . وأدى فشله الى تحتيم الهزيمة في الغرب من ناحية والى تقرير مصير الجيوش الالمانية في الشرق من ناحية أخرى ، حيث أحس هتلر بتأثير قذفه بآخر ما لديه من قوات احتياطية في الاردين بسرعة هائلة .

وكان هتلر جد متفائل في حديثه عن الجبهة الشرقية إبان المحاضرة التي ألقاها على « فرقائه » العامين في الغرب بعد ثلاثة أيام من عيـد الميلاد ، اذ على الرغم من ضياع البلقان فقد صمدت الجيوش الالمانية صموداً عظيماً في نهر الفستولا في بولندة وبروسيا الشرقية منذ شهر تشرين الاول ... وقد قال هتلر :

« ومن سوء حظنا اننا اضطررنا بفضل خيانة حلفائنا الاعزاء الى التراجع بصورة تدريجية ... ومع كل هذا كان في وسعنا ان نحافظ على مواقعنا في الجبهة الشرقية بصورة عامة ... »

ولكن حتامَ يطول هذا الحفـــاظ ؟ ففي عشية عيد الميلاد طوّق الروس مدينة بودابست ، وراح غودريان ، صبيحة العام الجديد يتوسل عبثـاً الى هتلر لإرسال النجدات لمواجهة الخطر الروسي في المجر ، ولرد الهجوم السيوفـاتي في بولندة ، الذي توقع القائد شروعه في منتصف كانون الثاني .. ومضى غودريان يقول :

« واشرت للفوهرر ان العمل في منطقة الروهر قد شلّ بسبب الغارات التي يقوم بها الحلفاء الغربيون عليها .. وقلت من الناحية

= الامريكي فخفض الاحكام الستة الباقية بموجب عفو عام في كانون الثاني عام ١٩٥١ الى السجن مدى الحياة . وقد اطلق سراحهم جميعا قبل كتابة هذا المؤلف ، ونسي الناس في غمرة الضجة التي وقعت حول المعاملة السيئة التي لقيها رجال الحرس النازي ، الدليل الذي لا يدحض ، على أن نحوا من واحد وسبعين أسيرا امريكيا اعزل من السلاح قد ذبحوا عن عمد وتقصد في حقل تغمره الثلوج قرب ماليدي في السابع عشر من كانون الاول عام ١٩٤٤ بأمر او بتحريض من عدد من ضباط الحرس النازي .

الأخرى ، ان في وسع المنطقة الصناعية في سيليزيا العليا ان تواصل العمل بجد ، لا سيما وان قلب صناعة التسلح الألمانية كان قد انتقل الى الشرق ، وان ضياع سيليزيا العليا سيؤدي الى هزيمتنا في غضون بضعة اسابيع . ولكن جميع حججي لم تنفع مع الفوهرر . وشعرت بخيبة الأمل ، وقضيت عشية ميلاد كئيبة ومفجعة في هذه النواحي التي لا تحمل طابعاً مسيحياً . »

ولكن غودريان عاد الى مقر قيادة هتلر للمرة الثالثة في التاسع من كانون الثاني. وقد استصحب معه رئيس مخابراته في الشرق الفريق غيهلين الذي حاول ان يشرح عن طريق الخرائط والرسوم للفوهرر الوضع الشاذ للألمان عشية توقع استئناف الهجوم الروسي في الشمال .. ويقول غودريان :

« وفقد هتلر اعصابه تماماً ، معلناً ان هذه الخرائط والرسوم « حمقاء تماماً » ، وامرني ان اودع الرجل الذي أعدها في مستشفى للمجاذيب .. وفقدت هنا السيطرة على اعصابي وقلت : « اذا كنت تريدني ان ابعث بالفريق غيهلين الى مستشفى المجاذيب ، فمن الخير ان تبعث بي ايضاً الى هذا المكان » .

وعندما قال هتلر ان الجبهة الشرقية «لم تحظ قط بمثل هذه القوة الاحتياطية المتوافرة فيها الآن » رد غودريان بأن « الجبهة الشرقية اشبه ما تكون ببيت من الورق » . فاذا ما تحطمت واجهته ولو من نقطة واحدة فإن بقية البيت ستنهار حتماً . [١]

وهذا ما وقع بالفعل حقاً . ففي الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٥ ، اندفعت مجموعة الجيوش الروسية التي يقودها الفريق كونيف من رأس جسرها في بارانوف في اعالي الفستولا الى الجنوب من وارشو وتقدمت الى سيليزيا ، وعبرت جيوش جوكوف الى الشمال نهر الفستولا من نقطتين تقع أحدهما الى

---

١ ـ غودريان ـ قائد الدبابات ص ٣١٥ .

الشمال والثانية الى الجنوب من وارشو التي سقطت في يد الروس في السابع عشر من كانون الثاني . واجتاح جيشان روسيان الى الشمال ايضاً نصف بروسيا الشرقية زاحفين نحو خليج دانزيغ .

وكان هذا الهجوم هو اعظم ما قام به الروس من هجمات في الحرب . فقد قذف ستالين بنحو من مائة وثمانين فرقة ،الكثير منها مدرع مما يبعث على الدهشة ، في منطقتي بولندة وبروسيا الشرقية وحدهما . ولم يكن هناك عند الألمان ما يستطيع منع تقدمها .

ويقول غودريان : « وفي السابع والعشرين من كانون الثاني ـ أي بعد خمسين يوماً فقط من بدء الزحف ـ بدت موجة المد الروسي أمامنا وكأنها تؤلف كارثة ضخمة » [1] وكانت البروسيتان ، الشرقية والغربية قد قطعتا في هذا التاريخ عن الرايخ . وعبر جوكوف في نفس اليوم نهر الأودر على مقربة من برلين بعد زحف طال (٢٢٠) ميلاً في غضون اسبوعين فوصل التربة الألمانية على بعد مائة ميل فقط من برلين . ولعل ما هو أكثر فجيعة للألمان من كل شيء ، ان الروس قد اجتاحوا ايضاً منطقة سيليزيا الصناعية .

وقدم البرت سبير المسؤول عن انتاج السلاح مذكرة الى هتلر في الثلاثين من كانون الثاني ، وهي الذكرى السنوية الثانية عشرة لتولي الفوهرر الحكم ، مشيراً الى اهمية خسارة سيليزيا ، استهلها بقوله : « لقد خسرنا الحرب » ، ثم راح بطريقته الهادئة والموضوعية يفسّر الأسباب التي دعته الى الوصول الى هذه النتيجة : كانت مناجم الفحم في سيليزيا تزود المانيا منذ بدء القصف الجوي الهائل لمنطقة الروهر . بستين في المائة من مجموع حاجاتها . ولم يبق عند المانيا الآن إلا ما يكفي اسبوعين فقط لادارة قاطراتها ، ومحطات توليد القوى الكهربائية والمصانع فيها . واضاف سبير ان كل ما يستطيع تقديمه منذ الآن ، بعد ضياع سيليزيا ، هو ربع ما كانت تنتجه ألمانيا من الفحم في عام ١٩٤٤.

---

١ ـ غودريان ـ قائد الدبابات ص ٣٣٤ .

وسدس انتاجها من الفولاذ .[١] ولا ريب ان هذا يعني وقوع الكارثة في عام ١٩٤٥ .

ويروي غودريان ان الفرهرر القى نظرة خاطفة على تقرير سبير ، ثم قرأ الجملة الأولى وأمر بايداعها الملف في خزانته الحديدية. ورفض ان يقابل سبير وحيداً وقال لغودريان :

« انا ارفض ان اقابل احداً على انفراد منذ اليوم .. فهو يحمل انباء غير سارة يريد ان ينقلها الي ، وانا اعجز من ان احتمل هذه الأنباء »[٢]

وعندما عبرت قوات جوكوف نهر الأودر على بعد مائة ميل من برلين بعد ظهر السابع والعشرين من كانون الثاني ، وقع رد فعل طريف في مقر قيادة هتلر الذي انتقل الآن الى دار المستشارية في العاصمة حيث قدر له ان يظل فيها حتى النهاية . وكان عودريان اليائس قد زار ريبنتروب في الخامس والعشرين من كانون الثاني وحثه على محاولة الوصول الى هدنة في الغرب حتى تتمكن المانيا من تركيز كل ما تبقى من جيوشها في الشرق ضد الروس . ونقل وزير الخارجية هذا الطلب الى الفوهرر فوراً ، فما كان من هذا إلا ان عنّف رئيس اركان حربه تعنيفاً شديداً متهماً اياه « بالخيانة العظمى » .

ولم يمض يومان حتى كان هتلر وغورنغ ويودل ، تحت وطأة الكارثة التي حلت في الشرق، قد أضحوا في حالة اعتقدوا معها انه لم تعد ثمة حاجة الى طلب الهدنة في الغرب . فلقد كانوا على ثقة من ان الحلفاء الغربيين سيهرعون اليهم خوفاً من الانتصارات البلشفية . وقد حفظ لنا شطر من وقائع مؤتمر الفوهرر في السابع والعشرين من الشهر ، صورة عن هذا الموقف ..

---

١ - من البرت سبير الى هتلر في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٥ ، محاكمات كبار مجرمي الحرب (٤١) .

٢ - غودريان - قائد الدبابات - ص ٣٣٦ .

« هتلر – هل تعتقدون ان الانكليز يقابلون بحماس جميع هذه التطورات الروسية ؟

« غورنغ – طبعاً لم يكن من خطتهم ، ان نحول نحن بينهم وبين التقدم في الوقت الذي يحتل فيه الروس المانيا بأسرها .. ولم يكن في حسابهم ان نصمد نحن لهم كالمجانين في الوقت الذي يتوغل فيه الروس أعمق فأعمق في المانيا الى ان يحتلوا المانيا كلها ..

« يودل – لا شك في انهم كانوا ينظرون دائماً الى الروس بعين الشك .

« غورنغ – اذا استمر الوضع على هذا النحو فسنتلقى منهم – اي من الانكليز – برقية في غضون بضعة ايام » [1]

وهكذا أخذ الرايخ الثالث يركز آماله الأخيرة على مثل هذا الخيط الواهي . وقدر لمهندسي الحلف النازي – السوفياتي ضد الغرب من الألمان ، ان يصلوا في النهاية الى نقطة لا يستطيعون فيها ان يفهموا لم تقاعست بريطانيا وامريكا عن لاشتراك معهم في صد الغزاة الروس .

انهيار الجيوش الألمانية

وحلت نهاية الرايخ الثالث بسرعة في ربيع عام ١٩٤٥ وبدأت آلام النزاع الاخير في شهر آذار . اذ لم يحل شهر شباط ، حتى كان انتاج الفحم قد هبط الى خمس ما كان عليه في العام الفائت بسبب ضياع سيليزيا العليا وتحوّل الروهر الى انقاض. ولم يكن في الامكان نقل هذا الجزء الضئيل ايضاً من مكان الى آخر

---

١ – مؤتمر هتلر بتاريخ السابع والعشرين من كانون الثاني وقد أورده فيليكس جيلبرت في الصفحات ١١١ – ١١٢ من كتابه « هتلر بوجه حربه » .

بسبب تعطل السكك الحديدية ، ووسائط النقل المائي من جراء الغارات الجوية . واصبحت ازمة الفحم تسيطر على مؤتمرات هتلر والأحاديث التي تدور فيهـا ، وأخذ دونيتز يشكو من اصطراره الى وقف عـدد من قطعه البحرية عن العمل بسبب افتقـارها الى الوقود ، فيرد عليه سبير بهدوء واناة بأن محطات القوة الكهربائية ومصانـع السلاح تعاني نفس الوضـع لنفس السبب . وادت خسارة حقول الزيت في روما والمجر ، وقصف مراكز انتاج الزيت الصناعي في المانيا ، الى قيام ازمة حادة في وقود الطائرات ، مما أرغم عدداً كبيراً من المقاتلات التي تحتاج ألمانيا اليها أشد الحاجة ، على البقاء على الأرض ، وتدميرها في مطاراتهـا بقنابل طائرات الحلفاء المغيرة. واضطرت عدة فرق مدرعة الى التوقف، بسبب الافتقار الى الوقود اللازم لدباباتها .

وخابت الآمال اخيراً في « الاسلحة السرية » الموعودة ، التي ظلت ردحـاً طويلاً تداعب خيال جماهير الشعب الألماني والجنود بالاضافة الى عدد من الفرقاء الأقوياء الشكيمة كغودريان مثلاً . وضاعت قواعد اطلاق القنابل الطـائرة (ف ١) والصواريخ الموجهة (ف ٢) التي تستهدف بريطانيا ، عندما احتلت قوات ايزنهاور السواحل الفرنسيه والبلجيكية ، وان ظل بعض هذه القواعد في هولندة . وقد وجه اكثر من ثمانية آلاف قنبلة طائرة وصاروخ ضـد انتويرب وغيرها من الأهداف العسكرية إثر وصول الجيوش الانكلو ـ امريكيـة الى حدود الرايخ ، ولكن الاضرار التي أحدثتها كانت تافهة لا تكاد تذكر .

وكان هتلر وغوبلز قد اعتمدا على الطائرات المقاتلة النفاثة الجـديدة ، وعلى قدرتها على طرد طائرات الحلفاء من الأجواء.وكان في وسعها حقاً ان تفعل ذلك اذ ان الألمان قد افلحوا في انتاج اكثر من ألف طائرة منها ، لولا ان الطيـارين الانكليز والامريكيين ، الذين افتقروا الى هذا الطراز من الطائرات ، اتخذوا اجراءات مضادة ناجحة . فالطائرات التقليدية الحليفة لا تستطيع مواجهـة النفاثات الألمانية في السماء ، ولذا على الطيارين ان لا يسمحوا لها بالارتفاع عن

الارض ، وعليهم ايضاً ان يواصلوا قصف مصافي الزيت التي تنتج الوقود الخاص لهذه الطائرات وان تدمرها ، وكان في وسع طياري الحلفاء ان يميزوا مراكز هذه الطائرات من مدرجاتها غير العادية وان يحطموها وهي على الارض .

وكان أمير البحر الاكبر دونيتز قد وعد الفوهرر بأن تؤمن الغواصات الالكترونية (الكهربية) الجديدة معجزة في الحرب البحرية وان تلحق الدمار من جديد بشرايين الحياة البريطانية والامريكية في شمال الاطلسي . ولكن عندما حل منتصف شهر شباط ، لم تكن قد انزلت الى البحر إلا غواصتان من مجموع (١٢٦) غواصة كان قد تقرر بناؤها .

أما بالنسبة الى مشروع انتاج «القنبلة الذرية» ، الذي سبّب للندن وواشنطن الكثير من القلق ، فلم يحقق الالمان كبير تقدم فيه بسبب افتقار هتلر الى الاهتمام به من ناحية ، وبسبب ما دأب عليه هملر من اجراء في اعتقال علماء الذرة لاشتباهه في ولائهم ، أو لرغبته في دفعهم الى العمل في مجالات اخرى من مجالات تجاربه « العلمية » الحمقاء والحقيرة ، التي اعتبرها اكثر اهمية . وكانت الحكومتان الامريكية والبريطانية قد علمتا قبل نهاية عام ١٩٤٤ ، ان الالمان لن يتمكنوا من انتاج القنبلة الذرية في هذه الحرب ، وأدت معرفتها هذه الى ازاحة هم ثقيل كان يسيطر عليها . [١]

وبدأت جيوش ايزنهاور ، وكانت تعد الآن خمساً وثمانين فرقة في الثامن من شباط تطبق على حوض الراين . وكانت قد توقعت ان يكتفي الألمان بخوض معارك «اعاقية» ليس إلا ، وان يحتفظوا بما لديهم من قوات لينسحبوا بها الى ما وراء هذا الحاجز المائي المنيع ، الذي يؤلفه نهر عريض سريع الجريان .

---

١ ـ تعتبر قصة وصول هذا النبأ الى الحكومتين المذكورتين على جانب كبير من الطرافة ولكنها في الوقت نفسه قصة طويلة لا استطيع سردها هنا . وقد رواها الاستاذ صموئيل غودسميث في كتابه « ألسوس » وهو الاسم الرمزي الذي اطلق على البعثة العلمية الامريكية التي تولى هو رئاستها ، والتي سارت في اعقاب جيوش ايزنهاور في غرب اوروبا .

وكان هذا هو رأي رونشتادت بالفعل . ولكن هتلر لم يستمع الآن ، كما لم يستمع في الماضي ، طيلة سنوات هزائمه ، الى أية نصيحة بالانسحاب . وراح يقول لرونشتادت ان هذا الانسحاب لا يعني أكثر من مجرد « نقل الكارثة من مكان الى آخر » . وهكذا صمدت الجيوش الألمانية بإصرار من هتلر ، وقاتلت بضراوة ، ولكن أمد صمودها لم يطل . اذ لم تحل نهاية الشهر حتى كانت الجيوش البريطانية والأمريكية قد وصلت نهر الراين في عدة نقاط الى الشمال من دوسلدورف وبعد اسبوعين باتت تسيطر سيطرة قوية على الضفة الشرقية من نهر موزيل الى الشمال . وكان الالمان قد خسروا (٣٥٠) الف رجل قتلوا أو جرحوا أو اسروا ، اذ ان عدد الأسرى وحدهم بلغ (٢٩٣) الفاً ، كما اضاعوا معظم ما عندهم من سلاح وعتاد .

وانتابت هتلر موجة من الغضب العاتي ، فأقال رونشتادت من منصبه للمرة الاخيرة في العاشر من آذار ، مستعيضاً عنه بالمشير كيسلرنغ الذي صمد طويلا وبعناد واصرار في ايطاليا . وفكر الفوهرر في سورة من سورات غضبه في شهر شباط بإلغاء ميثاق جنيف ، ليظهر للعدو كما قال في مؤتمره الذي عقده في التاسع عشر من الشهر المذكور « ان المانيا عازمة على القتال دفاعاً عن وجودها بكل ما تحت تصرفها من وسائل » . وقد حثه على اتخاذ هذه الخطوة الدكتور غوبلز ، الانسان غير المحارب المتعطش للدماء ، والذي أشار عليه بقتل كل من تقع عليهم أيدي الألمان من طياري الحلفاء فوراً ، كعمل ثأري ، للغارات المريعة التي يقومون بها على المدن الالمانية . وعندما حاول بعض الضباط الموجودين اثارة بعض الاعتراضات القانونية ، رد هتلر بغضب قائلاً :

« اذهبوا الى الجحيم مع اعتراضاتكم .. فإذا كنت سأوضح انني لن اكترث بعد اليوم بأوضاع الأسرى ، وانني سأعاملهم دون الاهتمام بحقوقهم او اكتراث بما قد يلجأون اليه من انتقام ، فإن عدد الذين يفرون من الخدمة العسكرية من رجالنا سيقل ، اذ ان هؤلاء

سيفكرون مرتين قبل اتخاذ هذه الخطوة . »[1]

وكانت هذه الأقوال ، الاشارة الأولى لاتباع هتلر ، بأن الفوهرر وقد أحس بفشل رسالته كفاتح للعالم، بات مصمماً على ان يمضي عن هذه الدنيا، كما مضى عنها ووطان في والهالا[2] ، في طوفان من الدماء ، لا دماء أعــداءه فحسب بل ودماء شعبه ايضاً ، وعندما اشرف النقاش على نهايته راح يطلب الى امير البحر دونيتز «ان يدرس ما في هذه الخطوة من منافع واضرار وان يقدم اليه تقريره في اسرع وقت ممكن » .

وقد عاد دونيتز يحمل رده في اليوم التالي ، وكان صورة معبّرة عن طراز هذا الرجل :

« ستكون المساوىء ارجح كفة من الفوائد ، ولهــذا فمن الافضل بأي حال من الاحوال ، الحفاظ على المظاهر الخارجية ، والمضي في الاجراءات التي نعتــبرها ضرورية ، دون الاعلان عنها سلفاً »[3] .

ووافق هتلر برماً على هذه الخطة ، وعلى الرغم من عدم وقــوع مذابح عامة ، كما رأينا من قبل بالنسبة الى الطيارين الاسرى أو غيرهم ، باستثنــاء الروس فإن عدداً من هؤلاء قد قتل ، وقد استثير الشعب ليقتــل ملاحي

---

١ ــ مؤتمر هتلر ، لا يحمل تاريخا وان كان المعتقد انه في التاسع عشر من شباط اذ ان امير البحر دونيتز سجله في سجلاته بهذا التاريخ . (مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٥) ص ٤٩ وجيلبرت ــ هتلر يوجه حربه ص ١٧٩) .

٢ ــ قصة مأخوذة من الاساطير النوردية (الشمالية) ، ويمثل ووطان رئيس آلهة القبائل النوردية وقد اشتهر بالحكمة من ناحية ، وبالميل الى القتل والدم ولكن في صفوف اعدائه ليس الا . وكان ووطان كما تقول هذه الاساطير ، هو الذي استولى على انكلترا وضمها الى ممتلكاته. اما والهالا فهي القاعة التي كان يجلس فيها ووطان لاستقبال ارواح القتلى الابطال ، ويمضي هؤلاء في كل يوم للحرب ثم يعودون عند الغسق ليقيموا الاحتفال للآلهة والعذارى بزعامة ووطان.

٣ ــ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية . (١٩٤٥) ص ٥٠ ــ ٥١ .

طائرات الحلفاء ، عندما يضطرون الى الهبوط بالمظلات على الارض . وقد قتل قائد فرنسي اسير هو الفريق ميزتي بأمر من هتلر نفسه ، كما مات عدد كبير من اسرى الحلفاء عندما ارغموا على المشي مسافات طويلة دون غذاء أو ماء ، على طرق تصليها الطائرات البريطانية والامريكية والروسية بوابل نيرانها ، وذلك لابعادهم الى داخل البلاد والحيلولة دون تحريرهم على ايدي جيوش الحلفاء الزاحفة .

وكان هناك ما يبرر قلق هتلر من موضوع حمل الجنود الالمان مرتين « على التفكير قبل ان يفروا من الجيش » فقد بلغ عدد الفارين او اولئك الذين يستسلمون بسرعة امام الزحف الامريكي البريطاني حداً مذهلاً للغاية واصدر كايتل في الثاني عشر من شباط أمراً باسم الفوهرر ، قال فيه ان كل جندي « يحصل على اجازة بطريق الخداع ، أو يسافر بأوراق زائفة مزورة ، سيعاقب بالموت » . واصدر الفريق بلاسكوفتز قائد مجموعة الجيوش « ه » في الغرب في الخامس من آذار الامر التالي :

« سيحاكم على وجه الاستعجال ويعدم كل جندي يعثر عليه بعيداً عن وحدته .. وكل من يدعي انه ضال شارد يبحث عن الوحدة التي ينتمي اليها » .

وأدلى هملر في الثاني عشر من نيسان بدلوه بين الدلاء اذ اصدر أمراً يعلن ان كل قائد يفشل في الاحتفاظ ببلدة او بمركز مهم للمواصلات « يتعرض لعقوبة الموت » . وقد نفذ الامر فعلاً في حالة بعض القادة السيئي الحظ على جسور الراين .

ووصل رأس رمح من الفرقة الامريكية المدرعة التاسعة في الساعات المبكرة من بعد ظهر السابع من آذار الى التلال المطلة على بلدة ريماجين على بعد خمسة وعشرين ميلاً من مسيل الراين من مدينة كوبلينز . وقد دهش سائقو الدبابات الامريكية ابلغ الدهشة من رؤيتهم جسر لودندورف للسكة الحديدية عبر النهر في حالة سليمة . وسرعان ما هرعوا يهبطون المنحدر الى جبهة النهر .

وحطم المهندسون بسرعة محمومة أي سلك تفجيري عثروا عليه في طريقهم . ومضى فصيل من المشاة بركض عبر الجسر ، وعندما اقتربوا من الضفة الشرقية للنهر انفجر لغم لحق به لغم آخر . وقد اهتز الجسر ولكنه صمد للانفجارين . وسرعان ما ارغمت القوات الالمانية الضعيفة على الساحل البعيد على التقهقر . واندفعت الدبابات عبر الجسر . ولم يحل الغسق حتى كان الامريكيون قد اقاموا رأس جسر قوي على الضفة الشرقية من الراين . وهكذا تم عبور آخر حاجز طبيعي كبير في غرب المانيا .[1]

ولم تمض بضعة ايام ، حتى كان جيش « باتون الثالث » يعبر ليلة الثاني والعشرين من آذار نهر الراين من جهة اخرى عند اوبنهايم الى الجنوب من ماينز . وقد تم هذا العبور بعد اجتياح مثلث السار ـ البلاتينات في عملية رائعة قام بها هذا الجيش بالتعاون مع الجيش الامريكي السابع والجيش الفرنسي الأول . وباتت الجيوش الانكليزية ـ الامريكية في الخامس والعشرين من آذار مسيطرة على الساحل الغربي للنهر وعبره في رأسي جسر قويين . وخسر هتلر في ستة اسابيع اكثر من ثلث قواته في الجبهة الغربية ومعظم الاسلحة التي يستخدمها نصف مليون جندي .

ودعا هتلر في الساعة الثانية والنصف من صباح الرابع والعشرين من آذار الى مؤتمر حربي في مقر قيادته في برلين للتشاور فيما يجب عمله ..

« ـ انني اعتبر أن رأس الجسر الثاني في اوبنهايم يمثل الخطر الأكبر .

« هيويل (ممثل وزارة الخارجية) ـ ان الراين قليل العرض هناك .

---

١ ـ اعدم هتلر ثمانية من الضباط الالمان الذين كانوا يتولون قيادة القوات الضعيفة عند جسر ريماجين . وقد حوكموا امام « محكمة طائرة خاصة في الغرب » الفها هتلر وعهد برئاستها الى فريق نازي متعصب يدعى هيوبنر .

« هتلر – ان عرضه يبلغ مائتين وخمسين متراً . ويكفي ان ينام او يهمل رجل واحد عندحاجز نهري لتقطع أعظم المصائب . »

وأراد القائد الأعلى معرفة ما اذا لم يكن بالامكان إرسال لواء أو أي شيء من هذا القبيل الى تلك النقطة . ورد أحد المرافقين العسكريين :

« ليس ثمة في الوقت الحاضر وحدة واحدة يمكن إرسالها الى اوبنهايم . وهناك خمس مدمرات للدبابات في معسكر سين ، وستكون جاهزة اليوم او غداً . ومن الامكان دفعها الى المعركة في غضون بضعة ايام . »[1]

في غضون بضعة ايام ! كان باتون قد اقام في هذه اللحظة عند اوبنهايم رأس جسر اتساعه سبعة اميال وعمقه ستة وبدأت دباباته في الزحف شرقاً باتجاه فرانكفورت . حقاً انها لمفارقة هائلة تعطي صورة واضحة عن حالة هذا الجيش الالماني الذي كان جباراً في يوم ما ، والذي كانت جحافله المدرعة المتغطرسة تصول وتجول عبر اوروبا بأسرها في السنوات الاولى ، فاصبح قائده الاعلى الآن ، وفي هذه اللحظة الحرجة ، يعني بجمع الحثالات والاستعانة بخمس من مدمرات الدبابات المحطمة التي لا يمكن على اي حال اعدادها للمعركة « إلا في غضون بضعة ايام » ، وذلك ليوقف بها زحف جيش عدو مدارع عظيم .[2]

---

١ – مؤتمر الفوهرر في ٢٣ آذار عام ١٩٤٥ . ووقائعه آخر وقائع خطية مسجلة عن مؤتمرات هتلر – جيلبرت – هتلر يوجه حربه . ص ١٤١ – ١٤٧ (النص الكامل) .

٢ – كان مخطوط وقائع هذا المؤتمر – في الثالث والعشرين من آذار – آخر ما امكن انقاذه سليما من الوثائق ، دون ان تمسها النيران . وهي تعطي لنا صورة واضحة عن عقل الفوهرر المحموم ، وعن الفكرة التي تسلطت عليه للعناية بالتفاهات من التفاصيل في تلك اللحظة التي بدأت الاسوار فيها بالانهيار . ولقد قضى نحوا من ساعة يبحث في اقتراح غوبلز استخدام الممر الواسع في حديقة « تييرغارتن » العامة في برلين ، كمطار مؤقت . والقى محاضرة عن ضعف الاسمنت المسلح الالماني امام القصف الجوي . اما القسم الاكبر من المؤتمر فقد خصصه لموضوع تجميع الجنود . واثار احد الفرقاء موضوع « اللواء الهندي » . =

أما وقد بات الأمريكيون عبر الراين في الاسبوع الثالث من شهر آذار . وكانت جيوش حليفة جبارة من البريطانيين والكنديين والامريكيين بقيادة مونتغومري تستعد لعبور الراين الادنى والزحف زحفاً مزدوجاً نحو السهل الألماني الشمالي ونحو الروهر وهو ما قاموا به فعلاً ابتداء من ليلة الثالث والعشرين من آذار ، فقد تحول غضب هتلر وانتقامه من العدو الزاحف الى شعبه. كان هذا الشعب قد ايده طيلة فترة انتصاراته التي كانت اعظم ما حققه الألمان في تاريخهم ، ولكنه بات الآن عشية الهزيمة ، يرى انه ـ أي الشعب ـ لم يعد جديراً بعظمته .

وكان هتلر قد خطب في القادة النازيين ومحافظي الأقاليم في شهر آب عام ١٩٤٤ فقال : « واذا قدر للشعب الألماني ان يهزم في المعركة ، فإن هذا يعني ان هذا الشعب ضعيف للغاية ، وانه قد فشل في ان يقيم الدليل على معدنه امام التاريخ ، وبات لزاماً عليه ان يتقبل قدره في الدمار »[1]

وقد بدأ هتلر يتحطم صحياً ، وقد عمل تحطمه هذا على تسميم افكاره . وكان الاجهاد الذي لحقه من ادارة دفة الحرب ، وكذلك هزّات الهزائم ، والحياة الكئيبة وغير الصحية في مقرات قيادته في الاقبية الدوثروية التي ندر ان يغادرها بعيداً عن الهواء النقي والتمارين الرياضية ، واستسلامه المتواصل لنوبات الغضب والعقاقير المسمومة التي كان يتناولها يومياً تلبية لنصائح طبيبه الدجال الدكتور مويل ، كلها عوامل ادت الى تدهور صحته حتى قبل

= « هتلر .. ليس موضوع اللواء الهندي الا نكتة واضحوكة. فهناك هنود لا يستطيعون قتل « قملة » واحدة ، ويؤثرون ان تمتص دمهم على قتلها . فهم لن يقتلوا انكليزيا . واني لاعتبر من السخف التفكير في وضعهم امام الانكليز . اما اذا استخدمنا الهنود في ادارة الصلوات اللأى بالضجيج فسيكونون في هذه الحالة من الجنود الذين لا مثيل لهم في العالم .

وهكذا استمر الحديث الى ساعة متاخرة من الصباح ولم ينفض الاجتماع الا في الساعة الثالثة والدقيقة الثالثة والاربعين صباحا .

١ ـ شهادة البرت سبير في نورمبرغ . (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٦) ص ٤٩٢).

انفجار العشرين من تموز . وكان هذا الانفجار قد مزّق الغشاء الأصموخي في كلتا اذنيه مما اسهم في نوبات الدوار التي اخذت تلاحقه . ونصحه الأطباء بالمضي في اجازة طويلة بعد الانفجار ولكنه رفض نصائحهم قائلاً لكايتل : « اذا غادرت بروسيا الشرقية سقطت في أيدي العدو ولكنها ستصمد طالما انا موجود فيها ».

وأصيب بانهيار في ايلول ١٩٤٤ ارغمه على ان يلزم الفراش ، ولكنه استعاد صحته في تشرين الثاني عندما عاد الى برلين . لكنه لم يستطع قط ان يستعيد سيطرته على اعصابه ومزاجه الفظيع . وراح يستسلم شيئاً فشيئاً مع سيل الأنباء السيئة من جميع الجبهات الى نوبات الغضب الهستيري . وكثيراً ما كانت تصحبها رجفات في يديه وقدميه لم يكن في وسعه السيطرة عليها . وقدّم لنا الفريق غودريان اوصافاً عدة للحالة التي كان فيها في هذه اللحظات . وعندما وصل الروس في نهاية شهر كانون الثاني الى نهر الأودر . على بعد مائة ميل فقط من برلين ، وشرع رئيس الاركان العامة يطلب اجلاء عدة فرق المانية عزلت في البلطيق بطريق البحر ، التفت هتلر اليه ووصف غودريان المنظر بقوله :

« كان يقف أمامي وهو يهز قبضتيه ، حتى ان كبير ضباط اركاني خاف من ان اتعرض لهجوم منه ، فاخذ يسحبني من قميصي ومن سترتي الى الوراء ليبعدني عن يديه . »

وبعد بضعة أيام ، أي في الثالث عشر من شباط عام ١٩٤٥ ، وقع شيء آخر بين الرجلين ، حول الوضع في روسيا ، استمر كما قال غودريان زهاء ساعتين :

« ارتفعت قبضتاه ، وألهب الغضب وجنتيه ، وكان بدنه يرتجف بشدة ، وهو يقف امامي ، وقد جنّ من الغضب وفقد كل سيطرة على اعصابه . وظل هتلر بعد كل نوبة من انفجاراته ، يذرع الغرفة فوق « السجادة » المفروشة على الارض ، فيصل الى طرفها ثم يعود فجأة ليقف أمامي وينهال علي بسيل جديد من الاتهامات . وقد بات حديثه زعيقاً واوشكت عيناه على الخروج

من لمحجريهما بينما تصلبت العروق في صدغيه » [1]

واتخذ الفوهرر الألماني في مثل هذه الحالة العقلية والصحية ، قراراً من آخر القرارات الخطيرة التي اتخذها في حياته ، ففي التاسع عشر من آذار أصدر امراً عاماً يقضي بتدمير كافة وسائل النقل والاتصال والتجهيزات العسكرية والمستودعات في المانيا للحيلولة دون وقوعها سليمة في ايدي العدو . ونص الامر على ان يتولى تنفيذه العسكريون بمساعدة المحافظين النازيين « ومفوضي الدفاع » . وانتهى الأمر الى القول بانه « يبطل جميع الاوامر والتوجيهات السابقة والمناقضة له » [2]

وهكذا قرر الفوهرر ان تغدو المانيا ارضاً خربة ، وان لا يظل في البلاد شيء يمكن الشعب الألماني من العيش بعد الهزيمة .

وكان البرت سبير وزير التسلح والانتاج الحربي الصريح قد توقع مثل هذا التوجيه الوحشي في الاجتماع السابق الذي عقده مع هتلر ، فأعد في الخامس عشر من آذار مذكرة عارض فيها بشدة مثل هذه الخطوة الاجرامية واكد رأيه السابق في ان المانيا خسرت الحرب . وسلم سبير هذه المذكرة الى الفوهرر شخصياً عشية الثامن عشر من آذار . وكتب فيما بعد يقول :

« علينا ان نتوقع انهيار الاقتصاد الالماني انهياراً كلياً وبالتأكيد في فترة تتراوح بين الاربعة والثمانية اسابيع .. واذا ما وقع هذا الانهيار استحال المضي في الحرب حتى عسكرياً .. وعلينا ان نبذل كل جهد ، لنحفظ للشعب حتى ولو في صورة بدائية الأساس لوجوده حتى النهاية .. وليس من حقنا في هذه المرحلة من الحرب ، ان نقوم بأعمال تخريبية قد تؤثر على حياة الشعب .. واذا كان الاعداء يريدون تحطيم هذه البلاد التي قاتلت ببسالة منقطعة النظير ،

---

١ ــ غودريان ــ قائد الدبابات ص ٣٤١ و ص ٣٤٣

٢ ــ نص امر هتلر ــ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٥) ص ٩٠

فإن عار التاريخ سيقع على هؤلاء وحدهم . ويفرض الواجب علينا ان نترك للبلاد كل احتمال يضمن لها اعادة البناء في المستقبل البعيد .. » [1]

لكن هتلر وقد تقرر مصيره الشخصي لم يعد يهمه استمرار وجود الشعب الألماني ، على الرغم من انه ادعى دائماً حبه الذي لا يوصف لهذا الشعب . وقد رد على سبير قائلاً :

« اذا قدر للحرب ان تنتهي بالخسارة فستمحي بلادنا ايضاً . ان المصير محتوم . وليس ثمة من حاجة تدفعنا الى ان نأخذ بعين الاعتبار الاساس الذي يحتاجه الشعب لمواصلة وجوده البدائي . وأرى على النقيض من ذلك ان من الخير ان نقوم نحن بتدمير هذه الأشياء ، لأن هذه البلاد قد اثبتت أنها هي الاضعف، ولأن المستقبل سيكون للبلاد الشرقية الاقوى وهي روسيا . يضاف الى هذا ان من يبقى في بلادنا بعد انتهاء المعركة هم الطالحون ، ذلك لأن الاخيار ، قد قتلوا إبانها » .

ولهذا فقد اصدر سيد الحرب الاعلى توجيهه المخزي « بسياسة احراق الزرع والضرع » في اليوم التالي . وسرعان ما ألحقه مارتن بورمان سكرتير الفوهرر في الثالث والعشرين من آذار بأمر آخر لا يقل عنه رعباً وهولاً ، اذ ان هذا الرجل الذي يشبه الخَلَد (القنفذ) كان قد احتل الآن في بلاط الفوهرر مكانة لا يضاهيه فيها أي شخص آخر من مرازبة النازي . وقد شرح سبير هذا الامر في محكمة نورمبرغ بقوله :

« استهدف أمر بورمان نقل السكان وبينهم العمال الأجانب واسرى الحرب من شرق المانيا وغربها الى وسطها . وكان نقل

---

١ ـ سبير محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٦) ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨) . ويضم هذا القسم عبارات هتلر وسبير وقد اخذ من شهادة الاخير في محكمة نورمبرغ في العشرين من حزيران عام ١٩٤٦ ، ومن الوثائق التي قدمها دفاعا عن نفسه في المجلد (٤١) من النصوص المشار اليها .

هؤلاء الملايـــين سيتم طبعاً على أرجلهم ، دون ان توفر لهـــم شروط الحياة، ومقوماتها ، ودون أن يتمكنوا من حاجاتهم بسبب الأوضاع الحربية الراهنة . ولو نفذ هذا الأمر لأدى الى كارثـــة مجاعة لا يمكن تصورها » .

ولو نفذت بقية أوامر هتلر وبورمان ، اذ كان ثمة عدد من التوجيهـــات التكميلية الايضاحية ، لكان الموت مصير الملايين من الألمان الذين تمكنوا حق ذلك اليوم من النجاة بأرواحهم . وحاول سبير ان يلخص لمحكمة نورمبرغ مختلف الأوامر المتعلقة بسياسة « حرث الأرض » وقال انه تقرر تدمير :

«جميع المنشئات الصناعية والأجهزة الكهربائية المهمة ،ومشاريع المياه والغاز ومستودعات الغـذاء واللباس والجسور ومنشئات السكك الحديدية والمواصلات الأخرى ، والطرق المائية والبواخر والسيارات الشاحنة والقاطرات » .

ويرجع الفضل في انقاذ الشعب الألماني من هذه الكارثة النهائية الى زحوف القوات الحليفة اولاً مما ادى الى استحالة القيام بأعمال التخريب على نطاق اوسع، وثانياً الى الجهود التي تفوق طاقة البشر ، والتي قام بها سبير وعدد من ضباط الجيش متحدّين بذلك أوامر الفوهرر مباشرة (وأخيراً !) يقطعون البلاد بسرعة هائلة ليضمنوا عدم قيام الضباط المتعصبين والمطيعين واجلاف الحزب بنسف المواصلات الحيوية والمستودعات .

* * *

واقتربت النهاية الآن للجيش الألماني ...

فبعد ان عبرت الجيوش البريطانية – الكندية بقيـادة المشير مونتغومري الراين الأسفل في الأسبوع الأخير من شهر آذار ، مندفعة نحو الشمال الشرقي باتجاه بريمن وهمبورغ وميناء لوبيك على بحر البلطيق . زحف الجيش الامريكي التاسع الذي يقوده الفريق سمبسون والجيش الامريـكي الأول الذي يقوده

هودجيز بسرعـة وراء حوض الرور من حدوده الشماليـة والجنوبية . والتقى الجيشان في ليبستادت . ووقعت مجموعة الجيوش الالمانية (ب) التي يقودها المشير مودل والمؤلفة من الجيشين المدرعين الخامس والخامس عشر ، اي من نحو من احدى وعشرين فرقة ، في الشرك ، وتم تطويقها في أطلال المنطقة الصناعية الالمانية العظيمة . وصمدت هذه الجيوش ثمانية عشر يوماً ثم استسلمت في الثامن عشر من نيسان ، وأسر الحلفاء (٣٢٥) الف الماني بينهم ثلاثون قائداً برتبة فريق . ولكن مودل القائد العام لم يكن بينهم ، فقد آثر الانتحار على الوقوع في الأسر .

ومزق تطويق جيوش مودل في الروهر ، الجبهة الالمانية في الغرب ، وفتح فيها ثغرة طولها مائتا ميل تدفقت منها فرق الجيشين الأمريكيين التاسع والاول التي لم يكن ثمة حاجة اليها لحصار الروهر ، نحو نهر الألب ، في قلب المانيا . وفتحت الطريق الآن الى برلين ، اذ لم يكن يحول بين هذين الجيشين الامريكيين وبين العاصمة الالمانية الا بعض فرق المانية ممزقة ومهلهلة ومفتقرة الى النظام . ووصل رأس رمح من الجيش الامريكي التاسع مساء الحادي عشر من نيسان بعد ان تقدم ستين ميلاً منذ الفجر الى نهر الإلب على مقربة من مغدبرغ ، ثم اقام في اليوم التالي رأس جسر . وأصبح الامريكيون على بعد ستين ميلاً من برلين .

واتجهت نية ايزنهاور الآن الى شطر برلين الى شطرين عن طريق الاتصال بالروس على نهر الإلب بين مغدبرغ ودريزدن. وعلى الرغم مما وجه ايزنهاور من نقد مرّ الى تشرشل والقادة العسكريين البريطان ، لعدم سبقـه الروس في الوصول الى برلين ، مع ان هذا السبق كان في حيز امكانه بسهولة ، فإن القـائد العام واركان حربه في القيادة العليا لقوات الحلفاء في اوروبا كانوا واقعين تحت سيطرة فكرة آنية وهي وجوب الاسراع نحو الجنوب الشرقي بعد تحقيق الاتصال مع الروس ، للاستيلاء على ما يسمى «بالقلعة الوطنية» التي ساد الاعتقاد أن هتلر كان يحشد فيها ما تبقى لديه من قوات ليقف وقفته الأخيرة في الجبـال الالبية المنيعة في جنوب بافاريا وغرب النمسا .

ولكن « القلعة الوطنية » لم تكن إلا ظلاً أو خيالاً . اذ لم يكن لها وجود إلا من انطلاقات الدكتور غوبلز الدعائية ، وفي العقول الخدرة في قيادة ايزنهاور التي أخذت بهذه الدعاية وصدقتها . فلقد نقلت مخابرات قيادة الحلفاء العليا في الحادي عشر من آذار الى ايزنهاور ان النازيين يخططون لإقامة قلعة حصينة من الجبال وأن هتلر سيتولى الدفاع عنها بنفسه من ملاذه في برختسفادن . واضافت هذه المعلومات ان قنن هذه الجبال المكسوة بالثلج وشعابها من النوع الذي لا يمكن اقتحامه ... ثم أضافت قائلة :

« وفي هذه القلعة التي تحميها الطبيعة ، وأكثر الاسلحة السرية التي تم اختراعها فعّالية ، ستتولى القوى التي كانت توجه المانيا حتى اليوم اعادة بعثها من جديد . وستجري صناعة الاسلحة في هذه القلعة في مصانع لا تنفذ اليها القنابل ، بينما تخزن الاغذية والمعدات في أقبية وأنفاق دوثروية ، وتدرب فيالق مختارة وخاصة من الشبان على حرب العصابات ، بحيث يصبح في الامكان اعداد جيش سري وتوجيهه لتحرير المانيا من قوات الاحتلال . » [1]

ويبدو وكأن ضباط مخابرات القائد الاعلى للحلفاء قد وقعوا تحت تأثير كتّاب الروايات الغامضة والبوليسية لكن هذا التقييم الخيالي والمضحك للوضع حمل على أي حال محمل الجد في القيادة العليا للحلفاء ، حيث شرع رئيس اركان حرب ايزنهاور الفريق بيدل سميث يمعن النظر في هذا الاحتمال المرعب من « قيام حملة طويلة الاجل في المنطقة الالبية » مما يفرض ضريبة باهظة على الارواح الامريكية ويطيل أمد الحرب الى اجلٍ غير مسمى . [2]

---

١ ـ ملخص تقرير مخابرات القيادة العليا للحلفاء في ١١ اذار ١٩٤٥ . نقله ويلموث في كتابه « معركة اوروبا ص ٦٩٠ » .

٢ ـ كتب الفريق عمر برادلي فيما بعد يقول : « لم نعرف ان هذا المعقل او القلعة ، لم يكن قائما الا في مخيلة بعض المتعصبين النازيين الا بعد انتهاء الحملة . وكانت انباء هذا =

وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي تمكن فيها الدكتور غوبلز البارع من التأثير على السير السوقي للحرب عن طريق خدعة دعائية . اذ على الرغم من ان ادولف هتلر فكر في بداية الأمر في الانسحاب الى الجبال النمسوية ـ البافارية التي ولد على مقربة منها والتي قضى فيها معظم ساعات مباذله وحياته الخاصة ، والتي احبها وامتلك فيها البيت الوحيد الذي يستطيع ان يسميه بيته على اوبر سالزبرغ القريب من برختسغادن ، ليقف فيها وقفته الأخيرة ، إلا انه ما لبث ان تردد حتى فاتت الفرصة عليه .

وفي السادس عشر من نيسان ،عندما وصلت القوات الامريكية الى نورمبرغ ، مدينة المهرجانات النازية ، اندفعت جيوش جوكوف الروسية من رؤوس جسورها على نهر الأودر ، لتصل بعد ظهر الواحد والعشرين من نيسان ضواحي برلين . وكانت فيينا قد سقطت في الثالث عشر من نيسان. وفي الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين من بعد ظهر الخامس والعشرين من نيسان التقت دوريات من فرقة المشاة الامريكية التاسعة والستين مع طلائع فرقة الحرس الروسية الثامنة والخمسين في تورغاو على نهر الإلب ، على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب من برلين . وبذلك تم شطر المانيا الى شطرين شمالي وجنوبي وعزل ادولف هتلر في برلين . وحلت الايام الأخيرة في حياة الرايخ الثالث .

= المعقل قد نمت في شكل من الغلو والمبالغة الى الحد الذي دهشت فيه من اننا صدقنا بوجوده بمثل تلك السذاجة . ولكن طيلة انتشار هذه الانباء ، كان امر مثل هذا المعقل يؤلف خطرا لا نستطيع تجاهله ولهذا فقد اثر على تفكيرنا التعبوي طيلة الاسابيع الاخيرة من الحرب .» (برادلي ـ قصة جندي . ص ٥٣٦) .

وكتب المشير كيسلرنغ بشيء من الضجر بعد الحرب يقول : « لقد كتب الكثير عن هذه القلعة الالبية ولكن كل ما قيل عنها مجرد سخف ليس الا » (كيسلرنغ ـ حياة جندي ص ٧٦)

٣١

شفق المغيب
آخر أيام الرايخ الثالث

قرر هتلر ان يغادر برلين في العشرين من نيسان ، يوم عيد ميلاده السادس والخمسين الى اوبر سالزبرغ ليوجه من هناك الوقفة الأخيرة للرايخ الثالث في القلعة الجبلية الاسطورية التي اتخذ منها بربروسة [١] معقلاً له ، وكانت معظم مكاتب الوزارات قد انتقلت الى الجنوب حاملة معها في الشاحنات أوراق الدولة، والموظفين الحانقين يأساً من إمكان الخروج من برلين التي تقرر مصيرها . وكان الفوهرر نفسه قد أرسل معظم خدمه واتباعه الى برختسغادن قبل نحو من عشرة أيام لإعداد دارته الجبلية في عش النسر لمجيئه .

ولكن القضاء شاء له ان لا يمتع ناظريه بملاذه الجبلي المحبوب مرة ثانية . وكانت النهاية تقترب بسرعة تفوق ما كان يتوقعه هو . فالأمريكيون والروس

---

١ ـ اسم يطلق على الملك فريدريك الاول (١١٢٢ ـ ١١٩٠) ميلادية مؤسس الامبراطورية الرومانية المقدسة وهو يعني « ذو اللحية الشقراء » . وكان فريدريك هذا نجل دوق سوابيا ثم تمكن بعد حروب طويلة من توحيد المانيا تحت سلطانه حيث توج في رومه في عام ١١٥٥ امبراطورا للامبراطورية الرومانية المقدسة . وقد اشتهر بنزاعه مع البابا الاسكندر الثالث. قاد حملة صليبية ومات في كيليكيا في اسيا الصغرى . اتخذ من الجبال البافارية مقرا له .
ـ المعرب ـ

يزحفون بسرعة لتحقيق الاتصال على نهر الإلب . وكان البريطانيون قد اضحوا على ابواب همبورغ وبريمن ويهددون بقطع المانيا عن الدانمارك المحتلة . وكانت بولونا قد سقطت في ايطاليا ، وتدفقت قوات اليكساندر الحليفة على حوض البو . وكان الروس بعد احتلالهم فيينا في الثالث عشر من نيسان يزحفون صعداً مع نهر الدانوب بينما كان الجيش الامريكي الثالث عشر يزحف هابطاً مع النهر ليلتقي بالروس في مسقط رأس هتلر في بلدة لينز النمساوية . أما نورمبرغ التي كان العمل يجري فيها طيلة الحرب على قدم وساق ، لبناء القاعة الكبرى والمدينة الرياضية لتمييز المدينة العريقة كعاصمة الحزب النازي ، فقد طوقت واندفع جزء من الجيش الأمريكي السابع وراءها متجهاً الى ميونيخ ، المدينة التي شهدت مولد الحركة النازية . وبدأت برلين تسمع هدير المدافع الروسية .

اما الكونت شفيرين فون كورزيك ، وزير المالية التافه ، والطالب الذي درس في بعثة « رودس » التي اشرنا اليها في فصل سابق ، والذي اندفع منسلاً من برلين نحو الشمال عندما سمع باقتراب البلاشفة منها ، فقد سجل في يوميته بتاريخ الثالث والعشرين من نيسان يقول: «لم نر طوال الاسبوع الا سلسلة متلاحقة من رسل جوب (يعني هتلر). ويبدو ان شعبنا يواجه اظلم مصير.»[1]

وكان هتلر قدغادر مقر قيادته في راستنبرغ في بروسيا الشرقية للمرة الأخيرة في العشرين من تشرين الثاني السابق ، عندما اقترب الروس منها ، ثم قبع في

١ ــ يوميات الكونت لوتز شفيرين فون كروزيك التي لم تنشر بعد . وقد قدمت المقتطفات الرئيسية في كتابي « نهاية يوميات برلين » ص ١٩٠ ــ ٢٠٥ .

واعتمد بريفور ــ روبر في كتابه « ايام هتلر الاخيرة » على هذه اليوميات وكان تريفور روبر المؤرخ ، ضابطا في المخابرات البريطانية ابان الحرب وقد عهد اليه بالتحقيق في الظروف التي احاطت بنهاية هتلر ، وقد اورد نتائج تحرياته في كتابه الرائع الذي يدين له بالفضل كل من حاول كتابة الفصل الاخير من حياة الرايخ الثالث . وقد اعتمدت على عدد آخر من المصادر ولا سيما من شهود العيان من امثال سبير وكايتل وبودل والفريق كارل كوللر ودونيتز وكروزيك وحنارتيش ، والرئيس غيرهارت بولدت والرئيس يواكيم شولتز ، وكذلك على احدى سكرتيرات هتلر وسائق سيارته .

برلين التي لم يكن قد رآها إلا لماماً منذ بدأت الحرب في الشرق ، حيث غادرها في العاشر من كانون الأول ، عندما غادرها الى مقر قيادته في الجبهة الغربية في زغينبرغ القريبة من بادنو هايم للاشراف على توجيه مقامرته الكبرى في الأردن. وعاد بعد فشلها الى برلين في السادس عشر من كانون الثاني ، حيث قدر له ان يبقى حتى النهاية ، موجهاً جيوشه المحطمة من قبوه الدوثروي الذي يهبط خمسين قدماً تحت دار المستشارية ، التي تحولت قاعاتها الرخامية الآن الى انقاض ، نتيجة غارات الحلفاء الجوية .

وأخذت حالته الصحية تسير في طريق التدهور السريع . وقد تذكر ضابط شاب كان قد رآه لأول مرة في شهر شباط منظره فيما بعد فوصفه بقوله :

« كان رأسه يتحرك متنوّحاً (متذبذباً) بلا نظام . وكانت يده اليسرى مشلولة الحركة الى جانبه ، بينما يهتز كفها بشكل عنيف . وبدا في عينيه ألق غريب لا يمكن وصفه ، ويترك في من يتطلع اليهما تأثيراً مرعباً وغير عادي . وبدا وجهه والاجزاء المحيطة بعينيه صورة ناطقة للاجهاد العلي . وكانت جميع حركاته تشير الى رجل انهكته الشيخوخة »[1]

وقد بات بعد محاولة العشرين من تموز للقضاء على حياته ، كثير الشكوك بكل انسان حتى بأخدانه القدامى في الحزب. وقد صرخ ذات يوم من ايام شهر آذار قائلاً لإحدى سكرتيراته : « ان الأكاذيب تحيط بي من كل مكان » ثم مضى يقول :

« ولا استطيع الركون الى انسان فكلهم يخونونني . وقد باتت نفسي تتقزز من هذا الوضع كله ولو حدث لي شيء لظلت المانيا بلا زعيم . فليس لي خليفة أو وريث . فهس مجنون ، وقد خسر

---

١ ــ غيرهاردت بولدت « في الملجأ مع هتلر » الفصل الاول . كان الرئيس بولدت مرافقا لغودريان ثم اضحى مرافقا للفريق كريبس آخر رئيس لهيئة اركان الحرب . وقد قضى الايام الاخيرة في قبو هتلر .

غورنغ عطف الشعب ، أما هملر فيرفضه الحزب بالاضافة الى انه بعيد عن الفن .. شغّلي مخك .. وسمّ لي من يستطيع ان يخلفني .. » [١]

وكان في وسع المرء ان يرى بأن موضوع الخلافة في هذه المرحلة التاريخية كان اقاديمياً نظرياً ليس الا ، ولكنه في عالم النازي الذي يشبه عالم طيور « الوقواق » ، لم يكن كذلك . اذ لم يكن الفوهرر وحده دائم التفكير فيه ، بل كان كذلك كابوساً متسلطاً على عقول الجميع المرشحين لخلافته كما سنرى فيما بعد .

وعلى الرغم من ان هتلر كان قد اضحى الآن حطام انسان يرى النهاية المفجعة متمائلة أمام ناظريه ، كلما اقترب الروس خطوة من برلين أو توسع الحلفاء الغربيون في اجتياح الرايخ ، إلا انه ظل كما ظل أشد اتباعه تعصباً وهو غوبلز ، يتعلقان بإصرار بالأمل الواهي في ان يتحقق الانقاذ في معجزة في اللحظة الأخيرة .

وفي ذات ليلة من ليالي نيسان المبكرة ، جلس غوبلز يقرأ لهتلر من أحد الكتب التي يحبها الفوهرر وهو كتاب كارليل ، تاريخ فريدريك الكبير . وتحدث الفصل الذي قرأه عن اكثر الأيام قتاماً في حرب السبع سنوات عندما شعر الملك العظيم انه في نهاية مداه ، فقال لوزرائه ، انه اذا لم تتحسن الأمور قبل الخامس عشر من شباط بالنسبة الى حظوظه ، فسيستسلم ويشرب السم . ولا ريب في ان هذا « الترياق » التاريخي كان مناسباً ، ولا ريب ايضاً في ان غوبلز كان يقرؤه في لهجة مسرحية رائعة . ومضى غوبلز يقرأ :

---

١ - البرت زولر « هتلر في مباذله » ص ٢٠٣ - ٢٠٥ . وتقول النسخة الفرنسية « اثنتا عشرة سنة مع هتلر » ان زولر كان رئيسا في الجيش الفرنسي ثم الحق كضابط محقق مع الجيش الامريكي السابع وتمكن من استجواب احدى سكرتيرات هتلر الاربع . وتعاون معها في عام ١٩٤٧ في كتابة هذا الكتاب وهو « ذكريات عن الفوهرر » . ومن المحتمل ان تكون هذه السكرتيرة هي كريستا شرويدر التي عملت كاتبة اختزال مع هتلر منذ عام ١٩٣٣ حتى قبل اسبوع من نهايته .

« ايها الملك الشجاع ! انتظر فترة قصيرة اخرى ، وستنتهي ايام متاعبك . وها هي شمس سعودك تقف وراء السحب ولن تلبث ان تشرق عليك . » وماتت القيصرة في الثاني عشر من شباط وجاءت معجزة اسرة براندنبرغ »

وامتلأت عينا الفوهرر بالدموع كما دوّن كروزيغ الذي ندين ليومياته بهذا المنظر الرائع ، نقلاً عن غوبلز .[1]

ويقول مصدر بريطاني الى الرجلين – اي هتلر وغوبلز – بعثا، وقد شجعتهما هذه القصة ، يطلبان كشف الطوالع والنجوم الذي كان مودعاً في احد مكاتب هملر العديدة للبحث العلمي . وكان أحدهما كشف طوالع الفوهرر كما اعد في الثلاثين من كانون الثاني وهو اليوم الذي تولى فيه الحكم . اما الثاني فكشف طوالع جمهورية ويمار كما أعده فلكي بتاريخ التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨، وهو اليوم الذي ولدت فيه الجمهورية . ونقل غوبلز الى كروزيك نتائج دراسة هاتين الوثيقتين البارزتين :

« واتضحت حقيقة مدهشة ، اذ ان كشفي الطوالع قد توقعا بداية الحرب في عام ١٩٣٩ ، والانتصارات حتى عام ١٩٤١ ، ثم السلسلة المتلاحقة من الانتكاسات ، وكذلك وقوع اقسى الضربات في الاشهر الاولى من عام ١٩٤٦ ولا سيما في النصف الأول من نيسان. وسنشهد في النصف الثاني من نيسان نجاحاً مؤقتاً . ثم تتلو ذلك فترة ركود حتى شهر آب عندما يعقد الصلح في نفس الشهر . وستعاني المانيا في السنوات الثلاث التالية ، وقتاً قاسياً ، ولكنها ستعود الى النهوض ثانية في عام ١٩٤٨ »[2]

واصدر غوبلز في السادس من نيسان نداء مؤثراً الى القوات المتراجعة بعد ان استند الى كارليل والى « تنبؤات » النجوم المذهلة جاء فيه :

---

١ – يوميات كروزيك .
٢ – يوميات كروزيك .

« لقد اعلن الفوهرر ان الحظ سيتبدل في هذه السنة . فالطالع لصادق للعبقرية يتجلى في الوعي وفي معرفة التبدل القادم عن تأكيد وثقة . ويعرف الفوهرر الساعة الصحيحة لحلول هـــذا التبدل لقد ارسل لنا القضاء والقدر هذا الرجل ، حتى نتمكن في هذا الوقت من الضغط الخارجي والداخلي ، من اثبـــات جدارتنا بالمعجزة » [1]

وعاد غوبلز بعد اسبوع أي ليلة الثاني عشر من نيسان يقنع نفسه بأن « الساعة الصحيحة للمعجزة قد وقعت » . وكان هذا اليوم طافحاً بالمزيد من الانباء السيئة . فلقد ظهر الامريكيون على طريق ديساو – برلين وأمرت القيادة العليا بتدمير معملي « البارود » الوحيدين الباقيين في الضواحي . وبات لزاماً على الجنود الالمان منذ تلك اللحظة ان يحاربوا بما لديهم من ذخيرة . وكان غوبلز قد قضى يومه في مقر قيادة الفريق بوسّي في كويسترين على جبهة نهر الأودر . وقد اكد له الفريق استحالة تمكن الروس من طرق الجبهة واضاف ، كما روى غوبلز في اليوم التالي لكروزيك : « انه سيظل صامداً الى ان يضربنا البريطانيون في مؤخرتنا » .. ومضى يقول :

« وجلسنا في المساء في مقر القيادة العليا وراح هتلر يشرح نظريته في ان منطق التاريخ والحق ، يقتضي وقوع تبدّل ، تماماً كما حدثت المعجزة لاسرة براندنبرغ في حرب السنوات السبع .

وقال احد الضباط متسائلاً : ولكن ترى من هي القيصرة التي ستموت هذه المرة ؟

ولم يعرف غوبلز الرد على هذا السؤال ، ولكنه اجاب بأن القدر يحمل كل انواع الاحتمالات

وعندما عاد وزير الدعاية الى وزارته في ساعة متأخرة من تلك الليلة ، كان

---

١ – نقلها ويلموث في كتابه « معركة اوروبا » ص ٦٦٩ .

قلب العاصمة يحترق اثر غـــارة اخرى للحلفاء . وكانت النيران تلتهم مـــا تبقى من دار المستشارية ومن شارع ادلون في الويلهلمشتراسه ، وراح أحـــد السكرتيرين عند درج وزارة الدعاية ، يتلقى وزيره بأنباء خطيرة هامة ، قائلاً لقد مات روزفلت .

وهتف غوبلز : احضروا اجود ما لدينا من شمبانيا .. واطلبوا لي الفوهرر على الهاتف .

وكان هتلر جالساً في ملجئه العميق عبر الشارع بعيداً عن القنابـــل ، فالتقط سماعة الهاتف :

وقال غوبلز : تهانيّ يا حضرة الفوهرر .. لقـد مات روزفلت . ألم تسجل الطوالع ، ان النصف الثاني من نيسان سيكون نقطة تحول لنا ، اننـــا في يوم الجمعة . الثالث عشر من نيسان . (كانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل) . انها نقطة التحول !

ولم يسجل رد فعل هتلر على هذه الأنباء ، ولكن في وسعنا ان نتصوره من التشجيع الذي كان يلقاه من كارليل ومن طوالع النجوم . لكن التـاريخ سجل رد فعل غوبلز ، فقد روى سكرتـــيره انه كان في حالة من الذهول من فرط الفرح [١]

وكان الكونت شفيرين فون كروزيك في نفس هذه الحالة ، اذ عندما اتصل به وكيل وزارة غوبلز هاتفياً ليقول له ان روزفلت قد مات هتف في يوميّاته الامينة على الأقل يقول :

« ها هو ملاك التاريخ ! لقد احسسنا بجناحيه يخفقان بغرفتنا .

أو لم تكن هذه هي استدارة الحظ التي طالما انتظرناها ؟

وراح كروزيك يهتف لغوبلز في اليوم التالي معرباً عن تهانيه ، التي يؤكدها

---

١ ـ تريفور ـ روبر « ايام هتلر الاخيرة » ص ١٠٠ ، وقد نقلت الرواية عن احدى سكرتيرات غوبلز واسمها السيدة اينجي هابيرزيتيل .

مزهواً في يومياته ، ولم يكتف بذلك بل راح يبعث برسالة اليه يهلل فيها لموت روزفلت الذي يصفه بأنه « قضاء إلهي .. وعطية ربّانية » .

وفي هذا الجو الذي يشبه أجواء مستشفيات المجاذيب، حيث يتمسك الوزراء الذين قضوا مدة في الحكم والذين درسوا في أعرق الجامعات الأوروبية كغوبلز وكروزيك مثلاً ، بطوالع النجوم وقراءاتها ويفرحون وسط ألسنة اللهيب في عاصمتهم المحترقة لموت الرئيس الامريكي معتبرينه إشارة من الله على انه قرر انقاذ الرايخ الثالث في الساعة التي سبقت الاخيرة من الكارثة المعلقة فوق رأسه ، بدأت الستارة ترفع عن الفصل الأخير من المسرحية .

ووصلت ايفا براون لتنضمّ الى هتلر في الخامس عشر من نيسان . ولم يكن يعرف بوجودها إلا عدد قليل جداً من الألمان، وكان أقل منهم العدد الذي يعرف بعلاقتها بأدولف هتلر . لقد انقضى عليها الآن اثنا عشر عاماً وهي عشيقته ، وقد جاءت الآن في شهر نيسان كما قال تريفور ـ روبر ، لتشهد زفافها ومأتمها في آن واحد .

ويهمنا من امرها الدور الذي مثلته في الفصل الأخير من هذه القصة ، ولكنها هي ليست مهمة في حد ذاتها ، لأنها لم تكن كمدام بومبادور أو لولا مونتيز .[1] (من العشيقات المعروفات في التاريخ) . وعلى الرغم من ان هتلر كان شديد التعشق لها ، ومن انه كان يجد الراحة في صحبتها الهيّنة، إلا انه ظل دائماً يبقيها بعيدة عن الاضواء والانظار ، رافضاً ان يسمح لها بالمجيء الى مقرات قيادته المختلفة حيث كان يقضي معظم اوقاته في سني الحرب، كما كان يضن عليها حتى بالمجيء الى برلين . وظلت حبيسة عش النسر في اوبرسالزبرغ ، تمضي اوقاتها في السباحة والتزلج ، وقراءة القصص الرخيصة ومشاهدة الافلام التافهة حتى لكأنها النفايات . وكذلك في الرقص الذي لا يرضى عنه هتلر ، وفي

---

١ ـ قال سبير لتريفور ـ روبر : « تمثل ايفا براون لجميع كتاب التاريخ شيئاً من خيبة الامل ..» ومضى المؤرخ قائلا : « كما انها تخيب امال قراء التاريخ ايضا » (تريفور ـ روبر « أيام هتلر الاخيرة » ص ٩٢) .

التأمل الذي لا نهاية له ، مع الحنين الى الحبيب الغائب .

ويقول اريك كيمبكا، سائق الفوهرر : « كانت ايفا أتعس امرأة في المانيا . فلقد قضت معظم حياتها وهي تنتظر هتلر [١] » .

ووصف المشير كايتل هيئتها اثناء استجوابه في نورمبرغ .. فقال :

« كانت نحيلة رقيقة ، أنيقة المظهر ، لها ساقان رائعتان ، يميزها من يراها بسرعة ، منطوية على نفسها ومحبه للعزلة . وكانت امرأة رائعة للغاية تجمع بين الشقرة والسمرة . ولقد ظلت دائماً في مؤخرة الصورة ولم يكن المرء ليراها إلا لماماً [٢] » .

تنتمي ايفا الى أسرة بافارية من الطبقة الوسطى ـ الدنيا . وقد عارض والدها في بداية الأمر ، معارضة شديدة في علاقتها اللاشرعية بهتلر ، على الرغم من كونه ديكتاتور المانيا . وكانت تعمل في حانوت للصور في ميونيخ يملكه هنريخ هوفمان ، الذي تولى تقديمها الى هتلر ، وقد تعرف اليها بعد سنة او سنتين من انتحار جيلي روبال ، ابنة شقيقة هتلر ، التي مثلت الحب الوحيد العظيم في حياته . ويبدو انه كثيراً ما دفع بايفا ايضاً الى اليأس وان كان لأسباب تختلف عن الاسباب التي كان يدفع بها جيلي روبال الى اليأس . فعلى الرغم من انها كانت تعيش في جناح خاص في دارة هتلر الجبلية ، إلا انها كانت لا تطيق احياناً بعاده الطويل عنها وحاولت الانتحار مرتين في السني الأولى من صداقتها . ولكنها ما لبثت ان ألفت بصورة تدريجية هذه الخيبة في آمالها وقبلت بدورها الغامض ، اذ لا تحديد لها كزوجة او عشيقة ، ورضيت بأن تكون الرفيقة الوحيدة في حياة الرجل العظيم لتنعم معه بأقصى السعادة في

---

١ ـ ميشيل موسمانو « عشرة ايام قبل الموت » ص ٩٢ . قام القاضي موسمانو الذي عمل ضابطا في المخابرات الامريكية اثناء الحرب ، باستجواب بعض الاحياء الذين رافقوا هتلر في ايامه الاخيرة . ويعتبر كتابه مصدرا رائعا وان كان يتميز ببعض المبالغات .

٢ ـ استجواب كايتل ـ المؤامرة النازية والعدوان ـ الملحق (ب) ص ١٢٩٤ .

اللحظات القليلة التي يقضيها معها .

وقد صممت الآن على ان تشاطر نهايته . وكانت كالدكتور غوبلز وزوجته لا تريد ان تعيش في المانيا لا يكون فيها أدولف هتلر . وقالت ذات يوم لحنّه ريتش الطيارة الالمانية المشهورة ، في الملجأ قبيل النهاية : « لا يجدر بأي الماني صادق ان يعيش بدون هتلر [١] » . وعلى الرغم من ان ايفـــا كانت ذات حلم كأحلام العصافير ، وعلى الرغم من انها لم تترك اثراً عقلياً في عشيقها ، ولعل هذا هو السبب الوحيد الذي حمله على تفضيل صحبتها على الذكيات من النساء ، فإن تأثيره عليها كان شاملاً كتأثيره على الكثيرين .

قرار هتلر العظيم الأخير

انقضى العشرون من نيسان ، وهو يوم عيد ميلاد هتلر ، بهدوء تام ، على الرغم من ان الفريق كارل كولر رئيس أركان حرب القوة الجوية قد دوّن في يومياته بعد ان حضر حفلة الميلاد في القبو ، بأن ذلك اليوم حمل أخبار كوارث جديدة عن الجبهات التي تغذ السير في التفسّخ . وقد شهد الحفلة جميع النازيين القدامى ، من امثال غورنغ وغوبلز وهملر وريبنتروب وبورمان ، بالاضافة الى الأحياء من القـــادة العسكريين من أمثال دونيتز وكايتل ويودل و كيربس ، والأخير هو آخر رئيس لهيئة أركان حرب الجيش ، وقدم الحاضرون تهانيهم للفوهرر بهذه المناسبة .

ولم تبد علائم الانهيـــار واليأس على سيد الحرب رغم حراجة الاوضاع .

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٥٦١ . وهذا تلخيص مطول لاستجواب حنة ريتش من قبل رجال الجيش الامريكي عن ايام هتلر الاخيرة في ملجئه . ولكنهـا عـادت فنفت بعض الاجزاء من بيانها ، ولكن سلطـات الجيش الامريكي أكدت صحة مـا سبق لهـا ان روته في استجوابها الاول في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٤٥ . وعلى الرغم من ان الانسة ريتش كانت « مهسترة » من جراء ما أحسبت به من آلام في حياة الملجأ ، الا ان روايتهـا ، تعتبر سجلا قيما لايام هتلر الاخيرة لا سيما بعد التثبت منها على ضوء الادلة الاخرى .

وكان لا يزال على ثقته ، التي سبق ان اعلنها لفرقائه قبل ثلاثة ايام من ان الروس سيمنون بأعظم الهزائم امام برلين . ولكن القادة العسكريين كانوا اوسع اطلاعاً منه ، ولذا فقد حثّوه في الاجتماع العسكري الذي عقد إثر انتهاء الحفلة على مغادرة برلين الى الجنوب . وأكد له انه لن يمضي يوم او يومان حتى يكون الروس قد أغلقوا المنفذ الوحيد الباقي في ذلك الاتجاه . وتردد هتلر ، فهو لا يستطيع الاجابة بنعم او لا . ويبدو انه لم يستطع مواجهة الحقيقة الرهيبة وهي ان عاصمة الرايخ الثالث توشك الآن على السقوط في ايدي الروس الذين كان هو نفسه قد أعلن قبل أعوام ، ان جيوشهم قد دمّرت نهائياً . ووافق الفوهرر كترضية لقادته العسكريين على اقامة قيادتين منفصلتين في حالة تمكن الامريكيين والروس من الالتقاء على نهر الالب . وقال ان دونيتز سيتولى قيادة الشمال ، وان من المحتمل ان يكون كيسلرنغ قائد الجنوب ، وان لم يكن واثقاً من هذا التعيين الاخير .

ووقعت تلك الليلة حركة انطلاق عام من برلين . فقد خرج منها اثنان من اكثر اعوان هتلر ثقة وقدماً ، وهما هملر وغورنغ . وقد فرّ الاخير في قافلة من الشاحنات ملأها بالغنائم التي كان قد جمعها في اقطاعيته الخرافية في كارينهول . وكان كل واحد من هذين النازيين القديمين واثقاً من ان الزعيم المحبوب سيقضي بعد قليل ، وانه هو سيكون خليفته .

ولم ير هذان الرفيقان بعد ذلك التاريخ . كما لم يره ايضاً ريبنتروب الذي هرع من العاصمة كذلك في ساعة متأخرة من تلك الليلة ينشد المكان الأمين .

ولكن هتلر لم يكن قد استسلم بعد . اذ أصدر في اليوم الذي تلا عيد ميلاده أمراً الى الفريق فليكس شتاينر من قادة الحرس النازي بأن يشن هجوماً مضاداً شاملاً على الروس في الضواحي الجنوبية لبرلين . وقرر ان يقذف بكل جندي موجود في منطقة برلين في هذا الهجوم حتى الجنود الارضيين من رجال القوة الجوية .

وصرخ هتلر في الفريق كولر الذي ظل في العاصمة ممثلاً للقوة الجوية ..

« وكل قائد يمتنع عن تقديم رجاله ، يجب ان يعدم في غضون خمس ساعات ، وعليك انت ان تضمن قذف كل رجل في المعركة ، معرضاً حياتك للخطر إن تقاعست [1] » .

وظل هتلر طيلة ذلك النهار واليوم الذي تلاه ، ينتظر بفارغ الصبر ، نتائج هجوم شتاينر المضاد . ولم يكن هذا الهجوم إلا مثلاً آخر لفقدان كل صلة بينه وبين الواقع . إذ لم يكن هناك هجوم قام به شتاينر . ولم تجر أية محاولة لمثل هذا الهجوم الذي لم يوجد إلا في عقل الديكتاتور اليائس المحموم . وعندما اضطر اخيراً الى الاعتراف بهذا الواقع ، انفجرت العاصفة .

وحمل الثاني والعشرون من نيسان آخر نقطة تحوّل في طريق هتلر الى الدمار . فلقد ظل منذ ساعات الصباح الباكر حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، يجلس الى الهاتف كما كان في اليوم السابق ، يستعلم عن القيادات المختلفة عن سير هجوم شتاينر المضاد . ولكنه لم يتلق ما يشفي غليله من احد . فالجميع يجهلون امر هذا الهجوم . ولم يكن في وسع طائرات الفريق كولر ان تحدد مكانه ، كما لم يكن باستطاعة قادة المواقع الارضية ان يعرفوا ما وقع على الرغم من افتراض وقوع الهجوم على بعد ميلين أو ثلاثة أميال الى الجنوب من العاصمة . ولم يكن في الامكان العثور على شتاينر ، مع انه موجود ، فكيف بجيشه الذي لا وجود له.

ووقع الانفجار في المؤتمر العسكري اليومي الذي عقد في الساعة الثالثة بعد الظهر في الملجأ . وألح هتلر غاضباً في طلب الانباء عن شتاينر . ولكن كايتل أو يودل أو أي قائد آخر لا يستطيع تزويده بشيء منها . ولكن كانت هناك أنباء اخرى عند العسكريين . فلقد أدى سحب القوات من شمال برلين لتعزيز شتاينر الى اضعاف الجبهة هناك مما مكن الروس من اختراقها ، حتى ان

---

١ ـ الفريق كارل كولر « الشهر الاخير » ص ٢٣ . وهذا الكتاب هو يوميات الفريق ، ويتحدث عن المدة بين الرابع عشر من نيسان والعشرين من ايار ، ويعتبر مصدرا قيما للمعلومات عن آخر ايام الرايخ الثالث .

دباباتهم قد أضحت الآن ضمن حدود المنطقة البلدية للمدينة .

وكانت هذه الأنبـــاء اكثر مما يستطيع سيد الحرب الاعلى احتماله . ويقول جميع من شهد المؤتمر من الاحيـاء ، ان الفوهرر فقد تماماً السيطرة على نفسه . وأصابته نوبة غضب لعلها أشد ما عرفه في حياته ، وصرخ بصوت كالرعد : « اذن فهذه هي النهاية » . لقد تخلى عنه الجميـع . ولا شيء يحيط به الآن إلا الخيانة والاكاذيب والفساد والجبن . أجل لقد انتهى كل شيء . حسناً . سيبقى في برلين . وسيتولى بنفسه الدفاع عن عاصمة الرايخ الثالث . وفي وسع الآخرين ان يغادروا المدينة اذا أرادوا . فلقد صمم على مواجهة نهايته في هذا المكان .

واعترض الآخرون . وقالوا ان ثمة املاً اذا تراجع الفوهرر الى الجنوب ، حيث لا يزال هناك جيش المشير فرديناند شويرنر في تشيكوسلوفاكيا سليماً كما ان قوات كيسلرنغ لا تزال قائمة . وهتف دونيتز الذي كان قد غادر برلين الى الشمال الغربي لتولي القيادة هناك ، وهملر ، الذي كان قد شرع في لعبته ، كما سنرى بعد قليل ، الى الفوهرر يحثـــانه على مغادرة برلين . وهتف ريبنتروب ايضاً ليقول انه عازم على القيـام بلعبة دبلوماتية تنقذ كل شيء . لكن هتلر لم يعد يثق بهم حتى ولا في « بسمارك الثاني » ، كما اسمى ذات يوم من ايام حمقه وزير خارجيته . ورد على الجميع قائلاً بأنه قد اتخذ قراره ولن يرجع عنه . ولكي يظهر للجميـع انه قرار ثابت لا يتغير ، استدعى إحدى سكرتيراته وأملى عليها بحضورهم بياناً طلب اذاعته فوراً . وقد أعلن البيان ان الفوهرر قرر البقاء في برلين والدفاع عنها حتى النهاية .

واستدعى هتلر بعد ذلك غوبلز ، ودعاه مع زوجته واطفالهما الستة الى الانتقال الى ملجئه الدوثروي ، من بيتهم المهدم الواقع في حدائق الوهلمشتراسة . فلقد عرف ان هذا التابـــع الامين المتعصب ، سيظل هو وعائلته معه حتى النهاية . والتفت بعد ذلك الى اوراقه ، فاستخرج منها ما يريد اتلافه ، وسلمها الى أحد مرافقيه ويدعى جوليوس شاوب ، الذي خرج بهـــا الى الحديقة حيث احرقها .

واستدعى اخيراً في تلك الليلة ، كايتل ويودل ، وأصدر أمره اليهما، بالاتجاه الى الجنوب ، لتولي القيادة المباشرة لمـــا تبقى من القوات المسلحة . وقد ترك القائدان اللذان ظلا الى جانب هتلر طيلة الحرب وصفاً واضحاً للوداع الاخير بينهما وبين قائد الحرب الأعلى [1] .

وعندما احتج كايتـــل بأنه لن يمضي الا اذ مضى الفوهرر معه ، رد هتلر قائلاً : « عليك ان تطيع أوامري » . ولما كان كايتل لم يعصِ طيلة حياته أمراً للزعيم ، حتى ولا تلك الأوامر التي فرضت عليه اقتراف أحقر جرائم الحرب ، فقد صمت لا ينبس ببنت شفة . اما يودل ، وهو اقل استكانة من رئيسه كايتل ، فقد تحدث .أجل لقد رأى هذا الجندي ، وهو الذي احتفظ رغم ولائه المتعصب للفوهرر ، بشيء من التقاليد العسكرية ، ان الرئيس الحربي الاعلى ، يتخلى الآن عن جنوده ، ويطرح عن نفسه المسؤولية ، ليلقي بهـــا اليهم في هذه اللحظة المترعة بالكوارث .

وقال يودل : « انك أعجز من ان توجه شيئاً من هنا . واذا لم يكن معك أركان قيادتك فكيف تستطيع ان تقود أي شيء ؟ » .

ورد هتلر قائلاً : « حسناً في وسع غورنـــغ ان يتولى القيادة هناك » .

وعندما قال أحد القائدين ان ليس ثمة جندي واحد ، يستطيع ان يحارب في سبيل مشير الرايخ ، قاطعه هتلر قائلاً : « ماذا تعني بالمحاربة ؟فهناك المزيد من الحرب وان كان قليلا وثميناً في آن واحد» . وهكذا بدا ان الموازين قد شرعت تنقلب في النهـــاية حتى في عيني الفاتح المخبول . أو ان الآلهة قد اتاحت له على الأقل ، لحظات من الصفاء الذهني في هذه الليالي التي يسيطر عليها الكابوس في اخريات ايامه .

---

١ ـ كايتل في استجوابه في نورمبرغ ـ المؤامرة النازية والعدوان الملحق (ب) ص ١٢٧٥ ـ ١٢٧٩ . اما وصف يودل ، فقد رواه للفريق كولر تلك الليلة ودون في كتاب الاخير . ص ٣٠ ـ ٣٢ .

وكانت هناك نتائج عدة لانفجارات هتلر الاخيرة في الثـاني والعشرين من نيسان ، وللقرار الاخير الذي اتخذه بالبقاء في برلين . فعندما تلقى هملر ، الذي كان في هوهنليشين الواقعة الى الشمال الغربي من برلين ، محادثة هاتفية من هيرمان فيغلاين ضابط ارتباط الحرس النازي في القيادة العليا يصف له فيها ما يحدث.. هتف هذا برجال بطانته قائلاً :« لقد جن كل من في برلين ! ترى ماذا يجب علي ان أفعل ؟ » .

ورد غوتلوب بيرغر رئيس المكتب الاعلى للحرس النازي على قائده قائلاً : « عليك ان ترجع فوراً الى برلين » . أجل كان بيرغر احد الالمان البسطاء الذين آمنوا باخلاص بالاشتراكية الوطنية . ولم يكن قد تصور أبداً ان رئيسه المحترم ، هملر ، قد شرع تحت ضغط الفريق وولتر شيلنبرغ من قادة الحرس النازي ، في الاتصال مع الكونت فولكه برنادوت السويدي لتسليم الجيوش الالمـــانية في الغرب . وقال بيرغر لهملر : « انا ذاهب الى برلين ، والواجب يفرض عليك العودة اليها » .

وقد عاد بيرغر ، لكن هملر لم يعد . ولا ريب في ان عودته تلك الليلة ذات أهمية كبرى بالنسبة الى الوصف الصادق الذي خلّفه عن حالة هتلر في تلك الليلة التي اتخذ فيها قراره العظيم . وكانت قذائف المدافع الروسية تنفجر على مقربة من دار المستشارية عندما وصل اليهـا بيرغر . وقد ساده الرعب عندما وجد الفوهرر « رجلاً محطمـاً قد انتهى » . وعندما جرؤ على الإعراب عن تقريره لتصميم الزعيم على البقاء في برلين قائلاً :«لا يمكن للمرء ان يتخلى عن الشعب بعد ان صمد هذا الصمود الصادق الطويل » ، أثرت كلماته ، على حد قوله ، على الزعيم .. ثم قال :

«لم يكن الفوهرر قد انبس ببنت شفة طيلة الوقت. ولكنه زعق فجأة قائلاً :لقد خدعني الجميع ، واخفوا عني الحقيقة .. لقد كذبت القوات المسلحة عليّ .. ومضى يتحدث بصوت خفيض لم اسمعه . وفجأة تضرج وجهه بحمرة الأرجوان . وخيّل الي انه سيصاب

بنوبة في أية دقيقة » .

وكان بيرغر يشغل منصب ادارة شؤون اسرى الحرب التابعة لهملر، وعندما هدأت ثائرة الفوهرر ، أخذا يبحثان في مصير جماعة من الأسرى البارزين من البريطان والفرنسيين والامريكيين وعـــدد آخر من الألمان من أمثال هولدر وشاخت وشوشنيغ مستشار النمسا السابق . وكان هؤلاء ينقلون الآن الى الجنوب الشرقي ، لابقـــائهم بعيدين عن ايدي القوات الامريكية الزاحفة عبر المانيا . وتقرر ان يطير بيرغر الى بافاريا تلك الليلة ليتولى أمرهم . وتحدث الرجلان ايضاً عن الانباء القائلة باندلاع حركات انفصالية في النمسا وبافاريا . وسرعان مـــا اثارت هتلر فكرة نشوب الثورة في مسقط رأسه النمسا ، وفي البلاد التي تبناها ، بافاريا . ومضى بيرغر يروي ما حدث قائلاً :

« كانت يده ترتجف ، وساقه كذلك ، وكان رأسه يهتز وهو يواصل القول ، موجهاً خطابه الي : « اقتلهم جميعاً ، أجل اقتلهم جميعاً ! [1] » .

ولم يتضح لبيرغر ، ما عناه هتلر .. فهل يقتل جميع الانفصاليين او كافة الاسرى البارزين أو افراد الفئتين جميعاً .. ولكن بدا لهذا الرجل البسيط ، ان أمر هتلر كان يعني قتل الجميـــع .

غورنغ وهملر يحاولان تسلم الحكم

وظل الفريق كولر ، بعيداً عن مؤتمر الفوهرر العسكري في الثاني والعشرين من نيسان . فقد تحتم عليه ان يعنى بأمر السلاح الجوي ، بالاضافة الى انه ، كما يقول في يومياته « لم يستطع احتمال الاهانات توجه اليه كل يوم » .

وكان الفريق ايكارد كريستيان ، ضابط ارتباطه في الملجأ ، قد هتف له ،

١ ــ تريفور تروبر « آخر ايام هتلر » ص ١٢٤ و ص ١٢٦ ــ ١٢٧ . وهو يروي قصة بيرغر «بشيء من التحفظ » .

في الساعة السادسة والربع مساء ، وصوته يتهدج ، قائلاً : « حادث تاريخي يقع هنا ... انه إكثر أحداث الحرب حسماً ... » ووصل كريستيان بعد ساعتين الى مقر قيادة القوة الجوية في وايلدبارك - فيردر الوقعة في ضواحي برلين ، ليقدم تقريراً شخصياً الى كولر..وقد بادره قائلاً :« أصيب الفوهرر بالانهيار ». وكان كريستيان نازياً متحمساً ، وقد بنى باحدى سكرتيرات هتلر ، وسرعان ما توقف عن الكلام بعد ان روى ان الزعيم قد قرر مواجهة نهايته في برلين ، وانه شرع يحرق اوراقه ، اذ أصيبت افكاره بالتشتت . وسرعان ما اضطر رئيس أركان حرب القوة الجوية الى مغادرة مقره على الرغم من الغارة البريطانية الثقيلة التي كانت تشن في تلك اللحظة على برلين ، ليقابل يودل ، ويتثبّت ممـا سمعه عن الاحداث التي وقعت ذلك اليوم في ملجأ هتلر .

وعثر على يودل في كرامبنيتز الواقعة بين برلين وبوتسدام ، والتي اقامت فيها القيادة العليا مقراً مؤقتاً لها ، فروى له هذا ، القصة المحزنة . بجذافيرها . وحسر يودل النقاب عن شيء لم يكن أحد قد ذكره حتى تلك اللحظة لكولر والذي قدر له ان يؤدي الى خاتمة معينة في غضون الايام المحمومة القليلة القادمة.

روى يودل لصديقه ، ان هتلر قال له ولكايتل : « عندما يصل المرء الى مرحلة التفاوض للصلح ، فان في وسع غورنـغ ان يحقق نتيجة خيراً مني . اجل ان غورنغ يفضلني في مثل هـــذه الامور . وهو أقدر مني على التعامل مع الطرف الآخر [1] » ..

وشعر الفريق الجوي ان واجبه يحتم عليه ان يطير فوراً الى غورنـغ . فمن الصعب بل ومن الخطورة ، بالنظر الى استماع العدو للاشارات الالمانيـــة الاذاعية ، محاولة شرح هذا التطور الخطير في رسالة اذاعية . واذا كان لا بد لغورنـغ ، الذي رشحه هتلر قبل سنوات وبصورة رسمية خليفة له ، من تولي

---

١ ــ تذكر كايتل هذه الملاحظة اثناء استجوابه ــ المؤامرة النازية والعدوان . وتوجد رواية يودل في كتاب كولر « الشهر الاخير » ص ٣١ .

زمام المفاوضات الآن ، كما اقترح الفوهرر ، فإن الوقت اثمن من ان يضاع . ووافقه بودل على رأيه . واستقل كولر في الساعة الثالثة والنصف من صباح الثالث والعشرين من نيسان طائرة مقفلة يغذ بها سيره الى ميونيخ .

ووصل عند الظهيرة الى اوبر سالزبرغ ونقل ما يحمله من أنباء الى مشير الرايخ . لكن غورنغ المتلهف الى اليوم الذي يخلف فيه هتلر ، كان اكثر يقظة وحذراً الآن مما يتصور المرء . فلم يرغب في ان يكشف نفسه ، لحيل « العدو المميت » بورمان ، وهو حذر اثبتت الايام صحته . وراح العرق ينضح منه وهو يحاول حل المعضلة التي يواجهها ، وراح يقول لمستشاريه : « لو جرأت على العمل الآن ، فقد اتهم بالخيانة . اما اذا تقاعست ، فسأتهم بأنني خبت في ان اعمل شيئاً في ساعة الحرج والكارثة » .

وبعث غورنغ في طلب هانز لاميرز ، وزير الدولة لشؤون المستشارية ،وكان في برختسغادن ، ناشداً مشورته من الناحية القانونية ، كما بعث يطلب من خزانته الحديدية صورة عن مرسوم الفوهرر الصادر بتاريخ التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٤١ . كان المرسوم واضحاً كل الوضوح . فلقد نص على ان يخلف غورنغ هتلر في حالة موته وان ينوب عنه في حالة عجزه عن ممارسة سلطاته . واتفق الجميع على ان الفوهرر بقراره البقاء في برلين ليموت فيها قد عزل نفسه في ساعاته الاخيرة عن القيادات العسكرية والدوائر الحكومية في آن واحد ، وبات عاجزاً عن ممارسة الحكم ، ولذا فان واجب غورنغ الواضح بموجب المرسوم ، ان يتولى الحكم نيابة عنه .

ومع ذلك فقد عني مشير الرايخ عناية فائقة عندما أعد برقيته التي اعتزم ارسالها الى هتلر ، فلقد اراد الاطمئنان الى ان يعهد اليه بالسلطة ، وهذا نص البرقية :

« يا زعيمي »

« بالنظر الى قرارك البقاء في قلعة برلين ، هل توافق على ان

أتحمل فوراً مسؤولية القيادة الكاملة للرايخ ، مع الحرية المطلقة في ان أعمل داخل البلاد وخارجها ، نائباً عنك طبقاً للمرسوم الصادر عنك بتاريخ التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٤١ ؟ . واذا لم أتلق منك رداً حتى الساعة العاشرة من هذا المساء ، أجد نفسي مضطراً الى اعتبارك فاقداً حرية العمل ، وأتولى تنفيـــذ شروط مرسومك المشار اليه ، وأعمل ما إستطيع لما فيه خير بلادنا وشعبنا. ولا ريب في انك تعرف مدى ما أشعر به نحوك في هذه الساعة التي اعتبرها اكثر الساعات حسماً وخطورة في حيـــاتي ولن تستطع الكلمات التعبير عمّا يخالجني من أحاسيس ليحفظك الله ، ولينقلك الينا هنا في اسرع وقت وعلى الرغم من كل شيء . .

المخلص اليك

هيرمان غورنغ »

وكان هنريك هملر ، يجتمع في تلك الليلة نفسها وعلى بعد مئات الاميال من المكان الذي يوجد فيه غورنغ ، الى الكونت برنادوت في دار القنصلية السويدية في لوبيك على البلطيق . ولم يكن « هملر الأمين » كما كان هتلر يلقبه دائماً بحب واعجاب ، ينشد الآن من زعيمه السلطة على خلافته ، وانمـــا كان يتولاها دون اذن .

وراح يقول للكونت السويدي : « لقد اقتربت حياة الفوهرر العظيمة من نهايتها الآن » ، وأضاف ان هتلر سيموت بعد يوم أو يومين وراح يحث برنادوت على ان ينقل الى الفريق ايزنهاور فوراً رغبة المانيا في الاستسلام في الغرب . واستطرد يقول ان الحرب ستستمر في الشرق الى ان تتولى الدول الغربية نفسها حماية الجبهة من الروس . هذه هي الاقوال الساذجة او البلهاء التي صدرت الآن عن هذا الزعيم للحرس النازي ، الذي بات يدعي لنفسه الآن الزعامة المطلقة في الرايخ الثالث .وعندما طلب برنادوت من هملر ان يضع خطياً عرضه الاستسلام ، أعدت على الفور رسالة على ضوء الشموع ، اذ ان قصف السلاح الجوي الملكي

البريطاني للمدينة كان قد قطع التيـــار الكهربائي عنها ، وحمل المجتمعين على الانتقال الى القبو . ووقع هملر الرسالة [1] .

وسرعان ما وجد كل من غورنـغ وهملر انهما تسرعا في العمل . فعلى الرغم من ان هتلر قد عزل نهائياً باستثناء بعض الاتصال الاذاعي الضعيف مع جيوشه ووزرائه ، اذ كان الروس قد أكملوا تقريباً تطويقهم العاصمة قبل عشية الثالث والعشرين من نيسان ، إلا انه اراد الآن ان يثبت ان باستطاعته حكم المانيا بقوة شخصيته ومكانته وحدهما ، وان في وسعه ان يخمد « الخيانة » حتى ولو كان مرتكبوها أبرز اتباعه وأهمهم ، بمجرد كلمة واحدة يطلقها على جهاز الإرسال الاذاعي الضعيف المعلق الى منطاد فوق قبوه الدوثروي .

وقد شرح البرت سبير ، وسيدة بارزة شهدت الفصول الاخـيرة وقدر لظهورها المسرحي في هذا الفصل الاخير من رواية برلين ان يسجل ، رد فعل هتلر على برقية غورنـغ . وكان سبير قد طار الى العاصمة المحاصرة ليلة الثالث والعشرين من نيسان وهبط من طائرته الصغيرة في الطرف الشرقي من الشارع العريض ، شارع « محور الشرق والغرب » الذي يمتد عبر « التير غارتن » عند بوابة براندنبرغ على بعد خطوات من المستشارية .اذ لما عرف ان هتلر قرر البقاء في برلين حتى النهاية التي لم تعد بعيدة ، جاء ليودع الزعيم ، ويعترف له « ان الصراع بين ولائه الشخصي وواجبه العام » كما حدده ، قد أرغمه على تخريب سياسة الفوهرر « بحرث الارض » وتدمير كل شيء . وقد توقع كامل التوقع ان يأمر الفوهرر باعتقاله بتهمة الخيانة . وان يعدمه ، على سبيل الاحتمال.ولا ريب في ان هذا كان يحدث حتماً لو ان الفوهرر عرف بما عمله سبير قبل شهرين ، وان الفوهرر كان سيلحق به ايضـــاً جميع الذين نجوا من غضبه في مؤامرة ستوفنبرغ .

---

١ ــ برنادوت « اسدال الستار » ص ١١٤ . شيلينبرغ ــ مسالك الجن . ص ٣٩٩ - ٤٠ . يتفق الكاتبان على الرواية التي اورداها عن الاجتماع .

وظل المهندس اللامع ووزير التسليح ، على الرغم من تفاخره بأنه بعيد عن السياسة ، مغمض العينين أمداً طويلا ، شأنه في ذلك شأن غيره من الألمان ، ولم يصح الا بعد عهد طويل . وكان قد قرر قتل الفوهرر ، عندما تبيّن له ان زعيمه المحبوب مصمم عن طريق سياسة « حرث الارض » على تخريب المانيا وتحطيم شعبها . وكانت خطته ترمي الى نشر احد الغازات السامة عن طريق جهاز التهوية في ملجأ برلين إبان انعقاد احد المؤتمرات العسكرية الشاملة . وهكذا تركز أمل سبير على القضاء على جميع افراد القيادة النازية في الرايخ الثالث وعلى رؤساء القيادة العليا ، إذ ان غورنغ وهملر وغوبلز كانوا يشهدون الآن مؤتمرات الفوهرر العسكرية بالاضافة الى الفرقاء . وأعد الوزير الغاز وشرع يدرس جهاز التهوية ، وسرعان ما اكتشف كما روى هو ،ان انبوب الهواء الداخل في الحديقة مغطى بمدخنة ترتفع اثني عشر قدماً ، وقد ركبت مؤخراً بأمر شخصي من هتلر لاحباط أية محاولة تخريبية ، وايقن ان من المحال ان يتمكن من ادخال الغاز السام عن طريقها دون ان يحس به رجال الحرس النازي الذين يتولون حراسة الحديقة .وهكذا عدل سبير عن مشروعه ، ونجا هتلر مرة اخرى من الاغتيال .

واعترف سبير ليلة الثالث والعشرين من نيسان للفوهرر اعترافاً كاملاً بعصيانه أوامره ، وامتناعه عن تنفيذ خطته الرامية الى تخريب ما تبقى من تجهيزات في المانيا ، وقد دهش الوزير عندما لم ير آثار أي للغضب أو الحنق على ملامح هتلر . ومن المحتمل ان الفوهرر قد تأثر بشجاعة صديقه الشاب وصراحته ، اذ لم يكن سبير قد جاوز الاربعين بعد لا سيما وانه كان دائماً يحبه بالغ الحب ويعتبره « زميلاً له في الفن » . وقد لاحظ كايتل ايضاً ان هتلر بدا غريباً في هدوئه في ذلك المساء ،وكأنه اراد وقد وثق الآن من نهايته القريبة ان يموت هادىء العقل والروح . ولكن هذا الهدوء لم يكن من النوع الذي يعقب العاصفة التي احجبها أمس فحسب ، بل الذي يسبق العاصفة ايضاً .

فلقد وصلت برقية غورنغ الى المستشارية في ذلك الوقت ، وبعد ان اوقفها

بورمان فترة ، اذ تراءى له ان فرصته قد حانت اخيراً ، راح يقدمها الى الفوهرر ، وقد استخدم كل ما تميز به من دهاء ومكر ، على انها « انذار نهائي » ومحاولة خائنة لاغتصاب سلطة الفوهرر .

ويقول سبير : « ثار الفوهرر ثورة عارمة ، وراح يعبر عن سخطه على غورنغ بأقسى العبارات . وقال انه كان يعرف منذ أمد ان غورنغ رجل فاشل ، وفاسد ومرتش ، ومدمن على المخدرات » . وهزت هذه العبارات المهندس الشاب هزة عنيفة ، واعرب عن دهشته من ان هتلر قد احتفظ بمثل هذا الرجل ، الذي ينعته بهذه النعوت ، هذه المدة الطوية في مركز عال كمركزه . وعادت الدهشة تسيطر على سبير عندما رأى هتلر يهدأ ثانية ، ويقول : « حسناً ، ليمضِ غورنغ في التفاوض للاستسلام . فالأمر سيان ، ولا يهمني على اي حال من يتولى هذا الأمر [1] » . لكن حالة الهدوء هذه لم تدم إلا بضع لحظات .

وراح هتلر بتأييد من بورمان ، يملي قبل انتهاء النقاش برقية يبلغ فيها غورنغ ، انه ارتكب « خيانة عظمى » عقوبتها الموت ، ولكن نظراً لخدماته الطويلة للحزب والدولة ، فانه سيعفو عن حياته شريطة الاستقالة فوراً من جميع مناصبه . وأمره بأن يجيب بعبارة واحدة وهي ، نعم أو لا . لكن هذه البرقية لم ترض بورمان الدسّاس . فراح يأمر ، من نفسه ، في برقية بعث بها الى مقر قيادة الحرس النازي في برختسغادن باعتقال غورنغ فوراً ومعه جميع موظفيه و « لاميرز » ايضاً بتهمة « الخيانة العظمى » . ولم يطلع فجر اليوم التالي ، حتى وجد الرجل الثاني في الرايخ ، واكثر أمراء النازية غروراً وثراءً ، والرجل الوحيد في التاريخ الالماني الذي حمل لقب مشير الرايخ ، والقائد العام للقوة الجوية الالمانية ، نفسه أسيراً عند الحرس النازي .

ولم تمض ايام ثلاثة ، حتى كان هتلر عشية السادس والعشرين من نيسان ،

---

١ ـ سبير في محاكمة نورمبرغ ـ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٦) ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥ .

يعبر عن رأيه تعبيراً أشد عنفاً في موضوع غورنغ من تعبيره بحضور سبير في المرة الماضية .

آخر زائرين للملجأ

ووصل في غضون ذلك ، زائران آخران اكثر طرافة ،الى مستشفى المجاذيب في قبو الفوهرر الدوثروي . انهما حنة ريتش ، المرأة البارعة في اختبار قيادة الطائرات وتجربتها والتي تتميز بالاضافة الى مزاياها الاخرى ، بأنها تمثال مجسد للكراهية ولا سيما لغورنغ ، والفريق ريتر فون غريم . فقد استدعاهما الفوهرر من ميونيخ في الرابع والعشرين من نيسان للمثول شخصياً أمام القائد الاعلى ، وقد جاءا بالفعل وان كانت الطائرة التي استقلاها ، والتي كانت آخر ما وصل الى برلين من طائرات مساء السادس والعشرين قد أصيبت وهي فوق « التير غارتن » بقذيفة مدفع روسي مضاد للطائرات ، مما أدى الى تهشيم قدم الفريق غريم .

ودخل هتلر الى غرفة العمليات حيث كان أحد الأطباء يتولى علاج جرح الفريق ..

« هتلر : أتعرف لماذا استدعيتك ؟

« غريم : لا يا زعيمي .

« هتلر : لأن هيرمان غورنغ قد خان وطنه وخانني وتخلى عنا. فقد اتصل بالعدو من وراء ظهري . وما عمله هذا إلا دليل على الجبن . فقد مضى عاصياً لأوامري الى برختسغادن لينجو بنفسه ، وراح يبعث الي من هناك ببرقية معيبة ... انها :

وتقول حنة ريتش التي شهدت المقابلة ، ان وجه الفوهرر صار يختلج عندما وصل الى هذه النقطة ، وراح يزفر زفيراً حاداً أشبه بالقنابل ثم مضى يقول : « أجل انها انذار نهائي . انذار وقح ! والآن لم يبق شيء. ولم

تبق مصيبة لم تنزل بي . لم يبق أحد على ولائه ، او على شرفه . ولم يعد هناك من خيبة امل لم أذق مرارتها او خيانة لم اجربها ، ثم تأتيني هذه البرقية . لقد انتهى كل شيء . لم تبق اساءة لم تلحقني .

« وقد أمرت فوراً باعتقال غورنغ خائناً للرايخ ، ونزعت منه جميع مناصبه ، وأقلته من جميع المنظمات التي يرئسها ، وهذا هو السبب الذي حملني على استدعائك [1] .

وراح يعين في نفس اللحظة الفريق المندهش ، المستلقي جريحاً على فراش من الخوص ، قائداً عاماً للسلاح الجوي ، وهي ترقية كان في مكنته اعلانها عن طريق الاذاعة ، فيوفر على غريم قدمه التي شلت ، ولا يضعه في هـذا المكان الذي لا يستطيع منه مطلقاً ان يوجه السلاح الجوي . ولم تمض ايام ثلاثة حتى كان هتلر يصدر امره الى غريم ، الذي كان يتوقع ويود حتماً ، شأنه في ذلك شأن حنة ريتش ،البقاء الى جانب الزعيم للموت معه ،بأن يغادر القبو ليعالج قضية اخرى من قضايا « الخيانة » التي لم تعد مقتصرة كما رأينا في الرايخ الثالث على هيرمان غورنغ وحده .

وقد أتيح لحنة ريتش في هذه الايام الثلاثة ان تشهد الحياة المجنونة في ذلك المستشفى الدوثروي للمجانين ، وان تشترك فيها . ولما كانت هذه المرأة لا تقل في عدم استقرارها العاطفي عن مضيفها الكبير ، فان الوصف الذي تركته لهذه الحياة فظيع ومشجاوي وكئيب ، ولكنه في الوقت نفسه صادق الى حد كبير في مجموعه ، ودقيق الى حد مـا في سرده ، ثبتت صحته على ضوء المقارنة التي اجريت له مع تقارير اخرى صدرت عن بعض شهود العيان الآخرين . ولهذا اعتبر ان هذا الوصف مهم كل الاهمية لهـذا الفصل الختامي من التاريخ الذي أكتبه .

ففي ساعة متأخرة من ليلة وصولها مع الفريق فون غريم أي في السادس

---

١ ــ شهادة حنة ريتش في نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٦) ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥

من نيسان بدأت القذائف المدفعية الروسية تتساقط على دار المستشارية ، وبدأ هدير الانفجارات وصوت تهاوي الجدران فوق الملجأ ، يضاعف من حالة التوتر في داخله . وانحنى هتلر بالطيارة جانباً . .

وقالت له : « لماذا تبقى هنا يا زعيمي ؟ ولماذا تحرم المانيا من حياتك ؟ من واجب الزعيم ان يعيش لتعيش المانيا . ان الشعب يطلب ذلك . »

ورد الفوهرر كما تقول هي : « لا يا حنة . اذا كنت أوثر الموت فذلك للحفاظ على شرف بلادنا . فواجبي كجندي يحتم علي ان أطيع أمري كقائد ، وأن أدافع عن برلين حتى النهاية » . . ثم مضى يقول :

« لم أقصد هذه النتيجة يا فتاتي العزيزة . كنت أومن ايماناً قاطعاً ان انقاذ برلين سيتم على ضفاف الاودر . وعندما فشلت جميع محاولاتنا ، كنت اكثر فزعاً من غيري . وعندما بدأ تطويق المدينة اعتقدت انني ببقائي سأضرب مثلاً لجميع جنود الوطن ، فيهرعون للدفاع عن المدينة وانقاذها . . ولكنني ما زلت أتعلق بالامل يا حنة . فجيش الفريق وينك يتقدم من الجنوب . وعليه ان يصد الروس الى الوراء وسيصدهم وقتاً يكفي لانقاذ شعبنا . وآنذاك سنعود لنصمد من جديد [1]

كانت هذه احدى الحالات التي ظهر فيها هتلر في تلك الليلة . انه ما زال يأمل في تمكن الفريق وينك من انقاذ برلين وتخليصها . ولكنه ما لبث ان تحول الى اليأس ثانية بعد لحظات ، عندما اشتد القصف المدفعي لدار المستشارية وقدم الى ريتش قارورتين من السم ، احداهما لها والثانية لغريم .

وراح يقول : « اسمعي يا حنة انك من الفئة التي ستموت معي . . وانا

---

١ ـ استجواب حنة ريتش ـ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٦) ص ٥٥٦) . وقد نقلت جميع العبارات المقتطفة التالية ووصف الاحداث من هذا الاستجواب . ويوجد سرد لها في المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٥٥١ ـ ٥٧١) .

لا اريد ان يقع اي منا في ايدي الروس حياً ، كما لا اريد ان يعثروا على أجسادنا . سنضمن انا وايفا حرق جسدينا . وعليك انت ايجاد الطريقة التي ترغبين فيها » .

وحملت حنة القارورة الى غريم ، وقررا انهما « في حالة مجيء النهاية حقاً سيبتلعان السم ، ثم يفجران قنبلة يدوية ضخمة يمسكان بها على مقربة من جسديهما .

وبعد يوم ونصف اليوم ، أي في الثامن والعشرين ، انتعشت آمال هتلر من جديد ، وان شئنا الدقة قلنا ان اوهامه هي التي انتعشت ، اذ بعث برسالة اذاعية الى كايتل يقول : « اتوقع نجدة برلين . ماذا يفعل جيش هنريكي ؟وابن وينك ؟ وماذا حل بالجيش التاسع ؟ ومتى ينضم جيش وينك والجيش التاسع الى بعضهما ؟ » [1]

ووصف ريتش سيد الحرب الاعلى في ذلك اليوم وهو « يذرع الملجأ ملوحاً في يده بخريطة للطرق ، بدأت في التمزّق من جراء العرق في يديه ، وواضعاً الخطط لحملة وينك مع كل من يصغي اليه » .

ولكن « حملة » وينك شأنها في ذلك شأن « هجوم » شتاينر قبل اسبوع لم تكن الا من بنات خيال الفوهرر .. فلقد صفى جيش وينك كما صفى الجيش التاسع ايضاً . أما جيش هنريكي الى الشمال من برلين ، فيغذ الخطى باتجاه الغرب ، ليستسلم للغربيين بدلا من الروس .

وظلّت مجموعة اليائسين في الملجأ تنتظر طيلة الثامن والعشرين من نيسان

---

١ ـ استجواب كايتل (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٦) ص ١٢٨١ ـ ١٢٨٢) . وتقدم لنا السجلات البحرية الالمانية ايضا رسالة اذاعية مماثلة ، من هتلر الى يودل في الساعة (٧،٢٥) بعد ظهر (٢٩) نيسان . (مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ـ ١٩٤٥ ـ ص ١٢٠ !) . ويوجد نص الرسالة في يوميات القيادة العليا التي اعدها شولز ص ٥١ مسجلة في الساعة الحادية عشرة مساء ٢٩ نيسان . ويبدو ان هذه خطيئة ، اذ ان هتلر كان في تلك الساعة قد فقد كل اهتمام بالجيوش ، على ضوء ما قام به من اعمال .

باء الهجمات المضادة لهذه الجيوش الثلاثة ولا سيما الجيش وينك . وباتت رؤوس الرماح الروسية الآن على بعد بضعة ابنية فقط من دار المستشارية ، وهي تتقدم ببطء نحوها من عدة شوارع الى الشرق والى الشمال وعبر حدائق « تيبر » من ناحية الغرب . وعندما لم تصل اية انباء عن قوات النجدة ، توقع هتلر ، وايده بورمان في توقعه حدوث خيانات جديدة . وبعث بورمان في الساعة الثـــامنة مساء رسالة اذاعية الى دونيتز قال فيها :

« نحن نقابل بالصمت من المسؤولين بدلا من ان يحثوا القوات على التقدم لانقاذنا . ويبدو ان الخيانة قد حلت محل الولاء . اننا باقون هنا . وقد تحولت المستشارية الى خرائب » .

وراح بورمان يبعث برسالة اخرى في ساعة متأخرة من تلك الليلة الى امـير البحر دونيتز قال فيها :

« على شويرنر ووينك والآخرين ان يقيموا الدليل على ولائهم للفوهور بالمجيء لنصرته في اسرع وقت ممكن » [١]

وكان بورمان يعمل الآن تلقائياً ودون ايعاز من هتلر . فلقد حزم الفوهرر امره على الموت بعد يوم او يومين ، لكن بورمان يريد ان يعيش . وقديفشل في ان يخلف الفوهرر ، ولكنه يريد مواصلة « جذب الخيوط » وراء كل من يخلفه.

وبعث امير البحر فوس برسالة اخيرة في تلك الليلة الى دونيتز يقول فيهـا ان جميـع الاتصال الاذاعي مع الجيش قد قطع ، ويطلب من رئيسه ان يرسل على موجة الاسطول الاذاعية ، بعض الانباء عما يدور في العالم الخارجـــي . وسرعان ما جاءت بعض الانباء ، لا من البحرية ، بـل من مركز الاستماع في وزارة الدعاية ، وكانت من النوع المحطم لأعصاب ادولف هتلر .

---

١ ـ تريفور ـ تروبر ـ آخر ايام هتلر ص ١٦٣ . يورد الكتاب الرسالة الاولى ، امـا الرسالة الثانية فقد عثر عليها في سجلات البحرية (مؤتمرات هتلـر في الشؤون البحريـة ١٩٤٥ ص ١٢٠) وتوجد رسالة امير البحر فوس ، ضابط الاتصال البحري في القيادة العامة في نفس المصدر ايضا وفي الصفحة ١٢٠ .

كان هناك موظف نازي آخر في الملجأ بالأضافة الى بورمان ، يود انْ يعيش. انه هيرمان فيغيلاين ، ممثل هملر في البلاط الهتلري ، ومثال الألماني الذي لايمكن ان يبرز إلا في ظل نظام كالنظام النازي . بدأ حياته سائساً للخيل ، ثم أصبح فارساً (جوكياً) ، لا يعرف القراءة والكتابة ، وانما تولاه كريستيان ويبر أحد رفاق هتلر القدامى في الحزب ، ومضمر الخيل ، برعايته . وكان ويبر قد تمكن عن طريق الغش من جمع ثروة واقامة اسطبل كبير للخيل بعد عام ١٩٣٣ . وتمكن فيغيلاين بمساعدة ويبر من الارتقاء عالياً في الرايخ الثالث فأصبح « فريقاً » في الحرس النازي ، ثم عاد فارتقى منالبلاط الهتلري بعدان عينه هملر ضابط ارتباطه في قيادة الفوهرر ، عن طريق الزواج من غريتل شقيقة ايفا براون ، ويتفق جميع الاحياء من قادة الحرس النازي في ان فيغيلاين بالتعاون مع بورمان ، لم يأل جهداً في الوشاية برئيسه هملر الى هتلر ، ولكن على الرغم من عيوبه واميته وجهله ، فقد كان يملك غريزة اصيلة في حب البقاء ، وكان يعرف الباخرة الموشكة على الغرق من مجرد رؤيتها .

وراح في السادس والعشرين من نيسان ينسل بهدوء من الملجأ ، لكن هتلر ما لبث ان لاحظ اختفاءه بعد ظهر اليوم التالي . وثارت شكوك الفوهرر ، واشتد غضبه فبعث بفئة من رجال الحرس النازي المسلحين للبحث عنه . وعثر الرجال عليه وهو في ملابسه المدنية في بيته في منطقة شارلوتنبرغ ، التي كان الروس على وشك اجتياحها . وأعاده الحرس الى المستشارية ، حيث اقاله هتلر من رتبته في الحرس النازي وأمر باعتقاله . وسرعان ما اثارت محاولة فيغيلاين الفرار شكوك الفوهرر في هملر نفسه . ترى ما الذي يدبره رئيس الحرس النازي الآن حتى انه تغيب عامداً متعمداً عن برلين ؟ لم تصل اية انباء منه ، منذ تخلى ممثله فيغيلاين عن مركزه . ولكن سرعان ما تواردت الانباء .

قلنا ان الثامن والعشرين من نيسان كان يوم محنة في الملجأ . فالروس يقتربون ساعة اثر اخرى ، ولم تصل اية انباء عن هجوم وينك المضاد أو عنأي هجوم مضاد آخر . وكان المحاصرون قد طلبوا عن طريق اذاعة البحرية ،

بالحاف اية انباء عن التطورات خارج المدينة المحاصرة .

وكان مركز الالتقاط في وزارة الدعاية قد التقط من الاذاعة البريطانية في لندن نبأ عن حقيقة ما يدور في خارج برلين . كان النبأ رسالة لوكالة رويتر من ستوكهولم ، وكان مثيراً الى درجة بصعب تصديقه حتى ان هاينز لورينز احد اعوان غوبلز ، هرع عبر الميدان الذي مزقته القنابل ليلة الثامن والعشرين من نيسان الى الملجأ ، يحمل نسخة من النبأ الى وزيره والى الفوهرر .

وذكرت ريتش ان الرسالة اصابت جميع « الحاضرين وكأنها ضربة الموت وصرخ جميع الحاضرين من رجال ونساء غضباً وسخطاً ، وخوفاً وهلعاً ، وقد اختلطت هذه المشاعر فيحركة تقززعاطفية ». وكانت تشنجات هتلر اقوى من تشنجات غيره . وتقول الطيارة أن هتلر ثار كالمجنون .

فهنريخ هملر ... هملر الأمين ، قد تخلى أيضاً عن سفينة الدولة المشرفة على الغرق ، اذ روت رسالة رويتر نبأ المحادثات السرية التي اجراهـــا مع الكونت برنادوت وعرضه استسلام الجيوش الألمانية في الغرب الى ايزنهاور .

وكانت هذه اقصى الضربات التي نزلت بهتلر الذي لم يكن قد شك يوماً في ولاء هملر واخلاصه المطلقين . وتقول ريتش « ان وجهه قد احمر الى درجـــة الالتهاب ، وبدا في صورة يصعب على المرء تمييزها .... وبعد أن هدأت سورة غضبه التي طالت ... غرق في مقعده ، وخيم على جميع الحاضرين في الملجأصمت مطبق »فغورنغ طلب على الأقل اذن الزعيم بتولي المسؤولية . لكن رئيس الحرس النازي « الأمين » ، لم يكلف نفسه حتى عناء الاستئذان ، اذ اتصل عن طريق الخيانة بالعدو دون ان يبوح بكلمة واحدة ووصف هتلر بعد أن استعاد نفسه ، هذا العمل لرفاقه بأنه أسوأ عمل من أعمال الخيانة عرفه في حياته .

وكانت هذه الضربة مع الانباء التي جاءت بعد دقائق ، تقول أن الروس يقتربون من ميدان « بوتسدام » الذي يبعد مسافة قصيرة عن المستشارية وانهم قد يقتحمونها صباح الثلاثين نيسان ، أي بعد ثلاثين ساعة ، هي علامة النهاية . وقد أرغمت هتلرعلى أن يتخذ فوراً آخر قرارات حياته . اذ لم يحل الفجر حتى

كان قد بنى بايفا براون لتغدو زوجته الشرعية ،وكتب وصيته الأخيرة وعهده ، وأوفد غريم وحنة ريتش لجمع ما يمكنهما من القوات الجوية للقيام بقصف شامل للقوات الروسية التي تقترب من المستشارية ، وأمرهما ايضاً باعتقال هملر بتهمة الخيانة .

وتقول حنة أن هتلر قال لهما : « لن يخلفني في الزعامة شخص خائن . وعليكما ان تتأكدا أنه لن يخلفني » .

ولم يكن في وسع هتلر ان ينتظر حتى يطفىء غليل انتقامه من هملر نفسه . ففي متناول يده فيغيلاين ضابط ارتباط هملر . وسرعان ما اقتاد الحرس النازي « الجوكي » السابق والفريق الراهن في الحرس النازي من غرفة الحرس ، واستجوب استجواباً دقيقاً عن « خيانة » هملر التي اتهم بالضلوع فيها ، ثم حملوه الى حديقة المستشارية حيث أعدم بأمر من الفوهرر . ولم يشفع له زواجه من شقيقة ايفا براون ، كما أن ايفا لم تقم بأية محاولة لانقاذ صهرها .

وراحت تهمس في اذن حنة : « مسكين . ادولف ... لقد تخلى عنه الجميع وخانه الجميع . وكان من الافضل ان يموت عشرة آلاف آخرين ، على أن تفقد ألمانيا أدولف».

أجل لقد خسرته المانيا ولكن ايفا فازت به في ساعاته الاخيرة . فبين الساعة الواحدة والثالثة من صباح التاسع والعشرين من نيسان استجاب لرغبة عشيقته وبنى بها رسمياً كمكافأة لها على ولائها حتى النهاية. وكان يقول دائماً ان الزواج يحد من تكريسه نفسه تكريساً تاماً للوصول اولا بحزبه الى السلطان والوصول ثانياً ببلاده الى أعلى الذرى . أما الآن ، ولم يبق هناك مايقوده ، وقد أضحت حياته في نهايتها ، ففي وسعه أن يلج بأمان دنيا الازواج ، لا سيما وأن بقاءه فيها لن يتعدى حدود بضع ساعات .

واستدعى غوبلز أحد أعضاء المجلس البلدي وهو ، وولتر واغنر ، وكان يحارب في وحدة من وحدات « العاصفة الشعبية » على بعد عدة ابنية من المستشارية ، وقام هذا الموظف الذاهل باجراء المراسيم في غرفة الاجتماعات

الصغيرة في الملجأ . وقد عاشت وثيقة الزواج ، التي تقدم لنا جزءاً من صورة ما وصفته احدى سكرتيرات هتلر « بزواج الموت » . وطلب هتلر « بالنظر الى تطورات الحرب ، ان يستعاض بالاعلان الشفوي عن نشر البيانات المألوفة ، وأن تتجنب كافة الاجراءات التعويقية » . وأقسم العروسان أنهما من « أصل آري صاف » وانهما خاليان « من أي مرض وراثي يحول دون اتمام الزواج » . واصر الديكتاتور عشية موته على التمسك بالرسميات والشكليات . ولم يترك فراغاً الا في المكان المخصص لاسم والده (الذي سجل عند الولادة كشيكلفروبر) . واسم والدته وتاريخ زواجهما . وبدأت عروسه توقع اسمها فكتب «ايفا براون» ولكنها سرعان ما توقفت لتشطب حرف « الباء » الذي بدأت به ولتسجل « ايفا هتلر المولودة براون » ، ووقع كل من غوبلز وبورمان شهادة الزواج .

وبعد الاحتفال القصير ، أعدت حفلة افطار « زواجية مقبرية » في جناح الفوهرر الخاص . وأخرجت زجاجات الشمبانيا ودعيت للحفلة حتى الآنسة مانزيالي ، طباخة هتلر النباتية ، مع جميع سكرتيراته وكذلك من تبقى من الفرقاء وكريبس وبيرغدورف وبورمان والدكتور غوبلز وقرينته ، واتجه الحديث مدة الى الأيام الخوالي الطيبة ، والى رفاق الحزب في الأيام السعيدة. وتحدث هتلر بعاطفة قوية عن ادائه دور « الشبين » في عرس غوبلز . وظل العريس كعادته التي حافظ عليها حتى النهاية ، يتحدث ويتحدث ، مستعرضاً الاحداث الجسام في حياته المسرحية . وقال ان هذه الحياة قد انتهت الآن ، وانتهت بانتهائها الاشتراكية الوطنية . وأكد ان الموت سيريحه ، لا سيما بعد أن خانه أقدم أصدقائه ومؤيديه . وعمت الكآبة حفل الزواج ، وانسل بعض الضيوف وعيونهم مغرورقة بالدموع . وانسل هتلر أخيراً من الحفل .واستدعى الى غرفة مجاورة احدى سكرتيراته ، السيدة جرترود جونج ، وشرع يملي عليها وصيته وعهده الأخيرين .

وصية هتلر الاخيرة وعهده

عاشت هاتان الوثيقتان كما اراد لهما هتلر ان تعيشا ، وتحتلان كغيرهما من

أوراق هتلر اهمية في سرد هذا التاريخ . وهما تؤكدان أن هذا الرجل الذي حكم المانيا بيد من حديد اكثر من اثني عشر عاماً، والذي سيطر على معظم انحاء اوروبا اكثر من اربع سنوات، لم يتعلم شيئاً من تجاربه ، ولا حتى من انتكاساته وفشله المحطم الأخير . وليس ثمة من شك في انه عاد في الساعات الأخيرة من حياته سيرته الأولى ، كشاب أفاق يعيش في اكواخ فيينا . وكمشاغب يثير المشاكل في حانة الجعة في ميونيخ ، يلعن اليهود ويحملهم مسؤولية كل ما في العالم من شرور ، ويتلو نظرياته غير الناضجة عن الكون ، وينتحب محملا القدر جريرة حرمان المانيا من الفتح والانتصار . وراح في رسالته الوداعية الى الأمة الألمانية والى العالم ، والتي قصد منها ان تكون نداءه الاخير الشامل للتاريخ ، يجمع كل ما في كتابه « كفاحي » من تهريج خاو ، مضيفاً اليه آخر ما توصل اليه من اكاذيب . وكانت هذه الرسالة، نقشاً تذكارياً مناسباً ارادهذا الطاغية الذي اثمله السلطان ، وافسده وحطمه تحطيماً كاملا ، ان يضعه على قبره .

وقد قسّم « العهد السياسي » كما اسماه ، الى قسمين يتألف اولهما من ندائه الى الاجيال القادمة ، وثانيهما من التوجيهات المحدودة التي يراها للمستقبل . قال هتلر :

« لقد انقضى اكثر من ثلاثين عاماً منذ قدمت اسهامي المتواضع، كمتطوع في الحرب الكونية الاولى ، التي فرضت فرضاً على الرايخ .

« وفي هذه الحقب الثلاث ، كان حبي لشعبي وولائي له ، هما اللذان يوجهان كل ما يساورني من افكار وما اقوم به من اعمال ، وما اعيشه من حياة . وقد مكناني من اتخاذ اصعب ما واجهه أي انسان فانٍ من قرارات ..

« ومن التنكر للحقيقة ان يقال ، اني او أي انسان آخر في المانيا قد اردنا الحرب في عام ١٩٣٩ . ان الذين ارادوها واثاروها، هم فقط اولئك الساسة العالميون الذين اما أن يكونوا من اصل يهودي

أو يعملون في خدمة المصالح اليهودية .

« ولقد قدمت عروضاً عديدة لتحديد التسلح والسيطرة عليه ، وهي التي لن تستطيع الأجيال القادمة طيلة الوقت تجاهلها، لتحملني مسؤولية نشوب هذه الحرب . يضاف الى هذا انني لم ارغب قط بعد الحرب الكونية الاولى المرعبة ، في اثارة حرب ثانية ضد بريطانيا او امريكا . وستنقضي القرون والاجيال ، ولكن من حطام مدائننا ونصبنا التذكارية ، ستنبثق مشاعر الكرامة لأولئك الذين يُسألون عن هذه الحرب ، وستتجدد يوماً بعد يوم . وهؤلاء المسؤولون ، الذين يرجع اليهم الفضل في ما رأيناه من اهوال .. والذين يتوجب علينا ان نشكرهم عليها ونحاسبهم ، هم اليهود الدوليون ومن يؤيدونهم . »

وعاد هتلر يكرر اكذوبته ، بأنه قدم قبل ثلاثة ايام من الهجوم على بولندة ، اقتراحات الى الحكومة البريطانية ، تتضمن حلاً معقولا للمشكلة الالمانية — البولندية ، ثم مضى يقول :

« ولم ترفض هذه الاقتراحات إلا لأن الزمرة الحاكمة في انكلترا ، أرادت الحرب ، مدفوعة بأسباب بعضها تجاري ، وبعضها متأثر بالدعايات التي روجت اليها اليهودية العالمية » .

وراح بعد ذلك يحمل « المسؤولية الكاملة » لا في موت الملايين من الناس في ميادين القتال ، وفي المدن التي هدمتها الغارات الجوية فحسب ، بل وفي موت الملايين من اليهود ، الى اليهود انفسهم . وعاد بعد ذلك الى شرح الاسباب التي دفعته الى البقاء في برلين حتى النهاية .. قال :

« وبعد ست سنوات من الحرب ، التي سيسجلها التاريخ على الرغم من جميع النكسات ، على انها أروع تمثيل بطولي مجيد ، لكفاح أمة في سبيل وجودها ، اجد نفسي عاجزاً عن هجر المدينة

التي تمثل عاصمة هذه الأمة. واني لأريد ان اشاطر الملايين الذين آثروا البقاء في هذه المدينة، المصير الذي يواجهونه هم. يضاف الى هذا انني لا اريد الوقوع في ايدي العدو الذي يتطلب منظراً جديداً، يقدمه اليهود، ليحولوا انظار اليه جماهيرهم التي تغلب «الهسترة» عليها.

«ولهذا قررت البقاء في برلين، وان اختار ميتتي فيها تلقائياً في اللحظة التي اعتقد فيها استحالة الحفاظ مدة اطول على شخصية الفوهرر ودار المستشارية. واني لأموت قرير العين، لأنني اعرف الاعمال التي لا مثيل لها، والمآثر التي حققها عمالنا وفلاحونا، والاسهام الفريد من نوعه في التاريخ الذي قدمته شبيبتنا التي تحمل اسمي».

وسرعان ما راح الفوهرر يحض جميع الالمان «على عدم الكف عن النضال». لكنه اضطر اخيراً الى الاعتراف بأن الاشتراكية الوطنية قد انتهت مؤقتاً، ولكنه اكد لاخوانه الالمان؛ ان التضحيات التي بذلها هو وجنوده..

«قد بذرت البذرة التي ستنمو في يوم ما.. لبعث الحركة الاشتراكية الوطنية بعثاً جديداً منبعثاً من امة متحدة».

ولم يكن في وسع هتلر ان يموت، دون ان يوجه اهانة اخيرة الى الجيش ولا سيما الى فيلق الضباط، الذي اعتبره مسؤولاً الى حد كبير عن الكارثة. وعلى الرغم من اعترافه بموت النازية مؤقتاً، إلا انه استحلف قادة القوات المسلحة الثلاثة:

«ان يشددوا بكل وسيلة ممكنة روح المقاومة عند الجنود ضمن اطار العقيدة الاشتراكية الوطنية، مع التأكيد بصورة خاصة على الحقيقة الواقعة وهي انني كمؤسس لهذه الحركة وخالق لها، آثرت الموت على الاذعان الجبان او حتى الاستسلام.

وراح يوجه بعد ذلك اهانته الى طبقة فيلق الضباط فقال :

« واني لابتهل الى الله ، ان يرى ضباط الجيش الالماني في المستقبل كما رأى ضباط بحريتنا دائماً ، ان الشرف يفرض عليهم ، ان لا يفكروا ابداً بالتخلي عن منطقة او مدينة ، وان من واجب القادة قبل كل شيء ، ان يضربوا المثل الرائع على التكريس امين للواجب حتى الموت » .

وكان اصرار هتلر على وجوب الحفاظ على « منطقة او مدينـــة » حتى الموت ، كما وقع في ستالينغراد ، هو الذي ادى الى وقوع الكارثة العسكرية ، ولكنه ، لم يعتبر من هذه النقطة كما لم يعتبر من اي شيء آخر .

وتناول القسم الثاني من العهد السياسي موضوع الخلافة . وعلى الرغم من ان الرايخ الثالث بات طعمة للنيران والانفجارات ، إلا ان هتلر لم يستطع احتمال المضي عن هذه الحياة دون ان يسمي خليفتـه ، مملياً عليه طريقة تشكيل الحكومة التي يتحتم عليه اختيارها. وقرر اولاً ان يمحو من الوجود خلفاءه الذين كانوا يشعرون في حقهم بخلافته ، فقال :

« واني لأطرد قبل موتي مشير الرايخ هيرمان غورنـــغ من الحزب واسحب منه جميع الحقوق التي خوله اياها المرسوم العشرين من حزيران عام ١٩٤١ .. واني لأعين بدلا منه امير البحر دونيتز رئيساً للرايخ وقائداً عاماً لقواته المسلحة .

« واقرر قبل موتي طرد هنري هملر القائد العام للحرس النازي ووزير الداخلية ، من الحزب ومن جميع مناصبه في الدولة» .

واعتقد ان قادة الجيش والقوة البحرية والحرس النازي ، قد خانوه وحرموه من ثمار النصر . ولهذا فلم يبق امامه الا ان يختار ممثل الاسطول خليفة له ، على الرغم من ان صغر هذا الاسطول ، لم يمكنه من القيام بدور رئيسي في حروب فتح هتلر . وكان لهذا العمل اهانة اخيرة للجيش الذي تحمل القسم الاكبر من

اعباء القتال . وخسر معظم الرجال الذين قتلوا في الحرب . واراد ان يحمل ايضاً حملة اخيرة ووداعية على الرجلين اللذين كانا مع غوبلز ، اقرب معاونيه اليه منذ ايام الحزب الأولى فقال :

« وبالاضافة الى ما تميَّز به غورنغ وهملر من افتقاره الى الولاء لي ، فقد جلبا على الأمة كلها عاراً لا يمكن محوه ، بتفاوضهما سراً مع العدو دون علمي ، وضد ارادتي ، ولمحاولتهما اللامشروعة في اغتصاب السيطرة على الدولة .

وهكذا بعد ان طرد الخونة ، وأسمى خليفته ، راح يشير على دونيتز بالناس الذين يجب ان يختارهم لحكومته فقال « ان جميع الذين يؤدون واجبهم في استمرار الحرب بكل السبل ، رجال شرفاء »، وقال ان من الواجب تعيين غوبلز مستشاراً للرايخ وبورمان وزيراً للحزب » ، وهو منصب جديد ابتكره . واختار سايس – اينكوارت ، الكويزلنغ النمسوي ، والذي لعب مؤخراً دور السفاح كحاكم في هولندة ، وزيراً للخارجية . ونحى عن الوزارة كلاً من سبير وريبنتروب . أما الكونت شفيرين فون كروزيك ، الذي اشغل وزارة المالية باستمرار منذ تعيينه فيها لأول مرة في وزارةفون بابن عام ١٩٣٢ ، فيجب ان يبقى في منصبه ، اذ على الرغم من حماقة هذا الرجل – يجب الاعتراف بعبقريته في الطاقة على البقاء .

ولم يكتف هتلر بتسمية حكومة خلفه ، بل راح يوجه اليها ايضاً توجيهاً اخيراً فقال :

« واني لأطلب قبل كل شيء الى الحكومة والشعب التمسك بالقوانين العنصرية تمام التمسك ، وان يقاوما بلا هوادة او رحمة اليهودية العالمية التي تسمم جميع الأمم » . [1]

---

١ – يوجد نص عهد هتلر السياسي ووصيته الشخصية الاخيرة في وثائق نورمبرغ ص ٣٥٦٩ . وعرضت في محاكمات نورمبرغ ايضيا نسخة من وثيقة زواجه وقد سجلت الوثائق =

وهكذا انتهى سيد الحرب الألماني الاعلى من «عهده» . وكانت الساعة قد شارفت الآن على الرابعة من صباح الاحد التاسع والعشرين من نيسان . واستدعى هتلر بعد ذلك غوبلز وبورمان والفريقين كريبس وبيرغدورف ليشهدوا توقيعه على الوثيقة ، وليشتركوا معه في توقيعها كشهود . وراح بعد ذلك يملي بسرعة وصيته الشخصية الاخيرة . وتحول رجل القدر في هذه الوصية ، الى اصوله التي تنتمي الى الطبقة الوسطى – الدنيا في النمسا ، فأوضح الاسباب التي حملته على الزواج ، والعوامل التي تدفعه هو وعروسه الى الانتحار . موصياً بأملاكه الى الأحياء من أقربائه ، معرباً عن أمله في ان تكون كافية لإعالتهم وتمكينهم من حياة متواضعة . فمن الثابت ان هتلر لم يستغل سلطانه كفورنغ لجمع ثروة شخصية وقال:

« وعلى الرغم من انني طيلة سني كفاحي ، كنت اعتقد بعجزي عن تحمل مسؤولية الزواج ، فإنني الآن ، وقبل انهاء حياتي ، قررت ان أبني بالمرأة التي جاءت بعد سنوات طويلة من الصداقة الحقة ، طائعة مختارة ، الى هذه المدينة بعد ان تم تطويقها لتشاطرني قضائي وقدري . « وستمضي معي الى العالم الثاني كزوجتي بمحض اختيارها . ويعوض علينا هذا المصير ، ما خسرناه معاً في سنوات عملي الطويلة في خدمة شعبي . « أما ما أملكه ، فهو من حق الحزب إن استمر في الوجود . وكان لما املكه اية قيمة ، اما اذا زال الحزب ، فتنتقل ملكيته الى الدولة . أما اذا تحطمت الدولة أيضاً ، فلا أرى ضرورة لأية تعليمات اخرى بصدده من جانبي . أما الرسوم الموجودة في المجموعات التي ابتعتها طيلة السنوات الماضية ، فلم يكن هدفي منها ، خاصاً بي ، بل كنت

= في كتابي « نهاية يوميات برلين » ص ١٧٧ – ١٨٢ . وتوجد ترجمة انكليزية كتبت بسرعة في (المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٢٥٩ – ٢٦٢) اما الاصل الالماني ففي « محاكمات كبار مجرمي الحرب (٤١) ضمن وثائق سبير » .

راغباً في ضمها الى متحف للصور اقيمه في المدينة الـــتي شهدت مولدي ، وهي لينز الواقعة على الدانوب » .

وطلب الى بورمان بوصفه منفذ الوصية :

« أن يسلم الى أقاربي كل ثمين أملكه ، كإيماءة رمزية شخصية أو كضرورة للحفاظ على مستوى حياتهم كأفراد طبقة بورجوازية صغيرة .. »[1]

وقد آثرت أن أموت مع زوجتي لنتخلص من عار الانقلاب أو الاستسلام . وان ما نريده هو ان تحرق جثتانا فوراً ، في نفس المكان الذي أديت فيه القسم الاكبر من أعمالي اليومية طيـلة اثني عشر عاماً من الخدمة لشعبي » .

وأحس هتلر بالاجهاد من املاء رسائله الوداعية ، فمضى الى فراشه عند بزوغ فجر ذلك اليوم الأخير من حياته في برلين . وارتفعت أعمدة من الدخان فوق العاصمة . وكانت المباني تنهار من ألسنة النـــيران المنبعثة من القذائف الروسية المدفعية التي يطلقونها من أماكن قريبة . وكانوا قـــد باتوا على مقربة الآن من الويلهلمشتراسه والمستشارية .

وسار غوبلز وبورمان الى العمل بعد ان قرر هتلر الموت ، فلقد أصدر هتلر اليهما امره واضحاً في «عهدهالسياسي » الذي وقعاه كشاهدين ، بوجوب مغادرة العاصمة والانضمام الى الحكومة الجديدة . وكان بورمان متلهفاً كل التلهف لاطاعة الامر . اذ على الرغم من كل ولائه للزعيم ، لم يكن راغباً في أن يشاطره موته اذا استطاع تجنبه . وكان كل ما ينشده في حياته ، السلطان وراء الكواليس ، وكان في وسع دونيتز أن يؤمنه له ، هذا شريطة أن لا يحاول غورنغ لدى سماعه بموت الفوهرر اغتصاب العرش . وليضمن بورمان حرمـــانه من ذلك ، بعث

---

١ ـ لم يحدد هتلر هوية هؤلاء الاقرباء ، ولكن اعتمادا على ما ذكره لسكرتيراته ، يتبين لنا ان هتلر كان يقصد شقيقته بولا ، وحماته والدة ايفا .

برسالة اذاعية الى قيادة الحرس النازي في برختسغادن .

« ... اذا قدر لنا ولبرلين أن نسقط ، فمن الواجب القضاء على خونة الثالث والعشرين من نيسان .. ايها الرجال ، قوموا بواجبكم ان حياتكم وشرفكم يعتمدان على اداء هذا الواجب » .[1]

ولم تكن هذه الرسالة إلا امراً باعدام غورنغ واركان حرب قوته الجوية الذين كان بورمان قد أمر باعتقالهم .

أما غوبلز ، فكان من رأي ايفا براون لا من رأي بورمان ، ولذا لم يكن راغباً في العيش في المانيا التي فارقها زعيمه الجليل . فلقد ربط بين نجمه ونجم هتلر ، اذ اليه وحده يرجع الفضل في طلوعه المثير في الحياة . ولقد كان نبي الحركة النازية وداعيتها الاول . واليه وحده بعد هتلر ، يرجع الفضل في خلق اسطورتها . ولتخليد هذه الاسطورة ، يجب ان لايكون الزعيم وحده ، هو يموت ميتة التضحية ، بل يجب ان يرافقه فيها ايضاً ، اكثر اتباعه اخلاصاً ، والوحيد من رجال « الحرس القديم » الذي لم يخنه أو يتخلى عنه . وعليه أيضاً أن يضرب مثلاً في الفداء يعيش ما عاشت الاجيال والعصور ، ويعمل على ايقاد نيران الاشتراكية الوطنية من جديد .

ولا ريب في أن هذه الافكار هي التي سيطرت على غوبلز عندما مضى ، بعد نوم هتلر ، الى غرفته الصغيرة في الملجأ ، يكتب رسالته الوداعية للجيل الحاضر والاجيال القادمة وقد أطلق عليها اسم « ملحق لعهد الفوهرر السياسي » . . وهذا ما جاء فيها :

« لقد أمرني الفوهرر بمغادرة برلين . . . لألعب دوراً كعضو بارز في الحكومة الجديدة التي اختارها .

« واني لاول مرة في حياتي أجد نفسي مضطراً لعصيان أوامر الفوهرر عصياناً تاماً . وتشترك معي زوجي كما يشترك أطفالي في

---

1 ـ الفريق كارل كولر ـ الشهر الاخير ص ٧٩ . يورد الكتاب نص رسالة بورمان الاذاعية .

هذا العصيان .

« وبالاضافة الى الحقيقة الواقعة ، وهي ان مشاعر الانسانية والولاء الشخصي ، تمنعنا من التخلي عن الفوهرر في هذه الساعة من المحنة الشديدة والمسغبة ، فأنني أرى انني سأظهر لما تبقى من حياتي في صورة الخائن الذي لا شرف له ، والوغد الرخيص ، فأفقد احترامي لنفسي كما افقد احترام اخواني المواطنين ..

« وفي هذا الكابوس من الخيانات الذي يلف الفوهرر في هذه الأيام الحرجة للغاية من ايام الحرب . يجب ان يكون ثمة واحد على الأقل ، يبقى الى جانبه ، حتى الموت ، دون شرط أو قيد . .

« واني لاعتقد والحالة هذه انني اؤدي اعظم خدمة لمستقبل الشعب الالماني . وستكون الامثلة والرموز في الايام الشاقة المقبلة اكثر اهمية من الرجال . .

« ولهذا السبب وحده فإني مع زوجتي ، وبالنيابة عن اطفالي ، وهم اصغر سناً من ان يستطيعوا التعبير عن انفسهم ، وثقة مني بانهم لو كانوا اكبر سناً من ذلك ، لوافقوا دون تحفظ على قراري ، اعلن تصميمي الذي لن يتغير على ان لا اترك عاصمة الرايخ حتى ولو سقطت ، وان اظل الى جانب الفوهرر ، لأنهي حياتي التي لا أرى اية قيمة لها ، اذا لم استطع ان اقضيها في خدمة الفوهرر والى جانبه »[1]

وانتهى الدكتور غوبلز من كتابة قطعته في الساعة الخامسة والنصف من صباح التاسع والعشرين من نيسان ، وكان نور الصباح قد بدأ يطل على برلين ، لكن دخان المعركة ، كان يحجب الشمس عن العيان . وكان لا يزال الكثير ليعمل

---

١ ـ قدم نص ملحق غوبلز الى محكمة نورمبرغ . وقد نشرت هذا النص في كتابي « نهاية يوميات برلين » ص ١٨٣ .

على ضوء الانوار الكهربائية في الملجأ . فهناك أولاً وجوب المرور لوصية الفوهرر الأخيرة و « عهده » عبر الخطوط الروسية القريبة ، للوصول بها الى دونيتز والآخرين ، ولحفظها للأجيال القادمة .

واختير ثلاثة رسل لحمل نسخ من هاتين الوثيقتين الثمينتين والخروج بهما . وهؤلاء الرسل الثلاثة هم الرائد ويلي جوهانماير مرافق هتلر العسكري وويلهلم زاندر أحد ضباط الحرس النازي ومستشار بورمان ، وهاينز لورينز موظف وزارة الدعاية الذي حمل الانباء المرعبة عن خيانة هملر في الليلة السالفة . وعهد الى جوهانماير الضابط ذي الاوسمة الكثيرة بقيادة هذا الفريق عبر خطوط الجيش الأحمر . وكان عليه هو بعد ذلك ان يسلم النسخة التي يحملها الى المشير فرديناند شويرنر ، الذي كانت مجموعة جيوشه لا تزال سليمة في جبال بوهيميا والذي كان هتلر قد عينه قائداً عاماً للجيش . وأرفق الفريق بيرغدورف الوثيقتين برسالة ابلغ فيها شويرنر ان هتلر كتب عهده « اليوم تحت تأثير الانباء المحطمة عن خيانة هملر . وهذا هو قراره الاخير الذي لن يتبدل » وكان على زاندر ولورينز ان يحملان نسختيها الى دونيتز. وقد حمّل بورمان مستشاره رسالة الى دونيتز . وهذا ما جاء فيها :

« عزيزي امير البحر الاكبر :

« لما كانت جميع الفرق قد فشلت في الوصول الى برلين ، ولما كان وضعنا قد غدا يائساً ، فقد املى الفوهرر ليلة أمس العهد السياسي المرفق . هايل هتلر » .

ومضى الرسل الثلاثة في مهمتهم الخطرة عند الظهر ، متسللين عبر حدائق تيير ، وشارلوتنبرغ الى بيشلزدورف ، عند طرف بحيرة هافيل حيث كان احد افواج شبيبة هتلر ، يحتفظ بالجسر توقعاً لوصول جيش وينك الخيالي . وقد اجتازوا للوصول الى هناك ثلاثة اطواق روسية عند مسلّة النصر في وسط حدائق تيير ، وعند محطة حديقة الحيوانات ، ووراء الحديقة العامة ، وعند مداخل بيشلزدورف . وتحتم عليهم ان يخترقوا عدة خطوط اخرى وان يواجهوا الكثير

من المخاطر . [1] وعلى الرغم من انهم جميعاً قد تمكنوا من المرور بها في النهاية ، إلا ان الوقت كان قد فات على افادة دونيتز منهـا ، كما ان شويرنر لم يتسلمها قط .

ولم يكن الرسل الثلاثة الوحيدين الذين غادروا الملجأ في ذلك اليوم . فقد عقد هتلر ظهر التاسع والعشرين من نيسان ، بعد ان استعاد هدوءه ، مؤتمره العسكري المألوف للبحث في الوضع الحربي ، جرياً على عادته في عقد هذا المؤتمر في مثل هذه الساعة يومياً طيلة ست سنوات ، وكأنه لم يصل بعد الى نهاية طريقه . وذكر الفريق كريبس ان الروس احرزوا تقدماً جديداً باتجاه المستشارية اثناء الليل وفي ساعات الصباح الباكر . واضاف ان العتاد الموجود لدى المدافعين عن المدينة أخذ في الهبوط وأكد عدم وصول أية انباء عن جيش الانقاذ الذي يقوده وينك . وطلب ثلاثة من المرافقين العسكريين الذين لم يعد لهم ما يعملونه والذين لم يرغبوا في مشاطرة الزعيم ، موته انتحاراً ، السماح لهم بمغادرة الملجأ ليحاولوا اكتشاف ما حدث لوينك . وسمح لهم هتلر بذلك ، آمراً اياهم حث الفريق وينك على الحركة . وسرعان ما مضى الضباط الثلاثة بعد الظهر .

وانضم اليهم بعد قليل ، رابع هو العقيد نيكولاوس فون بيلو ، مرافق هتلر الجوي ، الذي ظل عضواً صغيراً في حلقة هتلر الداخلية منذ نشوب الحرب . ولم يكن بيلو ، يؤمن في الانتحار ايضاً ، وايقن انه لم تعد له اية فائدة

---

١ ـ قدم لنا تريفور ـ روبر في كتابه « آخر ايام هتلر » صورا خطية عن مغامرات الرسل الثلاثة . ولولا ان هاينز لورينز ، لم يكن كتوما للغاية لما عرفت وسائل هتلر وغوبلز الوداعية قط . اما الرائد جوهانماير فقد دفن نسخته اخيرا في حديقة داره في ايزلوهن في ويستفاليا . اما زاندر فأخفى نسخته في حقيبة خلفها في قرية تيغيرنسي البافارية . وقد بدل هذا اسمه وتنكر ، وحاول الشروع في حياة جديدة تحت اسم ويلهلم بوستين . أما لورينز ، وهو صحفي في مهنته ، فقد كان كثير الثرثرة بحيث لم يستطع الحفاظ على السر تمام المحافظة ، وادى عدم حرصه الى اكتشاف نسخته والى الكشف عن هوية الرسولين الآخرين .

في ملجأ المستشارية ، فطلب الاذن بالذهاب من الفوهرر الذي لم يضن عليـه به .
وكان هتلر في هـــذا اليوم اعقل منه في أي يوم مضى . وفكر في ان بامكانه استخدام العقيد الجوي في نقل رسالة اخيرة . وكانت موجهة الى الفريق كايتـل الذي كان بورمان قد بدأ يشك في خيانته ، وقـــد تضمنت آخر حملة من سيد الحرب النازي على الجيش الذي أحس بأنه قد تخلى عنه .

ولا ريب في أن الأنباء التي وصلت الى مؤتمر الوضع الحربي المسائي في الساعة العاشرة مساء قـد ضاعفت من مرارة الفوهرر ونقمته على الجيش . فلقـد روى الفريق ويدلينغ الذي تولى قيادة وحدات العاصفة الشعبية من الشيوخ والفتيان وشبيبة هتلر ، والتي يضحى بها داخل برلين المحاصرة لإطالة عمر هتلر بضعة أيام أخرى ، ان الروس قد اندفعوا الى الأمام في شارع«سارلاند» والويلهلمشتراسه ، وانهم قد وصلوا الى وزارة الطيران التي لا تبعد إلا مرمى حصاة عن المستشارية. وأكد أن العدو سيصل الى المستشارية في الأول من ايار على اكثر تقـــدير ، أي بعد يوم او يومين .

هذه هي النهاية . وقد رآها أخيراً حتى هتلر نفسه الذي كان يوجـه حتى تلك اللحظة جيوشاً خيالية لا وجود لها ، يفترض قدومها لانقاذ العاصمـــة . وراح يملي رسالته الأخيرة ، ويطلب الى بيلو حملها الى كايتل . وقد أبلغ فيهـا رئيس قيادته العليا ، ان الدفاع عن برلين قد وصل الى نهايته ، وانه يعتزم قتل نفسه مؤثراً هذه النهاية على الاستسلام ، وأن غورنغ وهملر قد خاناه ، وانـــه عين أمير البحر دونيتز خلفاً له .

وظلت لديه كلمة أخيرة ودّ قولها عن القوات المسلحة التي قادت المانيا الى الهزيمة على الرغم من قيادته . فلقد ذكر أن الأسطول سلك سلوكاً رائعـاً لا مثيل له . وقد حارب سلاح الطيران ببسالة ، وليس ثمة من شك في أن غورنغ هو المسؤول عن خسارة تفوقه الأولي في الحرب . أما بالنسبة الى الجيش فقـد حارب الجنود العاديون ببسالة ، ولكن القادة العسكريين خيبوا آمال جنودهم وآماله هو ... ثم مضى يقول :

«ولقد قدم الشعب وقدمت القوات المسلحة كل ما يملك وتملك في هذا الكفاح الشاق الطويل . ولقد كانت التضحيات هائلة . ولكن الكثيرين من الناس اساءوا استعمال الثقة التي وضعتها فيهم . ولقد حطم الافتقار الى الولاء والخيانة ، الآثار الناجمة عن المقاومة طيلة الوقت .

«ولهذا لم تشأ العناية الالهية ان تمنحني حق قيادة الشعب الى النصر ولا يمكن مقارنة هيئة اركان حرب الجيش بما كانت عليه الاركان العامة في الحرب الكونية الأولى . وكان ما حققته هذه الهيئة أقل بكثير مما حققه المحاربون في الميدان .»

وظل سيد الحرب النازي مخلصاً لطبيعته حتى النهاية . فالفضل في الانتصارات العظيمة عائد اليه . اما الهزائم والخيبة فمن نصيب سواه ، وذلك بسبب «خيانتهم وافتقارهم الى الولاء »

وينتقل بعد ذلك الى كلماته الوداعية الاخيرة ، فكانت آخر كلمات خطية مسجلة في حياة هذا العبقري المجنون :

«لقد كانت جهود الشعب الألماني وتضحياته في هذه الحرب كبيرة الى الحد الذي لا استطيع ان اصدق انها مضت هباء وبلا جدوى . وسيظل هدفنا دائماً كسب الارض في الشرق لينعم بها الشعب الألماني»[1]

وقد استمد العبارة الاخيرة من كتابه « كفاحي». فلقد بدأ هتلر حياته السياسية وهو واقع تحت سيطرة تلك الفكرة من « الاراضي في الشرق » التي يجب كسبها لخير الشعب الألماني المختار ، وها هو ينهي حياته وهذه الفكرة ما زالت مسيطرة عليه . ويبدو ان ضياع الملايين من الالمان الذين ماتوا ، والملايين من البيوت التي هدمت من جراء القنابل ، وحتى خراب البلاد

---

١ ــ اتلف العقيد بيلو الرسائل عندما سمع بموت هتلر وكان لا يزال يشق طريقه نحو جيوش الحلفاء الغربيين . وقد اعتمد على ذاكرته في كتابتها ــ راجع تريفور ــ روبر « آخر ايام هتلر . ص ١٩٤ ــ ١٩٥ » .

الألمانية كلها . لم تقنعه ان سرقة اراضي الشعوب السلافية الى الشرق ، ليست إلا حلماً تيوتونياً غير مجدٍ ، هذا اذا تجاهلنا جميع شرائع الاخلاق وسننها .

موت هتلر وعروسه

وصلت الى الملجأ بعد ظهر التاسع والعشرين من نيسان ، آخر الاخبار التي تمكنت من الوصول اليه من العالم الخارجي ؛ وقد روت ان موسوليني زميل هتلر في الديكتاتورية الفاشية وشريكه في العدوان ، قد لقي نهايته ، وان عشيقته كلارا بتاشي قد قاسمته مصرعه .

فلقد وقعت عليهما ايدي « الانصار » الايطاليين في السادس والعشرين من نيسان وهما يحاولان الفرار من كومو الى سويسرا ، ونفذوا فيهما حكم الاعدام بعد يومين اثنين . ونقلت الجثتان ليلة السبت في الثامن والعشرين من نيسان الى ميلان في سيارة شحن ، ثم قذفت بهما السيارة الى الميدان العام في المدينة . وعلقت الجثتان في اليوم التالي ، رأساً على عقب على اعمدة النور الكهربائي ، ثم طرحتا في مجرى الماء حتى يستطيع كل ايطالي يود الثأر منهما ، ان يقذف عليهما بسبابه وشتائمه . ودفن بنيتو موسوليني الى جانب خليلته في الأول من ايار في « قسم المتسولين » من مقبرة « ماجيوري » في المدينة . وهكذا مضى الدوتشي ومضت الفاشية الى التاريخ من مثل هذه الذروة من التحقير في الموت .

ولم يعرف احد مدى ما نقل الى الفوهرر من تفاصيل النهاية القذرة التي احاقت بالدوتشي . ولكن في وسع المرء ان يتصور ان سماعه بهذه التفاصيل قد قوّى من تصميمه على ان لايسمح له أو لعروسه « بالوقوع في ايدي العدو الذي يتطلب منظراً جديداً يقدمه اليهود ليحوّلوا اليه انظار جماهيرهم التي تغلب «الهسترة» عليها ، وذلك طبقاً لما كتبه قبل قليل في عهده السياسي ، مؤكداً ان هذا القول ينطبق عليهما حيين أو ميتين .

وبعد ان تلقى هتلر نبأ موت موسوليني ، شرع يعد العدة لموتـه هو . وأمر بتسميم كلبه الالزاسي المفضل «بلوندي» كما أمر بقتل كلبين آخرين من كلاب بيته. واستدعى بعد ذلك السكرتيرتين الباقيتين في مكتبه وسلم إليهما « كبسولتين » من السم مخيراً اياهما في استعمالهما اذا شاءتا عند وصول البرابرة الروس . وأعرب عن أسفه لهما لعجزه عن تقديم هدية وداعية افضل ، مؤكداً لهما تقديره لخدماتهما الطويلة والمخلصة .

وهبط المساء الآن ، وكان آخر مساء في حيـاة ادولف هتلر . وأمر السيدة جونج ، احدى سكرتيرتيه ، بأن تتلف ما تبقى من أوراق في ملفاته ، كما بعث بكلمة الى جميع من في الملجأ يطلب اليهم عدم الانصراف الى النوم قبـــل تلقي تعليماته الجديدة . وفسر الجميع هذا الأمر ، على انه يعني بأن الفوهرر قـد قرر اخيراً أن الوقت حان للوداع . ولكن الفوهرر لم يخرج من جناحه الخاص إلا بعد ساعات طويلة ، وقدر بعض الموجودين أن طلوعه كان في الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثين من نيسان ، حيث مضى الى الرواق العام المؤدي الى غرف الطعام ، حيث احتشد نحو عشرين شخصاً معظمهم من سيدات بطانته . وراح يمر بالجميع مصافحاً اياهم فرداً فرداً وهامساً بعض عبارات لم تكن مسموعة . وكان ثمة غطاء من الدموع في عينيه ، وقد تذكرت السيدة جونج فيما بعد « ان عينيه بدتا تتطلعان بعيداً كأنهما تحاولان اختراق جدر الملجأ » .

وعندما عاد الى جناحه ، حدث شيء غريب للغاية . فالتوتر الذي كان قد ارتفع الى ان وصل حداً لا يكاد يطاق في الملجأ ، قد انهار الآن وذهب عدد من الموجودين الى المقصف حيث أخذوا في الرقص . ويبدو ان صخب هذا الحفل الغريب ، قد اشتد الى حد دفع الفوهرر الى ارسال كلمة من جناحه يطلب اليهم فيه الهدوء . فقد يصل الروس في غضون بضع ساعات ويقتلونهم جميعاً ، مع ان غالبيتهم كانت تفكر الآن في طريقة للنجاة ، أما في هذه اللحظة وللفـــترة القصيرة الباقية ، فقد انتهت سيطرة الفوهرر الصارمة على حيواتهم ، وبات من حقهم ان ينشدوا المتعة حيث وجدوها وكيف وجدوها . ويبدو أن احساسهم

بالانفراج كان عظيماً الى حد انهم قضوا طيلة الليل يرقصون .

ولكن بورمان لم يكن بينهم . فما زال هناك امام هذا الرجل الغامض ما يود أن يعمله . وبدا له ان آماله في البقاء بدأت تتضاءل . وقد لا يكون هناك مجال طويل وكان بين موت الفوهرر ووصول الروس بحيث يتمكن من الفرار والوصول الى دونيتز . واذا لم يكن في مكنته ذلك ، ففي وسعه طالما ان الفوهرر ما زال على قيد الحياة ، وطالما أن في امكانه اضفاء سلطة الفوهرر على أوامره ، أن يثأر من « الخونة » . وراح في تلك الليلة الاخيرة ، يبعث برسالة أخرى الى دونيتز :

دونيتز !

«ينمو الانطباع لدينا كل يوم بأن الفرق في مسرح برلين الحربي ظلت عاطلة لا تفعل شيئاً اياماً عدة ... وتتعرض جميع التقارير التي نتلقاها الى اشراف كايتل وتشويهه وحذفه...ويأمرك الفوهرر أن تشرع فوراً ودون رحمة بالعمل ضد جميع الخونة » .

وعلى الرغم من أنه كان يعرف بأن موت الفوهرر بات قضية بضع ساعات ، إلا انه أضاف على الرسالة العبارة التالية : « ما زال الفوهرر حياً يرزق ، وهو يتولى بنفسه الدفاع عن برلين » .

لكن برلين لم تعد شيئاً يمكن الدفاع عنه . فقد احتل الروس معظم اجزاء المدينة . ولم تعد القضية إلا الدفاع عن دار المستشارية . وقد تقرر مصير هذه الدار ايضاً،طبقاً للمعلومات التي تلقاها هتلر وبورمان في مؤتمر الوضع العسكري الذي عقد ظهر الثلاثين من نيسان والذي كان آخر مؤتمر يعقده الفوهرر . فلقد وصل الروس الى الطرف الشرقي من حديقة « تيير » واندفعوا الى ميدان بوتسدام وهكذا باتوا على بعد مبنى واحد من المستشارية وهكذا حانت الساعة التي سينفذ فيها هتلر ما حزم أمره عليه .

ويبدو ان عروسه لم تكن راغبة في الأكل في ذلك اليوم ، ولذا تناول هتلر غداءه مع سكرتيرتيه ومع طباخته النباتية ، التي لم تعرف على الغالب انها اعدت للزعيم آخر وجبة يأكلها . وبينما كانوا على وشك الانتهاء من وجبتهم

حوالي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، تلقى اريك كيمبكا سائق الفوهرر ، المسؤول عن مرأب المستشارية أمراً بتسليم مائتي لتر من الغازولين فوراً في صفائحها الى حديقة المستشارية. ولقي كيمبكا مشقة في جمع هذه الكمية الكبيرة من الوقود ، ولكنه تمكن اخيراً من جمع مائة وثمانين لتراً ، وحملها بمساعدة ثلاثة رجال الى باب الطوارىء في الملجأ . [١]

وبينما كان كيمبكا يجمع الزيت اللازم لتأمين النار للجنازة على طقوس الشماليين من « الفايكنغ » ، راح هتلر بعد ان انتهى من وجبته الأخيرة، يبحث عن ايفا براون ، ليودع معها لآخر مرة اصدق معاونيه وهم الدكتور غوبلز والفريقان كريبس وبيرغدورف والسكرتيرتان والطباخة الآنسة مانزيالي . ولم تحضر السيدة غوبلز ، وكانت هذه السيدة القوية الشكيمة والشقراء الجميلة ، قد قررت كأيفا براون ان من السهل عليها ان تموت مع زوجها ، ولكن فكرة قتل اطفالها الصغار الستة ، الذين كانوا يمرحون فرحين في الملجأ الدوثروي في هذه الأيام الأخيرة دون ان تكون لديهم اية فكرة عما يخبؤه القدر لهم ، قد افقدتها اعصابها .

وكانت قد قالت للآنسة ريتش قبل ليلتين أو ثلاث ليال .. « يا عزيزتي حنة...عندما تحل النهاية ،عليك ان تساعديني،اذا ضعفت في موضوع الاطفال.. انهم ملك الرايخ الثالث وللفوهرر ، واذا زال هذان من الوجود فلن يكون لهم مكان . وان ما أخشاه هو ان اضعف في اللحظة الأخيرة » . وكانت الآن في غرفتها الصغيرة تغالب عواطفها لتتغلب على ما تحس به من خوف . [٢]

ولم يواجه هتلر وايفا براون مثل هذه المشكلة . فعليها ان يتخلصا من

---

١ ـ يوجد وصف كيمبكا لموت هتلر وعروسه في شهادتين مشفوعتين باليمين نشرتا في المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٥٧١ ـ ٥٨٦ .

٢ ـ كان اطفال غوبلز ... هم : هيلا (١٢) سنة ، هيلدا (١١) هيلموت (٩) هولد (٧) هيرا (٥) هايد (٣) .

حياتهما ليس إلا . وبعد أن انتهيـا من الوداع ، عادا الى جناحهمـا . وكان في انتظارهما في الممر الدكتور غوبلز وبورمان وآخرون . ولم تمـض لحظات حتى سمعت طلقة مسدس . وانتظروا سماع طلقة اخرى ، ولكن الصمت ظل مخيماً. ومضت فترة طويلة قبل أن يدخلوا جناح الفوهرر بهدوء . ووجدوا جثة ادولف هتلر على الاريكة والدماء تنزف منها. لقد اطلق على نفسه النار في فمه .وكانت الى جانبه ايفا براون . ووجدوا مسدسين على ارض الغرفة ، ولكن العروس لم تستعمل مسدسها وانما تجرعت السم .

كانت الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الاثنين في الثلاثين من نيسان عام ١٩٤٥ ، أي بعد عشرة ايام من ميلاد ادولف هتلر السادس والخمسين وبعد اثنتي عشر عاماً وثلاثة اشهر تنقص يوماً واحداً ، منذ غدا مستشاراً لالمـانية ليقيم الرايخ الثالث . ولم يعد لهذا الرايخ أن يعيش بعده اكثر من اسبوع .

وتلا ذلك تشييع الجثمان على طريقة « الفايكنغ » من اهل الشمال . ولم ينبس أحد ببنت شفة ، وكان الصوت الوحيد صادراً عن انفجار القذائف الروسية في حديقة دار المستشارية ، وعلى الجدران المحطمة التي تحيط بها . وقام وصيف هتلر هاينز لينغ ، وهو من قادة الحرس النازي ، وأحد الجنود بنقل جثمان الفوهرر بعد أن لفاه ببطانية عسكرية رمادية ، اخفيا فيهـا وجهه المهشّم . وقد عرف كيمبكا الجثة من السراويل السوداء والحذاء اللذين اطلا من تحت البطانة ، واللذين كان سيد الحرب يرتديهما دائماً مع « سترة » الميدان الرمادية . وكان موت ايفا براون اكثر صفاء ونظافة ، فلم تكن هناك دماء ، وحمل بورمان جثمانها كما هو الى الممر حيث سلمه الى كيمبكا ، وروى السائق فيما بعد أن « السيدة هتلر كانت ترتدي لباساً قاتماً .. ولم استطع أن اميز أية اصابات في جسدها » .

نقلت الجثتان الى الحديقة ، واغتنم القوم فرصة هدوء في نـيران المدفعية الروسية فوضعوهما في فجوة احدثتها القذائف ثم صبوا الزيت عليهما. وانسحب المشيعون وفي مقدمتهم غوبلز وبورمان الى ملجأ باب الطوارىء.وعندما ارتفعت ألسنة اللهيب من الجثتين ، وقفوا جميعاً وقفة استعداد ، وارتفعت ايديهم اليمنى

بالتحية النازية . ولم يطــل أمد الاحتفال بالوداع الاخــير ، إذ أن القذائف السوفياتية بدأت في دك الحديقة من جديد، واضطر الاحياء الباقون الى التراجع الى أمن الملجأ ووقايته ، تاركين للهيب المنبعث من الغازولين اتمام المهمة وهي ازالة آخر الآثار الدنيوية لأدولف هتلر وعروسه .[1] وكانــت لا تزال هناك مهمات أمام بورمان وغوبلز يؤديانها في الرايخ الثالــث الذي فقد الآن منشئه وديكتاتوره ، وأن اختلفت هذه المهمات بالنسبة الى الرجلين .

ولم يكن الوقت الذي انقضى كافياً لوصول الرسل الى دونيتز يحملون «عهده السياسي » بتعيينه خليفة له . واصبح لزاماً ابلاغ الرسالة الى امير البحر عــن طريق الاذاعة . ولكن بورمان تردد في هذا الأمر بعد أن تسرّبت السلطة من بين يديه . وكان من الصعب على من يتعشق السلطان على هذا النحو ان يستسلم لتخليه عنه بسهولة . وراح أخيراً يبعث الى دونيتز بالرسالة التالية :

« أمير البحر الأكبر دونيتز

« لقد اختارك الفوهرر خليفــة له ، بدلاً من مشير الرايخ السابق غورنغ . أما التعيين الخطي فهو في طريقه اليك . وعليك أن تقوم بجميع ما يتطلبه الوضع من اجراءات » .

ولم تتضمن الرسالة أية عبارة عن موت هتلر .

ودهش أمير البحر الذي تولى قيادة جميع القوات الألمانية ، والذي نقل الآن مقر قيادته الى بلوين في مقاطعة شلزويغ ، مــن هذه الانباء . إذ انــه على النقيض من زعماء الحزب الآخرين ، لم يكن راغباً في خلافة هتلر ، ولم تجــل الفكرة قط في رأس هذا البحّار . وكان قبل يومــين ، قد اعتقد بأن هملر

---

١ ـ لم يعثر على العظام قط ، وكان هذا سببا في الشائعات التي انتشرت بعد الحرب عن بقاء هتلر حيا يرزق . لكن الاستجوابات الفردية التي قام بها ضباط المخابرات البريطانيين والامريكيين مع مختلف شهود العيان لا تترك مجالا للشك في الموضوع . وقد قدم كيمبكا تفسيرا معقولا لعدم العثور على العظام المحروقة ، اذ قال للمحققين : لقد محيت الآثار من جراء استمرار نار المدفعية الروسية بلا انقطاع .

سيتولى الخلافة ، ولذا مضى الى رئيس الحرس النازي وعرض عليه تعاونه. ولكن نظراً لأن فكرة العصيان لم تجل بباله ابداً ، راح يبعث الى الفوهرر بالرد التالي اعتقاداً منه بأن ادولف هتلر ما زال على قيد الحياة :

« يا زعيمي ..

« ان ولائي اليك لا يحـــدد بقيود وشروط . سأعمل كل ما استطيع لنجدتك في برلين . أما اذا شاء القدر ان يفرض علي حــكم الرايـــخ ، خلفاً معيَّناً منك ، فسأواصل هـــذه الحرب ، الى نهاية تتنـــاسب مع الكفـاح البطوفي الفريد الذي خاضه الشعب الألمـــاني .

أمير البحر الأكبر دونيتز » .

وانطلقت فكرة جديدة تلك الليلة عند بورمان وغوبلز فقد قررا أن يحاولا التفاوض مع الروس . وقدّر للفريـــق كريبس ، رئيس اركان حرب الجيش ، الذي ظل في الملجأ حتى هذه اللحظة أن يكون في يوم مـا ، مساعداً للملحق العسكري في موسكو ، وكان يجيد الروسية ، وقد عانقه ستالـين ذات يوم في محطة سكة حديد موسكو ، كما روينا من قبل . وخيل للزعيمين ان في الامكان ان يحصل هذا القائد على شيء من البلاشفة ، وكان ما اراده الرجـــلان بشكل محدود ، هو السماح لهما بالمرور بأمان عبر الخطوط الروسية ، ليتمكنـا من تبوء مركزيهما في حكومة دونيتز الجديدة . وكانا على استعداد مقابل ذلـــك لتسليم برلين الى الروس .

ومضى الفريق كريبس بعد منتصف ليلة ٣٠ نيسان ــ أول ايار ، لمقابلة الفريق تشيكوف [١] ، قائد القوات السوفياتية المقاتلة في برلين . وقد دوّن ضابط الماني رافق قائده استهلال الحديث :

« كريبس: اليوم هو الأول من أيار وهو عيد عظيم لأمتينا . [٢]

---

١ ــ وليس المشير جوكوف كما روت معظم الروايات .

٢ ــ كان الاول من ايار يوم العمال العام في اوروبا .

« تشيكوف : اننا في عيد عظيم اليوم. أما بالنسبة اليكم هناك ، فمن الصعب ان يقال انكم في عيد » . [1]

وطلب الفريق الروسي الاستسلام اللامشروط لكل من في ملجأ الفوهرر كما طلب استسلام القوات الباقية في برلين .

وقد استغرق اداء مهمة كريبس وقتاً طلايلاً ، وعندما حلت الساعة الحادية عشرة صباحاً ، ولم يكن قد عاد الى الملجأ ، راح بورمان الذي فرغ صبره يبعث برسالة اذاعية اخرى الى دونيتز :

« لقد اصبح « العهد السياسي » ساري المفعول . سأنضم اليك في أقرب وقت ممكن . أوصي بتأجيل نشر النبأ حتى وصولي » .

وكانت هذه البرقية غامضة ايضاً . فقد عجز بورمان عن أن يكون مستقيماً الى الحد الذي يحمله على القول بأن الفوهرر قد مات . كان يريد الخروج ليكون أول من يبلغ دونيتز بالأنباء الخطيرة ، وليكون ذلك سبباً في نواله الحظوة عند القائد العام الجديد . لكن غوبلز ، الذي قد قرر الموت مع زوجته واطفاله ، لم يكن متأثراً بمثل هذه الدوافع التي تمنعه من نقل الحقيقة المجردة الى امير البحر ، وراح في الساعة الثالثة والربع بعد الظهر يبعث برسالته الى دونيتز ، فكانت آخر رسالة اذاعية تترك الملجأ المحاصر في برلين :

« امير البحر الاكبر دونيتز »

سري للغاية

« مات الفوهرر في الساعة الخامسة عشرة والنصف أمس . يعينك « عهده » بتاريخ التاسع والعشرين من نيسان رئيساً للرايخ . (وتبع ذلك سرد لأسماء التعيينات الوزارية الرئيسية) .

---

١ ـ جورغين ثوروالد « النهاية على نهر الالب » ص ٢٢٤ .

« وقد أرسل العهد بأمر من الفوهرر اليك ، من برلين . ويعتزم بورمان ان يمضي اليك الآن ويطلعك على الوضع . نترك اليـــك تحديد موعـد الاعلان وصورته ، في الصحف والى الجنود . ارجو تأكيد تسلمك هذه البرقية .

غوبلز »

ولم ير غوبلز ضرورة لإبلاغ الزعيم الجديد بما ينتوي هو القيام به . ولكنه نفذ نواياه في ساعة مبكرة من ليلة الأول من أيار . وتمثل الفصل الأول منها في تسميم الأطفال الستة ، وهنـا أوقفهم عن اللعب ، واعطوا ابراً « سامة » على يد نفس الطبيب الذي سمم بالأمس كلاب هتلر. واستدعى غوبلز بعد ذلك مرافقه قائد الحرس النازي غونتر شويغرمان وطلب اليه أن يأتي ببعض الغازولين .

وراح يقول لمرافقه : « اسمع يا شويغرمان ، هذه أسوأ خيانة من جميـع الخيانات . لقد خان القادة العسكريون الفوهرر . وقد فقدنا كل شيء . سأموت مع زوجتي وأطفالي » . ولم يذكر حتى لمرافقه أن أطفاله قد أصبحوا في عداد الموتى . « أطلب اليك أن تحرق جثتنا . فهل تستطيـع ان تفعل ذلك ؟ » .

وأكد له شويغرمان تنفيذه لارادته ،وأوفد جنديي مراسلة،للحصول على بعض الغازولين . وبعد بضع دقائق ، وكانت الساعة قد شارفت على الثامنة والنصف مساء ، وبدأ الظلام يخيم على المدينة ، خرج الدكتور غوبلز وزوجته من غرفتهما فودعا كل من لقياه في الممر ، ثم صعدا الى الحديقة . وهناك تولى جندي من الحرس النازي بطلب منهما،قتلهما باطلاق النار على مؤخرة الرأس. وصبت على الجثتين أربـع صفائح من الغازولين ثم أشعلت النار فيها ، لكن عمليـة الحرق لم تكن كاملة الاتقان[1] . فلقد كان الأحياء في الملجأ تواقين للانضمام الى محاولة الفرار الجماعية التي كانت قد بدأت في تلك اللحظة ، وكان الوقت أثمن لديهم من إضاعته في

---

١ ــ وردت قصة موت غوبلز وأسرته في كتاب تريفور ــ روبر « آخر ايام هتلر » ص ٢١٢ ــ ٢١٤ ، وقد استندت على شهادات شويغرمان ، واكسمان وكيمبكا .

احراق الموتى . وعثر الروس في اليوم التـــالي على جثتي وزير الدعاية وزوجته المحروقتين ، وسرعان ما تمكنوا من تبين هويتيهما .

واشتعلت النيران في ملجـأ الفوهرر في الساعة التاسعة من مساء الأول من أيار ، وراح عـدد يتراوح بين الخمسمائة والستمائة حي من أفراد بطانة الفوهرر ومعظمهم من الحرس النازي ، يدورون في الملجأ « كالفراخ » قطعت رؤوسها ، على حـد تعبير أحدهم ، وهو خيّاط الفوهرر ، استعداداً للاندفاع من الملجأ . وكانت الخطة أن يسيروا على الأقدام على الخطوط الحديدية الدوثروية من المحطة القائمة تحت ميدان ويلهم أمام دار المستشارية الى شارع فريدرك بانهوف ومن هناك عبر نهر سبي والتسلل من الخطوط الروسية باتجاه الشمال . وقـــد تمكن كثيرون من النجاة بجلودهم ، ولكن بعضهم لم ينج وفي طليعتهم مارتن بورمان .

فعندما عاد الفريق كريبس أخيراً الى الملجأ بعد ظهر ذلك اليوم حاملاً طلب الفريق تشيكوف بالاستسلام اللامشروط ، قرر أمين سر حزب هتلر (بورمان) ان فرصته الوحيدة للبقاء تقوم في الانضمام الى حملة «الخروج الجماعي». وحاولت جماعته السير وراء دبابة المانية ، ولكن هذه الدبابة على حد رواية كيمبكا الذي رافقه ، تلقت اصابة مباشرة من قذيفة روسية ، وأصيب بورمان بجراح قاتلة . وشهد الحادثة أيضاً ارتور اكسمان القائد في شبيبة هتلر والذي تخلى عن فوجه من الفتيان عند جسر بيشلزدورف ، للنجاة برأسه ، وأكد فيما بعـد أنه رأى جثة بورمان تحت الجسر في المكان الذي يتقاطع فيه شارع « الانيفاليد » مع الخط الحديدي . وكان ضوء القمر ينعكس على وجهه ، ولم يستطع اكسمان رؤية آثار للجراح فيه . ويعتقد هذا الشاهد ان بورمان ابتلع « كبسولة » السم التي يحملها، عندما رأى انهيار آماله في التمكن من اختراق الخطوط الروسية .

ولم يشترك الفريقان كريبس وبيرغدورف في محاولة الهروب الجماعية . ومن المعتقد أنهما قتلا نفسيهما في قبو دار المستشارية .

نهاية الرايخ الثالث

عاش الرايخ الثالث بعد موت منشئه سبعة أيام ليس إلا .

فبعيد الساعة العاشرة من مساء الأول من أيار ، وبينما كانت جثتا غوبلز وزوجته لا تزالان تحترقان في حديقة المستشارية ، وكان الاحياء الباقون من سكان الملجأ ، يحاولون الفرار عن طريق الانفاق الدوثروية في برلين ، قطعت اذاعة همبورغ برنامجها ، وكانت تعزف سيمفونية بروخنر السابعة الحزينة ، لتطلع أصوات الموسيقى العسكرية وينطلق صوت المذيع قائلاً :

« هوى زعيمنا أدولف هتلر وهو يقاتل البلشفية حتى النفس الأخير ، بعد ظهر اليوم ، في مقر قيادة عملياته في مستشارية الرايخ . وقد عيّن الفوهرر في الثلاثين من نيسان امير البحر الأكبر دونيتز خلفاً له . وها هو امير البحر وخليفة الفوهرر .. يتحدث الآن الى الشعب الألماني » .

كان الرايخ الثالث يلفظ انفاسه الأخيرة ، كما بدأها بأكذوبة حقيرة . فبالاضافة الى الحقيقة الواقعة وهي ان هتلر لم يمت ذلك اليوم ، وانما في اليوم الذي سبقه ، وهي اكذوبة ليست مهمة ، لم يكن قد « هوى مقاتلاً حتى النفس الأخير » . ولكن اذاعة مثل هذه الاكذوبة كان امراً ضرورياً اذا أراد ورثة وشاحه ، ان يضفوا اسطورة حول موته ، واذا كانوا يطمعون في فرض السيطرة على الجنود الذين كانوا ما فتئوا يقاومون، والذين لا بد وان يشعروا بأن الفوهرر قد خانهم لو رويت الحقيقة .

وراح دونيتز يكرر الاكذوبة عندما انطلق صوته في الهواء في الساعة العاشرة والدقيقة العشرين مساء ، متحدثاً عن « ميتة الابطال » التي ماتها الفوهرر . ولم يكن يعرف بالفعل في تلك اللحظة الطريقة التي مات فيها هتلر . وكل ما بعث به غوبلز في رسالته الاذاعية ان هتلر قد مات بعد ظهر اليوم السابق . لكن جهل دونيتز ، في هذه النقطة وفي غيرها ، لم يحل بينه وبين بذل

قصارى جهده ، وبين تمريغ عقول الشعب الألماني المرتبكة في الرغام في ساعة الكارثة .. فقد قال :

« يتركز واجبي الأول في محاولة انقاذ المانيا من الدمار من العدو البلشفي الزاحف. ولهذا الهدف وحده ، سيستمر النضال. وسنجد انفسنا مرغمين لمواصلة صراعنا الدفاعي ضد البريطان والامريكيين ايضاً ، الى ان يدركوا حقيقة هدفنا ويمتنعوا عن محاولة صدنا عن تحقيقه . ولن يكون هدف الانكليز والامريكيين في مثل هذه الاوضاع خدمة شعبيهم ، بل دعم انتشار الشيوعية في اوروبا .

وبعد هذا التضليل السخيف ، راح امير البحر ، الذي لم تشر السجلات مطلقاً الى انه قد احتج على قرار هتلر في عام ١٩٣٩ ، بأن يجعل من البلاشفة حلفاء لألمانيا لكي تتمكن من خوض الحرب ضد انكلترا وبعدها ضد امريكا ، يؤكد للشعب الألماني في ختام اذاعته ان « الله لن يتخلى عنا بعد كل هذه الآلام وتلك التضحيات » .

حقاً انها كلمات جوفاء . فلقد كان دونيتز على يقين من ان المقاومة الألمانية اشرفت على نهايتها . ففي التاسع والعشرين من نيسان ، أي قبل ان ينتزع هتلر حياته بيده ، كانت الجيوش الألمانية في ايطاليا قد استسلمت بلا قيد او شرط ، وهي انباء كان حرياً بها لو لم تتأخر عن الوصول الى هتلر بسبب انقطاع الاتصالات العادية ، ان تقض عليه ما أحس به من هدوء في ساعاته الاخيرة . وسلمت القيادة العليا الألمانية في الرابع من ايار الى مونتغومري جميع القوات الألمانية في شمال المانيا الغربي والدانيمارك وهولندة . واستسلمت مجموعة الجيوش (ج) التي يقودها المستر كيسلرنغ والتي تضم الجيش الأول والتاسع عشر الى الشمال من جبال الالب في اليوم التالي .

ووصل أمير البحر هانز فون فريديبرغ القائد العام الجديد للبحرية الألمانية في نفس اليوم اي الخامس من أيار الى مقر قيادة الفريق ايزنهاور للتفاوض على الاستسلام الكامل . وكان هدف الألمان ، كما أظهرت اوراق القيادة العليا

الأخيرة [1] ، التسويف بضعة ايام ، لكسب الوقت وإتاحة المجال لنقل اكبر عدد ممكن من الجنود الالمان واللاجئين من طريق الروس ، لضمان استسلامهم الى الحلفاء الغربيين . ووصل الفريق يودل الى ريمز في اليوم التالي ليساعد زميله البحري في السير بالاجراءات . ولكن جهود الالمان ضاعت سدى ، فقد ادرك ايزنهاور اللعبة ، إذ قال فيما بعد :

« وقلت للفريق سميث ان يبلغ يودل ، بأنه ما لم يتوقفوا فوراً عن جميع الادعاءات والتبريرات والتسويف فسأغلق جبهة الحلفاء كلها ، واحول بالقوة دون دخول اللاجئين الألمان الى خطوطنا . انني لن اتحمل أي ابطاء جديد [2] » .

وراح دونيتز في الساعة الواحدة والنصف من صباح السابع من ايار بعد ان تلقى رسالة يودل المتضمنة مطالب ايزنهاور ، يبعث ببرقية اذاعية الى الفريق الالماني من مقر قيادته الجديد في فلينزبرغ الواقعة على الحدود الدانماركية ، مخولاً اياه فيها جميع الصلاحيات لتوقيع وثيقة الاستسلام اللامشروط . وهكذا انتهت اللعبة .

واستسلمت المانيا بلا قيد ولا شرط ، في الساعة الثانية والدقيقة الواحدة والاربعين من صباح السابع من ايار عام ١٩٤٦ ، في دار مدرسة صغيرة حمراء اللون في مدينة ريمز ، كان ايزنهاور قد جعل منها مقر قيادته . وقد وقع الوثيقة بالنيابة عن الحلفاء، الفريق وولتر بيدل سميث ، مع الفريق ايفان سوسلوباروف شاهداً عن روسيا والفريق فرنسوا سيفيز شاهداً عن فرنسا . ووقع بالنيابة عن المانيا ، كل من امير البحر فريديبرغ والفريق يودل .

وطلب يودل ان يؤذن له بإلقاء كلمة ، فمنح الاذن وقال :

---

١ ـ يواكيم شولز « الايام الثلاثون الاخيرة من يوميات القيادة العليا الالمانية » ص ٨١ ـ ٨٥ . ويستند هذا الكتاب الى يوميات القيادة العليا في الشهر الاخيرمن الحرب، وقد استندت عليها لدعم صفحات كثيرة من هذا الكتاب .

٢ ـ ايزنهاور ـ حملة صليبية في اوروبا ص ٤٢٦ .

« أصبح مصير الشعب الالماني والقوات الالمانية بتوقيع هذه الوثيقة ، إن خيراً وإن شراً رهن بأيدي المنتصرين .. وفي مثل هذه الساعة ، لا يمكنني إلا ان أعرب عن الأمل ، في ان المنتصرين سيعاملوننا معاملة كريمة » .

ولم يرد أحد من جانب الحلفاء على هذه الكلمة ، ولكن من المحتمل ان يكون يودل قد تذكر حالة مماثلة . كانت الادوار معكوسة فيها قبل خمس سنوات . فلقد ألقى فريق فرنسي عند توقيع فرنسا وثيقة الاستسلام اللامشروط في كومبيين ، كلمة مماثلة ، ولكن أمله ضاع جزافاً كما أثبتت السنوات التي تلت .

وتوقفت المدافع عن الهدير في أوروبا ، كما توقفت الطائرات عن إلقاء قنابلها عند منتصف ليلة الثامن – التاسع من ايار عام ١٩٤٥ ، وسيطر صمت غريب وان كان من النوع « المرغوب فيه » على القارة الاوروبية لأول مرة منذ اليوم الاول من شهر ايلول عام ١٩٣٩ . وفي هذه الفترة التي انقضت والتي امتدت خمس سنوات وثمانية أشهر وسبعة ايام ، قتل الملايين من الرجال والنساء في أكثر من مائة ميدان وفي اكثر من الف مدينة تعرضت للقصف الجوي ، بالاضافة الى ملايين اخرى قتلهم الالمان في غرف الغاز أو عند خنادق جماعات العمل الخاص التابعة للحرس النازي في روسيا وبولندة ، نتيجة شهوة ادولف هتلر العارمة في الفتح والغزو لبلاده المانيا . وغدا القسم الأكبر من مدن أوروبا العريقة حطاماً ،وانطلقت من حطامها ،مع مجيء الطقس الدافىء الروائح الكريهة صادرة عن الجثث التي لم تجد من يدفنها والتي لا عد لها ولا حساب .

ولن تسمع شوارع المانيا بعد اليوم ، رجع خطو الأحذية الثقيلة لقوات العاصمة وهي تمشي مشية الأوزة ، ولا صراخ جماهير ذوي القمصان البنية ، او الهتافات لزعيق الفوهرر نابحة من مكبرات الاصوات .

وبعد اثني عشر عاماً وأربعة أشهر وثمانية ايام ، هي عهد من الظلام للجميع إلا لجمهرة من الالمان ،وقد انتهى الآن الى ليل ساج قاتم لهذه الجمهرة نفسها ،وصل

رايخ « الألف سنة » الى نهايته . وكان هذا العهد قد حلـّق كما رأينا بهذه الأمة العظيمة ، وبهذا الشعب النشيط والسهل الانقياد الى اوج السلطان والفتح ، اللذين لم يعهدهما الالمان من قبل ، ولكنه انهار الآن بشيء من الفجأة والكمال ، اللذين لم يعرفهما التاريخ من قبل .

ففي عام ١٩١٨ ، فر القيصر بعد الهزيمة الاخيرة ، وانهارت الملكية ،ولكن الاجهزة التقليدية الاخرى التي تدعم الدولة وتسند كيانها ظلت قائمة واستمرت حكومة اختارها الشعب في السير بالعمل ، كما ظلت نواة الجيش الالماني وهيئة اركان حربه .أما في ربيع عام ١٩٤٥ ، فقد توقف الرايخ الثالث عن الوجود . ولم تعد هناك أية سلطة المـانية على أي مستوى . واضحى الملايين من الجنود والطيارين أسرى في بلادهم . واصبحت قوات العدو الفاتحة هي التي تحكم الملايين من المدنيين حتى في اصغر القرى ،وهم يعتمدون على هذه القوات لا في نشر النظام وفرض القانون فحسب ، بل وفي تـأمين الغذاء والوقود لضمان بقائهم على قيد الحياة ، طيلة ذلك الصيف والشتاء القارص الذي تلاه . هذه هي الحـالة التي وصل اليها الالمـان بفضل حماقات ادولف هتلر ، وحماقتهم في السير وراءه عمياناً لا يبصرون وبحماس منقطع النظير ، وهي حالة تحملهم على الحقد عليه ، كما تبين لي عندما عدت الى المانيا في ذلك الخريف .

وجدت هناك الشعب والارض ، ولكن الشعب كان ذاهلاً ، تنزف الدماء منه ، يتضور جوعاً . وعندما حل الشتاء ، كان يرتجف من البرد في الأسمال المهلهلة ، والخرائب التي حوّلت الطائرات بيوتهم اليها ، بينما كانت البلاد ارضاً قفراً من الركام والانقاض ، ولكن الشعب الالماني لم يحطم ، على النحو الذي حاول فيه هتلر تحطيم الكثير من الشعوب ، والذي اراده الالمان انفسهم عندما ادركوا خسارتهم للحرب .

لكن الرايخ الثالث مضى الى غياهب التاريخ .

خاتمة قصيرة

عدت في ذلك الخريف الى ذلك البلد الذي كان متكبراً ، والذي قضيت فيه معظم سنوات الرايخ الثالث القصيرة . وتعذّر علي ان اتعرّف على البلد الذي عرفت . وقد سبق لي ان شرحت تلك العودة في مكان آخر [1] . ولم يبق علي هنا إلا ان اسجل مصير الشخصيات الباقية التي برزت بروزاً واضحاً في هذه الصفحات .

ففي الثالث والعشرين من ايار عام ١٩٤٥ ، حلّ الحلفاء حكومة دونيتز المهلهلة التي اقيمت في فلينزبرغ على الحدود الدانماركية ، واعتقل جميع اعضائها . وكان هنريخ هملر قد طرد من الحكومة في السادس من ايار ، عشية الاستسلام في ريمز ، في حركة رمى منها امير البحر دونيتز الى كسب ود الحلفاء . وراح رئيس الحرس النازي السابق ، الذي ظل المهيمن على ارواح الملايين في اوروبا مدة طويلة ، والذي مارس سلطاته في الابقاء على هذه الارواح او انتزاعها ، يتسكع في ضواحي فلينزبرغ حتى الواحد والعشرين من ايار ، عندما بدأ ومعه احد عشر ضابطاً من ضباط الحرس ، محاولة لعبور الخطوط البريطانية والامريكية الى مسقط رأسه في بافاريا . وكان هملر ، قد اضطر الى انتزاع

١ ـ نهاية يوميات برلين .

شاربه ، ولا ريب في ان هذا قد حزّ في نفسه ، وربط رقعة جلدية سوداء على عينه اليسرى ، وارتدى بدلة جندي عادي في الجيش . وأوقفت احدى نقاط المراقبة البريطانية بين همبورغ وبريمرهافن ، هذه المجموعة في اليوم الاول من مسيرها . واعترف هملر عند استجوابه بهويته الى ضابط بريطاني برتبة « رئيس » فراح هذا يبعث به الى مقر قيادة الجيش الثاني في لوينبرغ . وهناك انتزعت عنه ملابسه ، وفتش تفتيشاً دقيقاً ، ثم ألبس بزة عسكرية بريطانية تجنباً من احتمال اخفائة سماً في ملابسه . ولكن التفتيش لم يكن دقيقاً إذ ان هملر أخفى قارورة من سم « سيانيد البوتاس » في فجوة في اسنانه . وعندما وصل ضابط مخابرات بريطاني ثان من مقر قيادة مونتغومري في الثالث والعشرين من ايار ، وأمر أحد الاطباء العسكريين بفحص فم هملر ، عضّ هـذا على القارورة ، واصبح في عداد الاموات في غضون اثنتي عشرة دقيقة على الرغم من الجهود الـتي بذلت للابقاء على حياته بغسل معدته واعطائه بعض المقيئات .

وقدر للباقين من معاوني هتلر القريبين منه ان يعيشوا مدة اطول . وقـد مضيت الى نورمبرغ لرؤيتهم . وكنت كثيراً مـا شاهدتهم في اوقات سلطانهم وامجادهم في مهرجانات الحزب السنوية في هـذه المدينة . ولكنهم بدوا أمامي الآن في اقفاص الاتهام في محكمة نورمبرغ العسكرية ، مختلفين تمام الاختلاف . أجل لقـد وقعت هناك عملية تحوّل كاملة . فقد بدوا في ألبستهم المهلهلة الآن وقد تكوموا في مقاعدهم يتململون في عصبية ظاهرة ، أناساً يختلفون تمـام الاختلاف عن القـادة المتجبرين الذين كانوهم . وظهروا الآن بمظهر مجموعـة مستعهرة التنوع من الناس العاديـين . وكان من الصعب على المرء ان يتصور ان مثل هؤلاء الناس ، على النحو الذي رأيتهم فيه اخيراً ، كانوا يتمتعون بسلطان هائل ، وكانوا في يوم مـا يسيطرون على بلاد عظيمة وعلى القسم الاكـبر من أوروبا .

كانوا واحداً وعشرين في قفص الاتهام [1] . فهناك غورنـغ الذي هبط وزنه

---

1 ـ كان الدكتور روبرت لي زعيم جبهة العمل الالمانية قد شنق نفسه في زنزانته نبل ـ

ثمانين رطلا عما كان عليه عندما رأيته آخر مرة ، وقد ارتدى بزة باهتة اللون من بزات السلاح الجوي ، دون أية اشارات أو أوسمة ، وكان من الواضح انه سرّ لأن السلطات قد اعطته المقعد الاول في قفص الاتهام كشيء من الاعتراف المتأخر بمركزه في سلّم الحكم في المانيا بعد موت هتلر . وكان هناك رودلف هس الذي أشغل المركز الثالث قبل فراره الى انكلترا ، وقد نحل وجهه ، وغارت عيناه ، تتطلعان الى لا شيء في الفضاء ، مدعياً الغيبوبة ، وان كان لا يترك شكاً في انه بات رجلا محطماً ، وهناك ريبنتروب ، وقد تخلص اخيراً من غطرسته وميله الى العظمة ، يحمل وجهاً شاحباً مغضناً . وهناك كايتل الذي فقد مرحه ، وروزنبرغ ، فيلسوف الحزب المرتبك الفكر ، الذي حملته الاحداث التي قادته الى هذا المكان اخيراً على ادراك الواقع .

وكان هناك جوليوس شترايخر صائد اليهود في نورمبرغ ، فبدا لي هذا الانسان العادي والمصور للمناظر العارية ، الذي رأيته ذات يوم يخطو في شوارع تلك المدينه العريقة ملوحاً بسوطه ، قد بات انساناً منحلا . فقد جلس كرجل عجوز أصلع الرأس ، ينضح عرقاً باستمرار ، متفرساً في وجوه القضاة ، ومقنعاً نفسه – كما روى لي احد الحراس فيما بعد – بأنهم جميعاً من اليهود . وهناك فريتز سوكل ، قائد العمل الرقيق في الرايخ الثالث ، وقد اضفت عليه عيناه الصغيرتان والضيقتان والمشقوقتان منظراً خنزيرياً ، إذ كان عصبي المزاج ، يتأرجح ذات اليمين وذات الشمال . والى جانبه جلس بالدور فون شيراخ ، القائد الأول لشبيبة هتلر ، ومحافظ فيينا فيما بعد ، وهو اقرب الى الامريكي في دمه منه الى الالماني ، وقد بدا في صورة طالب جامعي تائب ، بعد ان طرد من جامعته او مدرسته لارتكابه احدى الحماقات . وهناك وولتر فونك المغمور الأحول العين ، الذي خلف شاخت في منصبه . وهناك الدكتور شاخت نفسه

= المحاكمة التي كان من المقرر ان يظهر فيها كأحد المتهمين . وكان قد عقد انشوطة من حبال جدلها من « فوطته » ثم ربطها الى انبوب الحمام .

الذي كان قد قضى الشهور الاخيرة من حياة الرايخ الثالث سجين زعيمه الذي طالما أجلّه ، في احد المعتقلات يرتعد خوفاً من الاعدام في أي يوم ، والذي كان يتحرق غيظاً اليوم لأن الحلفاء يحاكمونه كمجرم حرب . واعتقل كذلك فرانز فون بابن الذي يعتبر المسؤول الاول في المانيا عن مجيء هتلر الى الحكم ، وجيء به الى المحاكمة كأحد المتهمين . وبدا الآن طاعناً في السن ، ولكن نظرة الثعلب الماكرة كانت تطبع وجهه اليابس ، بعد ان نجا في حياته الطويلة من عدد من الازمات الحرجة .

وبدا نوراث اول وزير خارجية عند هتلر والالماني الذي يمت الى المدرسة القديمة ، قليل العقائد مفتقراً الى الكرامة الاصيلة ، محطماً كل التحطيم . وكان هناك سبير ايضاً الذي ترك اكثر من غيره من المتهمين انطباعات طيبة عن استقامته ،وتحدث بصدق طيلة المحاكمات دون ان يحاول إلقاء مسؤولياته وجرائمه على اكتاف غيره . وكان هناك ايضاً في قفص الاتهام سايس - انيكوارت الكويزلنغ النمسوي ، ويودل ، واميرا البحر الاكبران ريدر ودونيتز ، وقد بدا الاخير الذي خلف هتلر ، في بدلته المخزنة ، وكأنه كاتب في حانوت لبيع الأحذية . وكان هناك كالتنبرونر ، الخليفة الدموي للجلاد هايدريش ، الذي حاول ان ينفي كل جرائمه ، وهانز فرانك ، منفذ احكام « محاكم التفتيش » في بولندة ، الذي اعترف ببعض جرائمه ، معلناً توبته في النهاية ومؤكداً انه بعد عودته الى اكتشاف « ربّه » راح يرجو غفرانه . وكان ثمة فريك الذي ظل حتى حافة قبره ، ذلك الانسان الذي لا لون له والذي عاشه . واخيراً كان هناك هانز فريتشه ، الذي اختار التعليق الاذاعي مهنة له ، لأن صوته كان شبيهاً بصوت غوبلز ، الذي عينه موظفاً في وزارة الدعاية . ولم يعرف احد من الجالسين في قفص الاتهام ، السبب الذي جاء به الى هنا ، حتى فريتشه نفسه ، الذي كان سمكة صغيرة بالنسبة الى الآخرين ، إلا اذا اعتبر شبحاً لغوبلز ، ولذا فقد برئت ساحته .

وكذلك برئت ساحة شاخت وبابن . ولكن الثلاثة ما لبثوا ان قضوا فترة

في السجن تنفيذاً لعقوبات المحاكم الالمانية الرامية الى نزع الصفة النازية عن البلاد. لكن هذه الفترة لم تطل ابداً .

وحكم على سبعة من متهمي نورمبرغ بالسجن فقد حكم على هيس وريدر وفونك بالسجن مدى الحياة وعلى سبير وشيراخ بالسجن عشرين عاماً وعلى نوراث بالسجن خمسة عشر عاماً وعلى دونيتز بالسجن عشرة اعوم . أما الآخرون فقد حكم عليهم بالموت .

وارتقى ريبنتروب في الساعة الواحدة والدقيقة الحادية عشرة من صباح السادس عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٦ سلم المشنقة في غرفة الاعدام في سجن نورمبرغ ، وسرعان ما لحق به في فترات متقاربة كايتل وكالتنبرونر وروزنبرغ وفرانك وفريك وشتوايخر وسايس – انيكوارت وسوكل ويودل .

لكن هيرمان غورنغ لم يرتق سلم المشنقة ، وآثر ان يخدع الجلاد . فقبل ساعتين من حلول دوره ، ابتلع حقاً من السم هرّب اليه في زنزانته . وهكذا نجح في اللحظة الاخيرة كزعيمه ادولف هتلر ومنافسه على الخلافة هنريخ هملر ، في اختيار الطريقة التي يغادر فيها هذه الدنيا،التي خلف عليها كزميليه الآخرين اثراً اجرامياً .

فهرست القسم الرابع

اعترافات

على الرغم من انني قمت في هذا الكتاب كما في غيره من الكتب التي ألفتها ،بما أحتاج اليه من بحث وتخطيط ، إلا أنني مدين بالكثير الى عدد من الاشخاص والمؤسسات لمـــا حصلت عليه منهم ومنها من مساعدات سخيّة في غضون السنوات الخمس التي قضيتها في اعداد هذا الكتاب .

لقد دفعني جاك غودمان المتوفى منمؤسسةسيمون وشوستر للنشر وجوزيف بارنز رئيس تحرير مؤسسة النشر التي تولت اصدار هذا الكتاب ، الى كتابته ، ولما كان بارنز صديقاً قديماً لي أيام عملنا مراسلين في اوروبا ، فقد وجهني كثيراً في ترتيبه وفي ما قدمه من نقد بناء . ووجهني الدكتور فريتز ايبشتين من رجال مكتبة الكونغرس والحجة في الوثائق الالمانية المصادرة ، الى البحث في «جبال» من الاوراق الالمانية وسارعالكثيرونلمساعدتي ايضاً وبينهم تيلفورد تيلور رئيس هيئة الادعاء العام في محاكمات نورمبرغ لمجرمي الحرب ، والذي أصدرحتى الآن مجلدين عن التاريخ العسكري للرايخ الثالث . وقد أعارني الكثير من الوثائق والكتب من مجموعته الخاصة وقدم لي نصائح ثمينة .

ودلـّني الاستاذ اورون هيل من جامعة فرجينيا ورئيس اللجنة الأمريكية التابعة لاتحاد المؤرخين الامريكيين والتي تتولى دراسة الوثائق الحربية الى عدة مصادر نافعة بينها النتائج التي توصل اليها في بعض بحوثه ، ثم دفعني دفعاً ذات يوم من ايام صيف عـــام ١٩٥٦ الى الخروج من قاعة المخطوطات في مكتبة

الكونغرس مشيراً علي بصرامة ان أعود الى كتابة الكتاب مخافة ان اقضي ما تبقى من حياتي أتطلع الى الاوراق الالمانية وهو ما قد يقع فيه المرء بسهولة. وعاونني ايضاً في متاهات الاوراق الالمانية كل من الدكتور ج. برنارد نوبل، رئيس القسم التاريخي في وزرة الخارجية الامريكية وبول سويت، الموظف في السلك الخارجي في الوزارة، والذي كان احد المحررين الامريكيين لمجموعة «وثائق عن السياسة الخارجية الألمانية». وتكرمت علي بالعون ايضاً كل من السيدة هيلديغارد بوينيغر والسيدة أغنيس بيترسون من مكتبة هوفر في جامعة ستانفورد بالعون الخطي من اولاهما والشخصي من ثانيتهما. أما في وزارة الحربية، فقد تفضل العقيد هوفر نائب رئيس دائرة التاريخ العسكري وديتمار فينكى من مساعديه، بمساعدتي في تتبع السجلات العسكرية الالمانية التي تملك الوزارة منها مجموعة فريدة.

واهتم هاميلتون فيش ارمسترونغ رئيس تحرير مجلة «السياسة الخارجية» اهتماماً شخصياً في مساعدتي على انهاء هذا الكتاب، كما ساعدني فيه ايضاً وولتر مالوري، المدير التنفيذي آنذاك لمجلس العلاقات الخارجية. واني مدين لهذا المجلس والى فرانك ألتشول والى مؤسسة اوفر بروك بالمنح المالية السخية التي مكنتني من تكريس كل وقتي لهذا الكتاب، في سنة اعداده الاخيرة. وأرى لزاماً علي ان اشكر ايضاً موظفي مكتبة المجلس الرائعة، الذين أتعبتهم بكثرة طلباتي. وقد خبرت متاعبي ايضاً مكتبة «مجتمع نيويورك» وتحمّل مني موظفوها كل عناء بأناة وتفهم.

وتفضل لويس غالانتير وهيربرت كريدمان بقراءة المخطوطات وتقديم بعض الانتقادات الثمينة. ووضع العقيد ترومان سميث الذي كان يشغل منصب الملحق العسكري الامريكي في برلين عندما بدأ ادولف هتلر حياته السياسية في مطلع حقبة العشرين، ثم بعد ان جاء الى الحكم، تحت تصرفي، بعض ملاحظته وتقاريره التي ألقت الكثير من الضوء على بداية الحركة الاشتراكية الوطنية وعلى بعض النواحي الاخرى فيما بعد. وقدم الي سام هاريس، احد اعضاء الادعاء الامريكي

في نورمبرغ والذي يعمل في المحاماة الآن في نيويورك ، جميع مجلدات « محاكمات كبار مجرمي الحرب الالمان » وبعض المصادر الاخرى غير المطبوعة . وتكرم الفريق فرانز هولدر ، رئيس هيئة اركان حرب الجيش الالماني في السنوات الثلاث الاولى من الحرب بالرد على أسئلتي وبتوجيهي الى مختلف المصادر الالمانية . وقد ذكرت في مكان آخر ، مدى ما افدته من يومياته غير المطبوعة ، وهي اليوميات التي احتفظت بنسخة منها الى جانبي عند كتابة قسم كبير من هذا الكتاب ، وذكّرني جورج كينهان الذي كان يعمل في السفارة الامريكية في برلين في مطلع الحرب بكثير من النقاط ذات الاهمية التاريخية . وبحث معي عدد من الزملاء والاصدقاء القدامى الذين لقيتهم ايام عملي في اوروبا من أمثال جون غونتر ، و م. فودور ، وكي بويل ، وسيغريد شولتز ، ودوروثي تومبسون ، ووبت بيرنيت ، ونيوويل روجرز ، في مختلف النواحي المتعلقة بهذا الكتاب ، فأفدت من ملاحظاتهم . وقدم الي بول رينولدز ، وكيلي الادبي ما احتجت اليه من تشجيع .

وأخيراً أدين بالكثير الى زوجتي التي أعانتني معرفتها بعدد من اللغات الاجنبية ، وخبرتها بأوروبا ولا سيما بألمانيا والنمسا ، اثناء بحثي وكتابتي ومراجعتي . وساعدتني بنتاي انيغا وليندا ، أثناء عطلتهن الدراسية في مختلف الامور الضرورية .

واني أوجه الى هؤلاء والى الآخرين الذين ساعدوني بمختلف الطرق ، اعترافي بفضلهم . أما المسؤولية فيما قد يكون في الكتاب من أخطاء فتقع علي بالطبع وحدي .

مراجع الكتاب

يستند هذا الكتاب بوجه عام على الوثائق الالمانية المصادرة وعلى استجوابات وشهادات الضباط الالمــان والموظفين المدنيين وعلى اليوميات والمذكرات التي خلّفها بعضهم ، وكذلك على تجاربي الشخصية في الرايخ الثالث .

وقد نشرت ملايين الكلمات من الوثائق الالمانية في مختلف سلاسل المجلدات ، وجمعت ملايين اخرى او صورت لتودع في المكتبــات ، ولا سيا في مكتبة الكونغرس ومكتبة هوفر في جامعة ستانفورد في هذه البلاد وكذلك في مكتبة « الوثائق القومية » في واشنطن . وهناك بالاضافة الى كل ذلك ، مجموعة ضخمة من السجلات العسكرية الالمانية في مكتب رئيس دائرة التاريخ العسكري في وزارة الحربية الامريكية .

وكانت أهم الوثائق المنشورة بالنسبة الى هدفي ثلاث سلاسل . اولاها : سلسلة وثائق عن السياسة الخارجية الالمانية – السلسلة (د) التي تضم مختارات كبيرة مترجمة الى الانكليزية من أوراق وزارة الخارجية الالمانية من عام ١٩٣٧ حتى صيف عـــام ١٩٤٠ . وقد تكرمت وزارة الخارجية الامريكية فأتاحت لي الوصول الى عدد اضافي من اوراق وزارة الخارجية الالمانية لم تترجم بعد ولم تطبع وتتعلق بصورة رئيسية باعلان المانيا الحرب على الولات المتحدة .

وهناك سلسلتان من الوثائق المطبوعة عن المحاكمات الرئيسية في نورمبرغ وهي

قيمة الى حد يفوق التصور إذ تحمل المرء الى ما وراء الكواليس في حياة الرايخ الثالث . وأولى هاتين السلسلتين هي سلسلة «محاكمات كبار مجرمي الحرب» التي تقع في اثنين واربعين مجلداً ، تتضمن المجلدات الثلاثة والعشرون الفاً الأولى منها نص الشهادات التي قدمت في المحاكمات ، بينما تتضمن المجلدات الباقية والوثائق التي قبلت كأدلة والتي طبعت في لغاتها الاصلية ومعظمها باللغة الالمانية . وهناك وثائق اضافية واستجوابات وشهادات مشفوعة باليمين جمعت للمحاكمات وترجمت بصورة مستعجلة الى الانكليزية ، وقد طبعت في سلسلة تقع في عشرة مجلدات وتدعى سلسلة « المؤامرة النازية والعدوان » ومن سوء الحظ ان الشهادات القيمة للغاية والتي أعطيت امام مفوضي المحكمة العسكرية الدولية قد حذف معظمها من السلسلة الاخيرة ، ولا توجد إلا مصورة في بعض المكتبات البارزة .

وجرت هناك اثنتا عشرة محاكمة متتابعة في نورمبرغ قامت بها المحاكم العسكرية الامريكية ، لكن الخمسة عشر مجلداً الضخمه عن الشهادات والوثائق التي قدمت الى هذه المحاكم والتي تحمل اسم « محاكمات مجرمي الحرب امام محكمة نورمبرغ العسكرية »لا تضم إلا أقل من عشر المواد التي قدمت الى هذه المحاكمات . لكن بقيتها توجد على أي حال في شكل صور أو نسخ زنكوغرافية في بعض المكتبات . وتوجد خلاصات للمحاكمات الاخرى التي ألقت الكثير من الضوء على الرايخ الثالث في « التقارير القانونية لمحاكمات مجرمي الحرب » الذي طبعته مطبعة الحكومة البريطانية في لندن بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٩ .

وبالاضافة الى الوثائق الالمانية غير المطبوعة والموجودة في مجموعات مكتبة هوفر ومكتبة الكونغرس والوثائق القومية ، والتي تشمل بالاضافة الى اشياء كثيرة اخرى على ملفات هملر وعدد من اوراق هتلر الخاصة ، هناك ما يدعى «أوراق الاسكندرية» ، وهي وثائق في منتهى الاهمية وقد صورت وأودعت في مكتبة الوثائق الوطنيـــة . وسيجد القارىء ما يطلبه من معلومات عن الاوراق المصادرة الاخرى في الهوامش . وبين المواد الالمـــانية غير المطبوعة ايضاً ، يوميات الفريق هولدر وهي تقع في سبعه مجلدات مخطوطة مع اضافات

خطية كتبهــا الفريق بعد الحرب لتوضيح بعض الفقرات ، والتي وجدتها في منتهى الاهمية بين سجلات الرايخ الثالث .

وسأدرج هنا بعض الكتب التي كانت مساعدة لي . وهي على انواع ثلاثة : اولها المذكرات واليوميات التي وضعهــا عدد من الشخصيات البارزة في هذا التاريخ وثانيها الكتب التي تستند على المواد الوثائقية الجديدة ككتب ويلر - بنيت وآلان بالوك ، وتريفور - روبر وجيرالد ريتلينغر من انكلترا ، وتيلفور بيلور من امريكا وايبرهارد زيلر وغيرهارد ريتر ورودلف بيشيل وولترغوبرليتز في المانيا ، وثالثها الكتب التي تؤلف مراجع اساسية عن الموضوع .

وقد صدرت في ميونيخ مجموعة من المؤلفات التي نشرت عن الرايخ الثالث وذلك في عدد خاص من مجلة «ربعيات الاحداث» تحت اشراف إحدى المؤسسات الالمانية . وتضم فهارس مكتبة ويرنر في لندن ايضاً مراجع ذات قيمة كبيرة .

١ ــ الوثائق المنشورة

١ ـ محاكمة هتلر ـ ميونيخ ـ ١٩٢٤ (سجل اجراءات محاكمة هتلر في ميونيخ)

(Der Hitler Prozess)

٢ ـ وثائق ومواد متعلقة بعشية الحرب الكونية الثانية ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ـ مجلدان ـ موسكو ـ دائرة نشر اللغات الاجنبية ١٩٤٨

(Documents & Materials Relating to the Eve of the Second World War 1937-1939)

٣ ـ وثائق عن العلاقات الالمانية ـ البولندية ونشوب القتال بين بريطانيا العظمى والمانيا . لندن ـ مطبعة الحكومة ـ ١٩٤٧ . (اشير اليهما في الهوامش بالكتاب البريطاني الازرق)

Documents Concerning German — Polish Relations and the Outbreak of Hostilities between G. B. and Germany

٣ (مكرر) ـ وثائق عن السياسة الخارجية البريطانية ١٩١٩ ـ ١٩٣٩ ـ لندن . مطبعة الحكومة ١٩٤٧ . (اشير اليهـا في الهوامش بوثائق وزارة الخارجية البريطانية .)

(Documents on British Foreign Policy)

٤ ـ وثائق عن السياسة الخارجية الالمانية ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ ـ السلاسل (د) من ١٩٣٧ ـ ١٩٤٥ ـ عشرة مجلدات ـ واشنطن وزارة الخارجية الامريكية (اشير اليها في الهوامش بوثائق وزارة الخارجية الالمانية)

(Documents on German Foreign Policy)

٥ ـ وثائق السياسة الالمانية١٩٢٣ ـ ١٩٤٠ برلين ١٩٣٥ ـ ١٩٤٣ .

(Dokumente der deutschen Politik)

٦ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية لندن ـ الاميرالية البريطانية ١٩٤٧ .

(Fuehrer Conferences on Naval Affairs)

٧ ـ هتلر وموسوليني ـ رسائل ووثائق . ميلان ـ ريزولي ١٩٤٦ .

(Hitler e Mussolini-Lettere e documenti)

٨ ـ وثائق وزارة الخارجية الايطالية (الوثائق الدبلوماسية الايطالية) سلاسل اوتافو ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ـ ليبريا دبلاستاتو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ .

(I Documenti Diplomatica Italiani)

٩ ـ الكتاب الاصفر الفرنسي ـ وثائق دبلوماسية ـ ١٩٣٨ . ١٩٣٩ ـ باريس ـ وزارة الخارجية الفرنسية .

(Le Livre Jaune Français, Documents Diplomatiques).

١٠ ـ المؤامرة النازية والعدوان ـ ١٠ مجلدات ـ واشنطن . مطبعة الحكومة الامريكية ١٩٤٦ .

(Nazi Conspiracy and Aggression)

١١ ـ العلاقات النازيةـ السوفياتية ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ ـ وثائق من محفوظات وزارة الخارجية الالمانية ـ واشنطن ـ وزارة الخارجية الامريكية ١٩٤٨ .

(Nazi — Soviet Relations)

١٢ ـ وثائق رسمية عن العلاقات البولندية ـ الالمانية والعلاقاتالبولندية ـ السوفياتية. ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ . لندن ١٩٣٩ . (الكتاب البولندي الابيض) .

(Official Documents Concerning Polish-German and Polish — Soviet Relations).

١٣ ـ الهجوم على بيرل هاربر ـ الشهادتان امام اللجنة المشتركة عن التحقيقات في الهجوم على ميناء اللؤلؤ ٣٩ مجلدا ـ واشنطن ـ مطبعة الحكومة الامريكية ١٩٤٦ .

(Pearl Harbor Attack)

١٤ ـ الوثائق السوفياتية عن السياسة الخارجية ـ ٣ مجلدات ـ لندن ـ المعهد الملكي للشؤون الدولية ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ .

(Soviet Documents on Foreign Policy)

١٥ ـ الحكومه الاسبانية والمحور ـ واشنطن وزارة الخارجية الامريكية . ١٩٤٦ . (من اوراق وزارة الخارجية الالمانية) .

(Spanish Government and the Axis)

١٦ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب امام المحكمة العسكرية الدولية ـ ٤٢ مجلدا ـ طبع في نورمبرغ .

Trial of the Major War Criminals before the International Military Tribunal)

١٧ ـ محاكمات مجرمي الحرب امام محكمة نورمبرغ العسكرية ـ ١٥ مجلدا ـ واشنطن ـ مطبعة الحكومة الامريكية ١٩٥١ ـ ١٩٥٢

Trial of War Criminals before the Nuremberg Military Tribunal)

٢ ـ خطب هتلر

١ ـ خطب ادولف هتلر ـ ميونيخ ١٩٣٤

(Adolf Hitlers Reden)

٢ ـ بينز ـ نورمان . ـ خطب ادولف هتلر في نيسان ١٩٢٢ ـ آب ١٩٣٩ ـ مجلدان ـ نيويورك ١٩٤٢ .

(Baynes Norman. The Speeches of Adolf Hitler)

٣ ـ برانج ، غوردون و . ـ كلمات هتلر ـ واشنطن ـ ١٩٤٤ .

Hitler's Words

٤ ـ روسي دي سالز ، الكونت راؤول ـ نظامي الجديد ـ نيويورك ١٩٤١ .

(Roussy — My New Order)

٣ ـ المؤلفات العامة

١ ـ ابشاغين ـ كي . اش . كاناريس ـ شتوتغارت ١٩٤٩ .

(Abshagen K. H.: Canaris)

٢ ـ امبروستر هوارد واطسون ـ سلام الخيانة ـ نيويورك ١٩٤٧ .

(Ambruster. H.W. Treason's Peace)

٣ ـ اندبرز فلادبسلاو ـ هزيمة هتلر في روسيا ـ شيكاغو ـ ١٩٥٣ .

(Anders Wladyslaw Hitler's Defeat in Russia)

٤ ـ مجهول ـ من ويمار الى الفوضى ـ مذكرات سياسة لاحد قادة الجيش الالماني باريس ١٩٣٤ .

(De Weimar au Chaos — Journal Politique d'un General de la Reichswehr)

٥ ـ ارمسترونغ ـ هاملتون فيش : رايخ هتلر ـ نيويورك ١٩٣٣ .

(Armstrong H.F. Hitler's Reich)

٦ – اسمان – كورت – سنوات المصير الالماني ويسبادن ١٩٥٠
(Assmann, Kurt: Deutche schick-salsjahre)

٧ – الماريشال بادوليو بيترو – ايطاليا في الحرب الكونية الثانية – لندن ١٩٤٨
(Badoglio Marshal Pietro — Italy in the Second World War)

٨ – باراكلو – ا س . – جذور المانيا الحديثة – اوكسفورد ١٩٤٦ .
Barraclough : The Origins of Modern Germany)

٩ – بارتز – كارل – لما احترقت السماء هانوفر ١٩٥٥
(Bartz Karl-Als der Himmel Brante).

١٠ – بومونت – فرايد وفرميل – الرايخ الثالث – نيويورك ١٩٥٥
(Baumont Fried and Vermiel — Third Reich)

١١ – بايل – فرنسوا : الصليب المعقوف او المطوي – فريبورغ ١٩٥٠
(Bayle François Croix gammée ou caducée)

١٢ – وزارة الخارجية البلجيكية – بلجيكا التقرير الرسمي لما وقع – ١٩٣٩ – ١٩٤٠ – نيويورك ١٩٤١ .
(Belgian Ministry of Foreign Affairs — Belgium — The Official Account of what Happened)

١٣ – بنيش – ادوارد – مذكرات الدكتور ادوارد بنيش – من ميونيخ الى الحرب الجديدة والنصر الجديد – لندن ١٩٥٤ .
Memoirs of Dr. Benes, from Munich to New War and New Victory)

١٤ – بنوا – ميشان جاك – تاريخ الجيش الالماني بعد الهدنة – باريس ١٩٣٦ – ١٩٣٨
(Benoist-Méchin Jacque-Histoire de l'Armée Allemande Depuis l'armistice)

١٥ – برنادوت فولكي – اسدل الستار – نيويورك ١٩٤٥
(Bernadotte Folke — The Curtain Falls)

١٦ – بيست – الرئيس بين – حادث فنيلو لندن ١٩٥٠
(Best Captain Payne: The Venlo Incident)

١٧ – بيويغونغ – الحركة والدولة والشعب في تنظيماتها – برلين ١٩٣٤
(Bewegung, Staat und Volkinihren Organisationen)

١٨ – بلومنتريت غونتر – فون رونشتادت لندن ١٩٥٢
(Blumentritt Guenther : Von Runds-tedt)

١٩ – بولدت ، غيرهارد – في الملجأ مع هتلر – لندن ١٩٤٨
(Boldt Gerhard: In the Shelter)

٢٠ – بونيه جورج – نهاية اوروبا – جنيف ١٩٤٨ .
(Bonnet, George — Fin d'une Europe)

٢١ – بوتبي روبرت – احارب لاعيش لندن ١٩٤٧
(Boothby, Robert I fight to Live)

٢٢ ـ بورمان ، مارتن ـ رسائل بورمان ـ الرسائل الشخصية بين مارتن بورمان وزوجته من كانون الثاني ١٩٤٣ الى نيسان ١٩٤٥ . لندن ١٩٤٥ . (The Bormann Letters)

٢٣ ـ برادلي الفريق عمر ـ قصة جندي نيويورك ١٩٥١ (Bradley General Omar: A soldier's story)

٢٤ ـ برادي روبرت ـ روح الفاشية الالمانية وتركيبها ـ لندن ١٩٣٧ (Brady Robert: The Spirit of structure of Germanfascism)

٢٥ ـ برايانز لينسديل ـ النصر الاعمى ـ لندن ١٩٥١ (Bryans Lonsdale -- Blind Victory)

٢٦ ـ برايانت ـ سير ارثر ـ تحول التيار ـ تاريخ سنوات الحرب استنادا الى يوميات المشير اللورد الان بروك رئيس اركان حرب القوات الامبراطورية . نيويورك ١٩٥٧ . (Bryant Sir Arthur The Turn of tho Tide)

٢٧ ـ بولوك ـ الان ـ هتلر ـ دراسة في الطغيان ـ نيويورك ١٩٥٢ (Bullock, Alan -- Hitler — A study in Tyranny)

٢٨ ـ بوتشر ـ هاري ـ سنوات الثلاث مع ايزنهاور ـ نيويورك ١٩٤٦ (Butcher Harry — My Three Years with Eisenhower)

١٩ ـ كار ، ادوارد هاليت ـ العلاقات الالمانية ـ السوفياتية بين الحربين العالميتين . ـ نيويورك ١٩٤٧ . (Carr: Edward Hallett — German Soviet Relations between the two World Wars)

٣٠ ـ تشرشل ـ السير ونستون ـ مذكرات الحرب الكونية الثانية ـ ٦ مجلدات ـ نيويورك ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣ . (Churchill, Sir Winston S. The Second World War)

٣١ ـ شيانو ـ الكونت غاليازو ـ اوراق شيانو الدبلوماسية ـ لندن ١٩٤٨ (Ciano: Ciano's Diplomatic Papers)

ـ يوميات شيانو السرية ـ نيويورك ١٩٥٣ — : (Ciano's Hidden Diary)

ـ يوميات شيانو ١٩٣٩ ـ ١٩٤٣ ـ نيويورك ١٩٤٦ — : (The Ciano Diaries)

٣٢ ـ كلوزيوبوستز كارل ـ عن الحرب ـ نيويورك ١٩٤٣ (Clause Witz Karl Von — On War)

٣٣ ـ كول ـ وبوتر ـ هكذا قالت المانيا ـ نيويورك ١٩٤١ (Coole and Potter. Thus Speaks Germany)

٣٤ ـ كريغ ـ غوردون ـ سياسات الجيش البروسي . نيويورك ١٩٥٥
(Craig Gordon : The Politics of the Prussian army)

٣٥ ـ كروس بنيديتو ـ المانيا واوروبا ـ نيويورك ١٩٤٤
(Croce Benedetto : Germany and Europe)

٣٦ ـ تشيكوسلوفاكيا ترد الحرب ـ وأشنطن المجلس الامريكي للشؤون العامة ١٩٤٣
(Czechoslovakia Fights Back)

٣٧ ـ داهليروس ـ بيرغر ـ المحاولة الاخيرة لندن ١٩٤٧
(Dahlerus Birger — The last Attempt)

٣٨ ـ دالوس جان ـ الرايخ الثالث ـ باريس ١٩٥٠
(Daluces Jean : Le Troisième Reich)

٣٩ ـ دالليين الكساندر . الحكم الالماني في روسيا نيويورك ١٩٥٧
(Dallin Alexander — German Rule in Russia)

٤٠ ـ ديفيز جوزيف ـ بعثة دبلوماتية الى موسكو ـ نيويورك ١٩٤١ .
(Davies Joseph — Mission to Moscow)

٤١ ـ ديري . تي . كي . ـ الحملة في موسكو ـ لندن ١٩٥٢
(Derry T.K. : The Campaign in Moscow)

٤٢ ـ ديوبل دالاس ـ الشعب في ظل هتلر نيويورك ١٩٤٣
(Deuel Wallace: People under Hitler)

٤٣ ـ ديوي جون ـ فلسفةالمانيا وسياستها نيويورك ١٩٥٢ .
(Dewey John :. German Philosophy and Politics)

٤٤ ـ دايلز رودولف ـ الشيطان على الابواب شتوتغارت ١٩٥٠
(Diels Rudolf Lucifer ante Portas)

٤٥ ـ ديتريش اوتو ـ مع هتلر في الحكم ميونيخ ١٩٣٤
(Dietrich Otto: Mit Hitler indie Macht)

٤٦ ـ دولمان يوجين : رومة المستنزية ميلان ١٩٥١
(Dollman Eugen: Roma Nazista)

٤٧ ـ دربر تيودور ـ حرب الاسابيع الستة نيويورك ١٩٤٤
(Draper Theodore: The Six Weeks War)

٤٨ ـ دوبوا جوسيا ـ كيميائيو الشيطان بوسطون ١٩٥٢
(Du Bois Josiah: The Devil's Chemists)

٤٩ ـ دالاس الين ـ الحركة السرية في المانيا ـ نيويورك ١٩٤٧
(Dulles Allen: Germany's Underground)

٥٠ ـ ابنشتاين وبليام : الدولة النازية نيويورك ١٩٤٣
(Ebenstein William : The Nazistate)

٥١ ـ ايزنهاور دوايت : حملة صليبية في اوروبا ـ نيويورك ١٩٤٨ .
(Eisenhower, Dwight: Crusade in Europe)

٥٢ ـ ايليس ـ الميجور . ال . الحرب في فرنسا والفلاندرز ـ لندن ١٩٥٣
(Ellis Major L.F. The War in France and Flanders)

٥٣ ـ ايك . أي ـ بسمارك والامبراطورية الالمانية ـ لندن ١٩٥٠
(Eyck E. : Bismarck and the German Empire)

٥٤ ـ فيلينغ كيت ـ حياة نيفيل تشمبراين لندن ١٩٤٦
(Feiling Keith : The life of N. Chamberlain).

٥٥ ـ فويشتر جورج ـ الحرب الجوية ـ بون ١٩٥٤
(Feuchter, George : Geschichte des Luftkrieg)

٥٦ ـ فيشر . ا ش . اي . تاريخ اوروبا لندن ١٩٣٦
(Fisher H.A. A. History of Europe)

٥٧ ـ فيشمان جاك ـ رجال سبانداو السبعة نيويورك ١٩٥٤
(Fishman Jack: The seven men of Spandou)

٥٨ ـ فيتزغيبون ، قسطنطين ـ ٢٠ تموز ـ نيويورك ١٩٥٦
(Fitz Gibbon — Constantine: 20 July)

٥٩ ـ فليمنغ بيتر ـ عملية اسد البحر ـ نيويورك ١٩٥٧
(Fleming Peter: Operation Sea Lion)

٦٠ ـ فلينلي رالف ـ تاريخ المانيا الحديث نيويورك ـ ١٩٥٣
(Flenley Ralph: Modern German History)

٦١ ـ فوبرستر وولفغانغ ـ جنرال يكافح ضد الحرب ـ ميونيخ ١٩٤٩ (اوراق الفريق بيك)
(Forester Wolfgang: Ein General Kaempft gegen den Krieg)

٦٢ ـ فرانسوا ـ بونسيهاندريه ـ سنوات القدر ـ نيويورك ١٩٤٠
(François-Poncet, André: The Fate Ful Years)

٦٣ ـ فريدين سيمور وريشاردسون ويليام القرارات القدرية ـ نيويورك ١٩٥٦
(Friedin, Seymour and Richardson The Fatal Decisions)

٦٤ ـ فريدمان فيليب ـ هكذا كانت اوشويتز ـ لندن ١٩٤٦
(Friedman, Filip: This was Auschwitz)

٦٥ ـ فريشور ويلي: ظهور وسقوط هيرمان غورنغ ـ بوسطون ١٩٥١
(Frischauer Willy: The Rise and Fall of Hermann Goering)

٦٦ ـ فولر ـ اللواء . جي . ان ـ الحرب الكونية الثانية ـ نيويورك ١٩٤٩
(Fuller, Major General: The Second World War)

٦٧ ـ غالاند ادولف ـ الاول والاخير ـ نشوء وسقوط القوات المحاربة في السلاح الجوي الالماني ـ نيويورك ١٩٥٤
(Galland Adolf: The First and the Last)

٦٨ ـ غاملان الفريق موريس غوستاف ـ الانصاف او الخدمة ـ ٣ مجلدات ـ باريس ١٩٤٩ .
(Gamelin — General M.G.: Servir)

٦٩ ـ غاي ـ جان ـ اوراق سرية لجان غاي ـ باريس ١٩٤٠
(Gay, Jean: Carnets Secrets de Jean Gay)

٧٠ ـ المانيا ـ صورة ذاتية. هارلاند كريبين نيويورك ١٩٤٤
(Germany — A self Portrait)

٧١ ـ جيلبرت ج.م. يوميات نورمبرغ نيويورك ١٩٤٧
(Gilbert G.M. Nuremberg Diary)

٧٢ ـ غيزيفيوس بيرند : حتى النهاية المرة بوسطن ١٩٤٧
(Gisevius Bernd: To the bitter End)

٧٣ ـ جيلبرت فيليكس ـ هتلر يوجه حربه نيويورك ١٩٥٠ (النصوص الجزئية لمؤتمرات هتلر العسكرية اليومية) .
(Gilbert Felix: Hitler Directs His War)

٧٤ ـ ازمة عقيدة في الرايخ الثالث ـ شتوتغارت ١٩٥٣
(Glaubenskrise im Dritten Reich)

٧٥ ـ غوبلز جوزيف ـ من القيصرية الى المستشارية ـ ميونيخ ١٩٣٦
(Goebbels Joseph: Vom Kaiserhof zur Reichskanzlei)

ـ يوميات غوبلز ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ـ نيويورك ١٩٤٨
— : (The Goebbels Diaries)

٧٦ ـ غوبرليتز وولتر ـ تاريخ هيئة اركان الحرب الالمانية ـ نيويورك ١٩٥٢
(Goerlitz Walter: A History of the German General Staff

ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية ـ شتوتغارت ١٩٥١
— : Der Zweite Weltkrieg)

٧٧ ـ غوديما قسطنطين ـ الجيش الاحمر في السلم والحرب . باريس ١٩٤٧
(Goudima Constantin : L'armée Rouge dans la Paix et la Guerre)

٧٨ ـ غرينر هيلموث ـ القمة في قيادة الجيش الالماني ـ ويسبادن ١٩٥١
(Greiner Helmuth: Die Oberste Wehrmachtfuehrung)

٧٩ ـ غرينر جوزيف ـ نهاية اسطورة هتلر فيينا ١٩٤٧
(Greiner Josef: Das Ende des Hitler Mythos)

٨٠ ـ غوردبان الفريق هاينز ـ قائد فرق الصاعقة ـ نيويورك ١٩٥٢
(Guderian : General Heinz: Panzer Leader)

٨١ ـ غيوم الفريق ـ الحرب الالمانية السوفياتية ـ باريس ١٩٤٩
(Guillaume : La Guerre Germano Soviétique)

٨٢ ـ هاباتش وولتر ـ الاحتلال الالماني في الدانيمرك والنروج ـ غويتيفين ١٩٥٢
(Habatsch Walther Die Deutsch Besetzung von Daenmark und Norwegan)

٨٣ ـ هولدر فرانز ـ هتلر كقائد ميدان ميونيخ ١٩٤٩
(Halder Frans Hitler als Feldherr)

٨٤ ـ هاليفاكس اللورد ـ كمال الايام ـ نيويورك ١٩٥٧ (Halifax Lord Fulness of Days)

٨٥ ـ هونغارتين جورج : هتلر والجيش والصناعة ـ فرانكفورت ١٩٥٥ (Hallgarten George: Hitler Reichswehr und Industrie)

٨٦ ـ هانفستانغل ارنست ـ شاهد لم يسمع ـ نيويورك ١٩٥٧ . (Hanfstaengel Ernst: Un heard Witness)

٨٧ ـ هاريس ويتني : الطغيان في المحاكمة مختارات من الوثائق الالمانية التي قدمت في نورمبرغ . دالاس ١٩٥٤ (Harris Whitney: Tyranny on Trial)

٨٨ ـ هاسيل . اورليخ فون هاسيل ـ نيويورك ١٩٤٧ (The Von Hassell Diaries)

٨٩ ـ هيغل ـ محاضرات عن فلسفة التاريخ لندن ١٩٠٢ (Hegel: Lectures on the Philosophy of History)

٩٠ ـ هايدن كونراد ـ تاريخ الاشتراكية الوطنية ـ نيويورك ١٩٣٥ (Heiden, Konrad: A History of National Socialism)

ـ هتلر ـ تاريخ حياة . نيويورك ١٩٣٦ — : (Hitler — A Biography)

ـ الفوهرر ـ بوسطن ١٩٤٤ — : (Der Fuehrer)

٩١ ـ هندرسون نيفيل ـ فشل بعثة ـ نيويورك ١٩٤٠ (Henderson Nevile: The Failure of a Mission)

٩٢ ـ هيرمان ـ ستيوارت ـ ان ما نبغيه هي أرواحكم ـ نيويورك ١٩٤٣ (Herman Stewart — It's Your Souls We Want)

٩٣ ـ هويسينغر الفريق ادولف ـ امر باستمرار المقاومة ـ ساعات تقرير المصير للجيش الالماني ـ شتوتغارت ١٩٥٠ (Heusinger General Adolf — Befehlim Wider Streit)

٩٤ ـ هندبرغ المشير فون ـ من حياتي ليبزيغ ١٩٣٤ (Hindenburg Field Marshal: Aus meinem Leben)

٩٥ ـ هتلر ـ ادولف ـ كفاحي . جزءان بوسطون ١٩٤٣ (Hitler Adolf Mein Kampf)

٩٦ ـ احاديث هتلر السرية ـ نيويورك ١٩٥٣ (Hitler's Secret Conversations)

٩٧ ـ الرسائل السرية المتبادلة بين هتلر وموسوليني ـ باريس ١٩٤٦ (Les Lettres Sécrètes Echangées Par Hitler et Mussolini)

٩٨ ـ هوتيل ويلهلم ـ الجبهة السرية : قصة الجاسوسية النازية السياسية . ـ نيويورك ١٩٥٤ . (Hoettl Wilhelm: The Secret Front: The Story of Nazi Political espionage)

٩٩ ـ هوفر وولتر ـ حرب مقررة ـ لندن ١٩٥٥ (Hoffer Walther — War Premeditated)

١٠٠ ـ هوسباخ الفريق فريدريك ـ بين الجيش وهتلر ـ هانوفر ـ ١٩٤٩ .
(Hossbach, General Friedrich : Zwischen Wehrmacht und Hitler)

١٠١ ـ هول كوردل ـ يوميات كوردل هل مجلدان ـ نيويورك ١٩٤٨ .
(Hull, Cordell : The Memoirs of Cordell Hull)

١٠٢ ـ جاكوبسين هانز ادولف ـ وثائق عن الحوادث التمهيدية للهجوم من الجبهة الغربية ـ غويتيفين ١٩٥٦ .
(Jacobsen Hans — Adolf: Dokumente zur Vorgeschichte des Westfeldzuges)

١٠٣ ـ جارمان ـ نشوء وسقوط المانيا النازية ـ لندن ١٩٥٥
Jarman : The Rise and Fall of Nazi Germany)

١٠٤ ـ جاسبير كار ـ مشكلة الجريمة الالمانية ـ نيويورك ١٩٤٧
(Jasper Karl: The Question of German Guilt)

١٠٥ ـ كيلي دوغلاس ـ ٢٢ زنزانة في نورمبرغ ـ نيويورك ١٩٤٧
(Kelly Douglas : 22 Cells in Nuremberg)

١٠٦ ـ كيسلرنغ ـ البرت ـ حياة جندي نيويورك ١٩٥٤
(Kesselring Albert: A soldier's Record)

١٠٧ ـ كيليمانسيغ غراف ـ محاكمة فريتشه ـ همبورغ ١٩٤٩
(Kielsmannegg Craf: Der Fritsch Prozess)

١٠٨ ـ كلي الرئيس كارل ـ عملية اسد البحر . غوتيفين ١٩٤٩
(Klee Captain Karl: Das Unternehmen Seeloewe)

١٠٩ ـ كليين بيرتون ـ استعدادات المانيا للحرب ـ كمبريدج ١٩٥٩
(Klein Burton: Germany's Economic Preparations for war)

١١٠ ـ كلايست بيتر ـ بين هتلر وستالين بون ١٩٥٠.
(Kleist Peter: Zwischen Hitler Und Stalin)

١١١ ـ نيلر جورج فريدريك ـ الفلسفة التربوية للاشتراكية الوطنية. نيوهافن ١٩٤١
(Kneller G. Frederick : The Educational Philosophy of National Socialism)

١١٢ ـ كوغون يوجين ـ نظرية الجحيم وتطبيقها ـ نيويورك ١٩٥١
(Kogon Eugen: The Theory and Practice of Hell)

١١٣ ـ كوهن ـ هانز ـ تاريخ المانيا ـ بوسطن ١٩٥٤
Kohn Hans: German History)

١١٤ ـ كولر الفريق كارل ـ الشهر الاخير مانهايم ١٩٤٩
(Koller General Karl: Der letzte Monat)

١١٥ ـ كوردت ايريك ـ لا شيء من الوثائق شتوتغارت ١٩٥٠ (ومن الهوامش خارج نطاق العمليات المرسومة)
(Kordt Erich: Nicht ausden Akten

ـ اكاذيب وحقائق ـ شتوتغارت ٩٤٧
— : Wahn und Wirklichkeit)

١١٦ ـ كريز ايرنست وهانزسبير : الدعاية الاذاعية الالمانية . نيويورك ١٩٤٦
Kreis Ernst and Speier : German Radio Propaganda)

١١٧ ـ كروزيك كونت لوتز شفيرني ـ حدث في المانيا ـ توبنيفين . ١٩٥١
Krosigk, Count Lutz: Ez geschah in Deutschland)

١١٨ ـ كوبيزيك اوغست ـ هتلر الفتى الذي عرفت ـ بوسطن ١٩٥٥ .
Kubizek August: The Young Hitler I Knew)

١١٩ ـ لانغر ويليام ـ مقامرتنا في فيشي . نيويورك ١٩٤٧
(Langer William: Our Vichy Gamble).

١٢٠ ـ لانغرد غليسون ـ الحرب غير المعلنة نيويورك ١٩٥٢
(Langer and Gleason — The Undeclared War)

١٢١ ـ لافال بيار ـ يوميات لافال ـ نيويورك ١٩٤٨
(Laval, Pierre : The Diary of Pierre Laval)

١٢٢ ـ لينارد فيليب ـ النفسية الالمانية ـ ميونيخ ـ برلين ١٩٣٨
(Lenard Philipp — Deutsche Physik)

١٢٣ ـ ليختينبرغر هنري ـ المانيا الجديدة باريس ١٩٣٦ .
(Lichtenberger — L'Allemagne Nouvelle)

١٢٤ ـ ليدل هارت ـ الفرقاء الالمان يتكلمون واوراق رومل . نيويورك ١٩٥٣
(Liddell Hart: The German Generals Talk)
— : (The Romel Papers)

١٢٥ ـ ليلج فريدريك : تحقير المعرفة . نيويورك ١٩٤٨
(Lilge Frederic : The Abuse of learning).

١٢٦ ـ لتفينوف ، مكسيم ـ رؤوس اقلام ليوميات ـ نيويورك ١٩٥٥
(Litvinov: Notes fqr a Journal)

١٢٧ ـ لوريمر . ماذا يريد هتلر ـ لندن ١٩٣٩
(Lorimer: What Kitler Wants)

١٢٨ ـ لوسبرغ الفريق برنارد ـ في اركان القيادة العامة ـ همبورغ ١٩٥٠
(Loss berg General Bernhard Im Wehrmacht Fuehrungsstab)

١٢٩ ـ لوديك ـ كورت ـ عرفت هتلر . لندن ١٩٣٨ .
(Ludecke Kurt: I knew Hitler).

١٣٠ ـ لودندورف الفريق ابريك ـ في الطريق الى نصب الحرب ـ ميونيخ ١٩٣٧
(Ludendorff General Eric : Auf dem Weg Zur Feldherrnhalle)

١٣١ ـ لودندورف مرغريت ـ لما كنت زوجة اودندورف ـ ميونيخ ١٩٢٩
(Ludendorff Margaritte : Als ich Ludendorff Frau War)

١٣٢ ـ لود نورات وولتر ـ اخر ايام الرايخ الثالث ـ غويتينفين ١٩٥١
(Luedde — Neurath Walter Die Letzten Tage des Dritten Reiches)

١٣٣ ـ مارتينيسين ـ انطوني ـ هتلر وامراء بحره ـ نيويورك ١٩٤٩
(Martiensen Anthony Hitler and His Admirals)

١٢٤ ـ مينيكه فريدريك ـ الكارثة الالمانية كمبريدج ١٩٥٠.

Meinecke, Friedrich: The German Catastrophe. Cambridge, 1950.

١٢٥ ـ مايزنر اوتو ـ وزير دولة مع ابيرت وهندنبورغ وهتلر ـ همبورغ ١٩٥٠.

(Meissner Otto : Staatssekretaer unter Ebert — Hindenburg — Hitler)

١٣٦ ـ مانشتـــاين المشير ـ الانتصـــارات الضائعة ـ بون ١٩٥٥

(Manstein field Marshal von : Verlorene Siege)

١٣٧ ـ ميلزر وولتر ـ قنـاة البرت وقلعة ابين ايمايل ـ هايدلبرغ ١٩٥٧

(Melzer Walther: Albert Kanal und Eben — Emael)

١٣٨ ـ مينشلر ليش اليكساندر وميلكي فريد ـ اطباء العار ـ نيويورك ١٩٤٩

(Mitscherlich Alexander and Mielke Fred : Doctors of Infamy)

١٣٩ ـ مونزي ـ اناتول دي : حدث هنا ذات يوم ـ باريس ١٩٤٢

(Monzie Anatole de Ci-Devant)

١٤٠ ـ موريسون صموئيل ايليوت ـ تاريخ العمليات البحرية الامريكية في الحرب الكونية الثانية ـ بوسطن ١٩٤٨

(Morison Samuel Eliot — History of the U.S. Naval Operations in World War II)

١٤١ ـ موران مكسيم ـ المؤامرات ضد هتلر ـ باريس ١٩٤٨

(Mourin Maxime: Les Complots Contre Hitler)

١٤١ (مكرر) ـ سمانو ميشيل : عشرة ايام قبل الموت ـ نيويورك ١٩٥٠

(Musmano Michael Ten days to die)

١٤٢ ـ موسوليني بنيتو ـ مذكرات ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ـ لندن ١٩٤٩

(Mussolini, Benito Memoirs 1942-43)

١٤٣ ـ نامير السير لويس ـ في العهد النازي ـ لندن ١٩٥٢

(Namier Sir Lewis : In the Nazi Era)

ـ مقدمة دبلوماتية ـ لندن ١٩٤٨

— : (Diplomatic Prelude)

١٤٤ ـ ناتان اوتو ـ النظـــام الاقتصادي الالماني ـ ديرهام ١٩٤٤

(Nathan Otto: The Nazi Economic System)

١٤٥ ـ نيومان فرانز ـ البهيمـــوت ـ نيويورك ١٩٤٨

(Neumann Franzi Behemoth).

١٤٦ ـ اوبريان ـ الدفـاع المدني ـ لندن ١٩٥٥

(Obrien : Civil Defence).

١٤٧ ـ اولدن رودولف ـ هتلر مخلب القط ـ لندن ١٩٣٦

(Olden Rudolf : Hitler the Pawn)

١٤٨ ـ اوتـزي بورج ـ الدانيمـــارك في عهد الاحتلال ـ كوبنهاغن ١٩٤٧

(Outze Borge: Denmark during the Occupation)

١٤٩ ـ اوفين ويلفريدفون ـ مع غوبلز حتى النهاية ـ بونيس ايرس ١٩٤٩

(Oven Wilfred Von: Mit Goebbels bis zum Ende)

١٥٠ ـ اوفرستريتين ـ الفريق فان ـ من البرت الاول الى ليوبولد الثالث ـ بروكسل ١٩٤٦
(Overstraeten — General Von : Albert — Leopold III)

١٥١ ـ بابن فرانز فون ـ مذكرات ـ نيويورك ١٩٥٣
(Papen Franz von : Memoirs)

١٥٢ ـ بيشيل رودولف ـ المقاومة الالمانية زوريخ ١٩٤٧
(Pechel : Deutcher Widerstand)

١٥٣ ـ بيرتيناكس ـ الذين حفروا قبر فرنسا ـ نيويورك ١٩٤٤
(Pertinax : The Grave Diggers of France)

١٥٤ ـ بينو هيرمان ـ تاريخ المانيا ـ لندن ١٩٣٦
(Pinnow Hermann: History of Germany)

١٥٥ ـ بولياكوف ليون وجوزيف ـ الرايخ الثالث ـ برلين ١٩٥٥
(Poliakov Leon and Wulf Josef: Das Dritte Reich und die Juden)

١٥٦ ـ بوتيمكين ف. ف. ـ تاريخ الدبلوماتية ـ باريس ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧
(Potemkin V. : Histoire de la Diplomatie)

١٥٧ ـ رابيناه ـ اللواء فريدريش الفريق سنجت من حياته ـ لايبزيغ ١٩٤٠
(Rabenou Lieutenant General Von: seeckt, aus seinem Leben)

١٥٨ ـ روشيننغ هيرمان ـ زمن الهذيان ـ نيويورك ١٩٤٦
(Rauschning, Hermann : Time of Delirium)

ـ ثورة النهليست ـ نيويورك ١٩٣٩
— : The Revolution of Nihlism

ـ صوت الدمار نيويورك ١٩٤٠
— : The voice of Destruction

ـ الثورة المحافظة ـ نيويورك ١٩٤١
— : The Conservative Revolution.

١٥٩ ـ ريد دوغلاس : حريق الريشستاغ نيويورك ١٩٣٤
(Reed Douglas, The Burning of the Reichstag)

١٦٠ ـ ريتلينغر جيرالد ـ الحل الاخير . نيويورك ١٩٥٣
(Reithinger Gerald : The Final Solution)

ـ الحرس النازي ـ نيويورك ١٩٥٧
— : The SS — Alibi of a Nation.

١٦١ ـ رينو بول ـ في حمأة المعركة ـ نيويورك ١٩٥٥
(Reynaud Paul : In the Thick of the Fight)

١٦٢ ـ ريبنتروب يواكيم فون ـ بين لندن وموسكو ـ مذكرات ودلائل ـ ١٩٥٣
(Ribbentrop Joachim Von : Zwischen London und Mosckau.)

١٦٣ ـ ريس كورت ـ جوزيف غوبلز ـ محامي الشيطان ـ نيويورك ١٩٤٨
(Riess Curt: Joseph Goebbels The Devil's Advocate)

١٦٤ ـ ريتر غيرهارد : غوبردلر وحركة المقاومة الشعبية الالمانية ـ شتوتغارت ١٩٥٥
(Ritter Gerhard: Carl Goerdeler und die Deutsche Widerstandbewegung)

١٦٥ ـ روبيكه ويلهلم ـ حل المشكلة الالمانية ـ نيويورك ١٩٤٦
(Roepke Wilhelm : The Solution of the German Problem)

١٦٦ ـ روزينسكي هيربرت ـ الجيش الالماني واشنطن ١٩٤٤ (Rosinski Herbert: The German Army)

١٦٧ ـ روتفيلز هانز ـ المعارضة الالمانية لهتلر ـ هنيزديل ١٩٤٨ (Rothfels Hans: The German Opposition to Hitler)

١٦٨ ـ روسيت ديفيد ـ الملكوت الاخر ـ نيويورك ١٩٤٧ (Roussel David : The other kingdom)

١٦٩ ـ راسل برتراند ـ تاريخ الفلسفة الغربية ـ نيويورك ١٩٤٥ (Russel Bertrand : A. History of Western Philosophy)

١٧٠ ـ ساملر رودولف ـ غوبلز الرجل الثاني بعد هتلر ـ لندن ١٩٤٧ (Sammler: Goebbels The man Next to Hitler)

١٧١ ـ ساسولي ريشارد ـ آي . جي ، فاربن ـ نيويورك ١٩٤٧ (Seasuly Richard I. G. Farben)

١٧٢ ـ شاخت هالمار : تسوية الحساب ـ لندن ١٩٤٩ (Schacht — Hjalmar : Account Settled)

١٧٣ ـ شومبرغ ـ ليبه ، الامير فريدريك كريستيان ـ بين التاج والسجن ـ ويسبادن (Schaumburg -- Lippe, Prinz Friedrich Christian Zu: Zwichen Krone und Kerker)

١٧٤ ـ شيلينبرغ وولتر ـ مسالك الحق (الكهف) نيويورك ١٩٥٦ ١٩٥٢ (Schellenberg Walter The Labyrinth)

١٧٥ ـ شلابريندورف فابيان فون ـ كادوا يقتلون هتلر ـ نيويورك ١٩٥١ (Schlabrendorff Fabian Von: They Almost Killed Hitler)

١٧٦ ـ شميدت بول : ترجمان هتلر ـ نيويورك ١٩٥١ (Schmidt Paul: Hitler's Interpreter)

١٧٧ ـ شول اينج ـ الوردة البيضاء ـ فرانكفورت ١٩٥٢ (Scholl Inge -- Die Weisse Rose)

١٧٨ ـ شرام ويلهلم فون ـ يوم ٢٠ تموز في باريس ـ باد ويريشورن ١٩٥٣ (Schram Wilhelm Von : Der (20 Juli in Paris)

١٧٩ ـ شرويتر هانز ـ ستالينغراد ـ نيويورك ١٩٥٨ (Schroeter Heinz: Stalingrad)

١٨٠ ـ شويتز ويليام وولفغانغ ـ القلم . ظل الصليب المعقوف ـ لندن ١٩٤٦ (Schuetz William Wolfgang: Pens under the Swastika)

١٨١ ـ شولتز يواكيم ـ الايام الثلاثون الاخيرة من يوميات القيادة الالمانية ـ شتوتغارت ١٩٥١ (Schultz Joachim: Die Letzten 30 Tage — aus dem Kriegstagebuch des O.K.W.)

١٨٢ ـ شولتز سيغريد ـ ستحاولها المانيا ثانية ـ نيويورك ١٩٤٤ (Schultz Sigrid Germany Will try it Again)

١٨٣ ـ شومان فريدريك ـ الديكتاتورية النازية ـ نيويورك ١٩٣٩
(Schumann Fredrich The Nazi Dictatorship)

ـ اوروبا عند العشية ـ نيويورك ١٩٣٩
— : (Europe on the Eve)

ـ الليل فوق اوروبا ـ نيويورك ١٩٤١
— : (Night over Europe)

١٨٤ ـ شوشنيغ كورت فون ـ قداس نمسوي (مطالب النمسا) ـ نيويورك ١٩٤٦
(Schuchnigg Kurt Von — Austrian Requiem)

ـ وداعا يا نمسا ـ لندن ١٩٣٨
— : (Farewell Austria)

١٨٥ ـ سكوليزي ماكسيني ـ تركيب الاقتصاد النازي ـ كمبريدج ١٩٤١
(Scolezy Maxime. S. : The Structure of Nazi Economy)

١٨٦ ـ سيبوري بول ـ الويلهلمشتراسه ـ بيركلي ١٩٥٤
(Seabury Paul: The Wilhelm strasse)

١٨٧ ـ شيروود روبرت ـ روزفلت وهوبكينز ـ نيويورك ١٩٤٨
(Sherwood Robert Roosvelt and Hopkins)

١٨٨ ـ شيرر وبليام ـ يوميات برلين ـ نيويورك ١٩٤١
(Shirer William : Berlin Diary)

ـ نهاية يوميات برلين ـ نيويورك ١٩٤٧
— : (End of a Berlin Diary)

ـ تحدي اسكنديناقيا ـ بوسطن ١٩٥٥
— : (The Challenge of Scandinavia)

١٨٩ ـ شولمان ملتون ـ الهزيمة في الغرب ـ نيويورك ١٩٤٨
(Shulman Milton : Defeat in The West)

١٩٠ ـ سكورزني اوتو ـ مذكرات سكورزني السرية ـ نيويورك ١٩٥٠
(Skorzeny Otto — Skorzeny's Secret Memoirs)

١٩١ ـ سيندر لويس ـ مأساة شعب ـ هاربزبرغ ١٩٥٢
(Synder Louis: The Tragedy of a People)

١٩٢ ـ سبيدل ـ الفريق هانز ـ الغزو شيكاغو ١٩٥٠
(Speidel G. Hans : Invasion 1944)

١٩٣ ـ شبينغلر اوزوالد ـ السنوات الفاصلة ـ ميونيخ ١٩٣٥
(Spengler : Jahre der Entscheidung)

١٩٤ ـ ستيد ـ هنري ويكهام ـ ملكية آل هابسبورغ ـ لندن ١٩١٩
(Steed Henry Wickham: The Hapsburg Monarchy)

١٩٥ ـ شتاين ليو ـ كنت في جهنم مع نيمولر ـ نيويورك ١٩٤٢
(Stein Leo: I was in Hell with Niemoeller)

١٩٦ ـ ستيب جون ـ يوميات شيطان ـ اوهايو ١٩٥٥
(Stipp John: Devil's Diary)

١٩٧ ـ ستروبلين كارل ـ شتوتغارت في المرحلة الاخيرة من الحرب ـ شتوتغارت ١٩٥٠
(Stroelin Karl: Stuttgart im Endstandium des Krieges)

١٩٨ ـ سواريز جورج ولابورد غاي ـ السلم في حالة النزاع ـ باريس ١٩٤٢
(Suarez, Georges and Laborade Guy : Agonie de la Paix)

١٩٩ ـ تانسيل شارلز ـ الباب الخلفي للحرب ـ نيويورك ١٩٥٢
(Tansil Charles : Back Door to War)

٢٠٠ ـ تيلور ـ ا. ج. ب. ـ سير التاريخ الالماني ـ نيويورك ١٩٤٦
(Taylor A.J.P. : The Course of German History)

٢٠١ ـ تيلور تيلفورد ـ السيف والصليب المعقوف ـ نيويورك ١٩٥٢
(Taylor Telford — Sword and Swastika)

ـ زحف الفتح ـ نيويورك ١٩٥٨
—- : (The March of Conques)

٢٠٢ ـ توماس الفريق جورج ـ حقائق اساسية عن تاريخ الحرب الالمانية واقتصاد التسلح ـ نورمبرغ ١٩٤٥
(Thomas General Georg : Basic Facts for a History of German War and Armament Economy)

٢٠٣ ـ تومسون دوروثي ـ اسمع يا هانز بوسطن ١٩٤٢
(Thompson Dorothy : Listen Hans)

٢٠٤ ـ ثوروالد جيرغين ـ النهاية على نهر الالب ـ شتوتغارت ١٩٥٠
(Thorwald Juergen : Das Ende an der Elbe)

ـ الفرار في الشتاء ـ نيويورك ١٩٥١
—- : (Flight in Winter)

٢٠٥ ـ تيسين فريتز : انا دفعت لهتلر ـ نيويورك ١٩٤١
(Thyssen Fritz : I Paid Hitler)

٢٠٦ ـ توليشوس اوتو ـ لقد ارادوا الحرب ـ نيويورك ١٩٤٠
(Follschus Otto : They Wanted War)

٢٠٧ ـ توينبي ارنولد ـ اوروبة هتلر ـ لندن ١٩٥٤
(Toynbee Arnold : Hitler's Europe)

٢٠٨ ـ توينبي ارنولد وفيرونيكا ـ عشية الحرب ـ لندن ١٩٥٨
(Toynbee Arnold and Veronica : The Eve of the War)

٢٠٩ ـ تريفوس ـ اش. ـ المانيا والحياد الامريكي ـ نيويورك ١٩٥١
(Trefousse H.L. Germany and American Neutrality)

٢١٠ ـ تريفور ـ روبر ـ اخر ايام هتلر ـ نيويورك ١٩٤٧
(Trevor — Roper : The Last Days of Hitler)

٢١١ ـ فيرميل ادموند ـ المانيا المعاصرة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا . مجلدان ـ باريس ١٩٥٢
(Vermeil Edmond : L'Allemagne Contemporaine Sociale, Politique et Culturale)

٢١٢ ـ فوسلو كارل ـ مثل التضحية في جامعة ميونيخ ـ ميونيخ ١٩٤٧
(Vossler Karl ; Gedenkrede fuer die opefr an der Universitaet Muenchen)

٢١٣ ـ فاوينكيل كورت ـ الجيش الالماني في الحرب ـ هايدلبرغ ١٩٥٤
نيويورك ١٩٤٥
(Vowinckel, Kurt: Die Kehrmacht im, Kampf).

٢١٤ ـ واغنر فريديلند ـ تراث النار ـ نيويورك ١٩٤٥
(Wagner Friedelind : Heritage of fire)

٢١٥ ـ ويزينبورن غونتر ـ المقاومة الصامتة ـ همبورغ ١٩٥٣

(Weisen born Guenther : Der Lautlose Aufstand)

٢١٦ ـ وايزساكر ـ ايرنس فون ـ مذكرات لندن ١٩٥١

(Weizsaeker Ernst Von: Memoirs)

٢١٧ ـ ويلز سمنر ـ حان الوقت للقرار ـ نيويورك ١٩٤٤

(Welles Summer: The Time for Decision)

٢١٨ ـ ويستفالالفريقسيغفريد ـ الجيش الالماني في الغرب ـ لندن ١٩٥١

(Westphal, General Siegfried: The German Army in the West)

٢١٩ ـ ويغان ـ الفريق مكسيم ـ دعي الى الخدمة العسكرية ـ باريس ١٩٤٧

(Weygand, General Maxime: Rappelé Au Service)

٢٢٠ ـ ويتلي رونالد ـ عملية اسد البحر ـ لندن ١٩٥٨

(Wheatley Ronald: Operation Sea Lion)

٢٢١ ـ ويلر بنيت جون ـ هندنبرغ (الحصان الخشبي) ـ نيويورك ١٩٣٦

(Wheeler — Bennett — John : Wooden Titan : Hindenburg)

ـ ميونيخ ـ نيويورك ١٩٤٨

— , Munich : Prologue de Tragedy.

ـ نقمة السلطان ـ نيويورك ١٩٥٣

— : The Nemesis of Power

٢٢٢ ـ ويشيرت ايروين ـ ايام دراماتيكية في رايخ هتلر ـ شتوتغارت ١٩٥٢

(Wichert Erwin: Dramatiche Tage in Hitlers Reich)

٢٢٣ ـ ويلموت تشيستر ـ معركة اوروبا ـ نيويورك ١٩٥٢

(Wilmot Chester: The Struggle for Europe)

٢٢٤ ـ رنيش جون ايفيلين ـ جيفري دوسون وايامنا ـ لندن ١٩٥٥

(Wrench John Evelyn Geoffrey Dawson and Our Times)

٢٢٥ ـ يونغ ديزموند ـ رومل ثعلب الصحراء ـ نيويورك ١٩٥٠

(Young Desmond : Rommel The Desert Fox)

٢٢٦ ـ زيلر ايبرهارد ـ شبح الحرية ـ ميونيخ ١٩٥٤

(Zeller Eberhard : Geist der Freiheit)

٢٢٧ ـ زيمر غريغور ـ التعليم على الموت ـ نيويورك ١٩٤١

(Zeimer Gregor : Education for Death)

٢٢٨ ـ زولر ـ هتلر في حياته الخاصة او مباذله ـ باريس ١٩٤٩

(Zoller A: Hitler Privat)

٢٢٩ ـ زفايج ستيفان ـ عالم الامس ـ نيويورك ١٩٤٣

(Zweig Stefan: The World of Yesterday)

٤ ـ المجلات

١ ـ هيل الاستاذ اورون جيمس ـ ادولف هتلر دافع الضرائب ـ المجلة التاريخيـــة الامريكية ـ ٤٠ ـ رقم ٤ ـ تموز ١٩٤٤

(Hale — Adolf Hitler Tax Payer)

٢ ـ هوش ريكاردا ـ حركة طلاب ميونيخ ضد هتلر ـ مجلة روند شتـــاد الجـديدة السويسرية ـ زوريخ ـ ايلول ـ تشرين الاول ١٩٤٨

(Die Aktion der Muenchner Studenten gegen Hitler Neue Schweizer Rundschau, Zurich September — October 1948).

٣ ـ هوش ريكاردا ـ ١٨ نيسـان ـ انهيار حركة المقاومة الالمانيـــة ـ نفس المصـــدر ـ تشرين الاول ٢٠ ، ١٩٤٦

Huch, Riacrda : The American Historical Review)

٤ ـ كيمبنر روبرت . « الكتاب الازرق عن الحركة النازية السرية » بحوث دراسـية في كلية الولاية في واشـنطن ـ حزيران ١٩٤٥

(Kempner Robert M.W. «Blueprint of the Nazi Underground» Research Studies of the State College of Washington. June 1945.

٥ ـ توماس الجنرال جورج ـ « ذكريات وحوادث »

(Thomas General Georg «Gedanken und Ereignisse» Schwizerische Monatshefte December 1945).

٦ ـ ويتزيغ رودلف ـ احتلال حصن ابين ايمايل ـ مجلة فيهركوند ـ ايار ١٩٤٥

(Witzig Rudolf: «Die Einnahme Von Eben-Emael»

فهرست الاعلام

ـ هـ ـ

